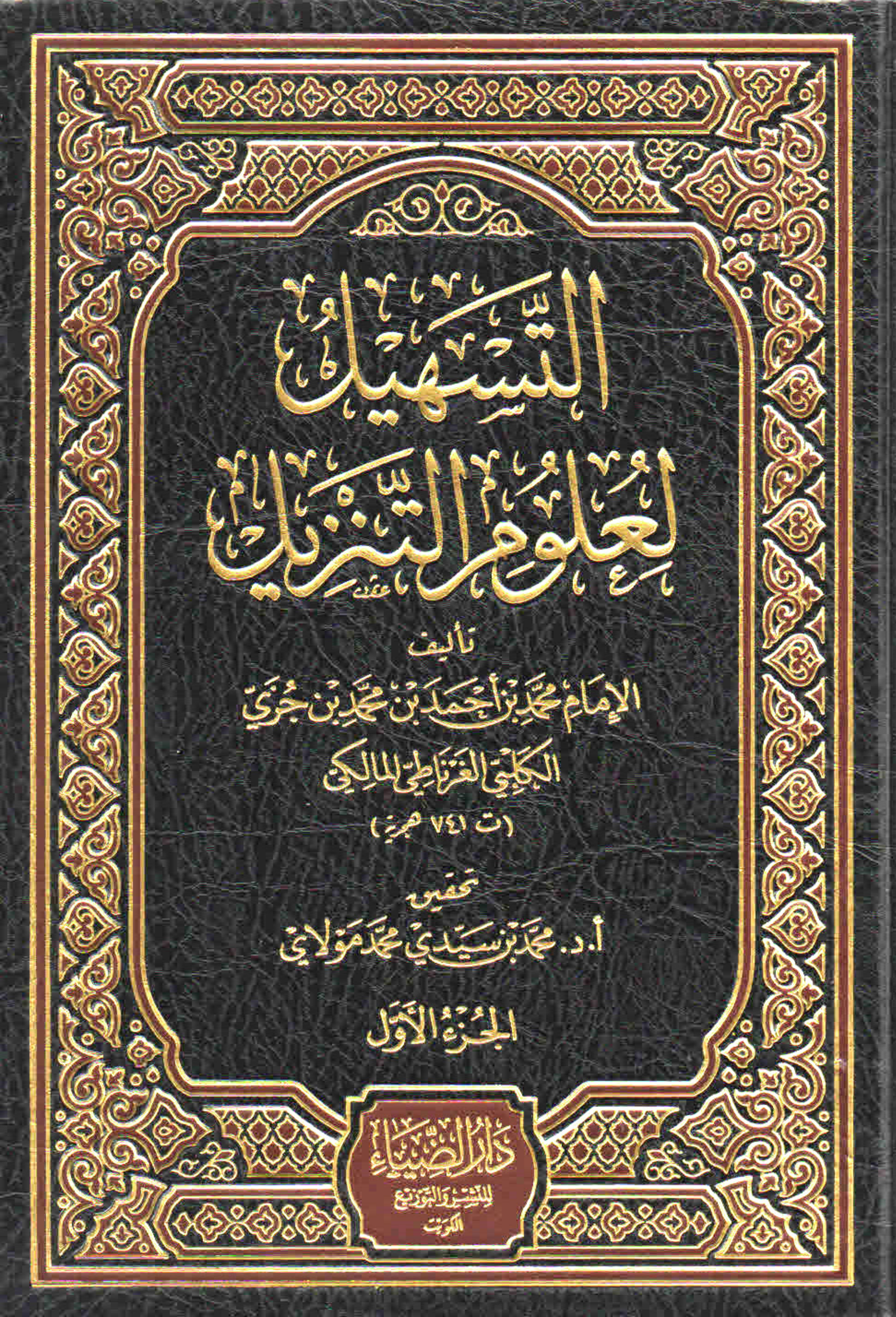

التسهيل
لعلوم التنزيل
تأليف
الإمام محمد بن أحمد بن محمد بن جزي
الكلبي الغرناطي المالكي
(ت ٧٤١ هجرية)
تحقيق
أ.د. محمد بن سيدي محمد مولاي
الجزء الأول
دار الضياء
للنشر والتوزيع
الكويت

دار الضياء

للنشر والتوزيع - الكويت

الكويت - حولي - شارع الحسن البصري

ص.ب : ١٣٤٦ حولي

الرمز البريدي : ٣٢٠١٤

تلفاكس : ٢٢٦٥٨١٨٠ (٩٦٥+)

نقال : ٩٩٣٩٦٤٨٠ (٩٦٥+)



الطبعة الأولى

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

التجليد الفني

مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد

بيروت

www.daraldheya.com

dar_aldheyaa@yahoo.com

الموزعون المعتمدون

- دولة الكويت:

دار الضياء للنشر والتوزيع - حولي تلفاكس: ٢٢٦٥٨١٨٠ نقال: ٩٩٣٩٦٤٨٠

- المملكة العربية السعودية:

دار المنهاج للنشر والتوزيع - جدة هاتف: ٦٣١١٧١٠ فاكس: ٦٣٢٠٣٩٢

دار التدمرية للنشر والتوزيع - الرياض هاتف: ٤٩٢٥١٩٢ فاكس: ٤٩٣٧١٢٠

المكتبة المكية - مكة المكرمة هاتف: ٥٣٤٠٨٢٢ فاكس: ٥٣٦٦٢٩٩٠

مكتبة العبيكان - جميع فروعها في المملكة هاتف: ٩٠٠٢٠٠٢٠٢٠٩

- الجمهورية التركية:

مكتبة الارشاد - اسطنبول هاتف: ٠٢١٢٦٣٨١٦٣٣/٢٤ فاكس: ٠٢١٢٦٣٨١٧٠٠

المكتبة الهاشمية - اسطنبول هاتف: ٠٢١٢٥٢٠٢٥٣٣ فاكس: ٠٢١٢٥٢٠١٥٩٦

- الجمهورية اللبنانية:

دار إحياء التراث العربي - بيروت هاتف: ٥٤٠٠٠٠ فاكس: ٨٥٠٧١٧

شركة دار البشائر الإسلامية بيروت - لبنان هاتف: ٧٠٢٨٥٧ فاكس: ٧٠٤٩٦٣

شركة التمام - بيروت - كورنيش المزرعة هاتف: ١٧٠٧٠٣٩

- الجمهورية العربية السورية:

دار الفجر - دمشق - حلبوني هاتف: ٢٢٢٨٣١٦ فاكس: ٢٤٥٣١٩٣

دار الكلم الطيب - دمشق - حلبوني هاتف: ٢٤٥١٢٢٦ فاكس: ٢٢٢٧٦٠٢

- جمهورية مصر العربية:

دار البصائر - القاهرة - زهراء مدينة نصر تلفاكس: ٠٢٢٤١١١٤٤١ محمول: ٠١٠٠٢٤٣٦٢٦٣

- المملكة الأردنية الهاشمية:

دار الرازي - عمان - العبدلي تلفاكس: ٤٦٤٦١١٦

دار محمد دنديس للنشر والتوزيع - عمان هاتف: ٦٤٦٥٣٣٩٠ تلفاكس: ٦٤٦٥٣٣٨٠

- الجمهورية اليمنية:

مكتبة تريم الحديثة - تريم هاتف: ٤١٧١٣٠ فاكس: ٤١٨١٣٠

- الجمهورية الإسلامية الموريتانية:

شركة الكتب الإسلامية - نواكشوط هاتف: ٠٠٢٢٢٥٢٥٢٤٦١

- مملكة البحرين:

جمعية الإمام مالك بن أنس - المحرق هاتف: ١٧٣٣٤٢٥٠ فاكس: ١٧٣٣٤٣٦٠



التسهيل لعلوم التنزيل

تأليف

الإمام محمد بن أحمد بن محمد بن جُزيّ

الكلبيّ الغرناطيّ المالكي

(ت ٧٤١ هجرية)

تحقيق

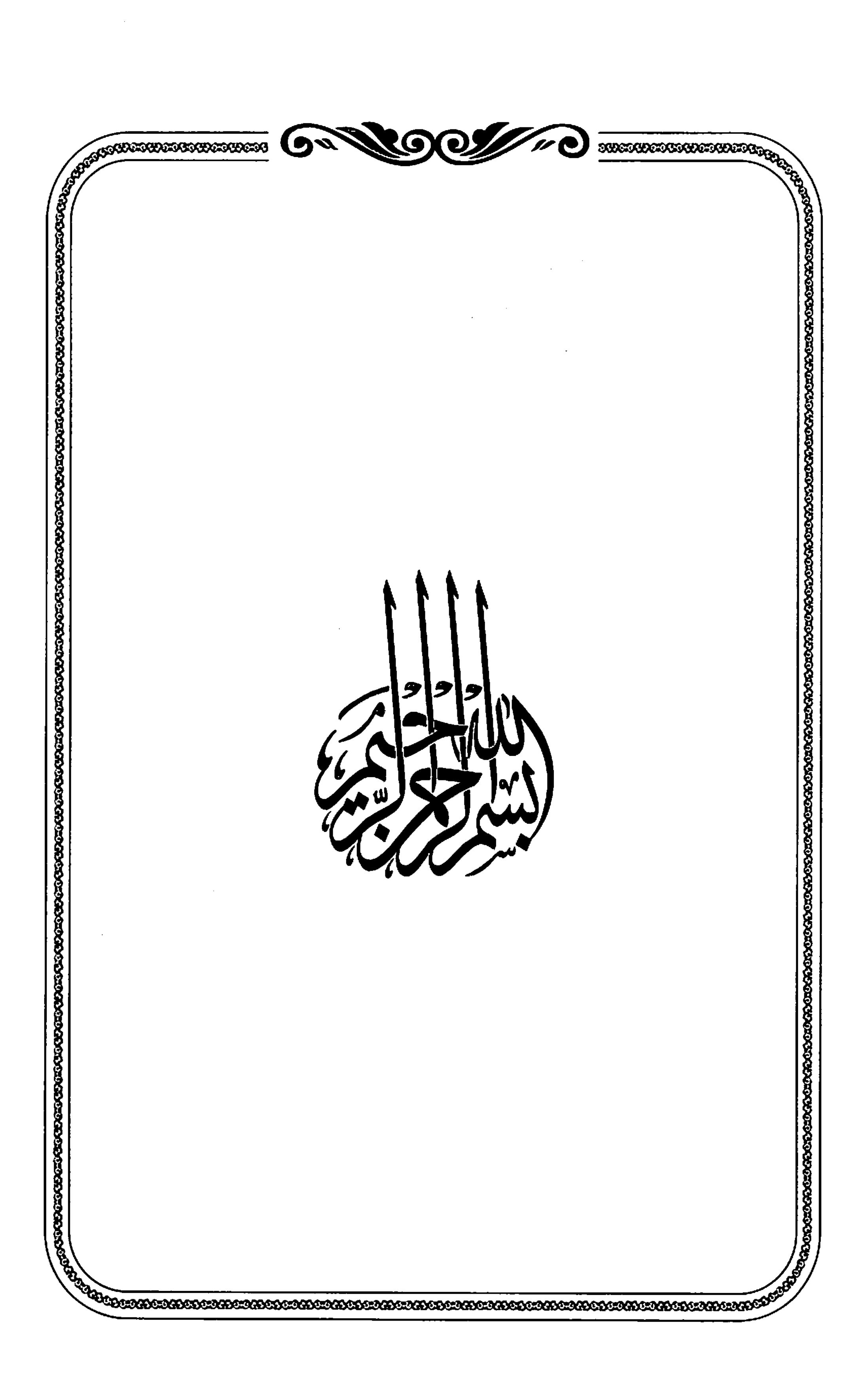
أ.د. محمد بن سيدي محمد مولاي

الجزء الأول

دار الضياء

للنشر والتوزيع

الكويت


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحابته أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد من الله علي بالعناية بتحقيق كتاب التسهيل لعلوم التنزيل للإمام الجليل محمد بن جزي الكلبي رحمه الله تعالى، هذا الكتاب الذي يعتبر كنزا ثمينا من كنوز التفسير جمع فوائد جمة لا يمكن حصرها، ففيه من القراءات والآثار والإعراب والنكات العلمية ما لا يوجد في المطولات، وقد تعرض للإهمال ردحا طويلا من الزمن، كما أشرت إلى بعض ذلك في مقدمة الطبعة الأولى، وقد بذلت جهدا كبيرا في تصحيحه وتوشيحه بالتعاليق المناسبة حتى يتمكن طلاب العلم من الاستفادة منه، وقد قامت دار الضياء في الكويت بطباعته طباعة جيدة، ومنذ وقت نفدت تلك الطبعة وكثر الطلب على الكتاب بشكل كبير، وخاصة من أهل العلم، فكان لا بد من إعادة طبعه مرة أخرى، وعلى هذا الأساس رجعت إلى الكتاب من جديد وبذلت فيه جهدا أكبر سوف يتضح للقارئ بحول الله، ومن أبرز ما تتميز به هذه الطبعة ما يلي:

أولاً: أنني أثبت النص بقراءة نافع من رواية قالون، وقد قال المؤلف:

وإنما بنينا هذا الكتاب على قراءة نافع المدني لوجهين:

أحدهما: أنها القراءة المستعملة في بلادنا بالأندلس وسائر المغرب.

والآخر: الاقتداء بالمدينة شرفها الله؛ لأنها قراءة أهل المدينة..

ثانياً: خرجت الأحاديث و الآثار الواردة في الكتاب حسب جهدي، ولا أدعي الإحاطة فالآثار في هذا الكتاب لا تنتهي كثرة.

ثالثاً: وثقت للقراءات التي وردت في الكتاب سواء كانت متواترة أو غير متواترة، وحاولت الإحاطة في ذلك.

رابعاً: وضعت تعاليق كثيرة مفيدة في مجالات عدة، زائدة على ما في الطبعة الأولى

خامساً: وضعت فهارس مهمة تلقي ظلالا على موضوعات الكتاب المختلفة.

سادساً: حصلت على نسخ جديدة من التسهيل وعرضت عليها النص، وتم إصلاح بعض الأخطاء.

وأخيرا فإنني أؤمل أن تلبي هذه الطبعة رغبة القراء في الحصول على التسهيل مصححا ومنقحا.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

أ.د. محمد بن سيدي محمد مولاي

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب المبين، وجعل له نقاداً ينفون عنه جهل الجاهلين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحابته أجمعين، والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن كتاب التسهيل لعلوم التنزيل للإمام محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي كتاب نفيس في تفسير القرآن العظيم، وسائر ما يتعلق به من العلوم، جمع العلوم والمعاني الكثيرة في عبارات وجيزة، وبأسلوب جميل وواضح، مع العناية بالنكات العلمية والإعراب والبلاغة وغير ذلك، وهو يحظى بعناية الكثيرين من طلاب العلم في العالم الإسلامي، ووجوده مصححاً ومدققاً يسدّ فراغاً في منظومة كتب التفسير المتنوعة.

وقد طبع هذا الكتاب طبعات كثيرة، أولها حسب ما أعلم:

طبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٣٥٥هـ ثم توالت الطبعات بعد ذلك.

فمنها: طبعة دار الكتاب العربي بيروت ١٣٩٣هـ وهذه الطبعة هي التي اعتمد عليها الدكتور/ علي محمد الزبيري في دراسته التي قدم عن ابن اجزي ومنهجه في التفسير.

ومنها: طبعة دار الكتاب العربي أيضاً ١٤٠٣هـ بتحقيق لجنة إحياء التراث في دار الكتاب العربي.

ومنها: طبعة دار الكتب الحديثة بالقاهرة، تحقيق: محمد عبد المنعم اليونسي،

وإبراهيم عطوة عوض، بدون تاريخ.

ومنها: طبعة دار الأرقم ببيروت تاريخ ١٤١٦هـ، تحقيق: د. عبد الله الخالدي.

ومنها: طبعات أخرى هي في الغالب مصورة من طبعة المكتبة التجارية المتقدمة الذكر، وآخر طبعة لهذا الكتاب هي: طبعة المكتبة العصرية بيروت ١٤٢٣هـ وكل هذه الطبعات التي عثرت عليها مليئة بالأخطاء الفادحة الشنيعة وينقصها الإشراف العلمي المطلوب.

وقد تتبعت آخر طبعة لهذا الكتاب وهي طبعة المكتبة العصرية ١٤٢٣هـ فأحصيت في المقدمتين صدر الكتاب مئات الأخطاء، والكثير من هذه الأخطاء يغير المعنى.

هذا، وإنني قد ارتبطت بهذا التفسير ارتباطاً وثيقاً، عندما كنت أكتب أطروحتي للدكتوراه والتي عنوانها: «التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط» فتطلب مني العمل الرجوع إلي التسهيل من وقت لآخر، لكثرة أخذ المفسرين الشناقطة منه، وأزعجني ما أجد فيه من الأخطاء الكبيرة.

ولهذا صرفت الهمة في الحصول على نسخ خطية منه، للاعتماد عليها في تصحيحه حسب الإمكان، وإخراجه على الحالة اللائقة به، فيسر الله لي بمنه وكرمه ما أملته فله الحمد والشكر.

فقد حصلت على نسخ خطية اعتمدت عليها في تصحيحه وإخراجه بالشكل الصحيح الذي وضعه عليه مؤلفه أو قريب من ذلك.

وفي هذه المقدمة لا أريد التعرض للأخطاء في هذه الطبعات تفصيلاً لأنها كثيرة جداً ومتنوعة كما أسلفت، ولكنني أذكر بخطأين وقعت فيهما كل المطابع التي طبعت الكتاب والتي وقفت عليها:

* الخطأ الأول: أن ابن جزي صدر كتابه بمقدمتين إحداهما تتعلق بمعاني اللغات ورتبها على حروف المعجم وذلك حسب ترتيب المغاربة، وهي طريقة ترتب الحروف كالتالي: أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ وي وهذه الطريقة غير مجهولة عندنا في الغرب الإسلامي، ووضعت على وفقها مؤلفات كثيرة، فمن أشهر هذه المؤلفات:

١ ـ التمهيد لما في الموطإ من المعاني والأسانيد، للفقيه العلامة الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري الأندلسي ت: ٤٦٣هـ.

٢ ـ ومنها: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، للوزير الفقيه أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ت: ٤٨٧هـ.

٣ ـ ومنها: المحتوى الجامع في رسم الصحابة وضبط التابع، للطالب عبد الله ابن الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي.

٤ ـ ومنها: الحملة في رسم القرآن، لسيدي عبد الرحمن بن سيدي أبي بكر الشنقيطي الأمسمي.

٥ ـ ومنها: كشف العمى في رسم القرآن وضبطه، للشيخ محمد العاقب الجكني الشنقيطي.

ومؤلفات أخرى كثيرة[١].

فابن عبد البر الذي رتب التمهيد على حروف المعجم، حسب الطريقة المغربية، أتى بترجمة طلحة ابن عبد الملك الأيلي، بعد ترجمة زياد بن سعد بن عبد الرحمن الخراساني؛ لأن الطاء يأتي في الترتيب بعد الزاي مباشرة وهكذا..

---

(١) ولقد أوضح الإمام الداني في كتابه القيم: (المحكم في نقط المصاحف) طريقة المغاربة في ترتيب الحروف، كما أوضح طريقة المشارقة ـ التي هي السائدة الآن ـ، بشكل مفصل. انظر: المحكم في نقط المصاحف تحقيق الدكتور/عزة حسن، ص: ٣٢.

وكان الأحرى بمن أراد أن يرتب هذه المقدمة على طريقة المشارقة في ترتيب الحروف أن يبين ذلك، وهذا ما فعله الأستاذ/ مصطفى السقا، فعندما أراد أن يرتب معجم ما استعجم حسب طريقة المشارقة، بين ذلك حيث قال: فإن من عملي في هذا المعجم أن غيرت وضع مادته ورتبتها على حسب ترتيب حروف الهجاء في المشرق...[1].

أما الذين قاموا بطباعة التسهيل فكلهم غيروا هذه المقدمة وجعلوها حسب ترتيب المشارقة، ولم يذكروا ما حصل في ذلك من التغيير، ويمكن أن يكون ما فعلوه عن غير عمد؛ لأنهم اعتمدوا المطبوع وليست عندهم مخطوطات للكتاب، يتبينون من خلالها الترتيب الصحيح.

والأدهى من ذلك أن بعض الطبعات جعلت المقدمات ملحقاً في نهاية الكتاب، وذلك تغيير شنيع لا مبرر له في نظري، فمن هذه الطبعات طبعة دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٣هـ.

* الخطأ الثاني: أن المؤلف قال في مقدمته: إنه بناه على قراءة نافع لأنها القراءة المستعملة في الأندلس وبلاد المغرب، واقتداء بالمدينة المنورة... إلخ.

ولم تلتزم أي طبعة بهذا، بل إنها كلها غيرت القراءة إلى قراءة عاصم من رواية حفص، ولم تعتذر عن ذلك.

هذا بالإضافة إلى الأخطاء المنتشرة التي تشوه جمال هذا الكتاب وتكدر صفاءه ورونقه وتنقص من مكانته.

فمن أجل ذلك تبين أن إعادة الكتاب على حالته مصححاً، مسألة في غاية الأهمية، وأن رغبة قراء التسهيل أكيدة في أن يروه صحيحاً منقى من التحريف والتصحيف، فكثيراً ما نرى من يثني على هذا التفسير ثناءً عطراً، ثم يضيف إنه

---

(١) مقدمة معجم ما استعجم للبكري ط: عالم الكتب بيروت: ١٤٠٣هـ.

يزهده فيه ما فيه من الأخطاء، والبعض يتمنى أن يجد هذا الكتاب من يعتني به ويخرجه في ثوب أنيق، وحلة قشيبة، ومن هؤلاء الدكتور/ علي محمد الزبيري رَحِمَهُ اللَّهُ، الذي قدم دراسة مسهبة عن ابن جزي في مجلدين كبيرين، يقول: وأقترح بالنسبة للتسهيل بصفة خاصة أن يعاد طبعه وأن يحقق تحقيقاً علمياً نافعاً يبرزه للناس عموماً، ولطلبة العلم خصوصاً، في ثوب قشيب، بعد الرجوع إلى مخطوطاته الأصلية، ومقارنتها ببعض، وذلك لأن الطبعات الموجودة كلها مليئة بأخطاء فاحشة تحيل المعنى، وبعض المواضع منه تلاحظ فيها أن النص مبتور، كما أن بعض المواضع منه تحتاج إلى تعليق وتوضيح، أو استدلال أو توجيه، أو مقاربة ومقابلة، ولا تجد شيئاً من ذلك في عمل من نشر الكتاب وزعم تحقيقه[١].

*** *** ***

---

(١) ابن جزي ومنهجه في التفسير: ٢/٩٤٦.

وصف النسخ المخطوطة
من هذا الكتاب

١ ـ نسخة المكتبة الوطنية للمملكة المغربية (الخزانة الحسنية) رقم المخطوطة (٢٣٩٠) عدد الأوراق ٢١٤ ورقة كتبت بتاريخ ١٠٢٤هـ الناسخ لم يعرف، لأن مكان الاسم فيه انطماس ومحو.

٢ ـ نسخة الخزانة الحسنية رقم: IIIII ز وهذه النسخة تبدأ من سورة مريم إلى نهاية الكتاب، عدد الأوراق ١١٥ ورقة.

٣ ـ نسخة الخزانة العامة بالمغرب الرقم د/٦٢٧ عدد الأوراق ٢٨١ ورقة الناسخ يحيى عزوزي، تاريخ النسخ محله غير واضح لأن فيه انطماساً وعليه أثر الرطوبة، ويبدو أن هذه النسخة قديمة جداً.

٤ ـ نسخة الخزانة العامة بالمغرب رقم د/٦٨٠ من بداية الكتاب إلى سورة التوبة عدد الصفحات ١٠٠،

٥ ـ نسخة الخزانة الملكية ورقمها ١١١٩٧ وهي في الأصل من مكتبة مكناس. وعدد لوحاتها ١٩٥ لوحة، وهي بخط مغربي جميل وواضح، الناسخ لم يذكر اسمه ولا تاريخ النسخ.

٦ ـ نسخة المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، وهي بخط مغربي واضح، وعدد صفحاتها ٥٤٤ صفحة، وعدد أسطر الصفحة ٢٨ سطرا، الناسخ إبراهيم المسعدي، تاريخ النسخ: مساء الخميس قبيل رمضان ١٢٦٥هـ ورقمها (١٨٠٩).

٧ ـ نسخة أهل أحمد الأفرم وهي نسخة مكتوبة بخط جميل وعدد صفحاتها ٦٢٢ صفحة وعدد الأسطر في الصفحة يتراوح بين ٣٢ و٣٣ سطراً وعلى غلاف هذه النسخة تمليكات قديمة ففد ملكها العلامة أحمد بن المختار لابن أخته وابن عمه محمد الأمين.

٨ ـ نسخة تيشيت، وهي نسخة واضحة سالمة من المحو والتقطيع إلا في حالات نادرة.

وتوجد نسخ كثيرة منتشرة بالعشرات في المغرب وفي موريتانيا، ولكنني اكتفيت بهذه النسخ واعتبرتها كافية في تصحيح الكتاب.

*** *** ***

عملي في التحقيق

لقد قمت في تحقيق هذا الكتاب بعمل ما يلي:

* أولاً: تعرضت لذكر الحالة السياسة في عصر المؤلف.

* ثانيا: ترجمت للمؤلف ترجمة مفصلة.

* ثالثاً: ذكرت كلمة عن الكتاب تشمل: نسبته لمؤلفه، ومنهجه، وغير ذلك.

* رابعاً: أعدت ترتيب الكتاب كما وضعه المؤلف، وذلك في المقدمة الثانية المتعلقة باللغات كما سبق وأن أشرت إلى ذلك.

* خامساً: أثبت النص بقراءة نافع، كما وضعه المؤلف.

* سادساً: صححت الكتاب على نسخ خطية معتمدة، وتحريت الصواب في حال اختلاف النسخ، ولم أثبت الفروق بينها لكثرتها وعدم أهمية إثباتها إلا في بداية الكتاب، فالمهم تصحيح النص بدقة.

* سابعاً: خرجت الأحاديث والآثار الواردة في الكتاب على الغالب.

* ثامناً: ترجمت للأعلام الذين وردت أسماؤهم، إذا كانوا يحتاجون إلى ترجمة.

* تاسعاً: علقت على بعض الموضوعات تعليقات خفيفة، وتعمدت أن تكون كذلك حتى لا يكبر حجم الكتاب، وذلك يتنافى مع رغبة المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: فهو يقول: ثم إنني عزمت على إيجاز العبارة وفرط الاختصار، وترك التطويل والتكرار.

فلهذا حرصت كل الحرص على أن لا أزيد من التعليقات زيادة تنافي رغبة المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

* عاشراً: أثبت النص كاملاً مع التفسير تتميماً للفائدة، وكذلك فعلت الطبعات السابقة، أثبتته برواية حفص عن عاصم كما سبقت الإشارة إلى ذلك، بينما اقتصر المؤلف على المقاطع التي فسرها، ولقد حصلنا بفضل الله تعالى على رواية قالون عن نافع، وكان الحصول عليها بجهد مشكور من طرف الأستاذ الفاضل أحمد مزيد بن عبد الحق الجكني البوني فله مني كل الشكر والتقدير.

* حادي عشر: وضعت فهارس علمية في آخر الكتاب تشمل:

١ ـ فهرس الأحاديث والآثار.

٢ ـ فهرس الأعلام.

٣ ـ فهرس الشواهد الشعرية.

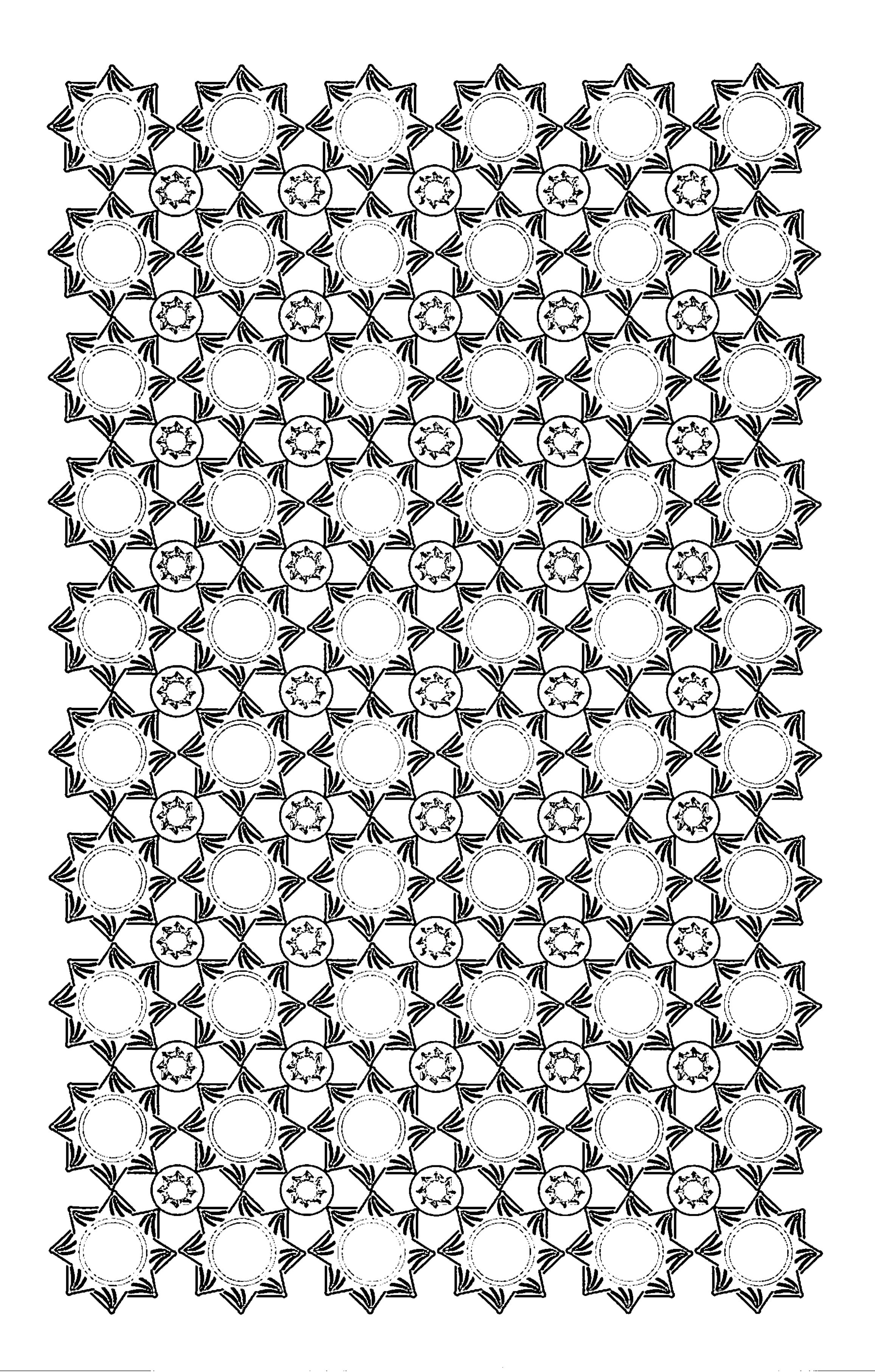
٤ ـ فهرس المراجع والمصادر.

٥ ـ فهرس الموضوعات.

والله أرجو أن يوفقنا جميعا لما يحب ويرضى، وأن ينفعنا بما علمنا، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

كتبه/

أ.د. محمد بن سيدي محمد مولاي



الحالة السياسية في عصر المؤلف

وتضمنت الكلام عن ملوك بني الأحمر الذين عاصرهم ابن جزي، وملامح نظامهم الداخلي[(١)].

* الحالة الدينية.
* الحالة الاجتماعية.
* الحالة العلمية.

عصر الإمام ابن جزي:

عاش ابن جزي في العقد الأخير من القرن السابع، وفي معظم العهد الأول من القرن الثامن الهجري، في دولة بني الأحمر بالأندلس الذين عرفوا أيضاً بملوك بني نصر، وقد حكم هؤلاء، وراثة خلال قرنين ونصف قرن، وتولى الحكم خلال هذه الفترة حوالي عشرين من الأمراء، وأطلق على كل واحد منهم أمير المسلمين، وأول ملوك بني الأحمر محمد (الأول) بن يوسف بن الأحمر المعروف بالغالب بالله مؤسس الدولة، حكم من ٦٣٥هـ إلى ٦٧١هـ وآخرهم أبو عبد الله محمد الحادي عشر المعروف بالغالب بالله، وبالملك الصغير، الذي سلم غرناطة آخر حصن إسلامي في الأندلس للملكين الكاثوليكيين: افراندو، وإزابيل سنة ٨٩٧هـ[(٢)].

والمعروف أن الأندلس في زمنهم قد تقلصت تقلصاً واضحاً وأصبحت

---

(١) جل هذه المقدمة منقول من مقدمة صدرت بها تحقيقي للقوانين الفقهية، وأثبتها هنا لحاجة القراء إليها.

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة: ١/٥٦٥، ونفح الطيب: ٤/٥١١.

محصورة في مملكة غرناطة، المكونة من ثلاث ولايات تقع في الجزء الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة (إيبيريا).

ولقد مرت الأندلس بأطوار عديدة منذ الفتح الإسلامي بقيادة طارق بن زياد، وموسى بن نصير سنة ٩٢هـ وحتى سقوط غرناطة، وانتهاء آخر سلطان سياسي للمسلمين بالأندلس سنة ٨٩٧هـ ترك أبو عبد الله في السنة الثانية الأندلس إلى فاس، وعند رحيله جرت له تلك القصة الشهيرة مع أمه عائشة الحرة، والتي من ضمنها قولها له لما بكى:

ابك مثل النساء ملكا مضاعا لم تحافظ عليه مثل الرجال[١]

وقد تعرض ابن جزي في كتابه القوانين لهذا التاريخ بشكل موجز[٢] حتى وصل إلى دولة بني الأحمر التي عاصرها، قال: ثم ظهر أمير المسلمين الغالب بالله محمد وملك حضرة غرناطة واستوطنها... وملك ما بقي من بلاد الأندلس وأورثها أهل بيته... واكتفينا بذلك عن الحديث عنه هنا.

وأهم ما يميز العقود الأخيرة للأندلس هو ظهور ما عرف بملوك الطوائف، حيث قسمت الأندلس إلى ست مناطق رئيسة، تضم كل منها إمارة أو أكثر حتى بلغت إماراتها نحو العشرين إمارة[٣].

۞ نبذة مختصرة عن ملوك بني الأحمر الذين عاصرهم ابن جزي:

لقد عاصر ابن جزي ستة من ملوك بني الأحمر، وهم:

١ ـ الملك الأول: محمد الثاني بن محمد بن يوسف بن الأحمر: ولد عام

(١) التاريخ الأندلسي، للدكتور الحجي، ص: ٣٩.

(٢) ذكر ذلك في الباب الثاني من كتاب الجامع بعنوان: ذكر فتح الأندلس وذكر من ملكها، ص: ٤٣٤، ط المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ.

(٣) انظر: نفح الطيب: ٣٥٢/٤، ت: الدكتور إحسان عباس، والتاريخ الأندلسي للحجي، ص: ٣٢٤.

٦٣٣هـ، تولى الحكم بعد وفاة أبيه عام ٦٧١هـ، وكان فارساً شجاعاً شاعراً. من أهم الأحداث في فترة حكمه: فتح مدينة (قيجاطة)[١] التابعة لولاية (جيَّان)[٢] عام ٦٩٥هـ، وحصار مدينة (القبذاق)[٣] التابعة لولاية (قرطبة)[٤] عام ٦٩٩هـ، حتى فتحت عنوة، وكانت من أقوى الحصون. وبقيت المدينتان محصنتين بقوات ترابط فيهما، وقد أبرم اتفاقيات مع النصارى ضد بعض الحكام للجهات الأخرى بالأندلس والمغرب، وقد وقعت اضطرابات داخلية في عهده مثل النزاع الذي وقع بينه وبين أشقيلولة «أصهاره»، وتوفي عام ٧٠١هـ بعد حكم ٣٠ عاماً[٥]، أدرك ابن جزي منها ثماني سنوات.

٢ ـ الملك الثاني: محمد (الثالث) بن محمد بن محمد بن يوسف: ولد عام ٦٥٥هـ، وبدأت فترة حكمه عام ٧٠١هـ بعد وفاة والده، فجرى على منواله.

ووصف أيامه ابن الخطيب فقال: خدمته السعود، وأملت بابه الفتوح، وسالمته الملوك، وكانت أيامه أعيادا، وكان الحظ محالفا له، وذكر من مآثره المسجد الجامع بالحمراء، وكان أول أمره غزا مدينة (المنطز) واستولى عليها عنوة، وملك من فيها، ثم قدم للوزارة كاتبه أبا عبد الله بن الحكيم في أواخر عام ٧٠٣هـ، وصرف إليه تدبير ملكه، ويقال: إن ذلك كان ناتجاً عن مرض عينيه

---

(١) في معجم البلدان (قيشاطة) بالشين بدل الجيم، انظره: ٤/٣٨٨.

(٢) جيان من مدن الأندلس الشهيرة، وتتبع لها قرى كثيرة، وانظر في أخبارها معجم البلدان: ٢/١٩٥.

(٣) مدينة أندلسية من نواحي قرطبة معجم البلدان: ٤/٣٠٤.

(٤) قرطبة غنية عن التعريف، وانظر في أخبارها معجم البلدان: ٤/٣٢٤.

(٥) له ترجمة في الإحاطة لابن الخطيب: ١/٥٥٦ ـ ٥٦٦، وانظر: الدرر الكامنة لابن حجر: ٥/١٠، الأعلام للزركلي: ٧/٣٢، نهاية الأندلس للأستاذ عنان، ص: ٩٤، وابن جزي ومنهجه في التفسير: ١/٥٥، ومقدمة الدكتور/محمد المختار بن الشيخ محمد الأمين لتقريب الوصول، ص: ١١.

المزمن، فلم يلبث الوزير حتى تغلب على الأمور وتقلد جميع شؤون الملك، ولم يزل كذلك إلى أن خلع هذا الملك عام ٧٠٨هـ وقتل الوزير.

وكان محمد الثالث هذا يقول الشعر ويثيب عليه، وقد عاش بقية عمره موادعاً بأحد القصور في نواحي غرناطة حتى توفي عام ٧١٣هـ[(١)].

٣ ـ الملك الثالث: نصر بن محمد بن محمد بن يوسف: ولد عام ٦٨٦هـ، بويع بعد عزل أخيه في غرة شوال عام ٧٠٨هـ، وكان ميالاً إلى السلم والمهادنة، محباً للعلم وأهله، نازل طاغية قشتالة على الجزيرة الخضراء، ونازل طاغية أراغون في ثغر المرية[(٢)] فهزم النصارى في المرية وتغلبوا عليه في الجزيرة الخضراء، وسقط بأيديهم جبل طارق بعد حصار طويل، وفي عهده وعهد أخيه قبله حصل جفاء وعداء بينه وبين بني مرين حكام المغرب، فانتهز النصارى فرصة ذلك الخلاف فشددوا عليه حتى اضطروه إلى دفع ضريبة لهم، فثار الناس في وجهه وخلع عام ٧١٣هـ، ورشح بعده للملك أبو الوليد إسماعيل بن فرج حفيد إسماعيل بن يوسف أخي محمد بن يوسف رأس الأسرة النصرية ومؤسس دولتها[(٣)] واستقر في (وادي آش) حتى مات عام ٧٢٢هـ.

٤ ـ الملك الرابع: أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف: كان يدعى بالرئيس، وكان حاكماً (لمالقة)[(٤)] ولد عام ٦٧٧هـ، وبويع عام ٧١٣هـ وكان

---

(١) انظر ترجمته وافية في: الإحاطة: ٥٤٤/١ ـ ٥٥٦، والدرر الكامنة، لابن حجر: ٣٥٢/٤، والأعلام، للزركلي: ٣٣/٧، ونهاية الأندلس، للأستاذ عنان، ص: ١١٢ ـ ١١٤.

(٢) المرية بالفتح ثم الكسر وتشديد الياء مدينة أندلسية كبيرة من مدن كورة البيرة، ولها خصوصيات وأخبار مذكورة في كتب التاريخ. انظر: معجم البلدان: ١١٩/٥.

(٣) انظر: الإحاطة: ٣٣٤/٣ فما بعدها، والدرر الكامنة: ٦٥/٥، والأعلام للزركلي: ٢٨/٨، ونهاية الأندلس، ص: ١١٤ فما بعدها، وابن جزي ومنهجه في التفسير: ٥٦/١.

(٤) مالقة بفتح اللام والقاف مدينة بالأندلس، وينسب إليها جماعة من أهل العلم معجم البلدان: ٥٢/٥.

حسن الخلق ذا عقل وحياء وتثبت وعفة، امتازت فترة حكمه بتوطيد الملك والاستقرار والجهاد في سبيل الله، فاستنجد ببني مرين في المغرب على النصارى، لكنهم لم يجيبوه بسبب سوء علاقتهم بسلفه، وفي بداية عهده غزا القشتاليون بمساعدة جيش نصر الذي خُلع غرناطة، فهزموا المسلمين في (وادي فرتونة) عام ٧١٦هـ واستولى النصارى على بعض المواقع والحصون[١]، وفي عام ٧١٩هـ تألب ملوك النصارى وأمراؤهم على (غرناطة) وكان عددهم خمسة وعشرين ملكا، جاءوا لاستئصال من بقي من المسلمين بالأندلس، وكانت خطة مدبرة من الكنيسة في (طليطلة)، وكان ضمن هذه الجيوش بعض المتطوعين الإنجليز بقيادة أمير منهم[٢].

وبعد أن يئس الأندلسيون من نصرة إخوانهم بالمغرب، رجعوا إلى الله ﷻ وأخلصوا نياتهم للجهاد، وكان قوام جيشهم ستة آلاف رجل، من ضمنهم ألف وخمسمائة فارس، وكان قائد الجيش أبا سعيد عثمان بن أبي العلاء، فدارت الدائرة على جيوش البغي والعدوان جيوش النصارى، وانتصرت الفئة القليلة المسلمة بنصر الله ﷻ: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[٣]، وكانت خسائر الكفار هائلة، وخسائر المسلمين قليلة قدرت بحوالي (١٣) فارساً، وقدرت خسائر الكفار أكثر من خمسين ألفاً[٤].

وفي عام ٧٢٧هـ زحف أبو الوليد على مدينة (بياسة)[٥] الحصينة وحاصرها حتى نزل أهلها على حكمه، وفي رجب ٧٢٥هـ فتح (مرتش) عنوة، وكانت من

---

(١) الإحاطة: ٣٨٩/١، ونهاية الأندلس، ص: ١١٧، والدرر الكامنة: ٦٥/٥، والأعلام للزركلي: ٢٨/٨.

(٢) نفح الطيب: ٤٢٣/١، ونهاية الأندلس، ص: ١١٨.

(٣) سورة محمد الآية: ٧.

(٤) نفح الطيب: ٤٢٥/١، والعبر لابن خلدون: ١٧٣/٤، والإحاطة: ٣٧٧/١ ـ ٣٩٧.

(٥) بياسة بياء مشددة مدينة أندلسية، معجم البلدان: ٥١٨/١.

أعظم غزواته، وغنم منها المسلمون مغانم كثيرة، وعاد إلى (غرناطة) ظافراً، وبعد ثلاثة أيام اغتاله ابن عم له طعنه بخنجر فحمل جريحا وتوفي على أثر ذلك في اليوم التالي: وتقبل شهادته[١].

٥ ـ الملك الخامس: محمد (الرابع) بن إسماعيل بن فرج: ولد عام ٧١٥هـ وتولى في رجب عام ٧٢٥هـ بمساعدة حاجبه، واشتملت عليه الكفالة إلى أن بلغ وظهر، ففتك بوزيره الذي كان مسيطراً عليه، وذلك عام ٧٢٩هـ فهيب بعد ذلك وخيف من سطوته، وكان يعد من نبلاء الملوك، عذب الشمائل، يضرب به المثل في الشجاعة والإقدام والفروسية، وفقه الله في وقائع كثيرة مع الكفار، ففتح مدينة (قبرة)[٢] وهي من الحصون تقع شمال غربي غرناطة، ومدينة (باغة)[٣] وغيرهما. ومما يعد من أعظم مناقبه تحريره جبل الفتح (جبل طارق) بمساعدة سلطان المغرب عام ٧٣٣هـ بعد أن ظل بأيدي النصارى أربعا وعشرين سنة، وكان تحريره مهما، لأنه همزة الوصل بينهم وبين إخوانهم في المغرب، ولما كان عائداً إلى غرناطة بعد تحريره الجبل اغتاله متآمرون بتدبير بني أبي العلاء الذين كانوا يتمنعون بمشيخة الغزاة في الدولة النصرية، وكان لهم دور كبير في الأحداث، وكان اغتياله رابع أيام عيد الأضحى من عام ٧٣٣هـ[٤]. وكان يطمع في تحرير إشبيلية[٥].

٦ ـ الملك السادس: أبو الحجاج يوسف الأول بن إسماعيل بن فرج: ولد

---

(١) نهاية الأندلس، ص: ١٢٠، والإحاطة: ١/٣٩٠ ـ ٣٩٢، وابن جزي ومنهجه في التفسير: ١/٥٨.

(٢) قبرة بلفظ تأنيث القبر قال ياقوت الحموي: أظنها عجمية رومية، معجم البلدان: ٤/٣٠٥.

(٣) باغة مدينة أندلسية بينها وبين قرطبة خمسون ميلا، ولها أخبار كثيرة، انظر: معجم البلدان: ١/٣٢٦.

(٤) الإحاطة: ١/٥٣٢، نهاية الأندلس، ص: ١٢١ ـ ١٢٥، الأعلام للزركلي: ٦/٣٦، اللمحة البدرية، ص: ٧٧.

(٥) انظر: الإحاطة: ٤/٣١٨، ونهاية الأندلس، ص: ١٢٥، وابن جزي ومنهجه في التفسير: ١/٥٩. ومعجم البلدان: ١/١٢٥.

سنة ٧١٨هـ، تولى الملك في أواخر سنة ٧٣٣هـ، وعمره (١٥ عاماً و٨ شهور) واستقل بالملك وقام بأعباء الدولة حتى أصبح من أعظم ملوك بني نصر وأبعدهم همة وأرفعهم شأناً، وكان عالماً أديباً أضاف إلى قصر الحمراء أعظم منشآته، وأنشأ مدرسة غرناطة الشهيرة وشيدها، وجعل لها أوقافاً تضمن استمرارها أطول مدة، وقد استمرت بالفعل إلى القرن الثامن عشر الميلادي، وقام بإنشاء وإصلاح كثير من الحصون والأبراج بالأندلس للدفاع عنها، وقد تتبع بني أبي العلاء الذين قتلوا أخاه وجردهم من الوظائف، ومزق شملهم.

وفي عهده وقعت أعظم موقعة نشبت بين المسلمين بقيادته، والسلطان أبي الحسن علي بن عثمان المريني من جهة، وبين الفونس الحادي عشر ملك قشتالة من جهة ثانية، وكانت الدائرة فيها على المسلمين وهي موقعة (طريف)[1] بعد ما أبلوا بلاءً حسنا، وبعد حصار دام مدة أشهر قطع فيه العدو المؤن والمدد من جهة المغرب، وكان ذلك عام ٧٤١هـ وفي هذه المعركة وقعت محنة عظيمة لم يشهد المسلمون مثلها منذ وقعة (العقاب) سنة ٦٠٩هـ وكان لها أعمق الأسى في نفوس المسلمين في المغرب والأندلس، حيث استشهد الإمام ابن جزي واستشهد معه كوكبة عظيمة من قادة المسلمين وعلمائهم من المغاربة والأندلسيين، ثم حصلت بينهم وبين النصارى هدنة حتى قتل أبو الحجاج في أثناء صلاة عيد الفطر عام ٧٥٥هـ[2].

❁ ملامح النظام الداخلي لدولة بن الأحمر:

يحسن هنا التحدث باختصار عن هيكل النظام لدولة بني الأحمر النصرية وأهم المناصب فيها.

فأهم المناصب في هذه الدولة بعد الملك:

---

(١) طريف: شبه جزيرة تقع على مضيق جبل طارق وهي مقابلة لمدينة سبتة المغربية، بينهما مضيق جبل طارق، ونفح الطيب: ١/٢١٤، وابن جزي ومنهجه: ١/٧١ للدكتور علي الزبيري.

(٢) انظر: الإحاطة: ٤/٣١٨، ونهاية الأندلس، ص: ١٢٥.

أ ـ الوزارة: كانت الوزارة في عهد بني الأحمر تسند إلى أحد الأعلام ورجال الفكر والأدب، وتتلخص مهمة الوزير في تلقيه أوامر من سلطانه، والعمل على تنفيذها، فهو رأس السلطة التنفيذية في الدولة.

ب ـ قيادة الجيش في الدولة: وهذا المنصب من أهم المناصب في القديم والحديث، وكان ذا أهمية خاصة بالنسبة لدولة بني نصر بالأندلس، نظراً لكونها تواجه غزواً مستمراً لأراضيها من قبل أعدائها النصارى الأسبان[(١)].

جـ ـ القضاء: وأرفع المناصب القضائية في دولة غرناطة قاضي الجماعة، وكان الغالب أن يجمع القاضي بين منصبه هذا، وبين الخطابة أيام الجمع بمسجد الحمراء[(٢)].

ومن الوظائف التي كانت تتبع القضاء وظيفة الحسبة التي تقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الحالة الدينية في الأندلس

ذكر المقري في نفح الطيب: أن الغالب عند أهل الأندلس إقامة الحدود، وإنكار التهاون بتطبيقها، وقد يدخلون على السلطان في قصره المشيد، ولا يعبئون بخيله ورجله، حتى يخرجوه من بلدهم، إذا تساهل في أمر تطبيق الحدود، أو حصل منه أمر منكر مخالف للشرع، وهذا كثير في أخبارهم.

وأما الرجم بالحجر للقضاة، والولاة للأعمال إذا لم يعدلوا فكل يوم.

ومن يتعاطى الفلسفة أو التنجيم فإنه يكتم ذلك ولا يتظاهر به خوفا من العامة[(٣)].

---

(١) انظر: الإحاطة: ٣١٩/٤، والتاريخ الأندلسي، للحجي، ص: ٥٦٤.

(٢) تاريخ قضاة الأندلس للنباهي، ص: ٢١، ونهاية الأندلس لعنان، ص: ٤٤٤.

(٣) نفح الطيب: ٢٠٤/١.

وقد كان المذهب الفقهي السائد في الأندلس في بداية الفتح وبعده بقليل هو مذهب الإمام الأوزاعي، إمام أهل الشام في عصره ت١٥٨هـ ثم ما لبث المذهب المالكي أن ساد الأندلس، وخاصة بعد سفر يحيى بن يحيى الليثي من الأندلس إلى المدينة وتلقيه العلم عن الإمام مالك مباشرة، حيث عاد فروى الموطأ عنه.

وقد كان الأندلسيون من الناحية العقدية على مذهب السلف شأنهم شأن إخوتهم المغاربة، الذين يشتركون معهم في المذهب المالكي، حتى جاء محمد بن تومرت (المهدي) مؤسس دولة الموحدين في المغرب التي سيطرت على الأندلس فيما بعد، وورثت دولة المرابطين فنشر مذهب الأشعرية ومكن له، حتى أصبح جمهور علمائهم على مذهب الأشعري في العقيدة[١].

وهذا لا ينفي وجود علماء أخذوا بمذهب الأشعري قبل ابن تومرت مثل: القاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي ت: ٤٧٤هـ.

أما التصوف: فقد ظهر فيما يبدو متأخراً في الأندلس، وإن وجد في الأندلس كثير من العباد الزهاد منذ فجر الإسلام.

فلقد اشتهر موقف المرابطين من كتب الغزالي وأوامرهم المتتالية بإحراقها، كما تصدى بعض علماء الأندلس للغزالي وكتبه، فألفوا رسائل في الرد عليه، أصبحت مما يتلقاه طلبة العلم عن مشايخهم[٢].

ومنذ ظهور الموحدين نما وازدهر الاتجاه الصوفي حتى صدرت الأندلس للمشرق بعض زعماء التصوف، من أشهرهم محي الدين ابن عربي الطائي الحاتمي صاحب الفتوحات المكية[٣].

---

(١) نفح الطيب: ٢/٢٧٥، وابن جزي ومنهجه في التفسير: ١/٧٨، وغيره.

(٢) المعجب في تلخيص أخبار المغرب للمراكشي، ص: ٢٣٦.

(٣) انظر: ميزان الاعتدال للذهبي: ٣/١٠٨، والبداية والنهاية لابن كثير: ١٣/٥٦، والأعلام: ٦/٢٨.

وبجانب هذا الاتجاه كان يوجد اتجاه مخالف للاتجاه الصوفي يمكن أن نسميه الاتجاه السَّلفي الذي يحث على التزام مذهب السلف عقيدةً وسلوكاً، وقد كان ابن عبد البر وابن العربي، وغالب علماء الحديث في الأندلس من أنصار هذا الاتجاه(١).

۞ الحالة الاجتماعية في عصره

يتكون المجتمع الغرناطي من عدة طبقات كغيره من المجتمعات البشرية:

الطبقة الأولى: الملوك، والأمراء، ومن معهم من الأقرباء والأصهار، ولا يتولى الإمارة إلا من كان من الأسرة النصرية، أو من أصهارها(٢).

الطبقة الثانية: الوزراء والقضاة، ورؤساء الأجناد، والحجاب، والكتاب، ولهم ديوان له رئيس تصدر عنه الرسائل الحكومية والمراسيم(٣).

الطبقة الثالثة: العلماء، والمدرسون من أصحاب القراءات، والحديث، والفقه، وسائر العلوم الشرعية وغيرها، وطلاب العلم(٤).

الطبقة الرابعة: الصوفية، والزهاد، والفقراء(٥).

الطبقة الخامسة: التجار والمزارعون، وأصحاب الحرف والصناعات(٦).

أما العبيد فلا يشكلون طبقة؛ لقلتهم وعدم تأثيرهم في الحياة الاجتماعية.

وكما كان المجتمع في غرناطة يتكون من عدة طبقات، كان يتكون من عدة

---

(١) ابن جزي ومنهجه في التفسير: ٨٢/١.

(٢) ابن جزي ومنهجه في التفسير: ٩٢/١.

(٣) المصدر السابق: ٦٢/١.

(٤) الإحاطة: ٢٠/٣، ١٥٦، ١٩٦/٤، والكتيبة الكامنة، ص: ٣١.

(٥) المصدر السابق: ٢٢٩/٣، ١٩٦/٤، والكتيبة الكامنة، ص: ٣١.

(٦) ابن جزي ومنهجه: ٩٣/١.

أجناس بعضها يكمل بعضا، فكان هناك مثلاً العرب بمختلف قبائلهم القحطانية، والعدنانية، كما يوجد فيهم الطائي، والغافقي، والكلبي، والأزدي، والمعافري، والفهري، والأموي، والحميري، والغساني، إلى غير ذلك من بطون العرب، ثم البربر كذلك بمختلف قبائلهم المرينية، والزناتية، والتيجانية، والمغراوية، والعجيسية[١]. ثم المولدون بمختلف أصنافهم من قشتاليين، وأرغونيين، وليونيين، وبرتغاليين[٢]. ومنهم ذميون معاهدون من نصارى ويهود، وأرقاء.

ومع تنوع أجناس هذا المجتمع، فقد كانت اللغة العربية تسوده حتى في أسبانيا التي تخضع للحكم النصراني، فضلاً عن اليهود والنصارى داخل الدولة الإسلامية، وكان السواد الأعظم من العرب في مملكة غرناطة، وكانت السمات العربية واضحة في أخلاقهم وصفاتهم البدنية وألسنتهم وعاداتهم[٣]، وكان هذا المجتمع يزاول عدة أنشطة من أهمها: الزراعة، والصناعة، وخاصة صناعات الأسلحة، كما كان لهم قصب السبق في الفن المعماري الإسلامي، ولا تزال شواهده قائمة مثل قصر الحمراء، وقد كان النشاط التجاري قائماً على قدم وساق داخل الدولة وخارجها مع الإيطاليين وغيرهم من الدول، وكانت هناك اتفاقات تجارية مع تلك الدول[٤].

۞ الحالة العلمية في عصر ابن جزي

تقدمت الإشارة إلى الفترة التي عاشها ابن جزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكذلك الحياة السياسية في الفترة التي سبقت عصره حيث كانت تتخللها فترات هدوء وفترات

---

(١) انظر: الإحاطة: ١/١٣٥ فما بعدها، وابن جزي ومنهجه: ١/٩٧.

(٢) المصدر السابق. ونهاية الأندلس، ص: ١٦٣، والمُغْرِب في حلي المغرب: ١/٣٥٤.

(٣) انظر: نهاية الأندلس، ص: ٧٣، والإحاطة: ١/١٣٤، ٤/١٣٩.

(٤) نهاية الأندلس، ص: ٤٤٥، الإحاطة: ١/١٣٣، تاريخ العرب العام، ص: ٣١٦، غرناطة وآثارها الفائتة، ص: ٥٨، وابن جزي ومنهجه في التفسير: ١/٩٧.

اضطراب بسبب أحداث داخلية في الغالب وأحداث خارجية أحياناً أثرت على الحركة العلمية، حيث إن كثيراً من أساطين العلماء قد استشهد أثناء الجهاد في سبيل الله والذب عن الحياض الإسلامية، وخاصة في القرن السابع الهجري، ومنهم من هاجر من البلاد لما رأى عواصم الأندلس تسقط في أيدي النصارى، ورأى تمزق المسلمين مما جعلهم لقمة سائغة لعدوهم الذي كان يريد الحماية منهم في يوم من الأيام، ومن هؤلاء «القرطبي» صاحب التفسير (المتوفى عام ٦٧١هـ)، و«ابن خروف» القرطبي النحوي المشهور (المتوفى عام ٦٠٩هـ)، و«الشلوبيني» (المتوفى عام ٦٤٥هـ)، وهي السنة التي سقطت بعدها إشبيلية، وغير هؤلاء كثير.

أما القرن الثامن الذي عاش ابن جزي: في نصفه الأول وعلى الرغم من الاستقرار السياسي النسبي الذي حظيت به غرناطة، إلا أن العلماء في هذه الفترة مع علمهم وجلالتهم لم يكونوا مثل علماء القرن السابع، لا في العلم ولا في الورع إلا من شاء الله، حيث يتمثل النبوغ في هذه الفترة في الغالب في الجانب الأدبي، وخاصة الشعر، فمن فحول الشعراء في هذه الفترة: الوزير الكاتب «ابن الحكيم الرندي» (المتوفى عام ٧٠٨هـ)، و«ابن خميس» (المتوفى عام ٨٠٧هـ)، والرئيس «أبو الحسن بن الجياب» (المتوفى عام ٧٤٩هـ)، و«ابن خاتمة» (المتوفى عام ٧٧٦هـ)، وغيرهم[١].

وبعد هذا نذكر بعض العلماء الذين اشتهروا في عصر ابن جزي وكانت لهم مؤلفات مما يعطي القارئ تصوراً أفضل عن الحالة العلمية في هذا العصر:

١ ـ ابن أبي الأحوص الفهري (المتوفي عام ٦٩٩هـ) ألف في التفسير وفي القراءات، وشرح المستصفى، وله تأليف في الحديث[٢].

---

(١) انظر: ابن جزي ومنهجه: ١/١٠٦ ـ ١٠٨.

(٢) انظر ترجمته في: طبقات القراء، لابن الجزري: ١/٢٤٢، وطبقات المفسرين، للداودي: ١/١٥٠.

٢ ـ المالقي (المتوفى عام ٧٢٣هـ) له أكثر من ثلاثين مؤلفاً منها في التفسير والقراءات[١].

٣ ـ ابن الكماد (المتوفى عام ٧١٢هـ) كان إماماً في القراءات، وكان عالماً بالأصول[٢].

٤ ـ ابن الشاط الأنصاري (المتوفى عام ٧٢٣هـ) له حاشية على الفروق للقرافي[٣].

٥ ـ ابن سلمون (المتوفى عام ٧٧٦هـ) وله كتاب في الوثائق والأحكام[٤].

٦ ـ أبو القاسم السبتي الغرناطي (المتوفى عام ٧٦١هـ)[٥].

كل هؤلاء علماء في علوم الشريعة الإسلامية واللغة العربية والتاريخ، وغيرهم كثير، وهناك مهندسون وأطباء، منهم ابن الحاج المهندس (المتوفى عام ٧١٤هـ)، وابن السراج (المتوفى عام ٧٣٠هـ) طبيب السلطان، وأبو زكريا حكيم غرناطة وفيلسوفها (المتوفى عام ٧٥٣هـ)، وفي الجملة كانت المكتبات مزدهرة، العامة منها والخاصة، فكان العلماء والمؤلفون يؤلفون الكتب ويرفعونها للسلطان، فيثيبهم.

❊❊ ❊❊ ❊❊

---

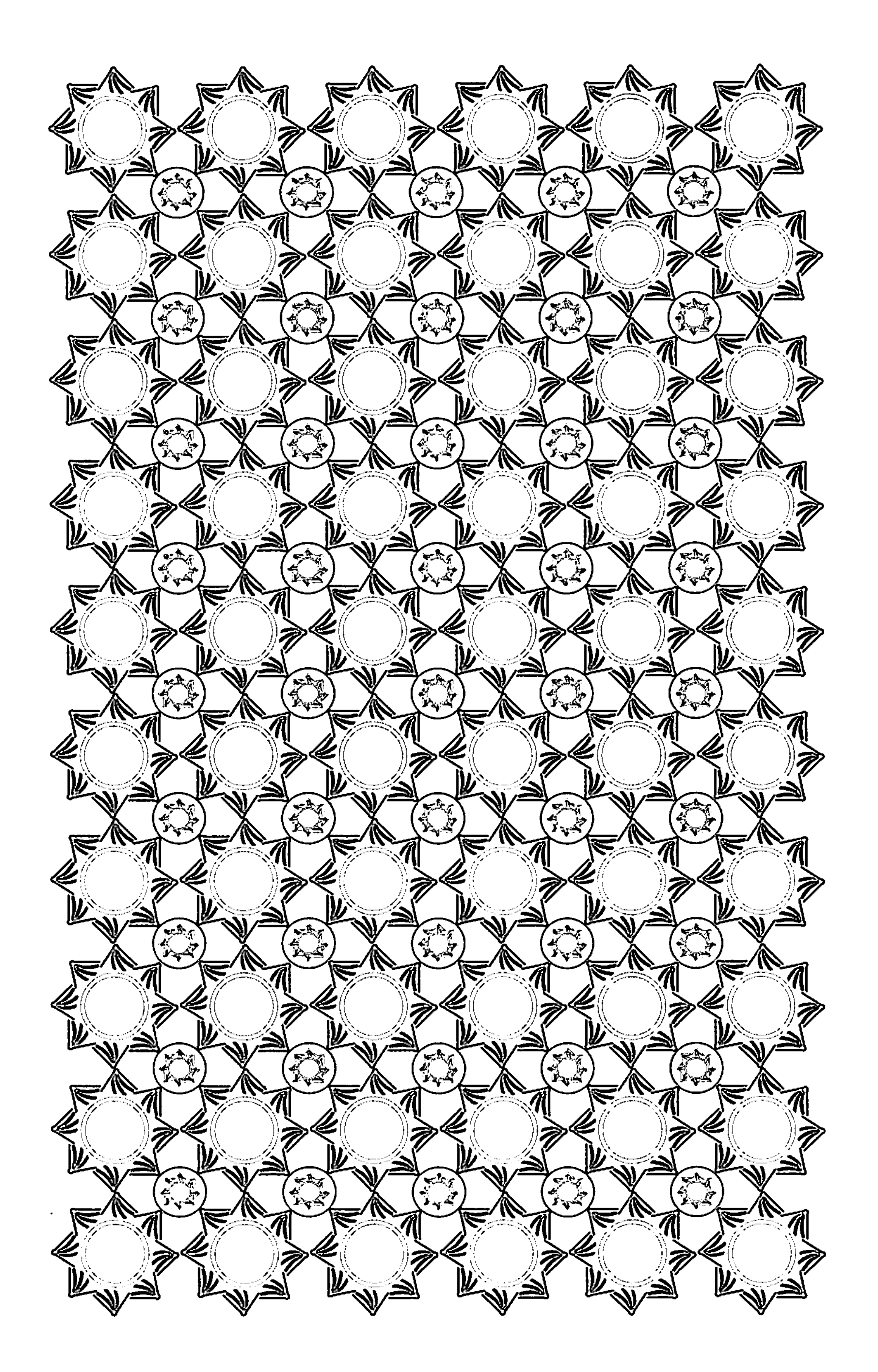
(١) انظر ترجمته في: الديباج، لابن فرحون: ٢/٢٨٨، والإحاطة: ٣/٩١، وابن جزي ومنهجه: ١/١١٠.

(٢) انظر: الإحاطة: ٣/٦٠.

(٣) انظر: بروكلمان: ٢/٢٦٤.

(٤) انظر: نفح الطيب: ٧/١١٦، وابن جزي ومنهجه: ١/١١٥.

(٥) انظر: نفح الطيب: ٧/١١٦، والإحاطة: ٢/١٨١، وقضاة الأندلس، ص: ١٧١.



ترجمة المؤلف

۞ اسمه وكنيته:

اسمه: محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف ابن جزي الكلبي الغرناطي.

وكنيته: أبو القاسم.

۞ ولادته ونشأته:

ولد أبو القاسم ابن جزي يوم الخميس تاسع ربيع الثاني سنة ثلاث وتسعين وستمائة هجرية ٦٩٣هـ في مدينة غرناطة التي كانت حاضرة الأندلس، وقبلة علماء المغرب، وتعلم العلم منذ صغره؛ لأنه كان من بيت عريق في العلم والأصالة، والنبل والمجد، يقول المقري في نفح الطيب: وبيت بني جزي بيت كبير، مشهور بالمغرب والأندلس. فكانت لهذه البيئة العلمية الأصيلة أثر في عكوفه على طلب العلم منذ صباه، قال ابن الخطيب: كان على طريقة مثلى من العكوف على العلم والاقتصار على الاقتيات من حر النشب، والاشتغال بالنظر والتقييد، والتدوين، وتشير المصادر إلى أنه كان يملك مكتبة ضخمة متنوعة، وأنه كان عاكفاً عليها مستفيداً منها حيث تضلع من المعارف المختلفة كالقراءات، والتفسير، والحديث، والفقه، والأصول، وأصول الدين، والأدب، حسن المجلس، ممتع المحاضرة، قريب الغور، صحيح الباطن.

وقد كان إضافة إلى ذلك شاعراً أديباً.

تولى الخطابة في ريعان شبابه بالجامع الأعظم بغرناطة، فوفق في استمالة القلوب، وتوجيه الناس بالأسلوب الحسن، والبراعة والمنطق.

كان مشتغلاً بالعلم تحصيلاً وتأليفاً، وبالعمل حتى بلغ الغاية القصوى في العلم والعمل.

۞ نسبه:

أما نسبه: فاتفق جميع المترجمين له أنه من أقحاح[١] العرب، حيث أنه كلبي نسبة إلى قبيلة بني كلب، التي يرجع نسبها إلى حمير[٢].

ويعود تاريخ استقرار سلف ابن جزي بالأندلس إلى نهاية الثلث الأول من القرن الثاني للهجرة حيث نزل أحد أجداده بثغر (ولبه) جنوب غرب إشبيلية بين سنة ١٢٥ وسنة ١٢٧هـ. ويظهر أن هذه الأسرة تنقلت بين عدة مدن أندلسية قبل استقرارها بغرناطة، وأن مدينة (جيان)[٣] كانت إحدى محطاتها في منتصف القرن السادس للهجرة، وذلك كما يشير هو نفسه في كتاب القوانين الفقهية أن أحد أجداده أبا بكر يحيى بن عبد الرحمن كان قاضياً بتلك المدينة سنة ٥٤٠ هـ.

۞ أولاده:

لقد كان لابن جزي ثلاثة أبناء، كلهم على درجة كبيرة من العلم والأدب. وقد قال المقري عنهم: ظاهرين بين القضاء والكتابة[٤] وسوف نتعرض لهم عند الكلام على تلاميذه بشيء من التفصيل.

---

(١) القح: الخالص من اللؤم.

(٢) جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص: ٤٥٥، والأنساب للسمعاني: ١١/١٣٠.

(٣) جيان: من القواعد الأندلسية الهامة أيام الدولة الإسلامية وهي تقع شمال غرناطة وشرقي قرطبة.

(٤) نفح الطيب: ٥/٥١٥.

۞ مكانته العلمية وأخلاقه:

كان: نابغة زمانه في مختلف العلوم الإسلامية، حيث كان إماماً في التفسير والقراءات، والحديث، والفقه، والأصول، واللغة، والكلام، وكان أديباً، فاضلاً، عذب الشمائل، متواضعاً، عاكفاً على العلم، والاشتغال بالنظر، والتقييد والتدوين، والإفتاء، والجهاد، والقيام على التدريس، والمشاركة في جميع الفنون، على صغر سنه.

۞ شيوخه:

لقد أخذ ابن جزي عن جملة من العلماء، ولعله أخذ عن والده، وذلك أن لوالده طلبا وسماعا، قال ابن حجر: كان من أهل الأصالة والذكاء... وكان محمودا وله طلب وسماع[١]، وأخذ عن مجموعة كبيرة من العلماء غيره منهم:

١ ـ أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الجياني الغرناطي ت: ٧٠٨هـ خاتمة المحدثين ورأس العلماء المقرئين[٢] قال عنه ابن جزي في تفسيره هذا: ثم ختم علم القرآن بالأندلس وسائر المغرب بشيخنا الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير، فلقد قطع عمره في خدمة القرآن، وآتاه الله بسطةً في علمه، وقوة في فهمه، وله فيه تحقيق، ونظر دقيق[٣].

٢ ـ محمد بن أحمد بن داود بن موسى اللخمي، الكماد ت: ٧١٢هـ، من جلة الفقهاء، فائقا في الزهد والقناعة ودماثة الخلق ولين الجانب، إليه الرحلة في القراءات، محدث، حافظ، ضابط، ثبت، من تصانيفه الممتع في القراءات، وغيره[٤].

---

(١) الدرر الكامنة: ١/٢٩٤.

(٢) انظر ترجمته في الكتب التالية: الإحاطة: ١/١٨٨، والديباج: ١/١٨٨، والدرر الكامنة: ١/٨٩، وطبقات المفسرين، للداودي: ١/٢٧٠.

(٣) مقدمة هذا الكتاب، التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٢٩، المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ.

(٤) انظر ترجمته في: الديباج: ٢/٢٧٩، وطبقات القراء، لابن الجزري: ١/٦٣.

٣ ـ هبة الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن رشيد الفهري الغرناطي ت: ٧٢١ هـ، كان بحرا في علوم الإسناد والرواية، مع التمكن في الدراية، حافظاً، نظاراً، رحالة، متحلياً بالوقار، متضلعاً من العربية واللغة والأخبار، عرف بجمع الكتب وحسن الخلق والتواضع والوقار، من مصنفاته: ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة، وترجمان التراجم، ومؤلفات أخرى[١].

٤ ـ أبو القاسم قاسم بن عبد الله بن محمد ابن الشاط الأنصاري ت: ٧٢٣هـ مؤلف «إدرار الشروق على أنواء الفروق»، تعليق على الفروق للقرافي، وله كتب أخرى قال عنه صاحب شجرة النور الزكية: «الإمام العالم الجليل وحيد دهره وفريد عصره الحافظ النظار، المؤلف المعروف بجودة الفكر والاختصار، والتحلي بالوقار»[٢].

٥ ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي المالقي (ت: ٧٢٤هـ) خطيب متفق على صلاحه ورفقه بالناس وعطفه عليهم، آخذا بسنن السلف سمتا وهديا وغضا للبصر، لا يتكلم إلا بذكر الله والعلم النافع، تولى الخطابة ببلده (مالقه) وكان مجاب الدعوة، واستسقى ذات يوم، فلم يبرحوا حتى سقوا، وتذكر عنه كرامات كثيرة[٣].

٦ ـ أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن علي بن برطال (ت: ٧٠٩هـ)، قال عنه لسان الدين ابن الخطيب شيخ القضاة وبقية المجتهدين[٤].

٧ ـ أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد بن الربيع القرطبي (ت: ٧١٧ هـ)[٥].

---

(١) انظر ترجمته في: الإحاطة: ٣/٦٠، والديباج: ٢/٢٩٧، والفكر السامي: ٢/٢٤٦.

(٢) انظر ترجمته في: الإحاطة: ٤/٢٥٩، والديباج: ٢/١٥٢، وشجرة النور الزكية، ص: ٢١٧.

(٣) انظر: الإحاطة: ٣/٢٤٥، ونفح الطيب: ٣/٢٤٥.

(٤) انظر ترجمته في: الإحاطة: ١/١٧٩، ونفح الطيب: ٣/٤٤٩.

(٥) انظر ترجمته في: الإحاطة: ٣/٢٤٥، والدرر الكامنة: ٣/٤٦٢.

٨ ـ أبو المجد يوسف بن الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوط (ت: ٧٠٩هـ)[١].

وسمع من مشايخ آخرين غير هؤلاء منهم:

ـ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن المؤذن

ـ وأبو زكريا البرشاني

ـ وأبو عبد الله محمد بن محمد بن علي الأنصاري.

❁ تلاميذه:

أما تلاميذه فأهمهم أولاده الثلاثة:

١ ـ أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن جزي الكلبي[٢] الشاعر الفقيه القاضي الكاتب الخطيب ت٧٨٥هـ من مؤلفاته شرح على ألفية ابن مالك وتقييدات على القوانين الفقهية، ولما حفظ القرآن الكريم ألف له والده كتاباً في الحديث ليحفظه، وسيأتي الحديث عن الكتاب ضمن مؤلفات ابن جزي.

٢ ـ أبو عبد الله محمد بن جزي الفقيه الأصولي الكاتب الأديب الشاعر والعالم بالتاريخ والحساب واللغة والنحو والبيان[٣] نشأ بغرناطة في كنف والده، وكان يعيره العناية التامة من حيث التربية والتعليم، فقد ألف كتابه «تقريب الوصول» من أجله، قال في المقدمة: ولذا أحببت أن يضرب ابني محمد ـ أسعده الله ـ في هذا العلم بسهمه، فصنفت هذا الكتاب برسمه، ووسمته باسمه، لينشط لدرسه وفهمه، وعولت فيه على الاختصار والتقريب، مع حسن الترتيب والتهذيب[٤] (ت٧٥٧ هـ)

---

(١) مقدمة الأستاذ: عبد الكريم الفضيلي، للقوانين، ص: ١١.

(٢) انظر ترجمته في الكتب التالية: الإحاطة: ١/١٥٧، ونفح الطيب: ٨/٣١.

(٣) الإحاطة في أخبار غرناطة: ٢/٢٥٧، والدرر الكامنة: ٤/٢٨٣، ونفح الطيب: ٨/٤٠.

(٤) وانظر ص: ٨٨، تحقيق الدكتور/محمد المختار بن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي لتقريب الوصول إلى علم الأصول.

وأبو عبد الله هذا هو الذي دون رحلة ابن بطوطة الشهيرة، وله تقييدات في الحديث، وفوائد لطيفة، وأشعار رقيقة.

٣ ـ القاضي أبو محمد عبد الله بن جزي إمام في اللغة والشعر بحر في البيان والقراءات، ولم نعثر على تاريخ وفاته[١].

٤ ـ ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب الأديب الشاعر (ت: ٧٧٦هـ) ألف فيه المقري كتابه «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب»، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب[٢].

٥ ـ أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن الخدامي الشهير بالنباهي، من أهل مالقة القاضي الفقيه الحسيب، الخطيب الكاتب من مؤلفاته تاريخ قضاة الأندلس وغيرها (ت: ٧٩٣هـ)[٣].

٦ ـ ابن عطية المحاربي عبد الحق بن محمد الفقيه القاضي الخطيب، من كبار أعيان الأندلس وسليل بيت العلماء[٤].

٧ ـ أبو القاسم بن الخشاب: (ت٧٧٤هـ) علامة عالم بالفقه والقراءات[٥].

٨ ـ أبو عبد الله محمد بن قاسم بن أحمد الشديد (ت: ٧٧٦ هـ) تقريبا[٦].

وتلاميذ الإمام ابن جزي غير هؤلاء كثيرون.

۞ مصنفاته:

١ ـ النور المبين، في قواعد عقائد الدين[٧].

---

(١) انظر: الإحاطة: ٣/٣٩٢، ونفح الطيب: ٨/٥٤.

(٢) انظر: الدرر الكامنة: ٣/٤٦٩، والقسم الثاني من نفح الطيب، للمقري، والبدر الطالع: ٢/٩١.

(٣) انظر ترجمته في: نيل الابتهاج، ص: ٢٠٥، وأزهار الرياض: ٢/٥، وأعلام الأندلس.

(٤) انظر الإحاطة: ٣/٥٣٩، ونثير الجمان، لابن الأحمر، ص: ١٣٧.

(٥) انظر ترجمته في طبقات القراء، لابن الجزري: ٢/٨٣، والدرر الكامنة: ٥/٩.

(٦) انظر الإحاطة: ٣/١٩٦، وابن جزي ومنهجه في التفسير: ١/٢١١.

(٧) الديباج: ٢/٢٧٥.

٢ ـ المختصر البارع، في قراءة نافع[١].

٣ ـ أصول القراءات الستة غير نافع[٢].

٤ ـ الأنوار السنية في الألفاظ السنية، ألفه ابن جزي من أجل تسهيل حفظ بعض الأحاديث على ابنه أبي بكر كما قال في المقدمة: ولما يسر الله على ابني أحمد المكني أبا بكر.. حفظ القرآن الكريم أحببت أن يفوز بحظ من حفظ حديث المصطفى ﷺ فجمعت له في هذا الكتاب جملة صالحة من كلام رسول الله ﷺ[٣].

٥ ـ التسهيل في علوم التنزيل[٤].

٦ ـ وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم[٥].

٧ ـ الدعوات والأذكار، المخرجة من صحيح الأخبار[٦].

٨ ـ تقريب الوصول، إلى علم الأصول[٧].

٩ ـ الفوائد العامة في لحن العامة[٨].

١٠ ـ الصلاة: كتاب في الفقه والترغيب[٩].

١١ ـ الضروري من علوم الدين[١٠].

---

(١) شجرة النور، ص: ٢١٣.

(٢) الديباج: ٢/٢٧٥.

(٣) الإحاطة: ٣/٢١، والأعلام: ٣/٣٤٥.

(٤) وهو هذا الكتاب الذي نقوم بتحقيقه بحول الله تعالى.

(٥) الديباج: ٢/٢٧٥.

(٦) الشجرة، ص: ٢١٣.

(٧) الديباج: ٢/٢٧٥، والشجرة، ص: ٢١٣.

(٨) الديباج: ٢/٢٧٥.

(٩) الإحاطة: ٣/٣٩٣.

(١٠) ابن جزي ومنهجه في التفسير: ١/٢١٨.

١٢ ـ فهرسة كبيرة اشتملت على كثير من أهل المشرق والمغرب[١].

١٣ ـ القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية طبع عدة مرات[٢].

وقد نسب الأستاذ/عبد الكريم الفضيلي في مقدمة تحقيقه للقوانين لابن جزي كتابا بعنوان: «الإشارات الصوفية» وذلك اعتمادا على نص محرف في هذا الكتاب «التسهيل لعلوم التنزيل»، وهو: وقد ذكرنا هذا في كتاب ما يستحسن من الإشارات الصوفية.[٣]

والصواب الذي يوجد في المخطوطات الصحيحة، هو كالتالي: «وقد ذكرنا في كتابنا هذا ما يستحسن من الإشارات الصوفية...» ثم بدأ يوضح ذلك.

۞ شعره:

كان الإمام ابن جزي شاعراً مجيداً، حسن الشعر قوي الأسلوب، وكان دائماً ينسج الشعر في الأغراض النبيلة.

ومن شعره قوله في مدح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أروم امتداح المصطفى ويردني ... قصوري عن إدراك تلك المناقب

ومن لي بحصر البحر والبحر زاخر ... ومن لي بإحصاء الحصى والكواكب

ولو أن أعضائي غدت ألسنا إذاً ... لما بلغت في المدح بعض مآرب

ولو أن كل العالمين تسابقوا ... إلى مدحه لم يبلغوا بعض واجب

(١) الديباج: ٢/٢٧٥.

(٢) الديباج المذهب: ٢/٢٧٥، وشجرة النور الزكية، ص: ٢١٣.

(٣) وقد وقع في هذا الوهم كل من الأستاذ/عبد الحميد محمد ندا في رسالته: ابن جزي وجهوده في التفسير من خلال التسهيل، ص: ٨٦، والدكتور: أبو الريش في رسالته عن ابن جزي وأثره في الفقه الإسلامي، نقل ذلك كله الدكتور الزبيري في كتابه ابن جزي ومنهجه في التفسير: ١/٢٤.

فأمسكت عنه هيبة وتأدبا وعجزا وإعظاماً لأرفع جانب
ورب سكوتٍ كان فيه بلاغة ورب كلام فيه عتب لعاتب

ومن شعره أيضًا قوله:

وكم من صفحة كالشمس تبدو فيسلي حسنها قلب الحزين
غضضت الطرف عن نظري إليها محافظة على عرضي وديني

ومن نظمه أيضًا:

أيا من كففت النفس عنه تعففا وفي النفس من شوقي إليه لهيب
ألا إنما صبري كصبر وإنما على النفس من تقوى الإله رقيب[1]

۞ وفاته:

توفي: يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ٧٤١هـ في موقعة (طريف)[2] مع النصارى حيث فقد وهو يحرض المؤمنين ويشحذ هممهم، وقد حقق الله له أمنية طالما تمناها، وهي الشهادة في سبيل الله، فمن شعره في هذا الموضوع قوله:

قصدي المؤمل في جهري وإسراري ومطلبي من إلهي الواحد الباري
شهادة في سبيل الله خالصة تمحو ذنوبي وتنجيني من النار
إن المعاصي رجسٌ لا يطهرها إلا الصوارم في أيمان كفار[3]

وقد عاش المؤلف ٤٨ سنة فقط، ولكن الله جعل له البركة في عمره، فعمل أعمال المعمرين، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة.

---

(١) ابن جزي ومنهجه في التفسير للزبيري: ٢٣٦/١.
(٢) موقعة شهيرة وقعت بين المسلمين والنصارى، وطريف تقع في جنوب إسبانيا في المثلث الذي في رأسه جبل طارق، سميت باسم طريف بن مالك أول قائد مسلم عبر البحر إلى إسبانيا أرسله موسى بن نصير قبل طارق بن زياد.
(٣) نيل الابتهاج للتينبكتي، ص: ٢٣٨. بتصرف.

❁ ثناء العلماء عليه:

ولقد أثنى كثير من العلماء على ابن جزي، فقد قال فيه ابن فرحون في الديباج المذهب: من أهل غرناطة وذوي الأصالة والنباهة فيها، كان: على طريقة مثلى من العكوف على العلم، والاشتغال بالنظر، والتقييد والتدوين، فقيهاً قائماً على التدريس، مشاركاً في فنون شتى، من عربية وأصول وقراءات، وحديث وأدب، حافظاً للتفسير، مستوعباً للأقوال، جماعة للكتب، ملوكي الخزانة، حسن المجلس، ممتع المحاضرة، صحيح الباطن، خطيباً مفوهاً في المسجد الأعظم بغرناطة، تولى الخطابة في سن مبكرة من عمره، فأمتع القلوب بحسن أسلوبه، وملك الأفئدة بوعظه وإرشاده وبراعة منطقه، فاتفق على فضله جرى على سنن أصالته[١].

وقال فيه الحضرمي: كان رجلاً ذا مروءة كاملة، حافظاً متقناً، ذا أخلاق فاضلة، وديانه وعفة وطهارة، وشهرته ديناً وعلماً أغنت عن التعريف به[٢].

وقال عنه محمد مخلوف في شجرة النور الزكية: من ذوي الأصالة والوجاهة والنباهة، والعدالة، الإمام، الحافظ، العمدة، المتفنن[٣].

وأقوال أهل العلم فيه غير ما تقدم كثيرةٌ.

ولكنه مع ما قيل فيه من الثناء العطر الجميل، لم ينل من الشهرة ما يناسب مكانته العلمية الرفيعة ونبوغه المتميز، وتفننه في المعارف المختلفة، ومنهجيته المحكمة، وطريقته المتفردة، بل ظلت ولفترة طويلة شهرته محدودة، ويكفي في التدليل على ذلك: أن علامة جماعة كالسيوطي لا يشير إليه في طبقات المفسرين،

---

(١) الديباج المذهب: ٢/٢٧٤، ومقدمة تقريب الوصول، ص: ٥٠.

(٢) نيل الابتهاج، ص: ٢٣٩ أحمد بابا التينبكتي.

(٣) شجرة النور الزكية، ص: ٢١٣.

حتى جاء تلميذه الداودي فترجم له في كتابه طبقات المفسرين، ويتساءل البعض: هل يمكن أن يكون السبب في عدم اشتهاره هو أنه أندلسي نشأ بعيدا عن المشرق؟، فأهل المغرب دائما يتهمون المشارقة بعدم الاهتمام اللازم بهم، كما قال العلامة أبو محمد علي ابن أحمد بن حزم الأندلسي ت: ٤٥٦هـ[١]:

أنا الشمس في جو العلوم منيرة ولكن عيبي أن مطلعي الغرب
ولو أنني من جانب الشرق طالع لجد على ما ضاع من ذكري النهب[٢]

قال الدكتور/علي محمد الزبيري: الحق أن الأمر ليس كذلك فعشرات ومئات الأعلام من الشرق والغرب من علماء الإسلام وقادته لا يزالون في طي النسيان[٣].

ومناقب ابن جزي كثيرة اكتفينا بهذا القدر منها مخافة التطويل.

۞ اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه:

اسم الكتاب بلا نزاع هو: «التسهيل لعلوم التنزيل» فقد أثبته المؤلف في مقدمة الكتاب، وكذلك جماهير غفيرة ممن ترجم له.

ومن الغريب أن ابن الخطيب وهو أشهر من ترجم لابن جزي وأقربهم إليه، لم يصرح باسم التسهيل مكتفيا بقوله: بعد أن سرد معظم مؤلفات ابن جزي... إلى غير ذلك من مما قيده في التفسير، والقراءات، وغير ذلك، وكذلك لم يصرح به ابن حجر في الدرر الكامنة، ولا ابن فرحون في الديباج المذهب، ولا المقري في نفح الطيب.

والسبب في ذلك كما يرى بعض الباحثين، هو أن التسهيل كما يبدو هو آخر كتب ابن جزي تأليفا، فلم يشتهر اسمه ولم ينتشر كما انتشرت كتبه الأخرى التي

(١) نفح الطيب: ٢/٢٨٦.
(٢) النهب: ضرب من الركض. انظر لسان العرب مادة: نهب.
(٣) ابن جزي ومنهجه في التفسير: ١/١٥.

أخذها عنه تلامذته ودرسوا عليه فيها[١].

وأول من صرح بنسبته له هو: محمد بن عبد الملك ابن علي القيسي المنتوري الغرناطي (ت: ٨٣٤هـ) في مقدمة كتابه: «منهاج العلماء الأخيار» وهو من تلاميذ أحمد وعبد الله ابني أبي القاسم بن جزي صاحب التفسير، ثم نقل عنه سليمان الجمل (ت: ١٢٠٣ هـ) في حاشيته على الجلالين، وذكر التسهيل باسمه ثم توالى المترجمون له وخاصة في العصر الحديث[٢].

۞ منهجية ابن جزي وطريقته:

كان من أهم الأسس التي بنى عليها ابن جزي تفسيره، هو التفسير بالمأثور، ويشمل هذا الموضوع النقاط التالية:

١ ـ تفسير القرآن بالقرآن.

٢ ـ التفسير بالمأثور من السنة.

٣ ـ تفسيره بالمأثور من أقوال الصحابة.

٤ ـ تفسيره بأقوال التابعين.

❊ وفي الغالب لا يذكر ابن جزي سندا للروايات التي يوردها، وتارة يذكر الحديث مع الصحابي الذي رواه، وتارة لا يذكر الصحابي، وتارة يقول جاء ذلك مفسرا في الحديث فيذكره، وتارة يقول مباشرة، قال رسول الله ﷺ، ومن ذلك أن يقول: فسره رسول الله ﷺ، ثم يذكره، ومن ذلك أن يذكره بهذه الصيغة: ما ورد عن رسول الله ﷺ، أو ما روي عن رسول الله ﷺ ثم يسوقه.

(١) ابن جزي ومنهجه في التفسير: ١/٢٢٠.

(٢) المصدر السابق: ١/٢٢١.

❊ وتارة يذكر الحديث مع الحكم عليه بالقبول أو الرد، وتارة لا يحكم عليه، ومن أمثلة الحكم على الحديث: لما أشار إلى ترتيب السور، هل هو من فعل الرسول ﷺ أو لا قال: وقيل: إنه من فعل رسول الله ﷺ وذلك ضعيف.

❊ وتارة يذكر الحديث ومن أخرجه ويستعمل لذلك العبارات التالية: ما أخرجه النسائي في سننه عن رسول الله ﷺ، ثم يسوقه.

❊ وتارة يكتفي بالإشارة للحديث أو يشير لمعنى الحديث، ومن صيغه: والصحيح التأويل الأول لوروده في الصحيح، دون أن يسوقه، أو يقول: والأول أصح لوروده في الحديث، أو يقول: وروي هذا المعنى من طرق كثيرة، أو يقول: وهذا معنى حديث وقع، أو حسبما ورد في الحديث، أو وقد جاء ذلك في الحديث.

❊ وكان يكثر من صيغ التمريض، مثل: روي ذلك في الحديث، وجاء في الحديث، وحسبما ورد.

❊ وتارة يذكر معنى أثر ثم ينسبه لعدة من الصحابة والتابعين.

❊ وتارة يذكر معنيين أو أكثر ثم يقول: وكلاهما مروي عن رسول الله ﷺ.

❊ وتارة يقول: قال بعض السلف، ثم يذكره.

❊ وعلى كثرة الأحاديث والآثار التي أورد ابن جزي في تفسيره فإنه لم يكرر منها إلا بضعة أحاديث[1] منها:

- «لا يحل دم امرئ مسلم».

- «أمرت أن أقاتل الناس».

---

(١) سامي الجهني تخريج الأحاديث والآثار في التسهيل، ص: ٢٩.

ـ «قول عائشة هذا لحن من القراء».

ـ «افترقت اليهود والنصارى».

ـ «ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان».

ولقد أوضح ابن جزي منهجه في مقدمة كتاب التسهيل، وحاول أن يرسم صورة لعمله في التأليف المبارك إذ يقول:

قصدت به أربع مقاصد، تتضمن أربع فوائد:

الفائدة الأولى: جمع كثير من العلم، في كتاب صغير الحجم، تسهيلاً على الطالبين، وتقريباً على الراغبين،... إلخ.

الفائدة الثانية: ذكر نكت عجيبة وفوائد غريبة، قلما توجد في كتاب، لأنها من بنات صدري، ونتائج فكري... إلخ.

الفائدة الثالثة: إيضاح المشكلات إما بحل العقد المقفلات، وإما بحسن العبارة ورفع الاحتمالات، وبيان المجملات.

الفائدة الرابعة: تحقيق أقوال المفسرين، والتفرقة بين السقيم منها والصحيح، وتمييز الراجح من المرجوح، إلى آخر ما سطره من منهج فريد متميز، واضح.

وقد نجح إلى حد كبير في تطبيق منهجه على هذا الكتاب، فهو ملتزم بما ألزم به نفسه من الإيجاز وعدم التطويل، كما أنه ملأ كتابه بالفوائد العلمية، والنكات العجيبة، التي لا تكاد توجد في غيره، كما أنه بذل جهدا كبيرا في إيضاح المبهمات، وبيان المجملات، وحل المقفلات، وأما الفائدة الرابعة التي تتعلق بأقوال المفسرين، والتميز بين الصحيح منها والسقيم، فهي مرتكز منهجه، ويتجلى من خلالها نبوغه، فقد أعطى فيها صورة دقيقة عن أقوال المفسرين، ومراتب تلك الأقوال، ثم وضع مصطلحا يعبر به عن كل قول، يقول: وإني جعلت لهذه الأقسام

عبارات مختلفة يعرف بها كل مرتبة، وكل قول، فأدناها ما أصرح بأنه خطأ أو باطل، ثم ما أقول فيه إنه ضعيف أو بعيد، ثم ما أقول: إن غيره أرجح منه، أو أقوى، ثم ما أقدم غيره عليه إشعارا بترجيح المتقدم... إلخ تلك المنهجية العلمية المباركة التي سطرها في مقدمة كتابه.

ويظهر من خلال هذه المقدمة أن ابن جزي مستوعب لموضوعه، مطّلع على كل جوانبه، لا تكاد تكل عنه شاردة ولا واردة. غير أنه في بعض الحالات النادرة القليلة يأتي بما يعتبر إخلالاً بهذا المنهج، فيسترسل في بعض الموضوعات بدون موجب، كما أنه قد يبالغ في الإيجاز حتى يجاوز الحد الذي يتمكن معه القارئ من فهم المراد.

فمن ذلك مثلاً: أنه أطال الكلام في بعض الحالات بشكل كبير، فانظر عند قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ [الآية: ١٥٧]، فقد أطال جداً.

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج الآية: ٣]، فذكر هنا ستة عشر قولاً، لا داعي لذكر أكثرها.

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [طه الآية: ٨٦]، ذكر عندها قصصاً واهية.

ومن بين الملحوظات على ابن جزي، هو كلامه عن النسخ، فقد اهتم به اهتماما كبيرا، فتعرض له في المقدمة وفي أثناء الشرح، ولكنه في المقدمة تناول ما نسخته آية السيف، وهي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ...﴾ [التوبة الآية: ٥] بإيجاز شديد وبعبارة مختصرة جدا، تكاد تصل إلى حد الإخلال، ويصعب معها فهم المراد.

ويظهر للدارس أن ابن جزي من العلماء القائلين بوقوع النسخ بكثرة في

القرآن الكريم، والآيات المنسوخة عنده تبلغ ٢١٤ آية، فآية السيف وحدها نسخت ١١٤ آية، ولا يكلف نفسه الإتيان بدليل ولا برهان على النسخ، ودعوى النسخ في كثير مما أورده غير مسلم، ويحتاج إلى دليل، فالنسخ ليس مجرد دعوى تقال، وإنما هو النقل الصحيح عمن يملك حق النسخ، ألا وهو الله سبحانه وتعالى.

والمحققون من العلماء لا يكاد المكثر منهم تتجاوز آيات النسخ عنده العشرين آية، والمقل منهم جعلها خمس آيات.

قال الإمام السيوطي:

قد أكثر الناس في المنسوخ من عدد وأدخلوا فيه آيا ليست تنحصر

فهاك تحرير آي لا مزيد لها عشرين حررها الحذاق والكبر

وساق في نظمه هذه العشرين، مع مناقشة الأقوال في ذلك[(١)]

وبالنسبة لما أورده موجزا بشكل ملفت، فقد أوضحت المراد منه في محله، حيث رقمت الآيات التي يشير إلى الكلمة منها، فبإمكان من عرف رقم الآية أن يرجع إليها ويقرأها كاملة، ولم أر ضرورة لذكر الآية بكاملها.

ومما يؤخذ عليه مروره ببعض الموضوعات التي كثر فيها الجدل وتشعب الخلاف واختلط فيها الخطأ بالصواب ولم يبد رأيه فيها، وذلك مثل تعيين الذبيح في قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات الآية: ١٠١، ١٠٢][(٢)].

(١) الإتقان للسيوطي: ٢٣/١، وانظر مراقي السعود: ٧٢٧/١، والناسخ والمنسوخ للنحاس، ص: ٤، وما بعدها.

(٢) وقد ذكرت التحقيق عند أهل العلم، في تعيين الذبيح، وذلك في محله من هذا الكتاب، وانظر تفسير الماوردي: ٦٠/٥، وتفسير ابن كثير: ١٦/٤، وزاد المعاد: ٧١/١، ومقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، ص: ٥٢.

وفي أسباب النزول ذكر الصحيح، وقد يذكر غير الصحيح، بل إنه في بعض الأحيان يذكر ما لا أصل له، وأي عالم تعرض للتفسير خلا عمله من هفوة أو عثرة.

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

ولا أريد تتبع هذه المسائل في هذه المقدمة، ولكنني ربما أشير إلى بعضها في محله من الكتاب، أثناء التحقيق إن شاء الله، وفي الإشارة إلى البعض كفاية.

الطريقة التي اتبعها في التفسير:

أما الطريقة التي اتبعها في التفسير فهي كالتالي: رتب تفسيره حسب ترتيب سور القرآن، ابتداء بسورة الفاتحة، وانتهاء بسورة الناس، وقد يترك تفسير الآية والآيتين، وذلك إما لأنه فسر آية بمعناها، أو شبهها، أو أنه يرى أنها من الواضح الذي لا يحتاج إلى تفسير، ويميل إلى الاختصار غالبا مع التلخيص والجمع للأقوال، لهذا هو يبتعد عن الاسترسال في القصص ويشير إليها إشارة، ولم يستطرد في الشواهد النحوية، ولم يستوف القراءات مع أنه أورد منها الكثير، ولم يستطرد في فروع الفقه، ولم يسر على طريقة واحدة في التفسير، فنجده مرة يقدم تفسير المفردات، وقد يقدم سبب النزول ومرة يقدم المعنى العام، ومرة يبدأ بذكر الإعراب ومرة بذكر الاشتقاق وهكذا.

ومما هو جدير بالذكر كثرة ورود السؤال والجواب في تفسير ابن جزي، وغالباً ما يكون ذالك دفعاً لإشكال، أو إيضاحاً لغموض، أو إبرازا لنكتة في السياق، أو لطيفة في المعني[١].

وقد استهل كتابه بمقدمة أوضح فيها منهجه بشكل لا لبس فيه، ثم أتبعها بمقدمتين مفيدتين:

---

(١) ابن جزي ومنهجه والتفسير: ١/٣٤٧.

إحداهما: تضمنت أبواباً متنوعة متعلقة بعلوم القرآن، وفيها من الفوائد واللطائف ما لا يكاد يوجد في غيرها، مع الإيجاز وجمال التعبير وكثرة المسائل.

والثانية: في تفسير معاني اللغات، وقد رتبها على الحروف الأبجدية حسب الطريقة المغربية، ولكنه راعى الحرف الأول فقط دون الذي يليه، فنجده مثلاً يقدم «أتى» قبل «أبي» و«إياب» قبل «إفك»، و«أيكة» قبل «أثاث»، بينما الطريقة المستعملة حالياً في المعاجم هي: مراعاة الحرف الأول، ثم ما يليه، وهكذا.

وبالعموم فإن منهج ابن جزي في جميع كتبه التي بأيدينا، كالقوانين الفقهية، وتقريب الوصول، والتسهيل، منهج فريد في الجمع، والعرض، والتنسيق، والتبويب، والوضوح، فهذه الكتب صالحة لأن توضع كمناهج دراسية، ولعله أرادها أن تكون كذلك، وقد صرح في بعض كتبه بهذا المعنى، لهذا لا نستغرب اهتمام الجماهير من العلماء المعاصرين بتدريس كتب ابن جزي لطلابهم وحرصهم على ذلك.

۞ مصادره:

لقد أورد ابن جزي في مقدمته باباً خاصاً بذكر المفسرين وطبقاتهم، ابتداء بعهد الصحابة وانتهاء بشيخه أبي جعفر ابن الزبير.

ويظهر للمتبع انه اعتمد بشكل أكبر على تفسيرين، هما: المحرر الوجيز لابن عطية، والكشاف للزمخشري.

وتفسير ابن عطية هو أهم مرجع له، فقد قال عنه: إنه أحسن التفاسير وأعدلها، وقد تأثر به كثيراً من بداية الكتاب إلى نهايته، وربما يتكرر ذكره في الصفحة الواحدة، وذلك التأثر ظاهر في مجالات عدة؛ كالتفسير بالمأثور واللغة والعقائد...

كما تأثر بالكشاف للزمخشري، ونقل عنه نقولات كثيرة، واستفاد منه واصطحبه من بداية الكتاب إلى نهايته، وخاصة في الإعراب واللغة والبلاغة، كما تأثر به في طريقة العرض وإيراد السؤال والجواب، وقد يقارن بين الاثنين ويرجح بينهما في بعض الأحيان.

وقد استفاد من السهيلي كثيراً في مبهمات القرآن، وذلك في كتابه: (التعريف والإعلام، بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام) وقد اعتمد على مراجع أخرى من كتب التفسير؛ كتفسير مجاهد، والطبري، والنقاش، والماوردي، ومكي بن أبي طالب، وذكر في مقدمته تفسير الرازي، والغزنوي، واستفاد من كتب القراءات؛ ككتب الداني، ومكي بن أبي طالب، والمهدوي، وغيرهم. واستفاد من كتب السنة، والفقه، وكتب السيرة، وغير ذلك(١).

القيمة العلمية لتفسير ابن جزي:

إن ابن جزي مفسر له مكانته العلمية الخاصة وشخصيته المستقلة التي تجمع بين الأصالة والتجديد، وتؤهله لأن يناقش كبار المفسرين ويزاحمهم بآرائه، لما يمتلك من معارف نقلية وعقلية، ومن قواعد الترجيح، فقد يورد أقوال المفسرين ويتعقبها بالنقد والملاحظة كابن جرير الطبري، وابن عطية، والزمخشري، وغيرهم، مما يكشف لنا جانباً من الشخصية التفسيرية المستقلة له.

ولهذا فإن كتابه هذا على صغر حجمه جمع بين التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، ويعتبر كنزاً ثميناً، جمع من الفوائد والنكات العلمية، ما تكل عنه الكتب الكبيرة، فهو عصارة لأقوال المفسرين، وفيه من فنون العلم ما تقر به أعين القارئين والمطالعين، وقد تميز بسمات تدل على التعمق والتفنن، والتمكن من المعارف المختلفة، فهو يهتم:

(١) انظر ابن جزي ومنهجه في التفسير، للزبيري: ١/٢٦٩.

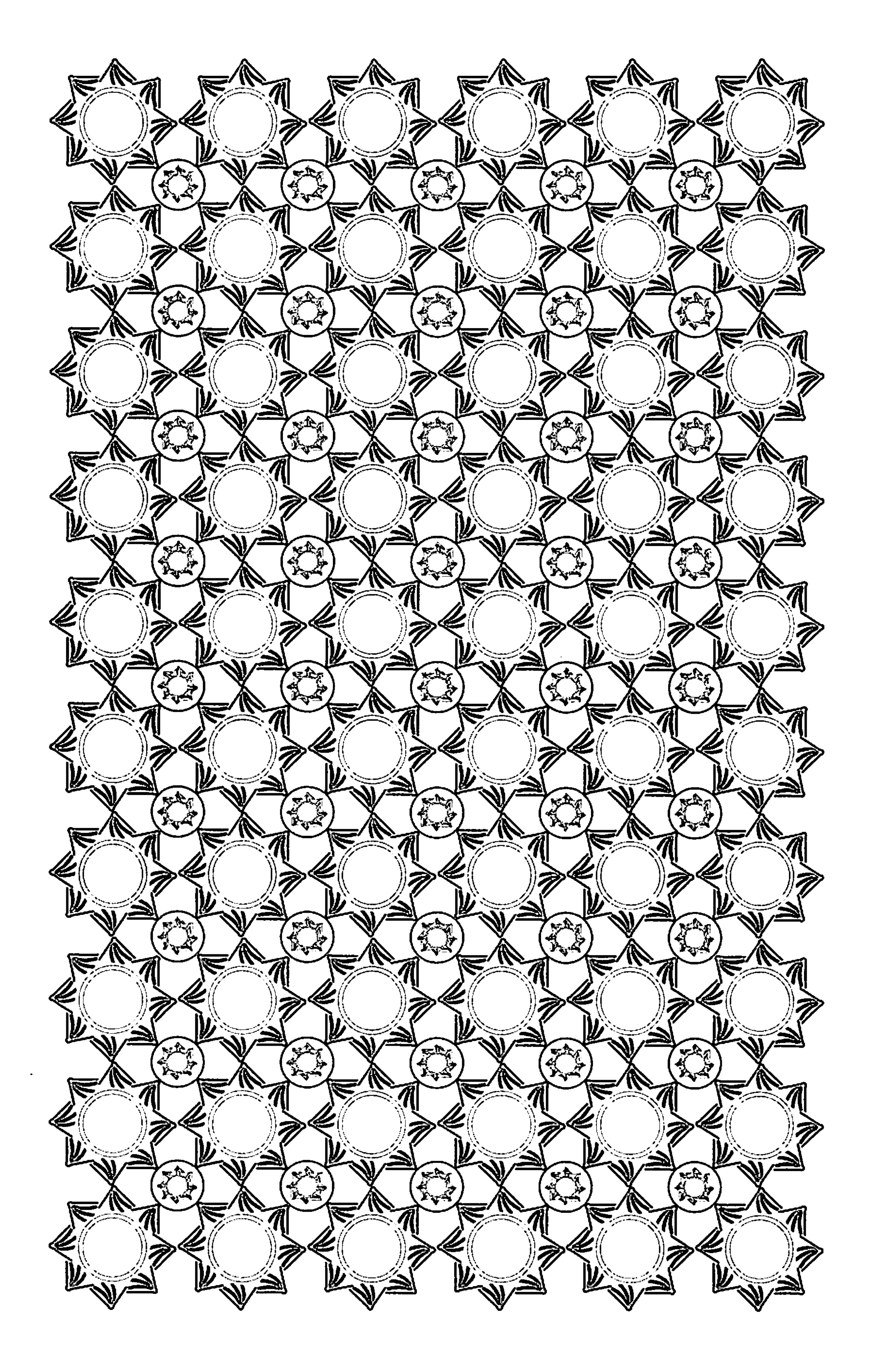
بالقراءات، وبأسباب النزول، وباللغة، وبالأحكام الفقهية، وبالتفسير بالأثر، وبالاجتهاد، إلى غير ذلك.

وعلى كل حال ففي التسهيل إضافات تفسيرية كثيرة، يدركها من لازم الكتاب وقارنه بكتب التفسير الأخرى.

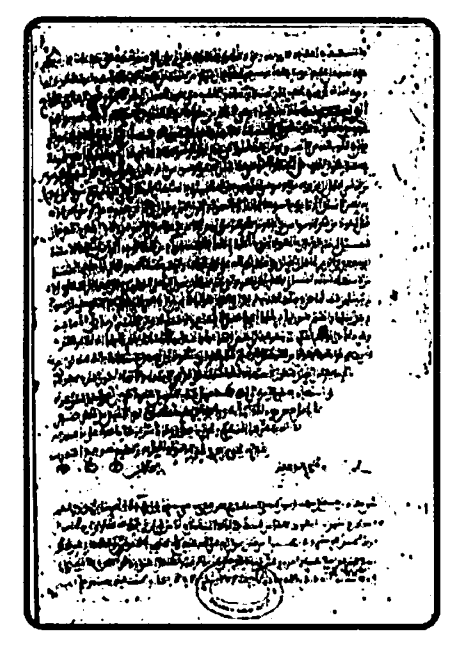
وقديماً قيل: يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر.

** ** **

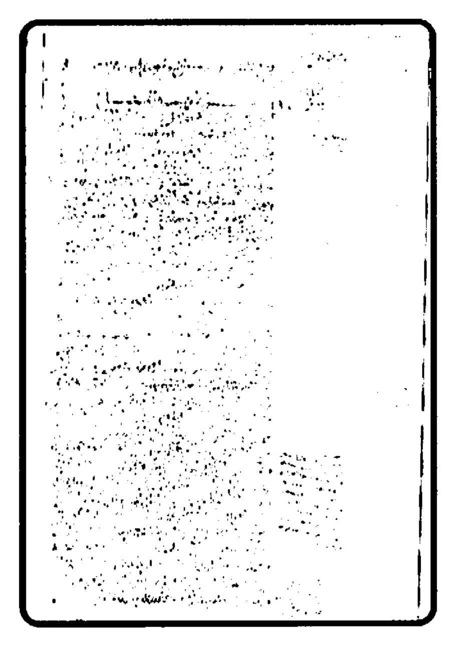
صُوَرُ المَخطُوطَاتِ المُستَعَانِ بِهَا



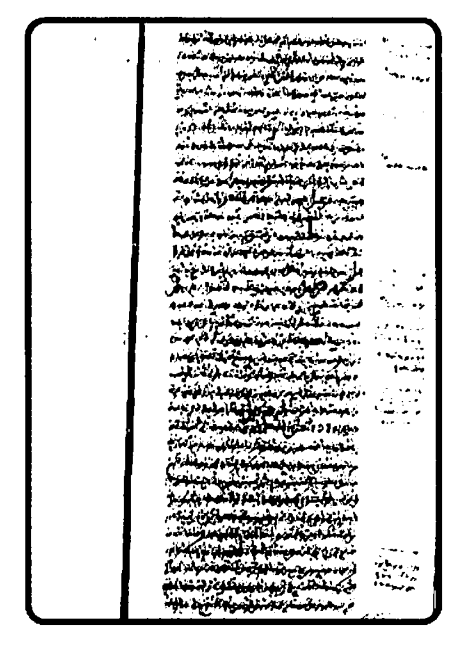
الصفحة الأولى من نسخة الخزانة الحسينية رقم ٢٣٩٠



الصفحة الأخيرة من نسخة الخزانة الحسينية رقم ٢٣٩٠



الصفحة الأولى من نسخة الخزانة الحسينية رقم ١١١١١



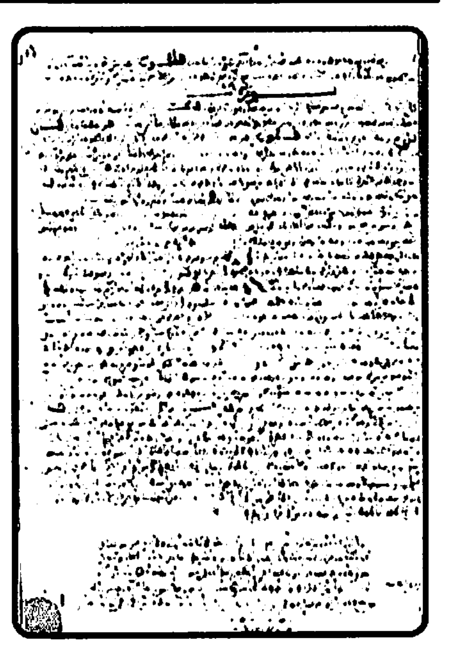
الصفحة الأخيرة من نسخة الخزانة الحسينية رقم ١١١١١

الصفحة الأولى من نسخة الخزانة العامة رقم ٦٢٧

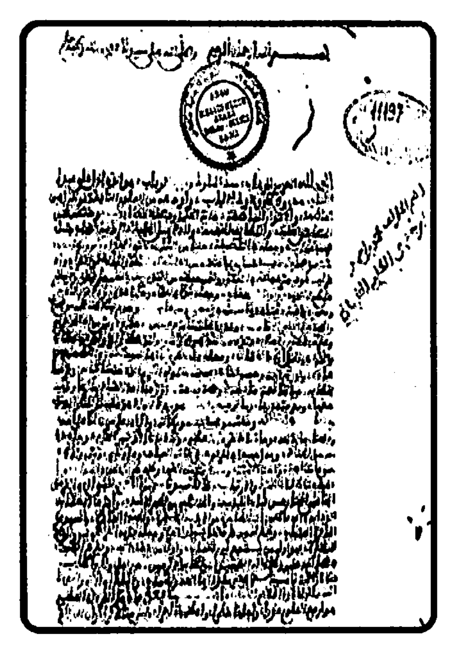
الصفحة الأخيرة من نسخة الخزانة العامة رقم ٦٢٧

الصفحة الأولى من نسخة الخزانة العامة رقم ٦٨٠

الصفحة الثانية من نسخة الخزانة العامة رقم ٦٨٠



الصفحة الأخيرة من نسخة الخزانة العامة رقم ٦٨٠



الصفحة الأولى من نسخة الخزانة الملكية ـ المملكة المغربية

الصفحة الثانية من نسخة الخزانة الملكية ـ المملكة المغربية

الصفحة الأولى من نسخة آل أحمد الأفرم في مدينة قرو

الصفحة الثانية من نسخة المعهد العالي بانواكشوط

الصفحة الأولى من نسخة تيشيت

الصفحة الأخيرة من نسخة تيشيت



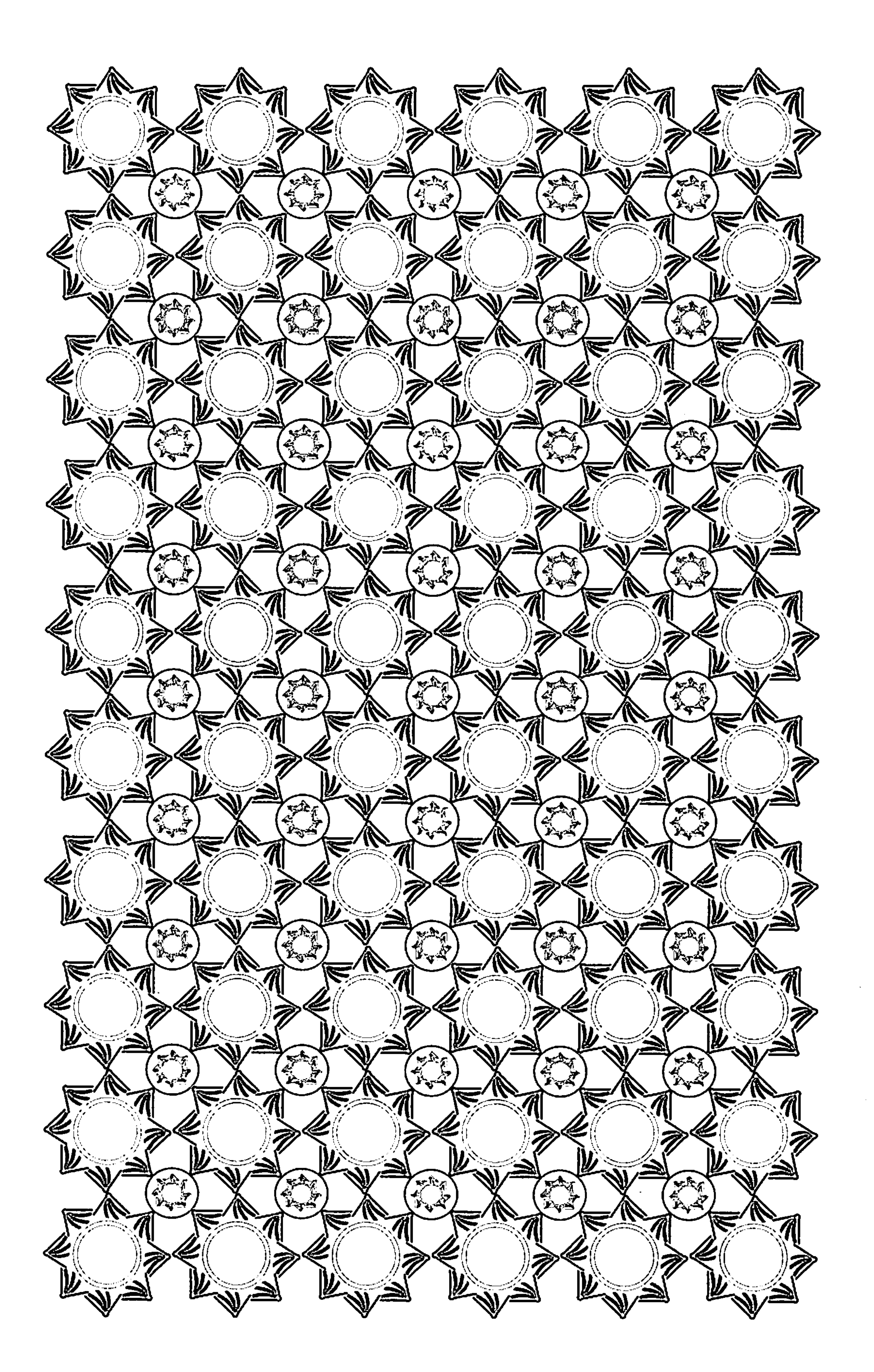
التسهيل لعلوم التنزيل

تأليف

الإمام محمد بن أحمد بن محمد بن جزي
الكلبي الغرناطي المالكي
(ت ٧٤١ هجرية)

تحقيق

أ.د. محمد بن سيدي محمد مولاي



[بسم الله الرحمن الرحيم]

الحمد لله العزيز الوهاب، ملك الملوك ورب الأرباب، هو الذي أنزل على عبده الكتاب، هدى وذكرى لأولي الألباب، وأودعه من العلوم النافعة والبراهين القاطعة والأنوار الساطعة غاية الحكمة وفصل الخطاب، وخصه بالخصائص العلية واللطائف الخفية والدلائل الجلية والأسرار الربانية العجاب، بكل عجب عجاب، وجعله في الطبقة العليا من البيان، حتى أعجز الإنس والجان، واعترف زعماء أرباب اللسان بما تضمنه من الفصاحة والبراعة والبلاغة والإعراب والإغراب، ويسر حفظه في الصدور، وضمن حفظه من التبديل والتغيير، فلم يتغير ولا يتغير على طول الدهور وتوالي الأحقاب، وجعله قولا فصلا وحكما عدلا وآية بادية ومعجزة باقية يشاهدها من شهد[١] الوحي ومن غاب، وتقوم بها الحجة للمؤمن الأواب، والحجة على الكافر المرتاب، وهدى الخلق بما شرع فيه من الأحكام، وبين من الحلال والحرام، وعلم من شعائر الإسلام، وصرف من النواهي والأوامر والمواعظ والزواجر والبشارة بالثواب، والنذارة بالعقاب، وجعل أهل القرآن أهل الله وخاصته، واصطفاهم من عباده[٢] وأورثهم الجنة ونعيمها[٣] وحسن المآب، فسبحان المولى الكريم الذي خصنا بكتابه، وشرفنا بخطابه، فيا لها من نعمة[٤] سابغة، وحجة بالغة، أوزعنا الله الكريم[٥] القيام بواجب شكرها، وتوفية حقها، ومعرفة قدرها، وما توفيقي إلا بالله هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب،

---

(١) في (أ): (شاهد).

(٢) في (ف) زيادة: (والقيام بشكرها).

(٣) قوله: (ونعيمها) ساقط من (أ).

(٤) في (ف): (فيا لها نعمة).

(٥) قوله: (الكريم) ساقط من (ف).

وصلاة الله وسلامه وتحياته وبركاته وإكرامه على من دلنا على الله، وبلغنا رسالة الله، وجاءنا بالقرآن العظيم، وبالآيات والذكر الحكيم، وجاهد في الله حق الجهاد، وبذل جهده في الحرص على نجاة العباد، وعلم ونصح، وبين وأوضح، حتى قامت الحجة، ولاحت المحجة، وتبين الرشد من الغي وظهر طريق الحق والصواب، وانقشعت ظلمة الشك والارتياب، ذلك سيدنا ومولانا محمد النبي الأمي القرشي الهاشمي المختار من لباب اللباب، والمصطفى من أطهر الأنساب وأشرف الأحساب، الذي أيده الله بالمعجزات الظاهرة، والآيات الباهرة، والجنود القاهرة، والسيوف الباترة العضاب، وجمع له بين شرف الدنيا والآخرة وجعله قائدا للغر المحجلين والوجوه الناضرة، فهو أول من يشفع يوم الحساب، وأول من يدخل الجنة ويقرع الباب، فصلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وأصحابه الأكرمين، خير أهل وأكرم أصحاب، صلاة زاكية نامية لا يحصر مقدارها العد والحساب، ولا تبلغ إلى أدنى وصفها ألسنة البلغاء ولا أقلام الكتاب.

أما بعد؛ فإن علم القرآن العظيم هو أرفع العلوم قدرا، وأجلها خطرا، وأعظمها أجرا، وأشرفها ذكرا، وإن الله أنعم علي بأن شغلني بخدمة القرآن وتعلمه وتعليمه، وشغفني بتفهم معانيه وتحصيل علومه، فاطلعت على ما صنفه العلماء رضي الله عنهم في تفسير القرآن من التصانيف المختلفة الأوصاف، المتباينة الأصناف، فمنهم من آثر الاختصار، ومنهم من طول حتى أكثر الأسفار، ومنهم من تكلم في بعض فنون العلم دون بعض، ومنهم من اعتمد على نقل أقوال الناس، ومنهم من عول على النظر والتحقيق والتدقيق، وكل أحد[1] سلك طريقا نحاه، وذهب مذهبا ارتضاه، وكلا وعد الله الحسنى، فرغبت في سلوك طريقهم، والانخراط في سلك فريقهم، وصنفت هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم، وسائر ما يتعلق به من العلوم، وسلكت (به)[2]

---

(١) في (ف): (وكل واحد).

(٢) قوله: (به) ساقطة من (أ).

مسلكا نافعا، إذ جعلته وجيزا جامعا، قصدت به أربعة مقاصد، تتضمن أربع[١] فوائد:

* الفائدة الأولى: جمع كثير من العلم في كتاب صغير الحجم تسهيلا على الطالبين، وتقريبا على الراغبين، فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمنته الدواوين الطويلة من العلم، ولكن بعد تلخيصها وتمحيصها، وتنقيح فصولها، وحذف حشوها وفضولها، ولقد أودعته من كل فن من فنون علم القرآن اللباب المرغوب فيه، دون القشر المرغوب عنه، من غير إفراط ولا تفريط، ثم إني عزمت على إيجاز العبارة وإفراط الاختصار، وترك التطويل والتكرار.

* الفائدة الثانية: ذكر نكت عجيبة، وفوائد غريبة، قلما توجد في كتاب؛ لأنها من بنات صدري ونتائج فكري، أو مما أخذته عن شيوخي رضي الله عنهم، أو مما التقطته من مستظرفات النوادر، الواقعة في غرائب الدفاتر.

* الفائدة الثالثة: إيضاح المشكلات، إما بحل العقد المقفلات، وإما بحسن العبارة ورفع الاحتمالات، وبيان المجملات.

الفائدة الرابعة: تحقيق أقوال المفسرين والتفرقة بين السقيم منها والصحيح، وتمييز الراجح من المرجوح. وذلك أن أقوال الناس على مراتب؛ فمنها: الصحيح الذي يعول عليه، ومنها: الباطل الذي لا يلتفت إليه، ومنها: ما يحتمل الصحة والفساد، ثم إن هذا الاحتمال قد يكون: متساويا، أو متفاوتا. والتفاوت قد يكون قليلا أو كثيرا.

وإني جعلت لهذه الأقسام عبارات مختلفة، يعرف بها مرتبة كل قول[٢] فأدناها: ما أصرح بأنه خطأ أو باطل، ثم ما أقول فيه: إنه ضعيف أو بعيد، ثم ما

---

(١) في (ف): (أربعة وهو خطأ).

(٢) في (أ): (كل مرتبة كل قول).

أقول إن غيره أرجح منه، أو أقوى، أو أظهر، أو أشهر، ثم: ما أقدم غيره عليه إشعارا بترجيح المتقدم، أو بالقول فيه[١] قيل: كذا، قصدا للخروج من[٢] عهدته.

وأما إذا صرحت باسم قائل القول فإني أفعل ذلك لأحد أمرين:

إما للخروج عن عهدته، وإما لنصرته، إذا كان قائله ممن يقتدى به، على أني لا أنسب الأقوال إلى أصحابها إلا قليلا، وذلك لقلة صحة إسنادها إليهم، أو لاختلاف الناقلين في نسبتها إليهم.

وأما إذا ذكرت شيئا دون حكاية قوله عن أحد فذلك إشارة إلى أني أتقلده وأرتضيه، سواء كان من تلقاء نفسي، أو مما أختاره من كلام غيري، وإذا كان القول في غاية السقوط والبطلان لم أذكره تنزيها للكتاب عنه، وربما ذكرته تحذيرا منه، وهذا الذي ارتكبت من الترجيح والتصحيح مبني على القواعد العلمية، أو على ما تقتضيه اللغة العربية.

وسنذكر بعد هذا بابا في موجبات الترجيح بين الأقوال إن شاء الله تعالى.

وسميت هذا الكتاب: «كتاب التسهيل لعلوم التنزيل».

وقدمت في أوله مقدمتين:

* إحداهما: في أبواب نافعة وقواعد كلية جامعة.

* والأخرى: فيما كثر دوره من اللغات الواقعة في القرآن.

وأنا أرغب إلى الله العظيم الكريم أن يجعل تصنيف هذا الكتاب عملا مبرورا، وسعيا مشكورا، ووسيلة توصلني إلى جنات[٣] النعيم، وتنقذني من عذاب الجحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) في (ف): (أو ما أقول فيه).

(٢) في (ف): (عن).

(٣) في (ف): (جنة).

المقدمة الأولى
فيها اثنا عشر بابًا

الباب الأول

في نزول القرآن وجمعه في المصحف ونقطه وتحزيبه وتعشيره وذكر أسمائه

نزل القرآن على رسول الله ﷺ من أول ما بعثه الله بمكة وهو ابن أربعين سنة إلى أن هاجر إلى المدينة، ثم نزل عليه بالمدينة إلى أن توفاه الله، فكانت مدة نزوله عليه عشرين سنة، وقيل: كانت ثلاثا وعشرين سنة، على حسب الاختلاف في سنه ﷺ يوم توفي هل كان ابن ستين سنة؟ أو ثلاث وستين سنة؟[1] وكان ربما تنزل عليه سورة كاملة، وربما تنزل عليه آيات متفرقة فيضم عليه السلام بعضها إلى بعض حتى تكمل السورة.

وأول ما نزل عليه من القرآن: صدر سورة العلق، ثم المدثر والمزمل، وقيل: أول ما نزل المدثر، وقيل: فاتحة الكتاب، والأول هو الصحيح لما ورد في الحديث الصحيح عن عائشة في حديثها الطويل في ابتداء الوحي قالت فيه: «جاءه **الملك وهو بغار حراء، قال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني**

---

(١) قال ابن عباس: أنزل القرآن على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين فأقام بمكة ثلاث عشرة وبالمدينة عشر سنين، فمات وهو ابن ثلاث وستين، مسند أحمد (٢١١٠)، وهو صحيح على شرط البخاري.

الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني وغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، ثم قال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق ١ ـ ٥]. فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فقال: «زملوني، زملوني». فزملوه حتى ذهب عنه ما يجد من الروع»[١].

وفي رواية من طريق جابر بن عبد الله فقال رسول الله ﷺ: «زملوني فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾»[٢].

وأما آخر ما نزل من القرآن: فسورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر الآية: ١] وقيل: آية الربا التي في البقرة، وقيل: الآية التي قبلها[٣].

---

(١) هذا حديث صحيح، وهو جزء من حديث عائشة الطويل في بدء الوحي، رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، وفي كتاب أحاديث الأنبياء الحديث رقم: (٤٣٥٣)، وفي كتاب التفسير الحديث رقم: (٣٠٦١)، وفي مواضع أخرى منه. وأخرجه مسلم الحديث رقم: (١٦٠) كتاب الإيمان، والترمذي في سننه الحديث رقم (٣٢٤٨)، والمسند الحديث رقم (١٣٩٥٩).

(٢) الذي في البخاري الحديث رقم: (٤) كتاب بدء الوحي، وفي (٣٢٣٨) كتاب بدء الخلق، وفي مسلم في صحيحه رقم: (١٦١) كتاب الإيمان والنسائي الحديث رقم: (٣١٥٢) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ وليس في واحد منها حسب اطلاعي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾.

(٣) معرفة آخر ما نزل فيه اختلاف كثير، فروى الشيخان عن البراء بن عازب قال: «آخر آية نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾، وآخر سورة نزلت: براءة»، وأخرج البخاري عن ابن عباس قال: «آخر آية نزلت آية الربا»، وروى البيهقي عن عمر مثله، والمراد بها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾، وعند أحمد وابن ماجه عن عمر من آخر ما نزل آية الربا، وعند ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال: خطبنا عمر فقال: إن من آخر القرآن نزولا آية الربا، وأخرج النسائي من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: آخر شيء نزل من القرآن واتقوا يوما ترجعون فيه الآية، وأخرج ابن مردويه نحوه من طريق سعيد بن جبير=

وكان القرآن على عهد رسول الله ﷺ متفرقا في الصحف وفي صدور الرجال، فلما توفي رسول الله ﷺ قعد علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بيته فجمعه على ترتيب نزوله، ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير[١] ولكنه لم يوجد، فلما قتل جماعة من الصحابة[٢] يوم اليمامة في قتال مسيلمة الكذاب أشار عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بجمع القرآن مخافة أن يذهب بموت القراء[٣] فجمعه في صحف غير مرتب السور، وبقيت تلك الصحف عند أبي بكر الصديق ثم عند عمر بعده ثم عند بنته حفصة أم المؤمنين[٤]، وانتشرت في خلال ذلك صحف كتبت في الآفاق عن الصحابة، وكان بينها اختلاف، فأشار حذيفة بن اليمان[٥]

= عن ابن عباس بلفظ آخر آية نزلت، وأخرجه ابن جرير من طريق العوفي والضحاك عن ابن عباس، وقال الفريابي في تفسيره: حدثنا سفيان عن الكلبي عن ابن صالح عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله الآية وكان بين نزولها وبين موت النبي أحد وثمانون يوما. انظر لإتقان للسيوطي: ٨٢/١.

(١) هذا الأثر ضعيف، قال ابن كثير في فضائل القرآن: وفيه الفظائع، ص: ٨٨، وقال ابن حجر في الفتح: ٦٢٨/٨ إسناده ضعيف لانقطاعه. أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف رقم: (٣٢٣٦) عن محمد بن سيرين بلفظ: لو أصيب ذلك الكتاب كان فيه العلم، وأورده ابن عبد البر في التمهيد: ٣٠٠/٨، وابن أبي شيبة في المصنف: ٥٤٥/١٠ كلهم من طريق ابن سيرين، وذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء، ص: ١٦٤. ولعله يقصد أن مصحف الإمام علي رضي الله عنه كان يذكر فيه أسباب النزول، والأحكام وغير ذلك، فهو بمثابة تفسير، وكان مرتبا حسب النزول.

(٢) قوله: (من الصحابة) ساقط من (ف).

(٣) صحيح أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم (٤٦٧٩) كتاب التفسير، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٣١٠٣) كتاب التفسير، والنسائي في فضائل القرآن، الحديث رقم: (١٣)، وابن حبان في صحيحه: ٣٥٩/١٠، وابن عبد البر في التمهيد: ٢٧٩/٨، والبيهقي في الكبير: ٤٠/٢، والمسند الحديث رقم: (٢٠٥٧)، والبزار في مسنده: ٨٨/١، والطيالسي في مسنده الحديث رقم: (٣).

(٤) هي أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها، ت: ٤٥ هـ. في خلافة معاوية، وقيل: توفيت في خلافة عثمان.

(٥) هو الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان بن جابر بن عمرو بن ربيعة ت: ٣٦هـ انظر الاستيعاب: ٣٤٤/١.

على عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بجمع الناس على مصحف واحد خيفة من اختلافهم فانتدب لذلك عثمان وأمر زيد بن ثابت[١] بجمعه وجعل معه ثلاثة من قريش؛ عبد الله بن الزبير بن العوام[٢] وعبد الرحمن بن الحارث[٣] بن هشام[٤]، وسعيد بن العاص بن أمية[٥]، وقال لهم: إذا اختلفتم في شيء فاجعلوه بلغة قريش، وجعلوا المصحف الذي كان عند حفصة إماما في هذا الجمع الأخير، وكان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يتعهدهم ويشاركهم في ذلك، فلما كمل المصحف، نسخ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منه نسخا، ووجهها إلى الأمصار، وأمر بما سواها من المصاحف أن تخرق، أو تحرق، يروى بالحاء والخاء المنقوطة[٦].

فترتيب السور على ما هو الآن عليه من فعل عثمان وزيد بن ثابت والذين كتبوا معه المصحف، وقد قيل: إنه من فعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك ضعيف ترده الآثار الواردة في ذلك[٧].

---

(١) هو الصحابي الجليل زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي المقرئ الفرضي كاتب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ت: ٤٨هـ.

(٢) هو الصحابي الجليل عبد الله بن الزبير بن العوام تولى الخلافة بعد موت معاوية بن اليزيد وتوفي سنة: ٧٣هـ.

(٣) في (ف): (الحرث).

(٤) هو عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي كان عمره عشرين حين قبض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توفي في خلافة معاوية الأعلام للزركلي: ٣/٣٠٣.

(٥) هو سعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي ت: ٥٩هـ.

(٦) هذا حديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، الحديث رقم: (٤٩٨٧) باب جمع القرآن والترمذي الحديث رقم: (٣١٠٤)، والنسائي الحديث رقم: (١٣)، وأبو عبيد في فضائل القرآن، ص: ٢٨٢.

(٧) من هذه الآثار: ما في صحيح مسلم الحديث رقم: (٧٧٢) عن حذيفة بن اليمان قال: صليت مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة ثم مضى فقلت يصلي بها في ركعة فمضى، فقلت يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مسترسلا...

وعن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنا عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نؤلف القرآن من الرقاع. أخرجه=

وأما نقط القرآن وشكله[١]، فأول من فعل ذلك: الحجاج بن يوسف[٢] بأمر عبد الملك بن مروان[٣]، وزاد الحجاج تحزيبه، وقيل: أول من نقطه[٤] يحيى بن يعمر[٥] وقيل: أبو الأسود الدؤلي[٦].

وأما وضع الأعشار فيه، فقيل: إن الحجاج فعل ذلك، وقيل: بل أمر به المأمون العباسي[٧].

وأما أسماؤه فهي أربعة؛ القرآن، والفرقان، والكتاب، والذكر. وسائر ما سمي به صفات لا أسماء، كوصفه بالعظيم، والكريم[٨]، والمبين، والعزيز،

= الحاكم في المستدرك: ٢٢٩/٢ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وفيه البيان الواضح: أن جمع القرآن لم يكن مرة واحدة، فقد جمع بعضه بحضرة النبي ﷺ ثم جمع بعضه بحضرة أبي بكر الصديق، والجمع الثالث: هو في ترتيب السور، كان في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه. ووافقه الذهبي. وابن جزي هنا موافق ما لابن عطية: ٥٣/١، ونسب السيوطي القول بأنه اجتهاد من الصحابة للجمهور، الإتقان: ٦٢/١، وانظر البرهان: ٣٢٤/١.

(١) الصحيح أن أول من نقط أواخر الحروف للإعراب أبو الأسود الدؤلي في ولاية ابن زياد، وذلك في قصة مشهورة، أما نقط الحروف لإعجامها فأول من فعل ذلك يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم المتوفى قبل المائة وذلك بأمر من الحجاج بن يوسف الثقفي، وانظر المبسوط في المرسوم والمضبوط للشيخ الدنبجة بن معاوية الشنقيطي، ص: ٥٦.

(٢) هو الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي أحد ولاة بني أمية، وسيرته أشهر من أن تذكر ت: ٩٥هـ.

(٣) هو عبد الملك بن مروان بن الحكم أحد أشهر ملوك بني أمية ت: ٨٦هـ.

(٤) في (ف): (نقط القرآن).

(٥) هو يحيى بن يعمر القيسي، الجدلي العدواني البصري ت: ١٢٩هـ وقيل: توفي قبل التسعين بخراسان.

(٦) هو أبو الأسود الدؤلي واسمه: ظالم بن عمرو على الأشهر البصري من سادات التابعين وشهد مع علي وقعة صفين وهو أول من وضع النحو، وأول من نقط الحروف ت: ٦٩هـ.

(٧) هو عبد الله بن هارون الملقب بالمأمون أحد خلفاء بني العباس العظام ت: ٢١٧هـ.

(٨) قوله: (والكريم) ساقط من (ف).

والمجيد، وغير ذلك.

فأما القرآن: فأصله مصدر قرأ، ثم أطلق على المقروء.

وأما الفرقان: فمصدر أيضًا، معناه التفرقة بين الحق والباطل.

وأما الكتاب: فمصدر ثم أطلق على المكتوب.

وأما الذكر: فسمي القرآن به لما فيه من ذكر الله، ومن التذكير والمواعظ، ويجوز في السورة من القرآن الهمز، وترك الهمز لغة قريش.

وأما الآية: فأصلها العلامة، ثم سميت الجملة من القرآن آية؛ لأنها علامة على صدق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

*** *** ***

الباب الثاني

في السور المكيّة والمدنية

اعلم أن السور المكية هي التي نزلت بمكة، ويعد منها كل ما نزل قبل الهجرة وإن نزل بغير مكة، كما أن المدنية هي السور التي نزلت بالمدينة، ويعد منها كل ما نزل بعد الهجرة وإن نزل بغير المدينة.

* وتنقسم السور ثلاثة أقسام:

قسم: مدنية باتفاق وهي اثنان وعشرون سورة، وهي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، وبراءة، والنور، والأحزاب، والقتال، والفتح، والحجرات، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، والتحريم، وإذا جاء نصر الله.

وقسم: فيها خلاف، هل هي مكية أو مدنية؟ وهي ثلاثة عشر سورة: أم القرآن، والرعد، والنحل، والحج، والإنسان، والمطففون، والقدر، ولم يكن، وإذا زلزلت، وأرايت والإخلاص والمعوذتان.

وقسم: مكية باتفاق، وهي سائر السور، وقد وقعت آيات مدنية في سور مكية كما وقعت آيات مكية في سور مدنية، وذلك قليل مختلف في أكثره.

واعلم: أن السور المكية نزل أكثرها في إثبات العقائد والرد على المشركين، وفي قصص الأنبياء. وأن السور المدنية نزل أكثرها في الأحكام الشرعية، وفي الرد على اليهود والنصارى، وذكر المنافقين والفتوى في مسائل، وذكر غزوات النبي ﷺ. وحيثما ورد: (يأيها الذين آمنوا) فهو مدني، وأما (يأيها الناس) فقد وقع في المكي والمدني.

الباب الثالث

في المعاني والعلوم التي تضمنها القرآن

ولنتكلم في ذلك على الجملة والتفصيل.

أما على الجملة: فاعلم أن المقصود بالقرآن دعوة الخلق إلى عبادة الله وإلى الدخول في دين الله، ثم إن هذا المقصد يقتضي أمرين لا بد منهما وإليهما ترجع معاني القرآن كله؛

أحدهما: بيان العبادة التي دعي الخلق إليها.

والآخر: ذكر بواعث تبعثهم على الدخول فيها وتقودهم إليها.

فأما العبادة: فتنقسم إلى نوعين وهما: أصول العقائد، وأحكام الأعمال.

أما البواعث عليها فأمران؛ وهما: الترغيب والترهيب.

وأما على التفصيل: فاعلم أن معاني القرآن سبعة؛ وهي: علم الربوبية، والنبوءة، والمعاد، والأحكام، والوعد، والوعيد، والقصص.

فأما علم الربوبية: فمنه: إثبات وجود الباري جل جلاله والاستدلال عليه بمخلوقاته، فكل ما جاء في القرآن من التنبيه على المخلوقات والاعتبار في خلق الأرض والسموات، والحيوان والنبات، والرياح والأمطار، والشمس والقمر والليل والنهار، وغير ذلك من الموجودات، فهو دليل على خالقه.

ومنه: إثبات الوحدانية والرد على المشركين والتعريف بصفات الله من الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر وغير ذلك من أسمائه وصفاته والتنزيه عما لا يليق به.

وأما النبوءة: فإثبات نبوءة الأنبياء عليهم الصلاة السلام على العموم ونبوءة محمد ﷺ على الخصوص، وإثبات الكتب التي أنزلها الله عليهم، ووجود الملائكة الذين كان منهم وسائط بين الله وبينهم، والرد على من كفر بشيء من ذلك. وينخرط في سلك هذا ما ورد في القرآن من تأنيس النبي ﷺ وكرامته والثناء عليه، وسائر الأنبياء صلى الله عليه وعليهم أجمعين.

وأما المعاد: فإثبات الحشر وإقامة البراهين عليه، والرد على من خالف فيه، وذكر ما في الدار الآخرة من الجنة والنار والحساب والميزان، وصحائف الأعمال وكثرة الأهوال وغير ذلك.

وأما الأحكام: فهي الأوامر والنواهي وتنقسم خمسة أنواع؛ واجب ومندوب وحرام ومكروه ومباح. ومنها ما يتعلق بالأبدان كالصلاة والصيام، وما يتعلق بالأموال كالزكاة، وما يتعلق بالقلوب كالإخلاص والخوف والرجاء وغير ذلك.

وأما الوعد: فمنه وعد بخير الدنيا من النصر والظهور وغير ذلك، ومنه وعد بخير الآخرة، وهو الأكثر كأوصاف الجنة ونعيمها.

وأما الوعيد: فمنه تخويف بالعقاب في الدنيا، ومنه تخويف بالعقاب في الآخرة، وهو الأكثر كأوصاف جهنم وعذابها، وأوصاف القيامة وأهوالها، وتأمل القرآن تجد الوعد مقرونا بالوعيد قد ذكر أحدهما على أثر ذكر الآخر ليجمع بين الترغيب والترهيب وليتبين أحدهما بالآخر، كما قيل: «فبضدها تتبين الأشياء».

وأما القصص: فهو ذكر أخبار الأنبياء المتقدمين وغيرهم؛ كقصة أصحاب الكهف، وذي القرنين، فإن قيل: ما الحكمة في تكرار قصص الأنبياء في القرآن؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أنه ربما ذكر في سورة من أخبار الأنبياء ما لم يذكره في سورة أخرى، ففي كل واحدة منهما فائدة زائدة على الأخرى.

الثاني: أنه ذكرت أخبار الأنبياء في مواضع على طريقة الإطناب، وفي مواضع على طريقة الإيجاز، لتظهر فصاحة القرآن في الطريقتين.

الثالث: أن أخبار الأنبياء قصد بذكرها مقاصد فيتعدد ذكرها بتعدد تلك المقاصد، فمن المقاصد بها: إثبات نبوءة الأنبياء المتقدمين بذكر ما جرى على أيديهم من المعجزات، وذكر إهلاك من كذبهم بأنواع من الإهلاك، ومنها: إثبات النبوءة لمحمد ﷺ لإخباره بتلك الأخبار من غير تعلم من أحد، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ [هود الآية: ٤٩].

ومنها: إثبات الوحدانية، ألا ترى أنه لما ذكر إهلاك الأمم الكافرة قال: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [هود الآية: ١٠١]. ومنها الاعتبار في قدرة الله وشدة عقابه لمن كفر.

ومنها: تسلية النبي ﷺ عن تكذيب قومه له بالتأسي بمن تقدم من الأنبياء كقوله: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الأنعام الآية: ٣٤].

ومنها: تسليته عَلَيْهِ السَّلَامُ ووعده بالنصر كما نصر الأنبياء الذين من قبله.

ومنها: تخويف الكفار بأن يعاقبوا كما عوقب الكفار الذين من قبلهم إلى غير ذلك مما احتوت عليه أخبار الأنبياء: من العجائب والمواعظ واحتجاج الأنبياء وردهم على الكفار وغير ذلك، فلما كانت أخبار الأنبياء تفيد فوائد كثيرة ذكرت في مواضع كثيرة، ولكل مقام مقال.

*** *** ***

الباب الرابع

في فنون العلم التي تتعلق بالقرآن

اعلم: أن الكلام على القرآن يستدعي الكلام في اثني عشر فنا من العلوم، وهي: التفسير، والقراءات، والأحكام، والنسخ، والحديث، والقصص، والتصوف، وأصول الدين، وأصول الفقه، واللغة، والنحو، والبيان.

فأما التفسير: فهو المقصود لنفسه، وسائر هذه الفنون أدوات تعين عليه وتتعلق به أو تتفرع منه، ومعنى التفسير: شرح القرآن وبيان معناه والإفصاح بما يقتضيه بنصه، أو إشارته أو فحواه[(١)].

واعلم: أن التفسير منه متفق عليه ومختلف فيه[(٢)] ثم إن المختلف فيه على ثلاثة أنواع:

* أحدها: اختلاف في العبارة مع اتفاق المعنى[(٣)]، فهذا عده كثير من المؤلفين في التفسير خلافا وليس في الحقيقة بخلاف لاتفاق معناه وجعلناه نحن قولا واحدا وعبرنا عنه بأحد عبارات المتقدمين، أو بما يقرب منها، أو بما يجمع معانيها.

---

(١) التفسير مشتق من الفسر وهو الإبانة وكشف المغطى، واصطلاحا عرف بتعريفات أهمها تعريف الزركشي وهو أنه: «علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه» انظر البرهان: ١/١٣.

(٢) وقد وضح هذا المعنى العلامة ابن تيمية في كتابه: مقدمة في أصول التفسير، ص: ٥٢، وما بعدها، والذي قسم فيه الاختلاف في التفسير إلى نوعين: النوع الأول: اختلاف تنوع، والنوع الثاني: اختلاف تضاد، وهو بحث نفيس.

(٣) في (أ) و(ب): (في المعنى).

※ النوع الثاني: اختلاف في التمثيل لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنى واحد وليس مثال منها على خصوصه هو المراد، وإنما المراد المعنى العام الذي[١] تندرج تلك الأمثلة تحت عمومه، فهذا عده أيضا كثير من المؤلفين خلافا وليس في الحقيقة بخلاف؛ لأن كل قول منها مثال للمراد وليس بكل المراد، ولم نعده نحن خلافا بل عبرنا عنه بعبارة عامة تدخل تلك الأقوال تحتها، وربما ذكرنا بعض تلك الأقوال على وجه التمثيل مع التنبيه على العموم المقصود.

※ النوع الثالث: اختلاف في المعنى فهذا هو الذي عددناه خلافا ورجحنا فيه بين أقوال الناس حسبما ذكرناه في خطبة الكتاب.

فإن قيل: ما الفرق بين التفسير والتأويل؟ فالجواب: أن في ذلك ثلاثة أقوال:

الأول: أنهما بمعنى واحد.

الثاني: أن التفسير للفظ والتأويل[٢] للمعنى.

الثالث وهو الصواب: أن التفسير هو الشرح، والتأويل هو حمل الكلام على معنى غير المعنى الذي يقتضيه ظاهر اللفظ لموجب اقتضى أن يحمل على ذلك ويخرج عن ظاهره.

وأما القراءات: فإنها في القرآن بمنزلة الرواية في الحديث، فلا بد من ضبطها كما يضبط الحديث بروايته، ثم إن القراءات على قسمين؛ مشهورة وشاذة، فالمشهورة: هي القراءات السبع وما جرى مجراها؛ كقراءة يعقوب[٣] وابن محيصن[٤].

---

(١) في (أ): (التي).

(٢) في (ف) و(ع): (وأن التأويل).

(٣) هو يعقوب بن إسحاق بن زيد البصري، أحد الأيمة العشرة القراء، ت: ٢٠٥هـ.

(٤) هو محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن محيصن كان شيخا لأبي عمرو بن العلاء وتوفي سنة: ١٣٢هـ.

والشاذة ما سوى ذلك[١].

وإنما بنينا هذا الكتاب على قراءة نافع المدني لوجهين:

أحدهما: أنها القراءة المستعملة في بلادنا بالأندلس وسائر المغرب.

والآخر: الاقتداء بالمدينة شرفها الله؛ لأنها قراءة أهل المدينة، وقال مالك بن أنس: قراءة نافع سنة.

وذكرنا من سائر القراءات ما فيها فائدة في المعنى والإعراب أو غير ذلك، دون ما لا فائدة فيه زائدة، واستغنينا عن استيفاء القراءات لكونها مذكورة في الكتب المؤلفة فيها. وقد صنفنا فيها كتبا نفع الله بها، وأيضا فإنا لما عزمنا في هذا الكتاب على الاختصار حذفنا منه ما لا تدعو إليه الضرورة، وقد ذكرنا في هذه المقدمات بابا في قواعد أصول القراءات.

وأما أحكام القرآن: فهي ما ورد فيه من الأوامر والنواهي والمسائل الفقهية

---

(١) أريد أن أوضح هنا أن العلماء نصوا على أن القرآت السبع متواترة إجماعا، وقالوا: إن القرآت الثلاث المكملة للعشرة متواترة على الصحيح، أما القرآت الأربعة الزائدة عليها، وهي قراءة كل من:

- الحسن البصري ت: ١١٠هـ.
- وابن محيصن ت: ١٣٢هـ.
- ويحيى بن المبارك اليزيدي ت: ١٤٨هـ.
- والأعمش سليمان بن مهران ت: ١٤٨هـ.

فهي شاذة، وأفردها بعض العلماء بكتاب خاص، مثل ما فعل الشيخ عبد الفتاح القاضي في كتابه: القرآت الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، وجمعها بعض العلماء مع العشرة في كتاب واحد مثل ما فعل الشيخ أحمد البنا الدمياطي ت: ١١١٧هـ في كتابه: إتحاف فضلاء البشر، في القرآت الأربعة عشر.

وعلى هذا فمن الخطإ عد قراءة ابن محيصن من القرآت المشهورة، بل هي شاذة، وقد فعل المؤلف مثل هذا عند كلامه على القرآت المشهورة كما سيأتي. وانظر نشر البنود: ٨٤/١ ط أولى، ومنجد المقرئين لابن الجزري، ص: ٩١، وغيث النفع للشيخ علي النوري، ص: ٠٧.

وقال بعض العلماء: إن آيات الأحكام خمسمائة آية، وقد تنتهي إلى أكثر من ذلك إذا استقصى تتبعها في مواضعها.

وقد صنف الناس في أحكام القرآن تصانيف كثيرة، ومن أحسن تصانيف المشارقة فيها: تأليف إسماعيل القاضي[١] وأبي الحسن[٢] الكيا[٣].

ومن أحسن تصانيف أهل الأندلس تأليف القاضي الإمام أبي بكر بن العربي[٤] والقاضي الحافظ أبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم المعروف بابن الفرس[٥].

وأما النسخ: فهو يتعلق بالأحكام؛ لأنها محل النسخ إذ لا تنسخ الأخبار، ولا بد من معرفة ما وقع في القرآن من الناسخ والمنسوخ، والمحكم: وهو ما لم ينسخ. وقد صنف الناس في ناسخ القرآن ومنسوخه تصانيف كثيرة، وأحسنها: تأليف القاضي أبي بكر بن العربي، وقد ذكرنا في هذه المقدمات بابا في قواعد

---

(١) هو أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن حماد بن زيد بن درهم الجهضمي البصري المالكي، تفقه بابن المعدل، وسمع من القعنبي والطيالسي وابن أبي شيبة وغيرهم، وكان يقول: أفخر على الناس برجلين بالبصرة؛ ابن المعدل يعلمني الفقه وابن المديني يعلمني الحديث. له مؤلفات كثيرة ومفيدة ت: ٢٠٢هـ الديباج المذهب: ١/٢٨٣، وطبقات المفسرين للداودي: ١/١٠٨.

(٢) هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيا الهراسي: فقيه شافعي، مفسر. ولد في طبرستان، وسكن بغداد وكان شيخ الشافعية فيها ت: ٥٠٤هـ انظر الأعلام للزركلي: ٤/٣٢٩.

(٣) في (ف) و(ع): (كياه)، والصواب ما أثبتنا من النسخ الأخرى.

(٤) هو القاضي محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي أبو بكر بن العربي من أهل التفنن في العلوم، متقدما في المعارف كلها متكلما في أنواعها حريصا على نشرها، وكتبه شاهدة على مكانته، تولى القضاء بإشبيلية فقام بالقضاء خير قيام، وكان من حفاظ الحديث ويقال إنه بلغ درجة الاجتهاد ت: ٥٤٣هـ انظر شجرة النور الزكية، ص: ١٣٦.

(٥) هو محمد بن عبد الرحيم بن محمد بن الفرج الإمام القاضي أبو عبد الله الأنصاري الخزرجي ولي قضاء بلنسية وكان أحد حفاظ الأندلس ت: ٥٩٧هـ سير أعلام النبلاء: ٢١/٣٦٤.

النسخ، وذكر ما تقرر في القرآن من المنسوخ، وذكرنا سائره في مواضعه.

وأما الحديث: فيحتاج المفسر إلى روايته وحفظه لوجهين:

الأول: أن كثيرا من آيات القرآن نزلت في قوم مخصوصين ونزلت بأسباب قضايا وقعت في زمن النبي ﷺ من الغزوات والنوازل والسؤالات، فلا بد من معرفة ذلك ليعلم فيمن نزلت الآية، وفيما نزلت، ومتى نزلت، فإن الناسخ مبني على معرفة تاريخ النوازل؛ لأن المتأخر ناسخ للمتقدم.

والوجه الآخر: أنه ورد عن النبي ﷺ كثير من تفسير القرآن، فتجب معرفته؛ لأن قوله عليه السلام مقدم على أقوال الناس.

وأما القصص: فهي من جملة العلوم التي تضمنها القرآن، فلا بد من تفسيره، إلا أن الضروري منه: ما يتوقف التفسير عليه، وما سوى ذلك زيادة مستغنى عنها.

وقد أكثر بعض المفسرين من حكاية القصص الصحيح وغير الصحيح، حتى أنهم ذكروا منه ما لا يجوز ذكره مما فيه تقصير بمنصب الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، أو حكاية ما يجب تنزيههم عنه.

وأما نحن فاقتصرنا في هذا الكتاب من القصص على ما يتوقف التفسير عليه، وعلى ما ورد منه في الحديث الصحيح.

وأما التصوف: فله تعلق بالقرآن؛ لما ورد في القرآن من المعارف الإلٓهية، ورياضة النفوس، وتنوير القلوب وتطهيرها، باكتساب الأخلاق الحميدة، واجتناب الأخلاق الذميمة.

وقد تكلمت المتصوفة في تفسير القرآن، فمنهم من أحسن وأجاد، ووصل بنور بصيرته إلى دقائق المعاني، ووقف على حقيقة المراد، ومنهم من توغل في الباطنية وحمل القرآن على ما لا تقتضيه اللغة العربية.

وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي[١] كلامهم في التفسير في كتاب سماه «الحقائق» وقال بعض العلماء: بل هو البواطل.

وإذا أنصفنا، قلنا: إن[٢] فيه حقائق وبواطل.

وقد ذكرنا في هذا الكتاب[٣]: ما يستحسن من الإشارات الصوفية. دون ما يعترض أو يقدح فيه، وتكلمنا أيضا على اثني عشر مقاما من مقامات التصوف في مواضعها من القرآن.

فتكلمنا على الشكر في أم القرآن لما بين الحمد والشكر من الاشتراك في المعنى، وتكلمنا على التقوى في قوله تعالى في البقرة. ﴿هُدىً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١].

وعلى الذكر: في قوله فيها: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥١]. وعلى الصبر: في قوله تعالى فيها: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٤]. وعلى التوحيد: في قوله فيها: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٢]. وعلى المحبة[٤] في قوله فيها: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٤]. وعلى التوكل: في قوله في آل عمران:

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وعلى المراقبة: في قوله في النساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١]. وعلى الخوف والرجاء: في قوله في الأعراف: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ [الأعراف: ٥٦] وعلى التوبة: في قوله في

---

(١) هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي أبو عبد الرحمن السلمي النيسابوري من علماء المتصوفة. قال الذهبي: شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم، قيل: كان يضع الأحاديث للصوفية، بلغت تصانيفه مائة أو أكثر، منها: «حقائق التفسير» و«طبقات الصوفية» و«مناهج العارفين». وغيرها، ت: ٤١١ هـ.

(٢) قوله: (إن) ساقط من (ع) و(أ).

(٣) في النسخ المطبوعة: وقد ذكرنا هذا في كتاب ما يستحسن من الإشارات الصوفية، وهو خطأ، واغتر به بعض الباحثين فظن أن لابن جزي كتابا بهذا العنوان، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك.

(٤) في (ف): (وعلى محبة الله).

النور: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعاً﴾ [النور الآية: ٣١]، وعلى الإخلاص: في قوله في لم يكن: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة الآية: ٥].

وأما أصول الدين:

فيتعلق بالقرآن من طرفين:

أحدهما: ما ورد في القرآن من إثبات العقائد وإقامة البراهين عليها، والرد على أصناف الكفار.

والآخر: أن الطوائف المختلفة من المسلمين تعلقوا بالقرآن، وكل طائفة منهم تحتج لمذهبها بالقرآن، وترد على من خالفها وتزعم أنه خالف القرآن، ولا شك أن منهم المحق والمبطل.

فمعرفة تفسير القرآن توصل في ذلك إلى التحقيق، مع التسديد والتأييد من الله والتوفيق.

وأما أصول الفقه: فإنها من أدوات تفسير القرآن على أن كثيرا من المفسرين لم يشتغلوا بها، وإنها لنعم العون على فهم المعاني وترجيح الأقوال، وما أحوج المفسر إلى معرفة: النص[١]، والظاهر[٢]، والمجمل[٣]، والمبين[٤]، والعام[٥]،

---

(١) النص: هو ما دل عليه اللفظ ولم يحتمل غيره، وبعض العلماء يطلقه على ما تقدم وعلى الظاهر، نشر البنود: ١/٢٧٣.

(٢) الظاهر: هو اسم للكلام الذي ظهر المراد منه للسامع بنفس الصيغة، ويكون محتملا للتأويل. التعريفات، ص: ١٨٥، ونشر البنود: ١/٢٧٤.

(٣) المجمل: ما له دلالة غير واضحة، ويعرف بأنه: ما لا يفهم المراد به من لفظه ويفتقر في بيانه إلى غيره، نشر البنود: ١/٧٠١.

(٤) المبين: هو ما أفاد معناه إما بالوضع أو بضميمة تبينه، وعرف أيضا بأنه: اللفظ الدال بالوضع على معنى إما بالأصالة وإما بعد البيان. انظر تقريب الوصول، ص: ١٦٣، ونشر البنود: ١/٧١٢، وشرح تنقيح الفصول، ص: ٢٧٤.

(٥) العام: لفظ يستغرق الصالح له دفعة من غير حصر. نشر البنود: ١/٥١٣، والتعريفات، ص: ١٨٨.

والخاص[١]، والمطلق[٢]، والمقيد[٣]، وفحوى الخطاب[٤]، ولحن الخطاب[٥]، ودليل الخطاب[٦]، وشروط النسخ، ووجوه التعارض، وأسباب الخلاف، وغير ذلك من علم الأصول.

وأما اللغة: فلا بد للمفسر من حفظ ما ورد في القرآن منها، وهي: غريب القرآن وهي فن من فنون التفسير، وقد صنف الناس في غريب القرآن تصانيف كثيرة وقد ذكرنا بعد هذه المقدمة مقدمة في اللغات الكثيرة الدوران في القرآن؛ لئلا نحتاج أن نذكرها حيثما وقعت، فيطول الكتاب بكثرة تكرارها.

وأما النحو: فلا بد للمفسر من معرفته، فإن القرآن نزل بلسان العرب فيحتاج إلى علم اللسان.

والنحو ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: عوامل الإعراب، وهي: أحكام الكلام المركب.

والآخر: التصريف، وهو: أحكام الكلمات قبل تركيبها.

---

(١) الخاص كل لفظ وضع لمعنى معلوم على الانفراد التعريفات، ص: ١٢٨.

(٢) المطلق ما يدل على واحد غير معين. التعريفات، ص: ٢٨٠.

(٣) المقيد: ما قيد ببعض صفاته التعريفات، ص: ٢٩٢، ونشر البنود: ١/٦٨٧.

(٤) فحوى الخطاب يسمى تنبيه الخطاب ومفهوم الموافقة انظر نشر البنود: ١/٢٩٢.

(٥) لحن الخطاب هو ما حذف من الكلام ولا يستقل المعنى إلا به، انظر تقريب الوصول، ص: ١٦٧، وانظر شرح تنقيح الفصول، ص: ٤٣٨، وذكر صاحب المراقي أن لحن الخطاب قسم من مفهوم الموافقة حيث قال:

وقيل ذا فحوى الخطاب والذي ساوى بلحنه دعاه المحتذي

قال سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي الشنقيطي في نشر البنود: يعني أن بعضهم جعل الموافقة قسمين، أحدهما: فحوى الخطاب وهو ما كان المسكوت فيه أولى بالحكم من المنطوق، والآخر: هو ما كان مساويا له فيه وسمي هذا لحن الخطاب. ١/٢٩٢.

(٦) دليل الخطاب هو مفهوم المخالفة، وهو إثبات نقيض حكم المنطوق به للمسكوت عنه. انظر تقريب الوصول، ص: ١٦٩.

وقد ذكرنا في هذا الكتاب من إعراب القرآن ما يحتاج إليه؛ من المشكل والمختلف فيه، أو ما يفيد فهم المعنى، أو يختلف المعنى باختلافه، ولم نتعرض لما سوى ذلك من الإعراب السهل الذي لا يحتاج إليه إلا المبتدئ، فإن ذلك تطويل بغير كبير فائدة.

وأما علم البيان: فهو علم شريف، تظهر به فصاحة القرآن، وقد ذكرنا منه في هذا الكتاب فوائد فائقة، ونكتاً مستحسنة رائقة، وجعلنا في المقدمات بابا في أدوات البيان؛ ليفهم به ما يرد منها مفرقا في مواضعه من القرآن.

❊❊ ❊❊ ❊❊

الباب الخامس

في أسباب الخلاف بين المفسِّرين، والوجوه التي يرجح بها بين أقوالهم

فأما أسباب الخلاف فهي اثنا عشر:

الأول: اختلاف القراءات.

الثاني: اختلاف وجوه الإعراب وإن اتفقت القراءة.

الثالث: اختلاف اللغويين في معنى الكلمة.

الرابع: اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر.

الخامس: احتمال العموم أو الخصوص.

السادس: احتمال الإطلاق أو التقييد.

السابع: احتمال الحقيقة أو المجاز.

الثامن: احتمال الإضمار أو الاستقلال.

التاسع: احتمال كون الكلمة زائدة أو غير زائدة.

العاشر: احتمال كون[1] الكلام على الترتيب، أو على التقديم والتأخير.

الحادي عشر: احتمال أن يكون الحكم منسوخا أو محكما.

الثاني عشر: اختلاف الرواية في التفسير عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعن السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

---

(١) في (ف): (حمل).

وأما وجوه الترجيح وهي اثنا عشر:

الأول: تفسير بعض القرآن ببعض؛ فإذا دل موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال.

الثاني: حديث النبي ﷺ؛ فإذا ورد عنه عليه الصلاة والسلام تفسير شيء من القرآن عولنا عليه، لا سيما إن ورد في الحديث الصحيح.

الثالث: أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين، فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه.

الرابع: أن يكون القول قول من يقتدى به من الصحابة كالخلفاء الأربعة، وعبد الله بن عباس، لقول رسول الله ﷺ: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»[1].

الخامس: أن يدل على صحة القول كلام العرب من اللغة والإعراب، أو التصريف، أو الاشتقاق.

السادس: أن يشهد لصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله أو ما بعده.

السابع: أن يكون ذلك المعنى هو[2] المتبادر إلى الذهن، فإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه.

الثامن: تقديم الحقيقة على المجاز، فإن الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ عند الأصوليين، وقد يترجح المجاز إذا كثر استعماله حتى يصير أغلب استعمالا من الحقيقة، ويسمى مجازا راجحا والحقيقة مرجوحة، وقد اختلف العلماء أيهما

---

(١) حديث صحيح رواه أحمد في المسند، الحديث رقم): ١٨٥٢)، وابن حبان في صحيحه الحديث: ١٥/٥٣١ رقم: (٧٠٥٥)، وفي البخاري: «اللهم فقهه في الدين» الحديث رقم: (١٤٣)، وفي رواية أخرى اللهم علمه الحكمة. فتح الباري لابن حجر: ١/١٧٠، ومجمع الزوائد للهيثمي: ٩/٢٧٦.

(٢) هو ساقط من (أ).

يقدم؟ فمذهب أبي حنيفة تقديم الحقيقة لأنها الأصل، ومذهب أبي يوسف تقديم المجاز الراجح لرجحانه، وقد يكون المجاز أفصح وأبرع، فيكون أرجح.

التاسع: تقديم العموم على الخصوص، فإن العموم أولى لأنه الأصل، إلا أن يدل دليل على التخصيص.

العاشر: تقديم الإطلاق على التقييد، إلا أن يدل دليل على التقييد.

الحادي عشر: تقديم الاستقلال على الإضمار إلا أن يدل دليل على الإضمار.

الثاني عشر: حمل الكلام على ترتيبه، إلا أن يدل دليل على التقديم والتأخير.



الباب السادس
في ذكر المفسِّرين

اعلم أن السلف الصالح انقسموا على فرقتين، فمنهم من فسر القرآن وتكلم في معانيه، وهم الأكثرون[١] ومنهم من توقف عن الكلام فيه احتياطا، لما ورد من التشديد في ذلك؛ فقد قالت عائشة رضي الله عنها: ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر من القرآن إلا آيات تعد[٢]، علمه إياهن جبريل[٣] وقال صلى الله عليه وسلم: «**من قال في القرآن برأيه وأصاب فقد أخطأ**»[٤].

وتأول المفسرون حديث عائشة رضي الله عنها بأنه في مغيبات القرآن التي لا تعلم إلا بتوقيف من الله تعالى، وتأولوا الحديث الآخر: بأنه فيمن تكلم في القرآن بغير علم ولا أدوات، لا فيمن تكلم فيما تقتضيه أدوات العلوم، ونظر في أقوال العلماء

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: يجب أن يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه فقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ يتناول هذا وهذا.، وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا، انظر مقدمة في أصول التفسير، ص: ١٤، وقد عرض مجاهد القرآن جميعا على ابن عباس. انظر المصنف رقم (٢٩٩٢٠)، ومقدمة أصول التفسير، ص: ١٦.

(٢) في (ف) و(ع): (إلا الآيات بعد).

(٣) هذا الأثر لا يثبت كما قال الحافظ ابن كثير: إنه حديث منكر غريب، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ١/١٤.

(٤) ضعيف رواه الترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٩٥٢)، وفضائل القرآن للنسائي: ١/١٣٥، وكنز العمال رقم (٢٩٥٧)، والجامع الصغير، وضعفه الألباني انظر ضعيف الجامع الصغير (٥٧٣٦)، والطبري: ١/٥٨، والقرطبي: ١/٦٦.

المتقدمين، فإن هذا لم يقل في القرآن برأيه.

واعلم أن المفسرين على طبقات:

فالطبقة الأولى: الصحابة رضي الله عنهم، وأكثرهم كلاما في التفسير:

ابن عباس(١)، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٢) يثني على تفسير ابن عباس ويقول: كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق(٣).

وقال ابن عباس: ما عندي من تفسير القرآن فهو عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه(٤)، ويتلوهما: عبد الله بن مسعود(٥)، وأبي بن كعب،(٦) وزيد بن ثابت، ثم عبد الله بن عمر بن الخطاب(٧)، وعبد الله بن عمرو بن العاص(٨)، وكلما جاء

---

(١) هو حبر الأمة عبد الله بن عباس ت: ٦٨هـ بالطائف رضي الله عنه.

(٢) هو الخليفة الراشد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ت: ٤٠هـ.

(٣) انظر تفسير بن عطية: ١/٣٠ط أولى: ١٣٩٨هـ، وأثنى عليه غيره من الصحابة كابن مسعود الذي يقول فيه: نعم ترجمان القرآن ابن عباس. انظر تفسير الطبري: ١/٦٥، ومقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، ص: ٦٠.

(٤) ويقول ابن عطية عن الإمام علي: فأما صدر المفسرين والمؤيد فيهم فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويتلوه عبد الله بن عباس، وهو تجرد للأمر وكمله، انظر المحرر الوجيز: ١/٢٩، وقال السيوطي: عن علي رضي الله عنه قال: «والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت، وأين نزلت، وعلى من نزلت، إن ربي وهب لي قلبا عقولا، ولسانا صادقا ناطقا».

(٥) هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن سمح يكنى بأبي عبد الرحمن وكان يقال له ابن أم عبد، كان من أعلم الصحابة بالقرآن يقول: والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته. البخاري رقم: (٥٠٠٢)، ومسلم (٢٤٦٢)، ومقدمة في أصول التفسير، ص: ٦٠، توفي ابن مسعود: ٣٢هـ.

(٦) هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد الأنصاري النجاري أبو المنذر كان من أصحاب العقبة الثانية وهو من كبار علماء الصحابة رضي الله عنهم ت: ٢٢هـ انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: ١/٣٨٩، والإصابة: ١/١٦.

(٧) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي الصحابي الجليل ت: ٨٤هـ.

(٨) هو عبد الله بن عمرو بن العاص كان من علماء الصحابة وفضلائهم قيل: توفي سنة: ٦٣هـ.

من التفسير عن الصحابة فهو حسن مقبول[١].

والطبقة الثانية: التابعون، وأحسنهم كلاما في التفسير: الحسن بن أبي الحسن البصري[٢]، وسعيد بن جبير[٣]، ومجاهد[٤] مولى ابن عباس، وعلقمة[٥] صاحب عبد الله بن مسعود، ويتلوهم: عكرمة[٦]، وقتادة[٧]، والسدي[٨]، والضحاك بن مزاحم[٩]، ....

(١) قوله: (مقبول) ساقط من (أ).

(٢) هو الحسن بن أبي الحسن البصري أبو سعيد مولى الأنصار وهو أحد كبار التابعين الأجلاء علما وعملا ت: ١١٠هـ.

(٣) هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي وكنيته أبو عبد الله قرأ على ابن عباس وكان من كبار التابعين علما وفضلا وصدقا وعبادة وأعلمهم بالقرآن، ت: ٩٥هـ تقريبا. انظر ترجمته في حلية الأولياء: ٤/٢٧٢، وطبقات القراء: ١/٣٠.

(٤) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج القرشي المخزومي مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، كان من أصحاب ابن عباس، قال مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها. أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف رقم: (٣٠٢٧٨)، ومقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص: ٦٤، وقول المؤلف: مولى ابن عباس، إذا كان يقصد أنه تلميذه وناصره فذلك صحيح، وإذا كان يقصد أنه مولاه بمعنى معتقه فذلك غير صحيح، كما تقدم. توفي مجاهد سنة: ١٠٣هـ.

(٥) هو علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك أبو شبل النخعي الكوفي كان من أكابر أصحاب ابن مسعود وعلمائهم ت: ٦١هـ، وقيل: ٦٢.

(٦) هو عكرمة بن عبد الله البربري المدني مولى ابن عباس كان ابن عباس يجتهد في تعليمه حتى بلغ الغاية القصوى ت: ١٠٧هـ.

(٧) هو قتادة بن دعامة السدوسي الأكمه أبو الخطاب عربي الأصل كان يسكن البصرة أحد علماء التابعين ت: ١١٧هـ.

(٨) السدي: هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي مولى قريش أبو محمد الكوفي، كان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس ت: ١٢٨هـ.

(٩) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي مولاهم الخراساني يكنى أبا القاسم اشتهر بالتفسير ت: ١٠٥هـ.

وأبو صالح[١]، وأبو العالية[٢].

ثم حمل تفسير القرآن عدول كل خلف[٣]، وألف الناس فيه: كالمفضل[٤] وعبد الرزاق[٥] وعبد بن حميد[٦] والبخاري[٧] وعلي بن أبي طلحة[٨] وغيرهم.

ثم إن محمد بن جرير الطبري[٩] جمع أقوال المفسرين وأحسن النظر فيها، وممن صنف في التفسير أيضا: أبو بكر النقاش[١٠] والثعلبي[١١] والماوردي[١٢] إلا

---

(١) هو ذكوان المدني أبو صالح السمان روى عن عائشة وأبي الدرداء وأبي هريرة وسمع عنه الأعمش ألف حديث ت: ١٠١هـ.

(٢) أبو العالية هو زياد، وقيل: رفيع بن مهران الرياحي مولاهم، مخضرم أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ بسنتين، كان من ثقات التابعين، وأجمع عليه أصحاب الكتب الستة.

(٣) يشير إلى الحديث: يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين. التمهيد لابن عبد البر: ٥٩/١، ومجمع الزوائد: ٦٠١، وكنز العمال، الحديث رقم (٢٨٩١٨)، وتكلم بعض أهل العلم في بعض رجال هذا الحديث، ووصفه بعضهم بالحسن.

(٤) المفضل بن مهلهل السعدي أبو عبد الرحمن الكوفي مات سنة: ١٦٧هـ.

(٥) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري أبو بكر الصنعاني أحد الأيمة الأعلام الحفاظ ت: ٢١١هـ.

(٦) عبد بن حميد بن نصر الكشي أبو محمد الحافظ مؤلف المسند والتفسير ت: ٢٤٦هـ.

(٧) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي مولاهم، الإمام العلم صاحب الصحيح مات سنة: ٢٥٦هـ.

(٨) هو علي بن أبي طلحة روى التفسير عن ابن عباس ورواه عنه معاوية بن صالح، انظر الطبقات الكبرى: ٣١٧/٧.

(٩) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الإمام أبو جعفر الطبري أبو التفاسير ت: ٣١٠هـ.

(١٠) هو محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون الموصلي إمام أهل العراق في القراآت والتفسير ت: ٣٥١هـ.

(١١) الثعلبي هو أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري كان إماما كبيرا بارعا في العربية توفي سنة: ٤٢٧هـ.

(١٢) الماوردي هو علي بن محمد بن حبيب القاضي أبو الحسن الماوردي البصري الشافعي من تصانيفه الحاوي في الفقه، وتفسير للقرآن، والأحكام السلطانية، وغيرها ت: ٤٥٠هـ.

أن كلامهم يحتاج إلى تنقيح، وقد استدرك الناس على بعضهم.

وصنف أبو محمد بن قتيبة[١] في غريب القرآن ومشكله وكثير من علومه، وصنف في معاني القرآن جماعة من النحويين؛ كأبي إسحق[٢] الزجاج[٣] وأبي علي الفارسي[٤] وأبي جعفر النحاس[٥].

وأما أهل المغرب والأندلس: فصنف القاضي منذر بن سعيد البلوطي[٦] كتابا في غريب القرآن وتفسيره، ثم صنف المقرئ[٧] أبو محمد مكي بن أبي طالب[٨] كتاب الهداية في تفسير القرآن، وكتابا في غريب القرآن، وكتابا في ناسخ القرآن ومنسوخه، وكتابا في إعراب القرآن، إلى غير ذلك من تواليفه فإنها نحو ثمانين تأليفا، أكثرها في علوم القرآن؛ من القراءات، والتفسير، وغير ذلك.

وأما أبو عمرو الداني[٩] فتآليفه تنيف على مائة وعشرين، إلا أن أكثرها في

---

(١) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين من كتبه مشكل القرآن، وتأويل مختلف الحديث، والمشتبه من الحديث والقرآن، وغير ذلك ت: ٢٧٦هـ.

(٢) في (ف): (والزجاج) بالعطف وهو خطأ والصواب ما أثبتنا من النسخ الأخرى.

(٣) هو إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج، صنف كتاب معاني القرآن، وكتبا أخرى ت: ٣١١هـ.

(٤) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو علي الفارسي النحوي المشهور مؤلف الحجة في القراآت، ت: ٣٧٧هـ.

(٥) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري أبو جعفر النحاس مفسر أديب، ت: ٣٣٧هـ.

(٦) هو المنذر بن سعيد البلوطي أبو الحكم الأندلسي الإمام المحدث الفقيه، كان خطيبا مفوها، وكان حاضر الجواب قوي البديهة له تآليف بارعة في أحكام القرآن ت: ٣٥٥هـ وهو يتولى القضاء وعمره: ٩٠ سنة.

(٧) في (ف): (المغربي).

(٨) مكي بن أبي طالب هو أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي النحوي المقرئ توفي سنة: ٤٣٧هـ.

(٩) هو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني الأموي الإمام العلامة الحافظ شيخ المقرئين صاحب التآليف الكثيرة في علوم القرآن ت: ٤٤٤هـ.

القراءات ولم يؤلف في التفسير إلا قليلاً.

وأما أبو العباس المهدوي[١] فمتقن التآليف، حسن الترتيب، جامع لفنون علوم القرآن.

ثم جاء القاضيان؛ أبو بكر بن العربي[٢] وأبو محمد عبد الحق بن عطية[٣] فأبدع كل واحد منهما وأجمل، واحتفل وأكمل.

فأما ابن العربي فصنف كتاب: «أنوار الفجر» في غاية الاحتفال والجمع لعلوم القرآن، فلما تلف تلافاه بكتاب: «قانون التأويل» إلا أنه اخترمته المنية قبل تخليصه وتلخيصه، وألف في سائر علوم القرآن تآليف مفيدة.

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن عمر المهدوي التميمي أحد كبار المفسرين وأئمة القرآت بإفريقية ومع ذلك لم يحظ بترجمة وافية، نشأ بالمهدية التي ينسب إليها واقتصر تكوينه الأساسي على علمائها، وأشهر شيوخه علي القابسي ت: ٤٠٣هـ كما تتلمذ على جده لأمه مهدي بن إبراهيم وغيرهما، هاجر إلى الأندلس بعد أن اكتمل نضجه العلمي. له مؤلفات كثيرة في القرآت والتفسير، فمن كتبه في التفسير «التفصيل الجامع لعلوم التنزيل» واختصره في كتاب «التحصيل لفوائد التفصيل» يقع في أربع مجلدات، ومن كتبه في القرآت: بيان السبب الموجب لاختلاف القرآت، وهجاء مصاحف الأمصار، وله نظم للطاآت في القرآن وشرحه، والمهدوي هو الذي ذكره الإمام الشاطبي في باب الاستعاذة بقوله:

وإخفاؤه فصل أباه وعاتنا ... وكم من فتى كالمهدوي فيه أعملا

كما ذكر ذلك الداودي في طبقات المفسرين: ٥٦/١، والوافي على الشاطبية، ص: ٣٣. من تلاميذه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الأزدي، وأبو عبد الله محمد بن عيسى بن فرج الطليطلي وغيرهم. ت: نحو: ٤٤٠هـ كما قال الزركلي في الأعلام، وقال الذهبي توفي بعد الثلاثين وأربعمائة. انظر الأعلام: ١٨٤/١، وغاية النهاية في طبقات القراء: ٩٢/١، وطبقات المفسرين للداودي: ٥٦/١، والتفسير واتجاهاته بإفريقية للدكتورة وسيلة بلعيد من، ص: ١٤٩ ـ ٣٢١.

(٢) تقدمت ترجمته ص ٧٦.

(٣) ابن عطية هو الإمام القاضي والحافظ المجود أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عطية المحاربي الأندلسي الغرناطي مؤلف كتاب: المحرر الوجيز، ولد سنة: ٤٨١هـ وتوفي سنة: ٥٤٦هـ وقيل: ٥٤١هـ.

وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التواليف وأعدلها، فإنه اطلع على تآليف من كان قبله فهذبها ولخصها، وهو مع ذلك حسن العبارة، مسدد النظر، محافظ على السنة.

ثم ختم علم القرآن بالأندلس وسائر المغرب بشيخنا الأستاذ أبي جعفر بن الزبير[١] فلقد قطع عمره في خدمة القرآن، وآتاه الله بسطة في علمه، وقوة في فهمه، وله فيه تحقيق، ونظر دقيق.

ومما بأيدينا من تآليف أهل المشرق تفسير أبي القاسم الزمخشري[٢]، وأبي الفضل الغزنوي[٣]، وأبي الفضل ابن الخطيب[٤].

فأما الزمخشري: فمسدد النظر، بارع في الإعراب، متقن في علم البيان؛ إلا أنه ملأ كتابه من مذاهب المعتزلة ونصرهم، وحمل آيات القرآن على طريقتهم، فتكدر صفوه، وتمرر حلوه، فخذ منه ما صفا، ودع ما كدر.

---

(١) هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن الزبير بن عاصم الإمام العلامة المقرئ المحدث الحافظ عالم الأندلس صاحب التصانيف المفيدة من كبار شيوخ ابن جزي وقد تقدمت ترجمته عند الكلام على شيوخ ابن جزي.

(٢) هو محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري النحوي اللغوي المتكلم المفسر يلقب بجار الله لأنه جاور بمكة زمانا من تآليفه الكشاف وغير ذلك ت: ٥٣٨هـ.

(٣) الغزنوي نسبة إلى غزنة مدينة في أفغانستان وقد نسب إليها أكثر من مفسر، وقول المؤلف هنا «وفيه من التصوف نكت بديعة» تجعلنا نظن أنه أبو بكر بن أحمد بن إسماعيل بن عيسى الغزنوي ت: ٥٢٠هـ طبقات المفسرين للداودي: ٣١/١، غير أن النقولات التي نقلها ابن جزي عن الغزنوي كلها في مجال اللغة فيحتمل أن يكون أبا علي عالي بن إبراهيم بن إسماعيل الملقب بتاج الشريعة توفي في حدود: ٥٨٢هـ ذكر هذا كله الدكتور الزبيري في كتابه ابن جزي ومنهجه في التفسير: ٢٩١/١، ٢٩٢.

(٤) ابن الخطيب هو فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي المعروف بابن الخطيب، وتفسيره المسمى بالتفسير الكبير، وبمفاتيح الغيب، شهير مطبوع في ثمان مجلدات ت: ٦٠٦هـ كشف الظنون: ٢٣١/١.

وأما الغزنوي: فكتابه مختصر جامع، وفيه من التصوف نكت بديعة.

وأما ابن الخطيب: فتضمن كتابه ما في كتاب الزمخشري وزاد عليه: إشباع الكلام، في قواعد علم الكلام، ونمقه بترتيب المسائل، وتدقيق النظر في بعض المواضع، وهو على الجملة كتاب كبير الجرم، وربما يحتاج إلى تنخيل وتلخيص.

والله ينفع الجميع بخدمة كتابه، ويجزيهم أفضل ثوابه.

** ** **

الباب السابع

في الناسخ والمنسوخ

النسخ في اللغة: هو الإزالة، أو النقل. ومعناه في الشريعة: رفع الحكم الشرعي بعد تقرره[(١)]، ووقع في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول: نسخ اللفظ والمعنى[(٢)]، كقوله: «لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم»[(٣)].

والثاني: نسخ اللفظ دون المعنى، كقوله: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم»[(٤)].

الثالث: نسخ المعنى دون اللفظ وهو كثير، وقع منه في القرآن على ما عده[(٥)] بعض العلماء مائتا موضع وثنتا عشرة[(٦)] مواضع منسوخة، إلا أنهم عدوا التخصيص

---

(١) هذا التعريف للنسخ جيد، ويضاف إليه قيد لازم وهو «بحكم متأخر عنه».

(٢) قول ابن جزي أن الحديث الآتي، معناه منسوخ فيه نظر، فانتساب الرجل لغير أبيه لم ينسخ، فلا زال من المقرر في الشريعة الإسلامية أن انتساب الابن لغير أبيه حرام، قال تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾، وقال ﷺ: «ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر» رواه البخاري: ٢/٢٦٦، وفي الموضوع نصوص أخرى بهذا المعنى. والأولى التمثيل بحديث عائشة رضي الله عنها «كان فيما أنزل على محمد ﷺ: عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخن بخمس...» صحيح مسلم انظر مسلم بشرح النووي: ١٠/٢٩.

(٣) البخاري الحديث رقم: (٦٤٤٢)، ومسند أحمد الحديث رقم: (٣٣١)، ومسند الطيالسي الحديث رقم: (٥٦)، والمعجم الكبير الحديث رقم: (٤٨٠٧)، والبزار الحديث رقم: (١٩٤).

(٤) البخاري: ٤/١٧٩، ومسلم: ٣/١٣١٧، ورواه مالك في الموطإ.

(٥) في (أ): (عد).

(٦) في (ف) و(ع): (وثنتان وعشرة).

والتقييد والاستثناء نسخا، وبين هذه الأشياء وبين النسخ فروق معروفة، وسنتكلم على ذلك في مواضعه، ونقدم منها ما جاء من نسخ مسالمة الكفار، والعفو عنهم، والإعراض، والصبر على أذاهم، بالأمر بقتالهم ليغني ذلك عن تكراره في مواضعه، فإنه وقع منه في القرآن مائة آية وأربع عشرة آية، من أربع وخمسين سورة[1].

ففي البقرة: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [الآية ٨٢]. ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا﴾ [الآية: ١٣٨]. ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ [الآية: ١٨٩] أي لا تبدءوا بالقتال. ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ﴾ [الآية: ١٩٠]، ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [الآية: ٢١٥]. ﴿لَا إِكْرَاهَ﴾ [الآية: ٢٥٤].

وفي آل عمران: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ [الآية: ٢٠]. ﴿مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [الآية: ٢٨].

وفي النساء: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾، في موضعين [الآية: ٦٢، ٨٠]. ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [الآية: ٧٩]. ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ [الآية: ٨٣]. ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ [الآية: ٨٩].

وفي المائدة: ﴿وَلَا آمِّينَ﴾ [الآية: ٣]. ﴿عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ﴾ [الآية: ٩٤ و١٠١]. ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [الآية: ١٠٧].

وفي الأنعام: ﴿لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الآية: ٦٧]. ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الآية: ٩٢]. ﴿عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [الآية: ١٠٥]. ﴿وَأَعْرِضْ﴾ [الآية: ١٠٧]. ﴿عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [الآية: ١٠٨]. ﴿وَلَا تَسُبُّوا﴾ [الآية: ١٠٩]. ﴿فَذَرْهُمْ﴾ في موضعين [الآية: ١١٣، ١٣٨]. ﴿يَا قَوْمِ اعْمَلُوا﴾ [الآية: ١٣٦]. ﴿قُلِ انْتَظِرُوا﴾ [الآية: ١٥٩]. ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الآية: ١٦٠].

---

(١) لم يذكر هنا حسب النسخ التي بحوزتنا إلا اثنتين وخمسين سورة فقط، أما ابن حزم الذي يبدو أن ابن جزي متأثر به في باب النسخ فقد ذكر: ٤٨ سورة فقط، انظر الناسخ والمنسوخ لابن حزم بهامش الجلالين، ص: ٢٦٥.

وفي الأعراف: ﴿وَأَعْرِضْ﴾ [الآية: ١٩٩]. ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ [الآية: ١٨٣].

وفي الأنفال: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ﴾ [الآية: ٧٣]، يعني المعاهدين[١].

وفي التوبة: ﴿فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ [الآية: ٧].

وفي يونس: ﴿فَانتَظِرُوا﴾ [الآية: ٢٠]، ﴿فَقُل لِّي عَمَلِي﴾ [الآية: ٤١]، ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ [الآية: ٤٦]. ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [الآية: ٦٥] لما يقتضي من الإمهال. ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ﴾ [الآية: ٩٩]، ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ [الآية: ١٠٨]، لأن معناه الإمهال، ﴿وَاصْبِرْ﴾ [الآية: ١٠٩].

وفي هود: ﴿إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ﴾ [الآية: ١٢] أي تنذر ولا تجبر. ﴿اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ [الآية: ٩٣]. ﴿وَانتَظِرُوا﴾ [الآية: ١٢١].

وفي الرعد: ﴿عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ [الآية: ٤١].

وفي الحجر: ﴿ذَرْهُمْ﴾ [الآية: ٣] ﴿فَاصْفَحِ﴾ [الآية: ٨٥] ﴿لَا تَمُدَّنَّ﴾ [الآية: ٨٨] ﴿أَنَا النَّذِيرُ﴾ [الآية: ٨٩]، ﴿وَأَعْرِضْ﴾ [الآية: ٩٤].

وفي النحل: ﴿إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الآية: ٣٥]. ﴿عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ [الآية: ٨٢]: ﴿وَجَادِلْهُم﴾ [الآية: ١٢٥]. ﴿وَاصْبِرْ﴾ [الآية: ١٢٧].

وفي الإسراء: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ [الآية: ٥٤].

وفي مريم: ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ [الآية: ٣٨] ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ [الآية: ٧٥]. ﴿فَلَا تَعْجَلْ﴾ [الآية: ٨٤]

وفي طه: ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ﴾ [الآية: ١٣٤].

وفي الحج: ﴿وَإِن جَادَلُوكَ﴾ [الآية: ٦٨].

---

(١) في (أ): (المجاهدين).

وفي المؤمنين: ﴿فَذَرْهُمْ﴾ [الآية: ٥٥]. ﴿ٱدْفَعْ﴾ [الآية: ٩٧].

وفي النور: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الآية: ٥٢].

وفي النمل: ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [الآية: ٩٤].

وفي القصص: ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا﴾ [الآية ٥٥].

وفي العنكبوت: ﴿أَنَا۠ نَذِيرٌ﴾ [الآية ٥٠]، لما يقتضي من عدم الإجبار.

وفي الروم: ﴿فَٱصْبِرْ﴾ [الآية: ٦٠].

وفي لقمان: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ [الآية: ١١].

وفي السجدة: ﴿وَٱنتَظِرْ﴾ [الآية: ٣٠].

وفي الأحزاب: ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ [الآية: ٤٨].

وفي سبإ: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ﴾ [الآية: ٢٥].

وفي فاطر: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [الآية: ٢٣].

وفي يس: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ﴾ [الآية: ٧٥].

وفي الصافات: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ [الآية: ١٧٣]، ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ [الآية: ١٧٧] وما يليهما.

وفي ص: ﴿ٱصْبِرْ﴾ [الآية: ١٦]. ﴿أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ [الآية: ٦٤].

وفي الزمر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية: ٣]، لما فيه من الإمهال. ﴿فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم﴾ [الآية: ١٤] ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ﴾ [الآية: ٣٧]. ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [الآية: ٣٨]. ﴿أَنتَ تَحْكُمُ﴾ [الآية: ٤٣]، لأن فيه تفويضا.

وفي المؤمن: ﴿فَاصْبِرْ﴾، في موضعين [الآية: ٥٥ والآية: ٧٦].

وفي فصلت: ﴿ادْفَعْ﴾ [الآية: ٣٣].

وفي الشورى: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الآية: ٤]. و﴿لَنَا أَعْمَالُنَا﴾ [الآية: ١٣]. ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ [الآية: ٤٥].

وفي الزخرف: ﴿فَذَرْهُمْ﴾ [الآية: ٨٣]. ﴿فَاصْفَحْ﴾ [الآية: ٨٩].

وفي الدخان: ﴿فَارْتَقِبْ﴾ [الآية: ٥٦].

وفي الجاثية: ﴿يَغْفِرُوا﴾ [الآية: ١٣].

وفي الأحقاف: ﴿فَاصْبِرْ﴾ [الآية: ٣٤].

وفي القتال: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ﴾ [الآية: ٤].

وفي ق: ﴿فَاصْبِرْ﴾ [الآية: ٣٩]. ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [الآية: ٤٥].

وفي الذاريات: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ [الآية: ٥٤].

وفي الطور: ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾ [الآية: ٣٠]. ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الآية: ٤٦]. ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا﴾ [الآية: ٤٣].

وفي النجم: ﴿فَأَعْرِضْ﴾ [الآية: ٢٨].

وفي القمر: ﴿فَتَوَلَّ﴾ [الآية: ٦].

وفي ن: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الآية: ٤٨]. ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ [الآية: ٤٤].

وفي المعارج: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [الآية: ٥]. ﴿فَذَرْهُمْ﴾ [الآية: ٤٢].

وفي المزمل: ﴿وَاهْجُرْهُمْ﴾ [الآية: ١٠]. ﴿وَذَرْنِي﴾ [الآية: ١١].

وفي المدثر: ﴿ذَرْنِي﴾ [الآية: ١١].

وفي الإنسان ﴿فَاصْبِرْ﴾ [الآية: ٢٤].

وفي الطارق: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾ [الآية: ١٦].

وفي الغاشية: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الآية: ٢٢].

وفي الكافرين: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ [الآية: ٦].

نسخ ذلك كله: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة التوبة آية ٥][1]. و﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ [سورة البقرة آية ٢١٤].

❊❊ ❊❊ ❊❊

---

(١) الآية بكمالها هي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة الآية: ٥].

قال هبة الله بن سلامة بن نصر المقري:

قوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ الآية مستثنى منها بقوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ ...

وهذه الآية من أعاجيب آي القرآن لأنها نسخت من القرآن مائة وأربعا وعشرين آية، ثم نسخها الله تعالى بعد، ثم استثنى من ناسخها فنسخه بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ وهي آية السيف نسخت من القرآن مائة وأربعا وعشرين آية، ثم صار آخرها ناسخا لأولها، وهو قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ الناسخ والمنسوخ ص/ ٩٩ المكتب الإسلامي ـ بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٠٤.

الباب الثامن

في جوامع القراءات

وهي على نوعين؛ مشهورة، وشاذة.

فالمشهورة: القراءات السبع وهي: حرف نافع المدني[١] وابن كثير المكي[٢] وأبو عمرو بن العلاء البصري[٣] وابن عامر الشامي[٤] وعاصم[٥] وحمزة[٦] والكسائي[٧] الكوفيين.

ويجري مجراهم في الصحة والشهرة:

(١) هو نافع بن عبد الرحمن أبو رؤيم الليثي أصله من أصفهان وهو مولى جعونة أحد القراء السبعة والأعلام، ثقة صالح، قال مالك بن أنس: قراءة أهل المدينة سنة، قيل له: قراءة نافع؟ قال: نعم، وقال عبد الله بن أحمد: سألت أبي أي القراءة أحب إليك؟ قال: قراءة أهل المدينة. توفي نافع سنة: ١٦٩هـ انظر غاية النهاية: ٢/٣٣٠، ومعرفة القراء الكبار: ١/٢٩٧.

(٢) هو عبد الله بن كثير الداري المكي أبو معبد أحد القراء السبعة، ت: ١٢٠هـ انظر النشر: ١/١٢٠.

(٣) هو أبو عمرو بن العلاء البصري المازني التميمي أحد القراء السبعة ت: ١٥٤هـ انظر غاية النهاية: ١/٤٤٣.

(٤) هو عبد الله بن عامر اليحصبي أبو عمران مقرئ أهل الشام وأحد القراء السبعة ت: ١١٨هـ انظر النشر: ١/١٤٤، ومعرفة القراء الكبار: ١/٦٧.

(٥) هو عاصم بن أبي النجود أبو بكر الأسدي مولاهم الكوفي أحد القراء السبعة ت: ١٢٧هـ انظر غاية النهاية: ١/٣٤٦، ومعرفة القراء الكبار: ١/٧٣.

(٦) هو حمزة بن عمارة الكوفي أحد الأيمة السبعة ت: ١٥٤هـ انظر النشر: ١/١٦٦، ومعرفة القراء الكبار: ١/٩٣.

(٧) هو علي بن حمزة النحوي الكوفي أبو الحسن أحد القراء السبعة ت: ١٨٩هـ انظر معرفة القراء الكبار: ١/١٠٠، والنشر: ١/١٧٢.

يعقوب الحضرمي[١] وابن محيصن[٢] ويزيد بن القعقاع[٣].

والشاذة: ما سوى ذلك[٤].

وإنما سميت شاذة لعدم استفاضتها في النقل، وقد تكون فصيحة اللفظ وقوية المعنى.

ولا يجوز أن يقرأ بحرف إلا بثلاثة شروط:

- موافقته لمصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه.
- وموافقته لكلام العرب ولو على بعض الوجوه، أو في بعض اللغات.
- ونقله نقلا متواترا أو مستفيضا[٥].

واعلم أن اختلاف القراء على نوعين؛ أصول، وفرش الحروف.

---

(١) هو يعقوب بن إسحاق البصري أحد القراء العشرة المشهورين ت: ٢٠٥هـ انظر معرفة القراء الكبار: ١/١٣٠، والنشر: ١/١٨٦.

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن محيصن كان شيخا لأبي عمرو بن العلاء من روايتي ابن شنبوذ والبزي توفي ابن محيصن سنة: ١٣٢هـ وعد ابن محيصن مع القراء العشرة غير صواب، فقراءته من القرآت الأربعة عشر والأربعة الزائدة على العشرة تعتبر من الشاذ عند أهل الفن على الصحيح، كما تقدم.

(٣) هو يزيد بن القعقاع المخزومي أبو جعفر المدني أحد القراء العشرة، تابعي جليل ت: ١٣٠ هـ انظر معرفة القراء الكبار: ١/٥٩، والنشر: ١/١٧٨.

(٤) أهمل المؤلف رحمه قراءة خلف بن هشام بن ثعلبة الأسدي البغدادي أبو محمد ت: ٢٢٩هـ وهي من القرآت العشرة المشهورة، التي يقرأ بها القرآن، انظر ترجمة خلف في غاية النهاية/٢٥٦، والأعلام: ٢/٣٦٠.

(٥) وإذا فقد ركن من هذه الأركان تكون القراءة شاذة، والقراءة الشاذة إذا جاءت بسند مقبول يحتج بها في الأحكام كخبر الواحد على المعتمد عند جمهور أهل العلم وخالف جمهور الشافعية وابن الحاجب في ذلك مستدلين على أن القراءة الشاذة لم تثبت قرآنيتها انظر البناني على جمع الجوامع: ١/٢٣٢، والإتقان: ١/٢٢٧، وروضة الناظر: ١/١٨١. أما الشنقيطي في أضواء البيان فإنه يقول: ولا نعتمد على البيان بالقراءة الشاذة الأضواء: ١/٥.

فأما الفرش: فهو ما لا يرجع إلى أصل مطرد، ولا قانون كلي، وهو على وجهين؛ اختلاف في القراءة باختلاف المعنى، وباتفاق المعنى.

وأما الأصول: فالاختلاف فيها لا يغير المعنى وهي ترجع إلى ثمان قواعد:

الأولى: المد، وهو في حروف المد الثلاثة، ويزاد فيها على المد الطبيعي بسبب الهمز، أو التقاء الساكنين.

الثانية: الهمز، وأصله التحقيق ثم قد يخفف على سبعة أوجه: إبداله واوا[١] أو ياء أو ألفا، وتسهيله بين الهمزة والواو، وبين الهمزة والياء، وبين الهمزة والألف، وإسقاطه.

الثالثة: الإدغام والإظهار، والأصل الإظهار، ثم يحدث الإدغام في المثلين، أو المتقاربين، وفي كلمة، وفي كلمتين.

وهو نوعان[٢]: إدغام كبير انفرد به أبو عمرو؛ وهو إدغام المتحرك. وإدغام صغير لجميع القراء، وهو إدغام الساكن.

الرابعة: الإمالة وهي: أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء. والأصل الفتح، ويوجب الإمالة: الكسر، أو الياء.

الخامسة: الترقيق والتفخيم، والحروف على ثلاثة أقسام:

- مفخم في كل حال، وهي حروف الاستعلاء السبعة[٣].

- ومفخم تارة ومرقق أخرى، وهي: الراء، واللام، والألف.

فأما الراء: فأصلها التفخيم، وترقق للكسر والياء.

---

(١) في (أ): (إبدال واو).

(٢) في (ف): (على نوعين).

(٣) يجمعها قولك: (قظ خص ضغط).

وأما اللام: فأصلها الترقيق، وتفخم لحروف الإطباق[1].

وأما الألف: فهي تابعة في التفخيم والترقيق لما قبلها.

ـ والمرقق على كل حال: سائر الحروف.

السادسة: الوقف، وهو على[2] ثلاثة أنواع: سكون جائز في الحركات الثلاث، وروم في المضموم والمكسور، وإشمام في المضموم خاصة.

السابعة: مراعاة الخط في الوقف.

الثامنة: إثبات الياءات وحذفها، وتسكينها وفتحها.

❊❊ ❊❊ ❊❊

(١) أحرف الإطباق أربعة، هي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، لكن اللام تغلظ بعد ثلاثة منها فقط على الصحيح، وهي الصاد المهملة، والطاء، والظاء، ولم تغلظ بعد الضاد، قال ابن بري في الدرر اللوامع:

غلظ ورش فتحة اللام يلي طاء وظاء ولصاد مهمل

(٢) قوله: (على) ساقط من (ف).

الباب التاسع

في المواقف

وهي أربعة أنواع: موقف تام، وحسن، وكاف، وقبيح. وذلك بالنظر إلى الإعراب والمعنى.

فإن كان الكلام مفتقرا إلى ما بعده في إعرابه أو معناه، وما بعده مفتقرا إليه كذلك: لم يجز الفصل بينهما، والوقف على الكلام الأول قبيح، وذلك الفصل بين كل معمول وعامله، وبين كل ذي خبر وخبره، وبين كل ذي جواب وجوابه، وبين كل ذي موصول وصلته.

وإن كان الكلام الأول مستقلا يفهم دون الثاني، إلا أن الثاني غير مستقل إلا بما قبله: فالوقف على الأول كاف، وذلك في التوابع والفضلات؛ كالحال، والتمييز، والاستثناء، وشبه ذلك، إلا أن وصل المستثنى[١] المتصل آكد من المنقطع، ووصل التوابع والحال إذا كانت أسماء مفردة آكد من وصلها[٢]، إذا كانت جملة.

وإن كان الكلام الأول مستقلا والثاني كذلك، فإن كانا في قصة واحدة: فالوقف على الأول حسن، وإن كانا في قصتين مختلفتين: فالوقف تام.

وقد يختلف الوقف باختلاف الإعراب، أو المعنى، ولذلك اختلف الناس في كثير من المواقف، ومن أقوالهم فيها راجح ومرجوح وباطل، وقد يوقف لبيان

(١) في (ف): (الاستثناء).

(٢) في (أ): (فصلها).

المراد، وإن لم يتم الكلام.

تنبيه: هذا الذي ذكرنا من رعي الإعراب والمعنى في المواقف، استقر عليه العمل، وأخذ به شيوخ المقرئين.

وكان الأوائل يراعون رؤوس الآيات، فيقفون عندها لأنها في القرآن كالفقر في النثر، والقوافي في الشعر.

ويؤيد ذلك ما أخرجه الترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها [١] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقطع قراءته، يقول: الحمد لله رب العالمين، ثم يقف، الرحمن الرحيم، ثم يقف[٢].

❊❊ ❊❊ ❊❊

---

(١) هي: هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومي أم المؤمنين، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، كنيتها أم سلمة توفيت بالمدينة سنة: ٦١هـ ودفنت بالبقيع كانت تعد من فقيهات الصحابيات. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢/٢٠٣، والاستيعاب لابن عبد البر: ٢/٢٧٣.

(٢) صحيح أخرجه أبو داود في سننه الحديث رقم: (٤٠٠١)، والترمذي في سننه واللفظ له الحديث رقم (٢٩٢٧)، وابن أبي شيبة في المصنف: ١٠/٥٢٤، وأبو عمرو الداني في الوقف والابتداء، ص: ١١٠.

الباب العاشر

في الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان

أما الفصاحة: فلها خمسة شروط:

الأول: أن تكون الألفاظ عربية لا مما أحدثه المولدون، ولا مما غلطت فيه العامة.

الثاني: أن تكون من الألفاظ المستعملة، لا من الوحشية المستثقلة.

الثالث: أن تكون العبارة واقعة على المعنى موفية له، لا قاصرة عنه.

الرابع: أن تكون العبارة سهلة سالمة من التعقيد[١].

الخامس: أن يكون الكلام سالما من الحشو الذي لا يحتاج إليه.

وأما البلاغة: فهي سياق الكلام على ما يقتضيه الحال والمقام من الإيجاز، والإطناب، ومن التهويل، والتعظيم، والتحقير، ومن التصريح، والكناية، والإشارة، وشبه ذلك بحيث يهز النفوس، ويؤثر في القلوب، ويقود السامع إلى المراد أو يكاد.

وأما أدوات البيان: فهي صناعة البديع، وهي: تزيين[٢] الكلام كما يزين العلم الثوب.

وقد وجدنا في القرآن منها: اثنين وعشرين نوعا، ونبهنا على كل نوع في المواضع التي وقع فيها من القرآن، ونذكر هنا أسماءها، ونبين معانيها.

---

(١) في (أ): (التغير)، وفي (ع): (التقصير).

(٢) في (ف) و(ع): (تزين).

النوع الأول: المجاز، وهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، لعلاقة بينهما وهو اثنا عشر نوعا؛ التشبيه، والاستعارة، والزيادة، والنقصان، وتسمية المجاور باسم مجاوره، والملابس باسم ملابسه، وإطلاق اسم الكل على البعض، وعكسه، وتسمية السبب باسم المسبب، وعكسه، والتسمية باعتبار ما يستقبل، والتسمية باعتبار ما مضى، وفي هذا خلاف، هل هو مجاز، أو حقيقة؟.

واتفق أكثر أهل علوم اللسان وأهل الأصول على وقوع المجاز في القرآن؛ لأن القرآن نزل بلسان العرب، وعادة فصحاء العرب استعمال المجاز، ولا وجه لمن منعه، لأن الواقع منه في القرآن أكثر من أن يحصى.

النوع الثاني: الكناية: وهي العبارة عن الشيء بما يلازمه، من غير تصريح.

الثالث: الالتفات، وهو: على ستة أنواع؛ خروج من التكلم إلى الخطاب أو الغيبة، وخروج من الخطاب إلى التكلم أو الغيبة، وخروج من الغيبة إلى التكلم، أو الخطاب.

الرابع: التجريد، وهو: ذكر شيء بعد اندراجه في لفظ عام متقدم، والقصد بالتجريد: تعظيم المجرد ذكره، أو تحقيره، أو رفع الاحتمال.

الخامس: الاعتراض، وهو إدراج كلام بين شيئين متلازمين، كالخبر والمخبر عنه، والصفة والموصوف، والمعطوف والمعطوف عليه، أو إدخاله في أثناء كلام متصل، والقصد به تأكيد الكلام الذي أدرج فيه.

السادس: التجنيس، وهو اتفاق اللفظ مع اختلاف المعنى، ثم إن الاتفاق قد يكون في الحروف والصيغة، أو في الحروف خاصة، أو في أكثر الحروف لا في جميعها، أو في الخط لا في اللفظ، وهو تجنيس التصحيف.

السابع: المطابقة: وهي[١] ذكر الأشياء المتضادة؛ كالسواد والبياض، والحياة

(١) في (أ): (وهو).

والموت، والليل والنهار، وشبه ذلك[١].

الثامن: المقابلة، وهو: أن تجمع بين شيئين فصاعدا، ثم تقابلهما بأشياء أخر.

التاسع: المشاكلة، وهي: أن تذكر الشيء بلفظ غيره، لوقوعه في صحبته.

العاشر: الترديد، وهو: رد أول الكلام على آخره، ويسمى في الشعر: رد العجز على الصدر.

الحادي عشر: لزوم ما لا يلزم، وهو: أن تلتزم قبل حرف الروي[٢] حرفا آخر، وكذلك عند رؤوس الآيات.

الثاني عشر: القلب، وهو: أن يكون الكلام يصلح ابتداء قراءته من أوله وآخره، نحو: دعد، أو تعكس كلماته فتقدم[٣] المؤخر منها وتؤخر المقدم.

الثالث عشر: التقسيم، وهو: أن تقسم المذكور إلى أنواعه، أو أجزائه[٤].

الرابع عشر: التتميم، وهو: أن تزيد في الكلام ما يوضحه أو يؤكده، وإن كان مستقلا دون هذه الزيادة.

الخامس عشر: التكرار، وهو: أن تضع الظاهر موضع المضمر، فتكرر الكلمة على وجه التعظيم، أو التهويل، أو لمدح المذكور، أو ذمه، أو للبيان.

السادس عشر: التهكم، وهو: إخراج الكلام عن مقتضاه استهزاء بالمخاطب، أو بالمخبر عنه، كذكر البشارة في موضع النذارة.

السابع عشر: اللف والنشر، وهو أن تلف في الذكر شيئين فأكثر، ثم تذكر

(١) في (ف) و(ع): (وغير ذلك).
(٢) في (أ): (حروف الروي).
(٣) في (ف): (فيقدم... ويؤخر).
(٤) في (ف) و(ع): (وأجزائه).

متعلقاتها وفيه طريقتان: أن تبدأ في ذكر المتعلقات بالأول، وأن تبدأ[١] بالآخر.

الثامن عشر: الجمع، وهو: أن تجمع بين شيئين فأكثر في خبر واحد، وفي[٢] وصف واحد، وشبه ذلك.

التاسع عشر: الترصيع، وهو: أن تكون الألفاظ في آخر الكلام مستوية الوزن، أو متقاربة مع الألفاظ التي في أوله.

الموفي العشرين: التسجيع: وهو أن تكون كلمات الآية على روي حرف واحد.

الحادي والعشرون: الاستطراد: وهو أن تتطرق من كلام إلى كلام آخر بوجه يصل ما بينهما، ويكون الكلام الثاني هو المقصود، كخروج الشاعر من النسيب إلى المدح بمعنى يتعلق بالطرفين، مع أنه إنما قصد المدح.

الثاني والعشرون: المبالغة: وقد تكون بصيغة الكلمة نحو: صيغة فعال ومفعال. وقد تكون بالمبالغة في الإخبار أو الوصف، فإن اشتدت المبالغة فهي: غلو وإغراق، وذلك مستكره عند أهل هذا الشأن.

*** *** ***

(١) في (ع): (أو تبدأ).
(٢) في (ع): (في).

الباب الحادي عشر

في إعجاز القرآن وإقامة الدليل على أنه من عند الله ﷻ

ويدل على ذلك عشرة وجوه:

الأول: فصاحته التي امتاز بها عن كلام المخلوقين.

الثاني: نظمه العجيب، وأسلوبه الغريب، من مقاطع آياته، وفواصل كلماته.

الثالث: عجز المخلوقين[١] في زمان نزوله وبعد ذلك إلى الآن عن الإتيان بمثله

الرابع: ما أخبر فيه[٢] من أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية، ولم يكن النبي ﷺ تعلم ذلك ولا قرأه في كتاب.

الخامس: ما أخبر فيه من الغيوب المستقبلة فوقعت على حسب ما قال.

السادس: ما فيه من التعريف بالباري جل جلاله، وذكر صفاته وأسمائه وما يجوز عليه وما يستحيل عليه، ودعوة الخلق إلى عبادته وتوحيده، وإقامة البراهين القاطعة، والحجج الواضحة، والرد على أصناف الكفار وذلك كله يعلم بالضرورة أنه لا يصل إليه بشر من تلقاء نفسه، بل بوحي من العليم الخبير. ولا يشك عاقل في صدق من عرف الله تلك المعرفة، وعظم جلاله ذلك التعظيم، ودعا عباد الله إلى صراطه المستقيم.

السابع: ما شرع فيه من الأحكام، وبين فيه[٣] من الحلال والحرام، وهدى

(١) في (ف) و(ع): (الخلق).

(٢) قوله: (فيه) ساقط من (أ) و(ع).

(٣) قوله: (فيه) ساقط من (ف) و(ع).

إليه من مصالح الدنيا والآخرة، وأرشد إليه من مكارم الأخلاق، وذلك غاية الحكمة وثمرة العلوم.

الثامن: كونه محفوظا عن الزيادة والنقصان، محروسا عن التغيير والتبديل على تطاول الأزمان، بخلاف سائر الكتب.

التاسع: تيسيره للحفظ وذلك معلوم بالمعاينة.

العاشر: كونه لا يمله قارئه ولا سامعه على كثرة الترديد[١]، بخلاف سائر الكلام.

❋❋ ❋❋ ❋❋

(١) في (ع) و(ف): (الترداد).

الباب الثاني عشر

في فضائل القرآن

وإنما نذكر منها: ما ورد في الحديث الصحيح.

فمن ذلك: ما ورد[١] عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه»**[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»**[٣].

وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: **«مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر»**[٤].

---

(١) قوله: (ما ورد) ساقط من (ف).

(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين الحديث رقم: (٥٥٣)، وأحمد في المسند: ٢٤٩/٥، وعبد الرزاق في المصنف: ٣٦٥/٣، والبيهقي في الكبرى: ٣٩٥/٢، وكنز العمال رقم: (٢٥٤٤)، والجامع الصغيروزياداته الحديث رقم: (٢٠٤٥)، وصحيح الترغيب الحديث رقم: (١٤٢٤).

(٣) البخاري في صحيحه الحديث رقم: ٤٦٥٣، وفي عدة مواضع منه، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٧٩٨، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٩٠٤)، والنسائي الحديث رقم: (٧٠)، وابن ماجه الحديث رقم: (٣٧٧٩).

(٤) رواه البخاري في صحيحه في عدة مواضع، منها: الحديث رقم: (٤٧٣٢)، ومسلم الحديث رقم: (٧٩٧)، وأبو داود الحديث رقم: (٤٨٢٩).

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «استذكروا القرآن فلهو أشد تفصيا[١] من صدور الرجال من النعم بعقلها»[٢].

وعن عثمان بن عفان أن رسول الله ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[٣].

وعن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يرفع بهذا القرآن أقواما ويضع به[٤] آخرين»[٥].

وعن ابن عباس قال: «بينما جبريل قاعدا عند النبي ﷺ، سمع نقيضا[٦] من فوقه، فرفع رأسه، قال هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا

---

(١) التفصي: التخلص والتفلت، والعقل جمع عقال وهو حبل يعقل به البعير.

(٢) صحيح البخاري الحديث رقم: (٥٠٣٢)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٧٩١)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٩٤٢)، والنسائي في سننه: ٢/١٥٤، والمسند الحديث رقم: (٤٠٢٠)، وهذا الحديث فيه أمر بالمحافظة على الاستمرار على حفظ القرآن الكريم، وتبيين سهولة نسيانه، وقد وردت أحاديث أخرى تحذر من نسيانه وتوعده بأنواع من الوعيد شديدة، فقد روى أبو داود وغيره عن النبي ﷺ: «عرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها». وروي أيضا «من قرأ القرآن ثم نسيه لقي الله يوم القيامة أجذم» وفي إسناد ضعف، وقال بعض أهل العلم نسيان القرآن كبيرة، انظر فتح الباري: ٩/٧٠، وفضائل القرآن لابن كثير، ص: ٦٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٥٠٢٧)، وأبو داود الحديث رقم: (١٤٥٢)، والترمذي الحديث رقم: (٢٩٠٧)، والنسائي في سننه رقم: (٦١)، والمسند الحديث رقم: (٤١٢).

(٤) قوله: (به) ساقط من (ف).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (٨١٧)، وابن ماجه الحديث رقم: (٢١٨)، وابن حبان في صحيحه الحديث رقم: (٧٧٢)، وعبد الرزاق في المصنف: ١١/٤٣٩، وسنن الدارمي: ٢/٥٣٦، وكنز العمال الحديث رقم: (٢٤٨٢).

(٦) النقيض: هو الصوت من غير الفهم كفرقعة الأعضاء الأصابع وغيرها. الصحاح: ٣/١١١، والنهاية: ٥/١٠٧.

اليوم، فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك؛ فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن[١] تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته»[٢].

وعن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ هاتين الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»[٣].

وعن أبي أمامة الباهلي أن رسول الله ﷺ قال: «اقرؤوا البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة»[٤].

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»[٥].

وعن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قلت: الله لا إله إلا هو الحي القيوم، قال: فضرب في صدري وقال: ليهنك العلم يا أبا المنذر»[٦].

---

(١) في (أ): (لم تقرأ).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (٨٠٦)، والنسائي الحديث رقم: (٩٠٣)، وابن حبان في صحيحه رقم: (٧٧٨)، والحاكم في المستدرك: ٥٥٨/١، وانظر تخريج أحاديث الإحياء: ٣٠٤/١.

(٣) البخاري الحديث رقم: (٣٧٨٦)، ومسلم الحديث رقم: (٨٠٧)، والآيتان هما قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ...﴾ إلى آخر السورة، ومعنى كفتاه: حفظتاه من الشر.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (٥٥٣)، وهو جزء من حديث أبي أمامة المتقدم.

(٥) مسلم الحديث رقم: (٧٨٠)، وصحيح ابن حبان: (٧٨٣)، والترمذي: (٢٨٧٧)، والمسند الحديث رقم: (٧٨٠٨).

(٦) صحيح مسلم الحديث رقم: (٨١٠)، وسنن أبي داود (١٤٦٠)، والترمذي الحديث رقم: (٢٨٧٧)، والنسائي الحديث رقم (٤٠)، والمسند الحديث رقم: (١٩٢٢٧)، والبغوي في شرح السنة (١١٩٢).

وعن النواس بن سمعان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران ـ وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد ـ قال: كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق[١]، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما»[٢].

وعن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال»[٣].

وعن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: «قل هو الله أحد[٤] تعدل ثلث القرآن»[٥].

وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات أنزلت علي لم ير مثلهن قط: قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس»[٦].

*** *** ***

(١) شرق بفتح وسكون وبفتحتين: ضوء انظر اللسان: ٤/٢٢٤٥.

(٢) مسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٣٣٨)، وأحمد في المسند: ٥/١٩٦، والبغوي في شرح السنة (١٢٠٤)، ومجمع الزوائد الحديث رقم: (١٠٨٢٨).

(٣) صحيح مسلم الحديث رقم: (٨٠٩)، وسنن أبي داود الحديث رقم: (٤٣٢٣)، والمسند الحديث رقم: (٢١٧٦٠).

(٤) في (أ): (سورة قل هو الله أحد).

(٥) البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٨١١)، ومسلم الحديث رقم: (٨١١)، وأبو داود الحديث رقم: (١٤٦١)، والترمذي الحديث رقم: (٢٨٩٨)، والنسائي الحديث رقم: (٩٩٥)، وابن ماجه الحديث رقم: (٣٧٨٩).

(٦) مسلم في صحيحه الحديث رقم: (٨١٤)، والترمذي الحديث رقم: ٢٨٢٧)، والنسائي في سننه الحديث رقم: (٩٥٤).

المقدمة الثانية

في تفسير معاني اللغات

نذكر في هذه المقدمة الكلمات التي يكثر دورها في القرآن، أو تقع فيه في موضعين فأكثر، من الأسماء والأفعال والحروف.

وإنما جمعناها في هذا الباب لثلاث[١] فوائد:

إحداها: تيسيرها للحفظ، فإنها وقعت في القرآن متفرقة، فجمعها أسهل لحفظها.

والثانية: ليكون هذا الباب كالأصول الجامعة لمعاني التفسير، كما أن تواليف القراءات جمعت فيها الأصول المطردة والكثيرة الدور.

والثالثة: الاختصار فنستغني بذكرها هنا عن ذكرها في مواضعها من القرآن خوف التطويل بتكرارها، وربما نبهنا على بعضها للحاجة إلى ذلك، ورتبناها في هذا الباب على حروف المعجم، فمن لم يجد تفسير كلمة في موضعها من القرآن فلينظرها في هذا الباب.

واعتبرنا في هذه الحروف الحرف الذي يكون فاء الكلمة وهو الأصلي، دون الحروف الزوائد في أول الكلمات.

---

(١) في (أ) و(ع): (لثلاثة)، وهو خطأ.

حرف الهمزة

آية: لها[١] معنيان؛ أحدهما: عبرة وبرهان، والثاني: آية من القرآن، وهي كلام متصل إلى الفاصلة، والفواصل هي رؤوس الآيات.

أتى: بقصر الهمزة معناه جاء ومضارعه يأتي ومصدره إتيان واسم الفاعل منه آت، واسم المفعول منه مأتي، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ [سورة مريم آية ٦٠].

وآتى بمد الهمزة: معناه أعطى، ومضارعه يؤتي، ومصدره إيتاء، واسم الفاعل مؤت، واسم المفعول مؤتى[٢]، ومنه: ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ [سورة النساء آية ١٦١].

أبى يأبى[٣]: أي امتنع.

أثر: الشيء بقيته وأمارته، وجمعه آثار والأثر أيضا الحديث، و﴿أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ [سورة الأحقاف آية ٣]: بقية ﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾ [الروم الآية: ٨]: حرثوها، وأثر الرجل الشيء يؤثره: فضله.

إثم: ذنب ومنه ﴿ءَاثِمٌ﴾ و﴿أَثِيمٍ﴾ أي مذنب.

أجر: ثواب وبمعنى الأجرة، ومنه: ﴿اسْتَـْٔجِرْهُ﴾ [القصص الآية: ٢٦] و﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى﴾ [القصص ٢٧] وأما ﴿اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ [التوبة: الآية: ٦] ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف الآية: ٣١] و﴿لَن يُجِيرَنِى مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ [الجن الآية: ٢٢]، ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون الآية: ٨٩]، فذلك كله من الجوار بمعنى التأمين.

آمن: إيمانا أي صدق، والإيمان في اللغة التصديق مطلقا وفي الشرع:

---

(١) في (ف): (له).

(٢) قوله: (واسم المفعول مؤتى) زيادة من (أ).

(٣) قوله: (يأبى) ساقط من (أ).

التصديق بالله وملائكته وكتبه[١] ورسله واليوم الآخر، والمؤمن في الشرع المصدق بهذه الأمور، والمؤمن اسم الله تعالى أي المصدق لنفسه، وقيل: إنه من الأمن أي يؤمن أولياءه من عذابه.

وأمن: بقصر الهمزة وكسر الميم أمنا وأمنة ضد الخوف، وأمن أيضا من الأمانة، وأمن غيره من التأمين.

أليم: مؤلم أي موجع، ومنه: ﴿تَأْلَمُونَ﴾ [سورة النساء آية ١٠٣].

إمام: له أربعة معان؛ القدوة، والكتاب، والطريق، وجمع أم أي تابع ومنه: ﴿لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾ [الفرقان الآية: ٧٤].

أمة: لها أربعة معان؛ الجماعة من الناس، والدين، والحين والإمام: أي القدوة.

أمي: لا يقرأ ولا يكتب ولذلك وصف العرب بالأميين.

أم: لها معنيان: الوالدة، والأصل، وأم القرى مكة.

أخرى: مؤنثة آخر وآخر.

آل: له معنيان؛ الأهل، ومنه: ﴿ءَالَ لُوطٍ﴾ [الحجر الآية: ٥٩]، والأتباع والجنود، ومنه: ﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ [سورة البقرة آية ٤٩].

أمس: اليوم الذي قبل يومك، والزمن الماضي.

إناه: وقته، وجمعه آناء، ومنه: ﴿ءَانَآءَ الَّيْلِ﴾ [سورة آل عمران آية ١١٣].

أمر: له معنيان:

أحدهما: طلب الفعل على الوجوب أو الندب أو الإباحة، وقد تأتي صيغة

---

(١) في (ف): (وكتابه).

الأمر لغير الطلب؛ كالتهديد، والتعجيز، والتعجب، والخبر.

والثاني: بمعنى الشأن والصفة، وقد يراد به العذاب، ومنه: ﴿جَا أَمْرُنَا﴾ [سورة هود آية ٤٠].

إسراءيل: هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو والد الأسباط واليهود من ذريتهم.

إياب: رجوع ومنه: ﴿مَئَابِ﴾ [سورة الرعد آية ٣٠] أي مرجع، ورجل أواب كثير الرجوع إلى الله والتأويب التسبيح، ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي﴾ [سورة سبأ آية ١٠].

إفك: أشد الكذب والأفاك الكذاب، وأفك الرجل عن الشيء أي صرف عنه ومنه ﴿تُؤْفَكُونَ﴾ [سورة الأنعام آية ٩٦].

أوى: الرجل إلى الموضع بالقصر وآواه غيره بالمد، ومنه: ﴿الْمَأْوَىٰ﴾ [سورة السجدة آية ١٩].

أف: كلمة شر.

آلاء الله: نعمه ومنه: ﴿ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾ [سورة الرحمن آية ١١].

أسف: له معنيان الحزن والغضب ومنه ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا﴾ [الزخرف الآية: ٥٥].

إسوة: بكسر الهمزة وضمها: قدوة.

أسى: الرجل يأسى أسا أي حزن ومنه ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [سورة المائدة آية ٢٨]، و﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾ [سورة الأعراف آية ٩٢].

أذان: بالقصر إعلام بالشيء ومنه الأذان بالصلاة والآذان بالمد جمع أذن.

إذن الله: يأتي بمعنى: العلم، والأمر، والإرادة، والإباحة، وأذنت بالشيء: علمت[1] به بكسر الذال، وآذنت به غيري بالمد.

---

(١) في (أ): (أعلمت).

إصر: له معنيان؛ الثقل، والعهد.

أيد: قوة، ومنه: ﴿وَأَيَّدْنَـٰهُ﴾ [سورة البقرة آية ٨٦]، و﴿بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ [سورة الذاريات آية ٤٧]، والأيدي جمع يد، فهمزتها زائدة.

أكل: بضم الهمزة اسم المأكول، ويجوز فيه ضم الكاف وإسكانها، والأكل بفتح الهمزة المصدر.

أيكة: غيضة.

أثاث: متاع البيت.

أجاج: مر.

أرائك: أسرة، واحدها أريكة.

آنية: له معنيان؛ جمع إناء ومنه ﴿بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾ [سورة الإنسان آية ١٥]، وشديدة الحر ومنه ﴿عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ [الغاشية: ٥] ووزن الأول أفعلة، ووزن الثاني فاعلة ومذكره آن، ومنه ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٣].

أحد: له معنيان؛ واحد، ومنه: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، واسم نفي، بمعنى إنسان.

أيان: معناه متى.

أنى: بمعنى كيف ومتى وأين.

إن: المكسورة المشددة للتأكيد، والمفتوحة المشددة مصدرية.

إنما: للحصر.

إن المكسورة المخففة أربعة أنواع؛ شرطية، ونافية، وزائدة، ومخففة من الثقيلة.

أن: المفتوحة المخففة أربعة أنواع؛ مصدرية، وزائدة، ومخففة من الثقيلة، وعبارة عن القول.

إذا: نوعان؛ ظرف زمان مستقبل ومعناها الشرط، وقد تخلو عن الشرط، وفجائية.

إذ: لها معنيان؛ ظرف زمان ماض، وسببية للتعليل.

أو: العاطفة لها خمسة معان؛ الشك، والإبهام، والإباحة، والتخيير، والتنويع[1] والناصبة للفعل بمعنى؛ إلى أن، أو، إلا أن، أو كي.

أم: استفهامية، وقد يكون فيها معنى الإنكار، أو الإضراب، وتكون متصلة للمعادلة بين ما قبلها وما بعدها، ومنفصلة مما قبلها.

إما: المكسورة المشددة للتنويع، والشك، والتخيير، وقد تكون مركبة من إن الشرطية وما الزائدة.

أما: المفتوحة المشددة للتقسيم، والتفصيل.

ألا المفتوحة المخففة للتنبيه، والاستفتاح، وللتوبيخ، والعرض، والتمني.

إلا: المكسورة المشددة استثناء، وتكون للإيجاب بعد غير الواجب، وتكون مركبة من إن الشرطية ولا النافية.

أي: المشددة سبعة أنواع؛ شرطية، واستفهامية، وموصولة، ومنادى، وصفة، وظرفية، إذا أضيفت إلى ظرف، ومصدرية إذا أضيفت إلى مصدر.

إي: المكسورة المخففة معناها التصديق.

إلى: معناه انتهاء الغاية وقيل: تكون بمعنى مع.

الهمزة: للاستفهام، أو التقرير، والتوبيخ، والتسوية، والنداء[2] وللمتكلم، وأصلية، وزائدة للبناء.

---

(١) زيادة من (ف) و(ع).

(٢) قوله: (والنداء) ساقط من (أ).

حرف الباء

باريء: خالق ومنه: ﴿الْبَرِيَّةِ﴾ [سورة البينة آية ٦]، أي الخلق.

بعث: له معنيان؛ بعث الرسل، وبعث الموتى من القبور.

بسط الله الرزق وسعه، وضده قبض، وقدر الرزق أي ضيقه. ومن أسماء الله تعالى: القابض والباسط، وبسطة زيادة.

بشر: من البشارة وهي الإعلام بالخير قبل وروده، وقد يكون للشر إذا ذكر معها ويجوز في الفعل التشديد والتخفيف، ومنه المبشر والبشير واستبشر بالشيء فرح به.

بعد: له معنيان ضد القرب، والفعل منه: بعد بضم العين. والهلاك، والفعل منه: بكسرها، ومنه ﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [سورة هود آية ٩٥].

بلاء: له معنيان؛ العذاب، والاختبار. ومنه: ﴿ابْتَلَى﴾ [سورة البقرة آية ١٢٣]، ﴿وَنَبْلُوكُم﴾ [سورة الأنبياء آية ٣٥].

بر: له معنيان؛ الكرامة، ومنه: بر الوالدين، و﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ [سورة الممتحنة آية ٨]، والتقوى والجمع لخصال الخير، ومنه: ﴿الْبِرُّ مَنِ اتَّقَىٰ﴾ [سورة البقرة آية ١٨٨]، ورجل بار وبَرّ والجمع أبرار. والبَر من أسماء الله تعالى.

بات: معروف، ومصدره بيات، وبيت الأمر: دبره بالليل.

بغتة: فجأة.

بروج: جمع برج وهو الحصن، وبروج السماء منازل الشمس والقمر.

بين: ظرف، وبين يدي الشيء ما تقدم قبله، والبين الفراق والاجتماع؛ لأنه من الأضداد.

بينات: براهين من المعجزة[١] وغيرها، ومبينة من البيان.

يبين: من البيان وله معنيان؛ بين غير متعد ومبين لغيره.

بدا: يبدو بغير همز ظهر، وأبديته أظهرته والبادي أيضا من البادية ومنه ﴿بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ [سورة الأحزاب آية ٢٠].

بدأ: بالهمز من الابتداء، ويقال بدأ الخلق[٢] وأبداه، وقد جاء القرآن بالوجهين.

بغى: له معنيان؛ العدوان على الناس، والحسد. والبغاء بكسر الباء الزنا ومنه امرأة بغي أي زانية. وابتغى الشيء وبغاه أي طلبه.

بث: الحديث وغيره نشره، والمبثوث المنتشر. و﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ [سورة الغاشية آية ١٦] متفرقة، والبث الحزن الشديد ومنه ﴿أَشْكُوا بَثِّي﴾ [سورة يوسف آية ٨٦].

بوأ: أنزل الرجل منزلا ومنه ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة الأعراف آية ٧٣]، و﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ [النحل الآية: ٤١]، و﴿مُبَوَّأَ﴾ [يونس الآية: ٩٣].

بوار: هلاك ومنه: ﴿قَوْماً بُوراً﴾ [الفرقان الآية: ١٨] أي هلكى.

باء: بالشيء رجع به وقد يقال بمعنى اعترف.

بأساء: الفقر والبؤس والشدة[٣] والمحنة، والبائس الفقير من البؤس، والبأس القتال والشجاعة والمكروه، وبأس الله عذابه وبئس كلمة ذم.

برزخ: شيء بين شيئين، والبرزخ ما بين الموت والقيامة.

بديع: له معنيان جميل ومبدع أي خالق الشيء ابتداء.

---

(١) في (ف): (المعجزات).

(٢) في (ف): (بدأ الله الخلق).

(٣) في (ف): (الشدة).

بسر: عبس، ومنه: ﴿بَاسِرَةٌ﴾ [سورة القيامة آية ٢٣].

بصير: من أبصر[1] يقال أبصرته وبصرت به، والبصائر البراهين جمع بصيرة.

برز: ظهر ومنه: ﴿بَارِزَةً﴾ [سورة الكهف آية ٤٦]، و﴿بَارِزُونَ﴾ [سورة غافر آية ١٥].

بطش: أخذ بشدة.

بخس: نقص.

بعل: له معنيان؛ زوج المرأة وجمعه بعولة، والبعل أيضا: الرب، وقيل: اسم صنم ومنه: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلاً﴾ [الصافات: ١٢٥].

بهجة: حسن، وبهيج: حسن.

مبلسون: جمع مبلس وهو البائس، وقيل: الساكت الذي انقطعت حجته، وقيل: الحزين النادم، ومنه: ﴿يُبْلِسُ﴾ [سورة الروم آية ١١] ومنه: اشتق إبليس.

بهت: انقطعت حجته.

تبارك: من البركة وهي الكثرة والنماء، وقيل: تقدس.

بلى: جواب يقتضي إثبات الشيء.

بل: معناها الإضراب عما قبلها.

الباء: للإلصاق، ولنقل الفعل في التعدي، وللقسم، وللتعليل، وللمصاحبة، وللاستعانة، وظرفية، وزائدة.

❊❊ ❊❊ ❊❊

(١) في (ف): (من البصر).

حرف التاء

تلا: يتلو له معنيان: قرأ، وتبع.

تقوى: مصدر مشتق من الوقاية، فالتاء بدل من واو، ومعناه: الخوف والتزام طاعة الله وترك معاصيه، فهو جماع لكل[(١)] خير.

تاب: يتوب رجع توبة وتوبا فهو تائب وتواب كثير التوبة وتواب اسم الله تعالى أي كثير التوبة على عباده، وتاب الله على العبد ألهمه التوبة[(٢)] أو قبل توبته.

تباب: خسران، وتب: خسر.

تبار: هلاك ومنه: ﴿مُتَبَّرٌ﴾ [سورة الأعراف آية ١٣٩].

أترفوا: أنعموا، والمترفون: المنعمون في الدنيا.

حرف الثاء

ثمود: قبيلة من العرب الأقدمين.

ثوى: في الموضع أقام فيه، ومنه: ﴿مَثْوَى﴾ [سورة آل عمران آية ١٥١].

ثبور: هلاك ومنه: ﴿مَثْبُوراً﴾ [الإسراء: ١٠٢] و﴿دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُوراً﴾ [الفرقان: ١٣] أي صاحوا: واهلكاه.

ثمر: ما يؤكل مما تنبت[(٣)] الأرض، ويقال بالفتح والضم.

ثقفوا: أخذوا وظفر بهم ومنه: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾ [سورة الأنفال آية ٥٨].

---

(١) في (ف): (جماع كل).

(٢) في (ف): (ألهمه للتوبة).

(٣) في (ف): (تنبته).

ثاقب: مضيء.

ثم: بالفتح ظرف، وبالضم: حرف عطف يقتضي الترتيب والمهلة، وقد يرد لغير الترتيب، كالتأكيد، وترتيب الأخبار.

حرف الجيم

جعل: لها أربعة معان؛ صير، وألقى، وخلق، وأنشأ يفعل كذا.

جناح: الطائر معروف، وجناح الإنسان إبطه، ومنه: ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ [سورة القصص آية ٣٢] ﴿لاَ جُنَاحَ﴾ [سورة البقرة آية ٢٣٤] لا إثم، فمعناه: إباحة.

وجنح للشيء مال إليه.

لا جرم: لا بد.

اجتبى: اختار.

جدال: مخالفة، ومخاصمة، واحتجاج.

تجأرون: تصيحون بالدعاء.

جواري: جمع جارية وهي السفينة.

أجرم: فهو مجرم له معنيان: الكفر، والعصيان.

جن: الجنون، وقد جاء بمعنى الملائكة.

جان: له معنيان: الجن، والحية الصغيرة.

جنة: بالفتح البستان، وبالكسر الجنون، وبالضم الترس وما أشبهه مما يستتر به ومنه استعير: ﴿أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ [سورة المجادلة آية ١٦].

جاثية: أي على ركبهم لا يستطيعون القيام مما هم فيه وقوله ﴿حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً﴾ [سورة مريم آية ٦٧] جمع جاث.

الجرز: الأرض التي لا نبات فيها.

جاثمين: باركين على ركبهم.

جبار: اسم الله تعالى له معنيان: قهار، ومتكبر، وقد يكون من الجبر للكسير وشبهه، والجبار أيضا: الظالم.

أجداث: قبور.

جزى: له معنيان من الجزاء بالخير والشر، وبمعنى أغنى ومنه ﴿لاَّ تَجۡزِى نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾ [سورة البقرة آية ٤٧]، وأما أجزأ بالهمز فمعناه: كفى.

جرح: له معنيان من الجروح وبمعنى الكسب والعمل ومنه ﴿جَرَحۡتُم بِالنَّهَارِ﴾ [سورة الأنعام آية ٦١]، و﴿اجۡتَرَحُواْ السَّيِّـَٔاتِ﴾ [سورة الجاثية آية ٢٠]، ولذلك سميت كلاب الصيد جوارح، لأنها كواسب لأهلها.

جنب: له معنيان من الجنابة وبمعنى البعد ومنه ﴿عَن جُنُبٖ﴾ [سورة القصص آية ١٠].

حرف الحاء

حمد: هو الثناء سواء كان جزاء على نعمة أو ابتداء، والشكر إنما يكون جزاء، فالحمد من هذا الوجه أعم، والشكر باللسان والقلب والجوارح ولا يكون الحمد إلا باللسان، فالشكر من هذا الوجه أعم.

حميد: اسم الله تعالى أي بمعنى محمود.

حكمة: عقل أو علم، وقيل: في الكتاب، والحكمة هي السنة.

حكيم: اسم الله تعالى من الحكمة، أو من الحكم بين العباد، أو من إحكام الأمور وإتقانها.

حليم: الحلم العقل، وقد يقال بمعنى العفو والأحلام العقول، والحليم من

أسماء الله تعالى، قيل: الذي لا يعجل بالعقوبة على من عصاه، وقيل: معناه العفو عن الذنوب، وأحلام النوم: ما يرى في المنام.

حبط: بطل، وأحبطه الله أبطله.

حنيف: مسلم وموحد لله، وقيل: حاج، وقيل: مختتن وجمعه حنفاء.

محصنين ومحصنات: الإحصان له أربع معان؛ الإسلام، والحرية، والعفاف، والتزوج، و﴿لِيُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ [سورة الأنبياء آية ٧٩] يقيكم.

حجة: بالضم دليل وبرهان وحاج فلان فلانا جادله وحجه: غلبه بالحجة، والحج بالفتح والكسر: القصد، ومنه أخذ: ﴿حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [سورة آل عمران آية ٩٧]، وحجة بالكسر: سنة وجمعها حجج.

حطة: أي حط عنا ذنوبنا، وقيل: كلمة بالعبرانية تفسيرها «لا إله إلا الله».

حضر: بالضاد من الحضور، ومنه: ﴿مُحْضَرُونَ﴾ [سورة الروم آية ١٥]، و﴿شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ [سورة القمر آية ٢٨]، وبالظاء: من المنع، ومنه: ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [سورة الإسراء آية ٢٠] و﴿كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ [سورة القمر آية ٣١] وبالذال: من الحذر وهو الخوف، ومنه: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [سورة الإسراء آية ٥٧].

حفظ: العلم وعيه، وحفظ الشيء حراسته، والحفيظ اسم الله تعالى، قيل: معناه العليم، وقيل: حافظ الخلق كالئهم من المهالك.

حاق بهم: أي حل بهم.

حبل من الله ومن الناس، أي عهد، وحبل الله القرآن وأصله: الحبل المعروف.

حسب: بكسر السين ظن مضارعه بالفتح والكسر وحسب بالفتح من العدد ومضارعه يحسب بالضم ومنه الحساب والحسبان و﴿حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة الكهف آية ٣٩] أي مرام، وإحداها حسبانة.

حساب: من الظن ومنه العدد و﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة البقرة آية ٢١٠] يحتمل الوجهين وأن يكون من المحاسبة، أي لا يحاسب عليه، ومن التقدير: أي بغير تضييق و﴿عَطَآءً حِسَاباً﴾ [سورة النبأ آية ٣٦] أي كافيا.

حسيب: اسم الله تعالى فيه أربعة أقوال؛ كاف، وعالم، وقادر، ومحاسب.

حسبك الله: أي كافيك.

حزن: تأسف على ماض أو حال، والخوف: توقع في المستقبل، ويقال حزن بكسر الزاي وحزنه غيره بفتحها وأحزنه أيضا.

حصير: محبس من الحصر وأحصر عن الشيء حبس عنه وحسير بالسين: كليل.

حصيد: هو ما يحصد من الزرع وغيره واستعير منه: ﴿قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [سورة هود آية ١٠٠] أي باق وذاهب.

حميم: له معنيان؛ الصديق، والماء الحار.

محيص: مهرب.

حجر: له أربعة معان الحرام والعقل ومنازل ثمود وحجر الكعبة.

حمل: بكسر الحاء ما على ظهر الدابة وغيرها ويستعار للذنوب وبالفتح ما في بطن المرأة وجمعه أحمال.

إحسان: له ثلاثة معان؛ فعل الحسنات، والإنعام على الناس، ومراقبة الله تعالى المشار إليها في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه**»[1].

حق: له أربعة معان الصدق والعدل في الحكم والشيء الثابت والأمر

(١) رواه مسلم في الإيمان باب الإيمان والإسلام والإحسان الحديث رقم: (١٠)، وهو جزء من الحديث المعروف المتداول.

الواجب، والحق اسم الله تعالى أي الواجب الوجود.

حاصب: ريح شديدة، سميت بذلك لأنها ترمى بالحصباء أي الحصا والحاصب أيضا الحجارة.

حلية: حلي.

حرج: ضيق أو مشقة.

حول: له معنيان؛ العام والحيلة، وحِوَلا بكسر الحاء انتقالا.

حرث: الأرض مصدر ثم استعمل بمعنى الأرض والزرع والجنات.

حس: بغير ألف قتل ومنه: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾ [سورة آل عمران آية ١٥٢] وأحس من الحس.

حرم: بضمتين محرمون بالحج.

حقب: بضمتين وأحقاب جمع حقب وهو مدة من الدهر يقال إنها ثمانون سنة.

حف: الشيء بالشيء: أطاف به من جوانبه أي أحاط به[١]، ومنه: ﴿وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾ [سورة الكهف آية ٣٢]، ﴿الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

حل: بالمكان يحل بالضم والكسر، وحل من إحرامه يحل بالكسر لا غير.

حطام: فتات، والحطام ما تحطم من عيون الزرع اليابس.

حرف الخاء

خلق: له معنيان؛ من الخلقة ومنه الخالق اسم الله والخلاق وخلق الرجل كذب ومنه: ﴿الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ﴾ [سورة الزمر آية ٧٢] و﴿اخْتِلَاقٌ﴾ [سورة ص آية ٦]: أي كذب.

(١) قوله: (أي أحاط به) ساقط من (ع) و(ف).

خلاق: نصيب.

خير: ضد الشر وله أربعة معان العمل الصالح والمال والخيرة والتفضيل بين شيئين.

خلا: له معنيان؛ من الخلوة وبمعنى ذهب وتقدم ومنه: ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [سورة البقرة آية ١٣٣].

خطيئة: ذنب وجمعه خطايا وخطيآت، والفعل منه خطئ، فهو خاطئ، وأما الخطأ بغير عمد فالفعل منه أخطأ.

خاسئين: مطرودين من قولك: خسأت الكلب، ومنه: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا﴾ [سورة المؤمنون آية ١٠٩].

خلف: بفتح الخاء وإسكان اللام، له معنيان؛ وراء، ومن يخلف[1] سلفه بشر، فإذا خلفه بخير، قيل: بفتح اللام.

خلاف: له معنيان؛ من المخالفة، وبمعنى بعد أو دون، ومنه: ﴿بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة آية ٨٢].

خول: أعطى.

خلة: بضم الخاء: مودة، ومنه: الخليل، وجمعه أخلاء.

خلال: له معنيان؛ وداد ومنه: ﴿لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ [سورة إبراهيم آية ٣٣]، وبمعنى بين ومنه: ﴿خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ [سورة الإسراء آية ٥] و﴿خِلَالَكُمْ﴾ [سورة التوبة آية ٤٧].

خر: يخر: سقط على وجهه.

خامدون: هالكون[2]، وأصله: من خمود النار.

---

(١) في (ف): (خلف).

(٢) في (ف): (خامدين ميتين هالكين).

خطب: خبر، والخطب أيضا: الأمر العظيم، وخطبة النساء بالكسر، وخطبة الخطيب بالضم.

خراصون: كذابون، ومنه: ﴿يَخْرُصُونَ﴾ [سورة الأنعام آية ١١٧]، والخرص أيضا: التقدير، وقيل إن يخرصون منه، أي يقولون بالظن من غير تحقيق.

خبال: شر.

خوان: كثير الخيانة.

مختال: من الخيلاء.

ختار: غدار، من ختر العهد.

مخمصة: من الخمص: وهو الجوع.

أخدان: جمع خدن وهو الخليل.

خراج: أي أجرة وعطية.

حرف الدال

دين: له خمسة معان؛ الملة، والعادة، والجزاء، والحساب، والقهر.

أدنى: له معنيان؛ أقرب فهو من الدنو، وأقل فهو من الدني[1] الحقير.

دأب: له معنيان عادة وجد وملازمة، ومنه: ﴿سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ [سورة يوسف آية ٤٧] متتابعة للزراعة من قولك دأبتُ على الشيء دمت عليه.

دار السلام: الجنة.

دوائر: صروف الدهر واحدها دائرة، ومنه: ﴿دَآئِرَةُ السَّوْءِ﴾ [سورة التوبة آية ٩٩].

دعاء: له خمسة معان؛ الطلب من الله، والعبادة، ومنه: ﴿تَدْعُونَ مِن

(١) في (أ): (الداني).

دُونِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الأنعام آية ٥٧]، والتمني: ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [سورة يس آية ٥٦]، والنداء: ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ [سورة البقرة آية ٢٢]، والدعوة إلى الشيء: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [سورة النحل آية ١٢٥].

دابة: كل ما يدب على الأرض(١) فتعم(٢) جميع الحيوان.

دحور: إبعاد، ومنه: المدحور المطرود.

دع: بتشديد العين يدع أي دفع بعنف ومنه: ﴿يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ﴾ [الماعون: ٢] و﴿يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [سورة الطور آية ١٢].

درأ: دفع ومنه: ﴿وَيَدۡرَءُونَ﴾ [سورة الرعد آية ٢٤].

مدرارا: من در المطر: إذا صب.

داخرين: صاغرين.

دكت: الأرض أي دقت جبالها حتى استوت مع وجه الأرض ومنه ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، أي مستويا مع الأرض.

حرف الذال

ذكر: له أربعة معان ضد النسيان والذكر باللسان والقرآن ومنه: ﴿نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ﴾ [الحجر: ٩] والشرف، و﴿مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١] مفتعل من الذكر.

ذنوب: بضم الذال جمع ذنب وبالفتح النصيب ومنه ﴿ذَنُوبًا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ﴾ [الذاريات الآية: ٥٩] أي نصيبا من العذاب والذنوب أيضا الدلو.

ذبح: بكسر الذال المذبوح، وبالفتح المصدر.

---

(١) قوله: (على الأرض) ساقط من (أ) و(ع).

(٢) في (أ): (فيجمع).

ذرأ: خلق وأنشأ[1].

ذلول: مذللة للعمل من الذل بكسر الذال، ومنه ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ [سورة يس آية ٧١] ورجل ذليل: من الذل بالضم، ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا﴾ [سورة الإنسان آية ١٤] أدنيت.

أذقان: جمع ذقن.

حرف الراء

رب: له أربعة معان؛ الإله، والسيد، والمالك للشيء، والمصلح للأمر.

ريب: شك ومنه: ﴿ارْتَابُوا﴾ [سورة النور آية ٤٨] و﴿مُرِيبٍ﴾ [سورة هود آية ٦١] و﴿رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ [سورة الطور آية ٢٨] حوادث الدهر.

رجع: يستعمل متعديا بمعنى رد وغير متعد، والمرجع: اسم مصدر، أو زمان، أو مكان، من الرجوع.

رعى: له معنيان؛ من النظر ومن رعي الغنم.

روح: له أربعة معان؛ النفس التي بها الحياة ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [سورة الإسراء آية ٨٥] والوحي ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ﴾ [سورة النحل آية ٢] وجبريل ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [سورة الشعراء آية ١٩٣]، وملك عظيم: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ [سورة القدر آية ٤] وروح بفتح الراء: رائحة طيبة، والريحان: الرزق، وقيل: الشجر المعروف.

ركام: بعضه فوق بعض ومنه: ﴿مَرْكُومٌ﴾ [سورة الطور آية ٤٢] و﴿فَيَرْكُمَهُ﴾ [سورة الأنفال آية ٣٧].

رجا: طمع وقد يستعمل في الخوف ومنه: ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ [سورة يونس آية ٧].

---

(١) في (ع) و(أ): (ونشر بدل أنشأ).

رجال: جمع رجل وجمع راجل أي غير راكب ومنه: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ [سورة الحج آية ٢٥]، ومثله: ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [سورة الإسراء آية ٦٤].

رفث: له معنيان؛ الجماع، والكلام بهذا المعنى.

رجز: عذاب، إلا ﴿وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [سورة المدثر آية ٥] فهي الأوثان.

والرجس: بالسين: النجس حقيقة، أو مجازا، وقد يستعمل بمعنى العذاب.

رهب: خوف ومنه: ﴿يَرْهَبُونَ﴾ [سورة الأعراف آية ١٥٤].

رءوف: من الرأفة وهي الرحمة إلا أن الرأفة في دفع المكروه، والرحمة في دفع المكروه وفعل الجميل فهي أعم من الرأفة.

مرضاة: مفعلة من الرضا.

راسيات: ثابتات ومنه قيل للجبال رواسي ومنه: ﴿مُرْسَاهَا﴾ [سورة الأعراف آية ١٨٧]، أي ثبوتها.

رغدا: كثيرا.

ربوة: مكان مرتفع.

ربا: هو في اللغة الزيادة ومنه: ﴿وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [سورة البقرة آية ٢٧٥] وربت الأرض: انتفخت.

أرحام: جمع رحم وهو فرج المرأة[١] ويستعمل أيضا في القرابة.

أرجه: أخره، ومنه: ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾[٢]

---

(١) الرحم بيت منبت الولد ووعاؤه، والقرابة. القاموس: والرحم بالكسر أسباب القرابة وأصلها الرحم الذي في منبت الولد، فتعبير المؤلف بفرج المرأة غير دقيق.

(٢) ساقط من (ع) و(ف).

[الأحزاب الآية: ٥١]، و﴿مُرْجَوْنَ﴾ [سورة التوبة آية ١٠٧] ويجوز فيه الهمز وتركه[١].

رأى: من رؤية العين[٢] يتعدى إلي واحد، ومن رؤية القلب بمعنى العلم يتعدى إلى مفعولين.

تربص: انتظر.

رفات: فتات.

أرذل العمر: الهرم، والأرذلون: من الرذالة.

رقى: من الرقية بفتح القاف ومنه: ﴿وَقِيلَ مَن رَّاقٍ﴾ [سورة القيامة آية ٢٦]، ورقي في السلم بالكسر في الماضي والفتح في المستقبل.

أرداكم: أهلككم والردى الهلاك ومنه: ﴿لَتُرْدِينِ﴾ [سورة الصافات آية ٥٦] و﴿تَرَدَّىٰ﴾ [سورة الليل آية ١١].

رجفة: زلزلة وشدة.

حرف الزاي

زبر: بضمتين كتب، والزبور: كتاب داود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

زخرف: زينة والزخرف أيضا الذهب.

زكاة: له في اللغة معنيان؛ الزيادة والطهارة، ثم استعمله الشرع[٣] في إعطاء

(١) قال أبو زرعة في حجة القراآت ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ قرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص وآخرون مرجون بغير همز وقرأ الباقون بالهمز وهما لغتان يقال أرجأت الأمر إذا أخرته وأرجيته أيضا. ٣٢٣/١، وقال في النشر: وأما ﴿مُرْجَوْنَ﴾ وهي في التوبة أيضاً ﴿مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ و﴿تُرْجِي﴾ وهو في الأحزاب ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ نقرأهما بهمزة مضمومة ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب وأبو بكر، وقرأهما الباقون بغير همز. ٤٦١/١.

(٢) في (ف): (البصر فيتعدى).

(٣) في (ف): (الشارع).

المال وهو من الزيادة لأنه يبارك له فيه فيزيد، أو من الطهارة لأنه يطهره من الذنوب، وزكيت الرجل: أثنيت عليه، وزكا هو[(١)] مخففا: أي صار زكيا.

زوج: له ثلاث معان؛ الرجل، والمرأة وقد يقال فيها[(٢)] زوجة، وبمعنى الصنف والنوع، ومنه: ﴿أَزْوَاجاً مِّن نَّبَاتٍ﴾ [سورة طه آية ٥٢]، و﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [سورة الشعراء آية ٦].

زل: له معنيان؛ زل القدم عن الموضع وفعل الزلل.

زاغ: عن الشيء زيغا مال عنه وأزاغه غيره أماله.

زلفى: قربى وأزلفت: قربت ﴿وَزُلَفاً مِّنَ الَّيْلِ﴾ [سورة هود آية ١١٤] ساعات.

زعم: أي ادعى ولم يوافقه غيره، قال ابن عباس[(٣)]: زعم كناية عن كذب.

زعيم: ضامن.

يزجي: يسوق.

زلزلة: الأرض: اهتزازها، وتستعمل بمعنى الشدة والخوف، ومنه: ﴿وَزُلْزِلُواْ﴾ [سورة الأحزاب آية ١١].

زجرة واحدة: صيحة بمعنى نفخة الصور، والزجرة الصيحة بشدة وانتهار وازدجر من الزجر.

* * *

(١) قوله: (هو) ساقط من (ف).

(٢) في (ف): (لها بدل فيها).

(٣) المؤلف نسب هذا القول في مكان آخر من هذا الكتاب لابن عمر قال في تفسير قوله تعالى ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ﴾ قال عبد الله بن عمر: زعم كناية عن كذب. سورة التغابن الآية: ٧.

حرف الطاء

طبع: ختم والخاتم الطابع.

طول: بفتح الطاء فضل أو غنى.

طائر: له معنيان؛ من الطيران ومن الطيرة.

طوى: قيل: اسم الوادي، وقيل: معناه مرتين، أي قدس الوادي مرتين.

طهارة: له معنيان؛ الطهارة بالماء ومنه: ﴿جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [سورة المائدة آية ٧] والماء الطهور وهو المطهر والطهارة من القبائح والرذائل ومنه: ﴿أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف آية ٨١].

طيب: له معنيان؛ اللذيذ، والحلال.

طوفان: سيل عظيم.

طاغوت: أصنام وشياطين ويكون مفردا أو جمعا والطاغوت أيضا رئيس النصارى على قول.

طباق: بعضها على بعض و﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [سورة الانشقاق آية ١٩] حالا بعد حال.

طور:[١] جبل وهو الطود.

طفق: يفعل كذا أي جعل يفعله.

طائفين: من الطواف وطيف من الشيطان: لمم، وطائف فاعل منه..

* * *

(١) قوله: (بالضم) زيادة من (ف).

حرف الظاء

ظهر: الأمر بدا، وأظهره غيره أبداه، وظهير معين.

ظاهر: الرجل من امرأته وتظاهر وتظهر أي قال لها: أنت علي كظهر أمي، وهو الظهار.

ظهر البيت: أعلاه وظهرته أي ارتفعت عليه ومنه: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ [سورة الكهف آية ٩٣].

ظلم: يقع في القرآن على ثلاثة معان: الكفر، والمعاصي، وظلم الناس، أي التعدي عليهم.

ظن: له ثلاثة معان التحقيق، وغلبة أحد الاعتقادين، والتهمة.

ظمئ: عطش.

ظلال: جمع ظل، وظلل بالضم جمع ظلة وهي ما كان من فوق، وظل بالنهار بمنزلة بات بالليل.

حرف الكاف

كافر: له معنيان؛ من الكفر وهو الجحود وبمعنى الزرع ومنه: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ [سورة الحديد آية ١٩] أي الزراع، وتكفير الذنوب: غفرانها.

كافة: جميعا.

كرة: رجعة.

كبر: بكسر الباء: من السن يكبر بالفتح في المضارع، وكبر الأمر بالضم في المضارع والماضي، وكبر بضم الكاف وفتح الباء جمع كبرى، وكبار بالضم والتشديد:

كبير مبالغة، والكبر: التكبر، وكبر الشيء بكسر الكاف وضمها: معظمه، والكبرياء: الملك والعظمة، والمتكبر: اسم الله تعالى من الكبرياء، أو[١] بمعنى العظمة.

كفل: يكفل أي ضم الصبي وحضنه و﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾ [سورة ص آية ٢٢] اجعلني كافلها

كفيل: نصيب[٢].

كلالة: هي أن يموت الرجل ولا ولد له ولا والد.

كاد: قارب الأمر ولم يفعله، فإذا نفي اقتضى الإثبات.

كريم: من الكرم، وهو الحسب والجلالة والفضل، وكريم: اسم الله تعالى أي محسن.

أكنة: أغطية، وأكنان جمع كن وهو[٣] ما وقى من الحر والبرد.

كهل: هو الذي انتهى شبابه.

أكمام: الثمر والنخل جمع كم، وهو ما تكون الثمرة فيه قبل خروجها.

أكب: الرجل على وجهه فهو مكب وكبه غيره بغير ألف.

كهف: غار.

كيد: هو من المخلوق احتيال، ومن الله مشيئة أمر ينزل[٤] بالعبد من حيث لا يشعر.

كسفا: بفتح السين جمع كسفة وهي القطعة من الشيء وبالسكون كذلك أو مفرد.

---

(١) قوله: (أو) ساقط من (ف).
(٢) قال المؤلف في سورة النحل، كفيل: رقيب.
(٣) قوله: (وهو) ساقط من (ف).
(٤) في (ف): (يقع).

كبتوا: أي أهلكوا، ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ [سورة آل عمران آية ١٢٧] يهلكهم، أو يخزيهم[١].

أكمه: هو الذي ولد أعمى.

كان: على نوعين تامة بمعنى حضر أو حدث أو وقع وهي ترفع الفاعل، وناقصة وهي[٢]: ترفع الاسم وتنصب الخبر، وتقتضي ثبوت الخبر للمخبر عنه في زمانها، وقد تأتي بمعنى الدوام في مثل قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [سورة النساء آية ٩٥] ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً﴾ [سورة الفرقان آية ٥٤] وشبه ذلك، وهو كثير في القرآن، ومعناه لم يزل ولا يزال موصوفا بذلك الوصف[٣].

كأن: معناها التشبيه.

كي: معناها التعليل.

كم: معناها التكثير وهي خبرية واستفهامية.

كأين: بمعنى كم وهي عند سيبويه كاف التشبيه دخلت على أي.

كلا: حرف ردع وزجر، وقيل: إنها تكون للنفي أي ليس الأمر كما ظننت، وقيل: إنها استفتاح كلام بمعنى إلا.

الكاف: بمعنى التشبيه وبمعنى التعليل وقيل إنها تكون زائدة.

حرف اللام

لبس: الأمر أي خلطه[٤] بفتح الباء في الماضي وكسرها في المستقبل، ولبس

(١) في (ف): (أو خزيهم).
(٢) قوله: (وهي) ساقط من (ف) و(ع).
(٣) قوله: (الوصف) ساقط من (ف).
(٤) في (ع): (خلط).

الثوب: بالكسر في الماضي والفتح في المستقبل.

ألباب: عقول، وهو جمع لب.

لبث: في المكان أقام فيه.

لمز: يلمز: أي عاب الشيء.

لؤلؤ: جوهر.

لغو الكلام: الباطل[١] منه والفحش، ولغو اليمين ما لا يلزم.

لها: بفتح الهاء من اللهو ومضارعه يلهو، ولهي عن الشيء بالكسر والياء يلهى بالفتح إذا أعرض عنه، وألهاه الشيء إذا[٢] أشغله، ومنه: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾ [سورة المنافقون آية ٩].

لطيف: اسم الله تعالى، قيل: معناه رفيق، وقيل: خبير بخفيات الأمور.

لدى ولدن: معناهما عند.

ليت: معناها التمني.

لعل: معناها الترجي في المحبوبات، والتوقع للمكروهات، وأشكل ذلك في حق الله تعالى، فقيل: جاءت في القرآن على منهاج كلام العرب وبالنظر إلى المخاطب، أي ذلك مما يرتجى[٣] عندكم أو[٤] يتوقع، وقد يكون معناها[٥]: التعليل، أو مقاربة الأمر، فلا إشكال.

لو: لها معنيان؛ التمني، وامتناع شيء لامتناع غيره.

---

(١) في (ف): (الباطل الفحش).
(٢) قوله: (إذا) ساقط من (ف).
(٣) في (ف): (فيما يترجى).
(٤) في (أ) و(ع): (أي)، والصواب ما أثبتنا من (ف).
(٥) قوله: (معناها) ساقط من (ف).

لولا: لها معنيان؛ العرض، مثل لوما، وامتناع الشيء[١] لوجود غيره.

لما: لها معنيان؛ النفي، وهي الجازمة، ووجود شيء لوجود غيره. وأما

لما: بالتخفيف فهي لام التأكيد دخلت على ما، وقال الكوفيون: هي بمعنى إلا الموجبة بعد النفي.

لا: ثلاثة أنواع نافية وناهية وزائدة.

اللام: خمسة أنواع؛ لام الجر، ولام كي، ولام الجحود، ولام الأمر، ولام التأكيد في القسم وغيره وهي المفتوحة.

ثم إن لام الجر لها ثلاثة معان؛ الملك، والاستحقاق، والتعليل. وقد تأتي للتعدي إذا ضعف العامل[٢]، وقد تأتي بمعنى عند نحو: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [سورة طه آية ١٣] و﴿أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ [سورة الإسراء آية ٧٨]، ولام كي معناها: السببية، والتعليل، وقد تأتي بمعنى الصيرورة في العاقبة، نحو: ﴿فَالْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [سورة القصص آية ٧]، وقد تأتي بمعنى أن المصدرية، ومنه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [سورة النساء آية ٢٦].

حرف الميم

مرض: الجسد معروف، ومرض القلب: الشك في الإيمان، والبغضة في الدين.

المن: شبه العسل، وقيل: خبز النقي. والسلوى: طائر، والمن أيضا: الإنعام، والمن أيضا: العطية، والمن أيضا: القطع، ومنه: ﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [سورة فصلت آية ٧].

---

(١) في (ف): (شيء).

(٢) في (ف) للعامل.

أماني: جمع أمنية ولها ثلاثة معان: ما تتمناه النفس، والتلاوة، والكذب، وكذلك تمنى: له هذه المعاني الثلاثة.

ملأ: القوم أشرافهم وذوو الرأي منهم.

مثل: بفتح الميم والثاء له أربعة معان؛ الشبيه والنظير، ومن المثل المضروب وأصله من التشبيه، ومثل الشيء: حاله وصفته، والمثل: الكلام الذي يتمثل به. ومثل الشيء بكسر الميم: شبهه.

مرية: شك، ومنه: ﴿ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [سورة البقرة آية ١٤٦] أي الشاكين، و﴿فَلَا تُمَارِ﴾ [سورة الكهف آية ٢٢] من المراء، وهو الجدال.

أملى لهم: أمهلهم وزادهم.

مهاد: فراش.

مد: يمد أي أملى، وقد تكون بمعنى زاد، مثل أمد بألف من المداد.

مضغة: قطعة لحم.

إملاق: فقر.

مريد: ومارد، من العتو والضلال.

مكانة: بمعنى مكان أو[١] من التمكين[٢] والعز ومنه: ﴿مَكِينٌ﴾ [سورة يوسف آية ٥٤].

مواخر: فواعل من المخر، يقال: مخرت السفينة إذا جرت تشق الماء.

مجيد: من المجد وهو الكرم والشرف.

مقت: هو الذم، أو البغض، على فعل القبيح[٣].

---

(١) في (أ): (أي).

(٢) في (ف): (التمكن).

(٣) في (أ): (على ما فعل من القبيح).

معين: ماء جار كثير، وهو من قولك: معن الماء: أي كثر، وقيل: هو مشتق من العين ووزنه مفعول فالميم زائدة.

مريج: مختلط، والمارج: لهب النار من قولك: مرج الشيء إذا اضطرب، وقيل: من الاختلاط أي خلط نوعين من النار.

مرج: البحرين أي خلى بينهما، وقيل: خلطهما وقيل: أفاض أحدهما في الآخر.

مهل: فيه قولان؛ دردي الزيت، وما أذيب من النحاس.

منون: له معنيان؛ الموت والدهر.

مس: له معنيان؛ اللمس باليد وغيره، والجنون.

من: أربعة أنواع: شرطية، وموصولة، واستفهامية، ونكرة موصوفة.

ما: إذا كانت اسما فلها ستة أنواع: شرطية، وموصولة، واستفهامية، وموصوفة، وصفة، وتعجبية، وإذا كانت حرفا فلها خمسة أنواع: نافية، ومصدرية، وزائدة، وكافة، ومبهمة[1].

من: لها ستة أنواع؛ لابتداء الغاية، ولجملة الغاية، وللتبعيض، ولبيان الجنس، وللتعليل، وزائدة.

مهما: اسم شرط.

حرف النون

نظر: له معنيان؛ من النظر ومن الانتظار فإذا كان من الانتظار[2] تعدى بغير حرف، ومن نظر العين يتعدى بإلى، ومن نظر القلب يتعدى بفي.

أنظر: بالألف أخر ومنه: ﴿أَنظِرْنِي﴾ [سورة الأعراف آية ١٣] و﴿مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ [سورة الأعراف آية ١٤] و﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [سورة البقرة آية ٢٧٩].

(١) في (ف): (مهيأة).

(٢) قوله: (فإذا كان من الانتظار) ساقط من (ف).

نضرة: بالضاد: من التنعم، ومنه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [سورة القيامة آية ٢١] [القيامة: ٢٢] أي ناعمة، وأما: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [سورة القيامة آية ٢٢] فهو من النظر.

نعمة: بفتح النون: من النعيم، ويكسرها: من الإنعام.

أنعام: هي الإبل والبقر والغنم دون سائر البهائم ويجوز تذكيرها وتأنيثها ويقال لها أيضا نعم.

نعم: كلمة مدح ويجوز فيها كسر النون وفتحها وإسكان العين وكسرها.

نعم: بفتح العين والنون كلمة تصديق وموافقة على ما قبلها من نفي أو إثبات، بخلاف بلى فإنها للإثبات خاصة ويجوز في نعم فتح العين وكسرها.

ند: هو المضاهي والمماثل والمعاند، وجمعه أنداد.

أنذر: أعلم بالمكروه قبل وقوعه، ومنه: ﴿نَذِيرٍ﴾ [سورة المائدة آية ٢١] و﴿مُنذِرٌ﴾ [سورة الرعد آية ٨] و﴿الْمُنذَرِينَ﴾ [سورة يونس آية ٧٣] و﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [سورة الملك آية ١٧] أي إنذاري فهو مصدر، ومنه: ﴿عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [سورة القمر آية ١٦] والنذر بغير ألف، ومنه: ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ [سورة البقرة آية ٢٦٩]، ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [سورة الحج آية ٢٧].

نكال: له معنيان؛ العقوبة، والعبرة.

نجى: بتشديد الجيم له معنيان؛ من النجاة ومن النجوة وهي(١) الموضع المرتفع، ومنه: ﴿نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [سورة يونس آية ٩٢] على قول.

نجوى: معناه كلام خفي، ومنه: ناجى، ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [سورة مريم آية ٥١] وقيل: إنه يكون بمعنى الجماعة من الناس في قوله: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ﴾ [سورة الإسراء آية ٤٧] وقد يحمل ذلك على حذف مضاف تقديره: وإذ هم أصحاب نجوى.

نسيان: له معنيان؛ الذهول ومنه: ﴿إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [سورة البقرة آية ٢٨٥]

(١) في (أ): (وهو).

والترك ومنه: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [سورة التوبة آية ٦٧].

نسخ: له معنيان؛ الكتابة، ومنه: ﴿نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الجاثية آية ٢٨] والإزالة، ومنه: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [سورة البقرة آية ١٠٥].

نصر: بالصاد المهملة[1] معروف، وبالسين: اسم صنم، ﴿وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [سورة نوح آية ٢٤] واسم طائر أيضا.

نشور: خروج الناس من القبور، يقال: أنشرهم الله فنشروا، والرياح: نشرا، لأنها تنشر السحاب.

نشوز: بالزاي له معنيان؛ شر بين الرجل والمرأة، وارتفاع، ومنه: ﴿انشُزُوا﴾ [سورة المجادلة آية ١١] أي قوموا من المكان.

نزل: بضمتين رزق وهو ما يطعم الضيف.

نأى: أي بعد ومنه: ﴿وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ [سورة الأنعام آية ٢٧].

نكص: رجع إلى وراء.

نفر: نفورا عن الشيء ونفر ينفر بضم المضارع ومنه نفرت الدابة ونفر ينفر بكسر المضارع نفيرا: أي أسرع وجد ومنه: ﴿انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة آية ٣٨].

نبأ: خبر، ومنه اشتق النبيء بالهمز وترك الهمز تخفيفا، وقيل: إنه عند من ترك الهمز: مشتق من النبوة وهي الارتفاع.

نطفة: أي[2] نقطة من ماء، ومنه: ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [سورة فاطر آية ١١] يعني من المني.

أناب: إلى الشيء رجع ومال إليه، ومنه: ﴿مُّنِيبٌ﴾ [سورة هود آية ٧٤].

---

(١) قوله: (المهملة) زيادة من (أ).

(٢) قوله: (أي) ساقط من (أ).

نفد: ينفد: أي تم وانقطع.

نهر: بفتح الهاء: الوادي ويجوز الإسكان، ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى١٠]، فهو من الانتهار، وهو الزجر.

منير: من النور، وهو الضوء حسا أو معنى.

نصب: بضمتين وبضم النون وإسكان الصاد وبفتح النون وإسكان الصاد، بمعنى واحد وهو حجر أو صنم كان المشركون يذبحون عنده وجمعه أنصاب.

نصب: بفتحتين تعب و﴿مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِنُصْبٍ﴾ [سورة ص آية ٤٠]، أي بلاء وشر.

نقم: الشيء ينقمه: أي كرهه وعابه.

نضيد: أي منضود بعضه إلى بعض.

نكير: إنكار ويقال نكر الشيء وأنكره بمعنى.

نسل: بمعنى أسرع[١]، ومنه: ﴿يَنسِلُونَ﴾ [سورة الأنبياء آية ٩٥]، من النسلان، وهو الإسراع في المشي مع قرب الخطا.

حرف الصاد

صراط: هو في اللغة الطريق، ثم استعمل في القرآن بمعنى الطريقة الدينية، وأصله السين ثم قلبت صادا لحرف الإطباق بعدها، وفيه ثلاث لغات بالصاد وبالسين وبين الصاد والزاي[٢]

(١) قوله: (نسل: بمعنى أسرع) ساقط من (ف).

(٢) قال محمد بن الجزري في تحبير التيسير: الصراط وصراط حيث وقعا بإشمام الصاد [الزاي] وخلاد بإشمامها الزاي في قوله تعالى: الصراط المستقيم ([هنا] خاصة، وقنبل ورويس: بالسين حيث وقعا، والباقون بالصاد، ص: ١٨٦، وانظر النشر: ١/٣١٠.

صلاة: إذا كانت من الله فمعناها رحمة وإذا كانت من المخلوق فلها معنيان؛ الدعاء والأفعال المعلومة.

صوم: أصله في اللغة الإمساك مطلقا، ثم استعمل شرعا في الإمساك عن الطعام والشراب وقد جاء بمعنى الصمت في قوله: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ [سورة مريم آية ٢٥]، لأنه إمساك عن الكلام.

صدقة: يطلق على الزكاة الواجبة وعلى التطوع، ومنه: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾ [سورة الحديد آية ١٧] بالتشديد أي المتصدقين[1].

وأما ﴿أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ [الصافات: ٥٢] بالتخفيف فهو من التصديق.

صدقة: بضم الدال صداق المرأة، ومنه: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤]، والصدق في القول ضد الكذب، والصدق في الفعل حسن النية فيه، والصدق في القصد: العزم الصادق.

صعد: يصعد أي ارتفع، وأصعد بالألف يصعد بالضم أي أبعد في الهروب، ومنه: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣]، ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [المائدة: ٦]، أي ترابا، والصعيد وجه الأرض.

صد: له معنيان؛ فالمتعدي بمعنى منع غيره من شيء ومصدره صد ومضارعه بالضم، وغيره بمعنى أعرض ومصدره صدود.

صار: له معنيان؛ من الانتقال، ومنه: ﴿تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [سورة الشورى آية ٥٠]، والمصير ويمعنى ضم ومضارعه يصور، ومنه: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [سورة البقرة آية ٢٥٩].

صاعقة: لها[2] ثلاثة معان؛ الموت، وكل بلاء يصيب، وقطعة نار تنزل مع شدة الرعد والمطر وجمعها صواعق.

---

(١) قوله: (بالتشديد أي المتصدقين) ساقط من (أ).

(٢) في (أ): (له).

أصر: على الذنب يصر إصرارا دام عليه ولم يتب منه.

صواع: مكيال وهو السقاية والصاع، وسواع بالسين اسم صنم.

صابين: قوم يعبدون الملائكة ويقولون إنها بنات الله، وقيل: إنهم يرون تأثير الكواكب، وفيه لغتان الهمز وتركه من صبأ إلى الشيء إذا مال إليه.

تصطلون: تفتعلون من صلي بالنار إذا تسخن بها، والطاء بدل من التاء.

اصطفى: أي اختار وأصله من الصفا أي اتخذه صفيا.

صغار: بفتح الصاد ذلة، ومنه: ﴿صَٰغِرُونَ﴾ [سورة التوبة آية ٢٩]، والصغير ضد الكبير.

صدف: عن الشيء يصدف أعرض عنه.

صريخ: مغيث ومنه: ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾ [سورة إبراهيم آية ٢٥].

صلصال: طين يابس، فإذا مسته النار فهو فخار.

صرح: قصر، وهو أيضا البناء العالي.

حرف الضاد

ضرب: له أربعة معان؛ من الضرب باليد وشبهه، ومن ضرب الأمثال، ومن السفر، ومنه: ﴿ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة النساء آية ١٠٠]، ومن الالتزام، ومنه: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ [سورة البقرة آية ٦٠]، أي ألزموها و﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ [سورة الكهف آية ١١]، أي ألقينا عليهم النوم، و﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ﴾ [سورة الزخرف آية ٤]: أي نمسك عنكم التذكير.

ضاعف: الشيء كثره ويجوز فيه التشديد، وضعف الشيء بكسر الضاد مثلاه،

وقيل: مثله. والضعف أيضا العذاب والضعف بالضم ويجوز[(١)] فيه الفتح.

ضر: بفتح الضاد وضمها بمعنى واحد[(٢)]، وكذلك الضير بالياء، ومنه: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ﴾ [سورة آل عمران آية ١٢٠]، والضراء: ما يصيب من المرض وشبهه.

ضحى: أول النهار والفعل منه أضحى وأما ضحى بكسر الحاء يضحى في المضارع: فمعناه برز للشمس وأصابه حرها، ومنه: ﴿لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [سورة طه آية ١١٦].

ضيف: يقال للواحد والاثنين والجماعة.

ضيق: بكسر الضاد: مصدر، وبفتحها مع إسكان الياء تخفيف من ضيق المشدد كميت وميت.

حرف العين

عاذ بالله يعوذ: أي استجار به ولجأ إليه ليدفع عنه ما يخاف، ويقال أيضا استعاذ يستعيذ ومنه: ﴿عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم﴾ [سورة غافر آية ٢٧]، و﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ [سورة يوسف آية ٢٣].

العالمين: جمع عالم وهو عند المتكلمين: كل موجود سوى الله تعالى، وقيل: العالمين الإنس والجن والملائكة لجمعه جمع العقلاء، وقيل: الإنس خاصة، لقوله: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الشعراء آية ١٦٥].

يعمهون: يتحيرون في ضلالهم، والعمه: الحيرة.

عدل: يعدل عدلا ضد جار، وعدل عن الحق عدولا، وعدلت فلانا بفلان سويت بينهما ومنه: ﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [سورة الأنعام آية ٢]، والعدل له ثلاثة معان؛

---

(١) في (ف): (يجوز).

(٢) قوله: (واحد) زيادة من (أ).

ضد الجور، والفدية، ومنه: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [سورة البقرة آية ١٢٢]، ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ [سورة الأنعام آية ٧٠]، ومثل[1] الشيء، ومنه: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ [سورة المائدة آية ٩٧].

عزيز: اسم الله تعالى، معناه الغالب. وعز: غلب، ومنه: ﴿وَعَزَّنِى فِى الْخِطَابِ﴾ [سورة ص آية ٢٢] أي غلبني، والغلبة ترجع إلى القوة والقدرة ومنه: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [سورة يس آية ١٣]، أي قوينا وقيل العزيز العديم المثل.

عفا: له أربعة معان؛ عفا عن الذنب أي صفح عنه وعفا أسقط حقه ومنه[2]: ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ الَّذِى بِيَدِهِۦ﴾ [سورة البقرة آية ٢٣٥]، وعفا القوم كثروا ومنه: ﴿حَتَّىٰ عَفَوا۟﴾ [سورة الأعراف آية ٩٤]، وعفا المنزل: درس.

عفو: له ثلاثة معان؛ الصفح عن الذنب، والإسقاط، والسهل من غير كلفة، ومنه: ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [سورة البقرة آية ٢١٧، ٢١٨].

عين: له في القرآن معنيان؛ العين المبصرة وعين الماء، وله في غير القرآن معان كثيرة.

عين: بكسر العين واسعات العيون[3] وهو جمع عيناء.

عنت: معناه الهلاك، أو المشقة، ومنه: ﴿وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ [سورة البقرة آية ٢١٨]، أي لأهلككم أو ضيق عليكم والعنت أيضا الزنا ومنه: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ الْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ [سورة النساء آية ٢٥] وأما: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ﴾ [سورة طه آية ١٠٨] فليس من هذا لأن لامه واو، فهو من عنا يعنو إذا خضع[4].

(١) في (ف): (أو مثل).
(٢) قوله: (ومنه) ساقط من (ف).
(٣) في (ع) و(ف): (العين).
(٤) ومعنى عنت الوجوه: ذلت.

عاقب: له معنيان؛ من العقوبة على الذنب، ومن العقبى ومنه: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ﴾ [سورة الممتحنة آية ١١]، أي أصبتم عقبى.

أعجاز نخل: أصولها، أعجز الشيء: إذا فات ولم يقدر عليه، ومنه: ﴿وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [سورة الزمر آية ٤٨] ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ﴾ [سورة فاطر آية ٤٤]، وأما ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ [سورة الحج آية ٤٩]، بالألف: فمعناه مسابقين.

عال: يعيل عيلة: أي افتقر، ومنه: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [سورة التوبة آية ٢٨][1] ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [سورة الضحى آية ٨]، وعال يعول: عدل عن الحق، وعال يعول أيضا: كثر عياله، والأشهر أن يقال في هذا المعنى: أعال بالألف.

عرج: يعرج بفتح الراء في الماضي وضمها في المضارع صعد وارتقى، ومنه: المعارج، وعرج بالكسر في الماضي والفتح في المضارع صار أعرج.

عتبى: معناه الرضى ومنه: ﴿فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ [سورة فصلت آية ٢٣]، ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [سورة النحل آية ٨٤]، والعتاب: العذل.

أعد: بالألف يسر الشيء وهيأه، وعد بغير ألف من العدد.

عرش: سرير الملك ومنه: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [سورة يوسف آية ١٠٠] و﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ [سورة النمل آية ٤٢] وعرش الله فوق السماوات، وتعرشون: تبنون، و﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [سورة البقرة آية ٢٥٨]، سقوفها.

عورة: أصل معناه الانكشاف فيما يكره كشفه، ولذلك قيل: عورة الإنسان و﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ﴾ [سورة النور آية ٥٦]، أي أوقات انكشاف و﴿بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ [سورة الأحزاب آية ١٣]، أي خالية معرضة للسراق.

---

(١) قوله: (﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾) ساقط من (ف) و(ع).

عاقر: له معنيان؛ المرأة العقيم، واسم فاعل من عقر الحيوان.

عبر: يعبر له معنيان؛ من عبارة الرؤيا ومنه: ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [سورة يوسف آية ٤٣]، ومن الجواز على الموضع ومنه: ﴿عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ [سورة النساء آية ٤٣].

عمون: جمع عم، وهو صفة على وزن فعل بكسر العين من العمى في البصر أو في البصيرة.

علا: يعلو تكبر، ومنه: ﴿قَوْماً عَالِينَ﴾ [سورة المؤمنون آية ٤٧]، و﴿عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة القصص آية ٣]، والعلي: اسم الله والمتعالي والأعلى من العلو بمعنى الجلال والعظمة، وقيل: بمعنى التنزيه عما لا يليق به.

عزب: الشيء غاب، ومنه: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾ [سورة يونس آية ٦١] أي لا يخفى عنه.

عصبة: جماعة من العشرة إلى الأربعين.

علقة: واحدة العلق وهو الدم.

عاصف: ريح شديدة.

عصف: ورق الزرع.

حرف الغين

غشاوة: غطاء إما حقيقة أو مجاز.

غمام: هو السحاب.

غلف: جمع أغلف وهو كل شيء جعلته في غلاف، ومنه: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [سورة البقرة آية ٨٧][1]، أي قلوبنا محجوبة.

---

(١) قوله: (﴿قُلُوبُهُمْ وَجِلَتْ﴾) ساقط من (ف).

غرفة: بضم الغين لها معنيان؛ المسكن المرتفع والغرفة من الماء بالضم وبالفتح المرة الواحدة.

غادر: ترك ومنه: ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾ [سورة الكهف آية ٤٦].

غل: يغل من الغلول، وهو الخيانة، والأخذ من المغنم بغير حق، والغل: الحقد.

أغلال: جمع غل بالضم وهو ما يجعل في العنق، ومنه: مغلولة.

غلا: يغلو من الغلو وهو مجاوزة الحد والإفراط ومنه: ﴿لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١]، أي لا تجاوزوا الحق.

غائط: المكان المنخفض ثم استعمل في حاجة الإنسان.

غشي: الأمر يغشى بالكسر في الماضي والفتح في المضارع معناه غطى حسا ومعنى ومنه: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [سورة الليل آية ١] لأنه يغطى بظلامه وينقل[1] بالهمزة والتشديد فيقال: غشى وأغشى، ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [سورة الأعراف آية ٤٠]، يعني ما يغشاهم من العذاب أو يصيبهم ومنه: ﴿غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ [سورة يوسف آية ١٠٧]، والغاشية أيضا: القيامة، لأنها تغشى الخلق.

غبر:[2] له معنيان؛ ذهب وبقي ومنه: ﴿عَجُوزاً فِي الْغَابِرِينَ﴾ [سورة الشعراء آية ١٧١] أي في الهالكين الذاهبين، أو في الباقين في العذاب.

غرور: بضم الغين: مصدر، وبفتحها: اسم فاعل مبالغة، ويراد به: إبليس.

غاض: الشيء نقص، ومنه: ﴿وَغِيضَ الْمَآءُ﴾ [سورة هود آية ٤٤]، و﴿تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾ [سورة الرعد آية ٩].

---

(١) في (ف): (ويقال).

(٢) في (ف): (غابر).

وغاظ: يغيظ، بالظاء المشالة: من الغيظ.

غور: أي غائر، من غار الماء إذا ذهب.

غرام: عذاب، ومنه: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ [سورة الواقعة آية ٦٩]، والمغرم: غرم المال، ومنه: ﴿مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ [سورة الطور آية ٣٨].

حرف الفاء

فرقان: مفرق بين الحق والباطل، ومنه: ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [سورة الأنفال آية ٢٩] أي تفرقة، ولذلك سمي القرآن بالفرقان.

فئة: جماعة من الناس.

فصال: فطام من الرضاع.

فضل: له معنيان؛ الإحسان والربح في التجارة وغيرها، ومنه: ﴿يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [سورة المزمل آية ٢٠].

فسق: أصله الخروج، وتارة يرد بمعنى الكفر وتارة بمعنى العصيان

فتنة: لها ثلاثة معان؛ الكفر، والاختبار، والتعذيب.

فاء: يفيء أي رجع.

فلك: بضم الفاء: سفينة، ويستوي فيه المفرد والجمع.

فلك: بفتحتين القطب الذي تدور به الكواكب.

فزع: له معنيان؛ الخوف، والإسراع، ومنه: ﴿إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ﴾ [سورة سبأ آية ٥١].

فرح: له معنيان؛ السرور، والبطر.

فاحشة: وفحشاء هي كل ما يقبح ذكره من المعاصي.

فرض: له معنيان؛ الوجوب، والتقدير.

فتح: له معنيان؛ فتح الأبواب ومنه فتح البلاد وشبهها، والحكم، ومنه: ﴿افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا﴾ [سورة الأعراف آية ٨٨]، ويقال للقاضي فتاح، واسم الله تعالى الفتاح: قيل: الحاكم، وقيل: خالق الفتح والنصر.

انفضوا: أي[1] تفرقوا.

فطره: خلقه ابتداء، ومنه: ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة الأنعام آية ١٥]، ومنه: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [سورة الروم آية ٢٩]، وفطرة الله الخلقة التي خلق الخلق عليها، وأفطر بالألف: من الطعام.

فطور: شقوق، ومنه: ﴿انفَطَرَتْ﴾ [سورة الانفطار آية ١]، أي انشقت، و﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ [سورة مريم آية ٩٠].

فج: طريق واسع، وجمعه فجاج.

فار التنور: يقال لكل شيء هاج وغلا حتى فاض، ومنه: ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ [سورة الملك آية ٧]، وقولهم: فارت القدر.

فوج: جماعة من الناس، وجمعه أفواج.

فاكهين: من التلذذ بالفاكهة، أو من الفكاهة[2] وهي السرور واللهو.

فؤاد: هو القلب وجمعه أفئدة.

استفز: يستفز أي استخف.

فقه: فهم، ومنه: ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ [سورة الأعراف آية ١٧٩] و﴿مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا﴾ [سورة هود آية ٩١].

(١) قوله: (أي) ساقط من (ع) و(أ).

(٢) في (ف): (ومن المفاكهة)، وفي (ع): (الفاكهة).

في: حرف جر بمعنى الظرفية، وقد تكون للتعليل، وقد تكون بمعنى مع، وقيل بمعنى على.

الفاء:[١] ثلاثة أنواع: عاطفة، ورابطة، وناصبة للفعل بإضمار أن، ومعناها الترتيب والتعقيب والتسبب

حرف القاف

قرآن: له معنيان؛ القرآن العزيز ومصدره قرأ أي تلا، ومنه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [سورة القيامة آية ١٦].

قنوت: له خمسة معان؛ العبادة، والطاعة، والقيام في الصلاة، والدعاء، والسكوت.

قضاء: له سبعة معان؛ الحكم، والأمر، والقدر السابق، وفعل الشيء، والفراغ منه، والموت، والإعلام بالشيء، ومنه: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ [سورة الحجر آية ٦٦].

قدر: له خمسة معان؛ من القدرة، ومن التقدير، ومن المقدار، ومن القدر والقضاء، وبمعنى التضييق، نحو: ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ [سورة الفجر آية ١٧]، وقد يشدد الفعل ويخفف، والقدر بفتح الدال وإسكانها: القضاء والمقدار، وبالفتح لا غير، من القضاء.

قام: له ثلاثة معان؛ من القيام على الرجلين، ومن القيام بالأمر بتدبيره وإصلاحه، ومنه: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [سورة النساء آية ٣٤]، وقام الأمر: ظهر واستقام، ومنه: ﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [سورة التوبة آية ٣٦] و﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [سورة البينة آية ٥].

أقام: له ثلاثة معان؛ أقام الرجل غيره من القيام ومن التقويم ومنه: ﴿جِدَارًا

(١) في (أ) و(ف) زيادة (لها)، وهي ساقطة من (ع).

يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾ [سورة الكهف آية ٧٦] وأقام في الموضع: سكن، ومنه: مقيم، أي دائم.

قيوم: اسم الله تعالى وزنه فيعول وهو بناء مبالغة من القيام على الأمور معناه: مدبر الخلائق في الدنيا والآخرة، ومنه: ﴿قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾ [سورة الرعد آية ٣٤].

قيام: له معنيان؛ مصدر قام على اختلاف معانيه، وبمعنى قوام الأمر وملاكه. وقيم بغير ألف: جمع قيمة.

قرض: سلف والفعل منه أقرض يقرض.

أقسط: بالألف قسطا عدل في الحكم، ومنه: ﴿يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة المائدة آية ٤٤]، وقسط بغير ألف جار، ومنه: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥].

مقاليد: فيه قولان: خزائن، ومفاتح.

قدس: يقدس من التنزيه والطهارة وقيل من التعظيم، والقدوس: اسم الله تعالى فعول من النزاهة عما لا يليق به.

قال: يقول من القول وقد يكون بمعنى الظن ومصدره قول وقيل[1] وقال يقيل من القائلة ومنه: ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [سورة الأعراف آية ٣]، ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [سورة الفرقان آية ٢٤].

قفى: اتبع، وأصله من القفا، يقال: قفوته إذا جئت في أثره، وقفيته بالتشديد: إذا سقت شيئا في أثره، ومنه: ﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ [سورة البقرة آية ٨٦].

قرن: جماعة من الناس، وجمعه قرون.

قواعد: البيت أساسه، واحده قاعدة، والقواعد من النساء واحده قاعد، وهي العجوز.

---

(١) قوله: (قيل) ساقط من (أ).

قربان: ما يتقرب به إلى الله تعالى من الذبائح وغيرها وقربان أيضا من القرابة.

قلى: يقلي أبغض، ومنه: ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣]، و﴿لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨].

اقترف: اكتسب حسنة، أو سيئة.

قصص: له معنيان؛ من الحديث، ومن قص الأثر، ومنه: ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [سورة الكهف آية ٦٣]، ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ [سورة القصص آية ١٠].

قررت: به عينا أقر بالكسر في الماضي والفتح في المضارع، وقررت في المكان بالفتح في الماضي والكسر في المضارع.

قسطاس: ميزان.

قتر: وقترة غبار، وهو عبارة عن تغير الوجه، وقتور من التقتير.

قارعة: داهية وأمر عظيم.

قبس: شعلة نار.

قنط: يئس من الخير.

قرطاس: صحيفة وجمعه[1] قراطيس.

حرف السين

أسباط: جمع سبط وهم ذرية يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، كان له اثنا عشر ولدا ذكرا، فأعقب كل واحد منهم عقبا، والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب.

سبيل: هو الطريق وجمعه سبل ثم استعمل في طريق الخير والشر، وسبيل الله الجهاد، وابن السبيل الضيف، وقيل: الغريب.

(١) في (ف): (وجمعها).

سوى: بالتشديد له معنيان؛ من التسوية بين الأشياء وجعلها سواء، وبمعنى أتقن وأحسن، ومنه: ﴿فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [سورة الانفطار آية ٧].

سواء: بالفتح والهمز من التسوية بين الأشياء، و﴿سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥]، وسطها و﴿سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ [سورة ص آية ٢١]، قصد الطريق.

سوى: بالكسر والضم مع ترك الهمز استثناء وقد يكون من التسوية.

سفهاء: جمع سفيه وهو الناقص العقل وأصل السفه الخفة ولذلك قيل لمبذر المال: سفيه، وللكفار والمنافقين: سفهاء.

سلوى: طائر يشبه السماني وكان ينزل على بني إسرائيل مع المن.

سأل: له معنيان؛ طلب الشيء، والاستفهام عنه، وسال بغير همز من المعنيين المذكورين، ومن السيل.

سبحان: تنزيه، وسبحت[1] الله: أي نزهته عما لا يليق به من الصاحبة والولد والشركاء والأنداد وصفات الحدوث، وجميع العيوب والنقائص.

سار: يسير مشى ليلا أو نهارا.

سرى: يسري مشى ليلا ويقال أيضا أسرى بالألف.

سخر: يسخر بالكسر في الماضي والفتح في المضارع أي استهزأ.

سخر: بالتشديد من التسخير.

سخريا: بضم السين من السخرة وهي تكليف الأعمال، وبالكسر من الاستهزاء.

سلطان: له معنيان؛ البرهان والقوة، ومنه: ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [سورة الرحمن آية ٣١].

---

(١) في (أ): (سبحان).

سام: يسوم أي كلف الأمر وألزمه، ومنه: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [سورة البقرة آية ٤٨]، وأصله من سوم السلعة في البيع.

سئم: يسأم أي مل، ومنه: ﴿وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [سورة فصلت آية ٣٧].

سنة: أي عادة(١).

سلف: الأمر أي تقدم وأسلفه الرجل أي قدمه، ومنه: ﴿هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ﴾ [سورة الحاقة آية ٢٣].

سراء: فعلاء من السرور.

سارع: إلى الشيء: بادر إليه.

إسراف: إفراط، والمسرفون: أي المبذرون: أو المفرطون في الكفر والمعاصي.

سوءة: عورة والسوء ما يسوء بالفتح والضم والسوأى فعلى من السوء و﴿سِيٓءَ بِهِمْ﴾ [سورة هود آية ٧٦]، فعل بهم السوء.

سنة: بفتح السين عام ولامها محذوفة وجمعها سنين، وقد تقال بمعنى القحط والجدب.

سنة: بكسر السين ابتداء النوم وفاؤها واو محذوفة لأنها من الوسن.

سلك: يسلك له معنيان؛ أدخل، ومنه: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ﴾ [القصص: ٣٢]، و﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ﴾ [سورة الزمر آية ٢٠]، ومن: سلوك الطريق.

أسفار: جمع سفر بفتحتين وجمع سفر وهو الكتاب.

ساح: يسيح أي سار، ومنه: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة التوبة آية ٢]، و﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ [سورة التوبة آية ١١٣] الصائمون.

---

(١) قوله: (سنة أي عادة) ساقط من (ف).

سول: بتشديد الواو: زين، ومنه: ﴿سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ [يوسف: ١٨]

سرابيل: جمع سربال، وهو القميص.

سبأ: قبيلة من العرب.

سموم: شدة الحر.

سلام: له ثلاثة معان: التحية، والسلامة، والقول الحسن، ومنه: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

سلام: اسم الله تعالى معناه ذو السلامة من كل نقص فهو من أسماء التنزيه، وقيل: مسلم[١] العباد من المهالك، وقيل: ذو السلام على المؤمنين في الجنة.

سلم: بفتحتين انقياد وإلقاء باليد وهو أيضا بيع.

سلم: بفتح السين وإسكان اللام صلح ومهادنة.

سلم: بكسر السين وإسكان اللام ومعناه الإسلام.

سلم: بضم السين وفتح اللام مشددة هو الذي يصعد فيه.

أسلم: يسلم[٢] له ثلاثة معان؛ الدخول في الإسلام، والإخلاص لله، والانقياد، ومنه: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ [الصافات: ١٠٣].

سعى: يسعى له ثلاثة معان؛ عمل عملا ومنه: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [سورة النجم آية ٣٨] ومشى، ومنه: ﴿فَاسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الجمعة آية ٩] وأسرع في مشيه ومنه: ﴿رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ [سورة يس آية ١٩].

سكن: يسكن له معنيان؛ من السكون ضد الحركة، ومن السكنى في الموضع.

---

(١) في (أ): (سلم).

(٢) قوله: (يسلم) ساقط من (أ).

سكينة: وقار وطمأنينة.

سائغ: سهل للشرب لا يغص به من شربه.

سابغات: دروع واسعات طوال[١].

أساطير الأولين: ما كتبه المتقدمون.

مصيطر: أي مسلط، و﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ [سورة الطور آية ٣٥]، أي الأرباب.

سندس: وإستبرق ثياب حرير، وقيل: السندس رقيق الديباج، والإستبرق صفيقه.

سحقا: بعدا، ومنه: ﴿مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [سورة الحج آية ٢٩] أي بعيد.

سعير: جهنم، وسعرت: أوقدت.

سبب: وجمعه أسباب له خمسة معان؛ الحبل، ومنه: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [سورة الحج آية ١٥]، والاستعارة من الحبل في المودة والقرابة، ومنه: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [سورة البقرة آية ١٦٥] والطريق، ومنه: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [سورة الكهف آية ٨٣]، والباب، ومنه: ﴿أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ﴾ [غافر: ٣٧]، وسبب الأمر موجبه.

حرف الشين

شعر: بالأمر يشعر أي علمه، والشعور: العلم من طريق الحس ومنه: ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة البقرة آية ١١].

شهد: يشهد له معنيان؛ من الشهادة على الشيء، ومن الحضور.

شهداء: جمع شهيد وله ثلاثة معان؛ من الشهادة على الشيء ومن الحضور، ومن الشهادة في سبيل الله.

---

(١) قوله: (طوال) ساقط من (أ).

شكرا: قد تقدم في الحمد والشكر، والشكور: اسم الله المجازي لعباده على أعمالهم بجزيل الثواب، وقيل: المثني على العباد.

شرى: أي باع وقد يكون بمعنى اشترى.

شقاق: عداوة ومعاندة، ومنه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [سورة الأنفال آية ١٣].

شهاب: كوكب وقد يطلق على شعلة النار.

شجر: هو كل ما ينبت في الأرض و﴿شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة النساء آية ٦٤]، أي اختلفوا فيه.

شنآن: عداوة وشر ويجوز فيه[1] فتح النون وإسكانها.

شرع الله: الأمر أي أمر به، والشريعة والشرعة الملة، وشرعت الدواب في الماء.

شعائر الله: معالم دينه، واحدها شعيرة أو شعارة.

شرك: له معنيان؛ من الإشراك وهو أيضا النصيب ومنه: ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَٰوَاتِ﴾ [سورة فاطر آية ٤٠].

شركاء: جمع شريك.

مشحون: أي مملوء.

حرف الهاء

الهدى: له معنيان؛ الإرشاد والبيان ومن البيان: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ [سورة فصلت آية ١٦]، والإرشاد قد يكون إلى الطريق إلى الدين وبمعنى التوفيق والإلهام.

الهدى: بفتح الهاء وإسكان الدال: ما يهدى إلى الكعبة من البهائم.

(١) قوله: (فيه) ساقط من (ف).

هاد: يهود أي تاب، ومنه: ﴿هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [سورة الأعراف آية ١٥٦]، ﴿وَالَّذِينَ هَادُواْ﴾ [سورة البقرة آية ٦١]، أي تهودوا أي صاروا يهودا وأصله من قولهم: هدنا إليك.

هود: له معنيان؛ اسم نبي عاد عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبمعنى اليهود، ومنه: ﴿كُونُواْ هُودًا﴾ [سورة البقرة آية ١٣٤].

هوى: النفس مقصور وهو ما تحبه وتميل إليه، والفعل منه بكسر الواو في الماضي وفتحها في المضارع.

والهواء: بالمد والهمز ما بين السماء والأرض ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [سورة إبراهيم آية ٤٥] أي متحرقة لا تعي شيئا.

وهوى: يهوي بالفتح في الماضي والكسر في المضارع وقع من علو ويقال أيضا بمعنى الميل، ومنه: ﴿أَفْـِٔدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ﴾ [سورة إبراهيم آية ٣٩].

هاجر: خرج من بلاده، ومنه: سمي المهاجرون.

هجر: من الهجران ومن الهجر أيضا، وهو: فحش الكلام وقد يقال في هذا أهجر بالألف.

أهل لغير الله به: أي صيح، والإهلال الصياح ثم استعمل في الكلام بغير صياح، ثم استعمل في النية: أي أريد به غير الله.

مهيمن عليه: أي شاهد، وقيل: مؤتمن. والمهيمن: اسم الله القائم على خلقه بأعمالهم وآجالهم وأرزاقهم، وقيل: المشاهد[١]، وقيل: الرقيب.

هوان وهون: أي ذل.

مهين: بضم الميم مفعل مشتق من الهوان أي مذل.

وأما مهين بفتح الميم: فمعناه ضعيف أو ذليل.

---

(١) في (ف): (الشاهد).

حرف الواو

وقود: النار بفتح الواو ما توقد به من الحطب وشبهه والوقود بالضم المصدر.

وجه: له معنيان؛ الجارحة، والجهة، ومنه ﴿وِجْهَةٌ﴾ [سورة البقرة آية ١٤٧].

وأما وجه الله ففي قوله: ﴿ابْتِغَآءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة آية ٢٧١]، أي طلب رضاه، وفي قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [سورة القصص آية ٨٨]، ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [سورة الرحمن آية ٢٥] قيل: الوجه الذات، وقيل: صفة كاليدين، وهو من المتشابه.

وعد: يعد وعدا بالخير وقد يقال في الشر إذا قيد، وأوعد بالألف يوعد وعيدا بالشر لا غير.

ود: يود له معنيان؛ من المودة والمحبة، وبمعنى تمنى، نحو[1] ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [سورة النساء آية ٨٨]، والود: بالضم: المحبة، وود: اسم صنم بضم الواو وفتحها.

ودود: اسم الله تعالى، أي محب لأوليائه، وقيل: محبوب.

ويل: كلمة شر، وقيل: إن الويل واد في جهنم.

وجب: له معنيان؛ من وجوب الحق، وبمعنى سقط كقولهم وجب الحائط إذا سقط، ومنه: ﴿وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ [سورة الحج آية ٣٤].

وسط: وأوسط[2] له معنيان؛ من التوسط بين الشيئين، وبمعنى الخيار والأحسن.

وسع: يسع سعة من الاتساع ضد الضيق والسعة الغنى والواسع اسم الله تعالى أي واسع العلم والقدرة والغنى والرحمة، وقيل: واسع: جواد موسع غني أي

---

(١) قوله: (نحو) ساقط من (أ).

(٢) في (ف): (وواسط).

واسع الحال وهو ضد المقتر ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]، قيل: أغنياء، وقيل: قادرون و﴿إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [سورة البقرة آية ٢٣١] طاقتها.

ولى: له معنيان؛ أدبر وجعل واليا وتولى له ثلاث معان أدبر وأعرض بالبدن أو بالقلب وصار واليا واتخذ وليا، ومنه: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [سورة المائدة آية ٥٨].

ولي: ناصر، والوالي[1]: اسم الله قيل ناصر، وقيل: متولي أمر الخلائق.

مولى: له سبعة معان؛ السيد الأعظم، والناصر، والولي: أي القريب، والمالك، والمعتق، والمعتق، وبمعنى أولى، ومنه: ﴿اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ [سورة آل عمران آية ١٥٠].

ولج: يلج أي دخل ومنه: ﴿مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة سبأ آية ٢]، وأولج يولج أدخل، ومنه: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ [سورة الحج آية ٥٩].

وهن: يهن ضعف، ومنه: ﴿وَهَنَ الْعَظْمُ﴾ [سورة مريم آية ٣]، والوهن: الضعف.

ورد: الماء يرده إذا جاء إليه وأورده غيره و﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ [سورة يوسف آية ١٩] الذي يتقدمهم إلى الماء فيسقي لهم.

أوزعني: أي ألهمني ووفقني.

يوزعون: يدفعون.

وليد: صبي وجمعه ولدان.

وجل: يوجل وجلا: خاف، ومنه: ﴿لَا تَوْجَلْ﴾ [سورة الحجر آية ٥٣]، ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [سورة الأنفال آية ٢]، ﴿وَجِلُونَ﴾ [سورة الحجر آية ٥٢][2].

أوجس: وجد في نفسه وأضمر.

وارى: يواري أي ستر ومنه: ﴿يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ [سورة المائدة آية ٣٣]،

---

(١) في (ف): (والولي).

(٢) قوله: (﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، ﴿وَجِلُونَ﴾) ساقط من (أ).

و﴿مَا وُرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا﴾ [سورة الأعراف آية ١٩]، وتوارى: أي استتر واستخفى.

وطئ: يطأ له ثلاثة معان؛ جماع المرأة، ومن الوطء بالأقدام، ومنه: ﴿وَأَرْضاً لَّمْ تَطَئُوهَا﴾ [سورة الأحزاب آية ٢٧]، والإهلاك، ومنه: ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ﴾ [سورة الفتح آية ٢٥].

وقر: بفتح الواو وهو الصمم والثقل في الأذن والوقر بكسر الواو الحمل، ومنه: ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْراً﴾ [الذاريات: ٢].

ودق: هو المطر.

واصب: أي دائم.

وكيل: كفيل بالأمر، وقيل: كاف.

وزر: بكسر الواو وإسكان الزاي له معنيان؛ الذنب ومنه: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [سورة الأنعام آية ١٦٦]، والحمل الثقيل، وهو الأصل، ومنه: ﴿أَوْزَاراً مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ [سورة طه آية ٨٦] أي أحمالا.

وزر: بفتحتين: أي ملجأ.

وزير: أي معين وأصله من الوزر بمعنى الثقل؛ لأن الوزير يحمل عن الملك أثقاله.

وسوس: الشيطان إلى الإنسان ألقى في نفسه، والوسواس الشيطان.

أوحى: يوحي وحيا له ثلاثة معان: كلام الملك عن الله للأنبياء، ومنه قيل للقرآن وحي، وبمعنى الإلهام، ومنه: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [سورة النحل آية ٦٨] وبمعنى الإشارة، ومنه: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾ [سورة مريم آية ١٠] أي أشار.

وعى: العلم يعني حفظه ومنه: ﴿أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [سورة الحاقة آية ١١] وأوعى بالألف يوعي جمع المال في وعاء، ومنه: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾ [المعارج: ١٨].

حرف الياء

يمين: له أربعة معان؛ اليد اليمنى، والجهة اليمنى، وبمعنى القوة وبمعنى الحلف، وأيمن: أي إلى الجهة اليمنى.

يسير: له معنيان؛ قليل، ومنه: ﴿كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ [يوسف: ٦٥]. وهين، ومنه: ﴿ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة الحج آية ٦٨]، واليسر: ضد العسر.

يئس: من الأمر ييئس يائس[١]: انقطع رجاؤه، ومنه: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُوا مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [سورة يوسف آية ٨٧] و﴿إِنَّهُ لَيَـُٔوسٌ﴾ [سورة هود آية ٩] وأما ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا﴾ [سورة الرعد آية ٣٢]، فمعناه: أفلم[٢] يعلم.

يم: هو البحر.

ميسر: هو القمار في النرد والشطرنج وغير ذلك، وهو مأخوذ من يسر لي كذا إذا وجب، واليسر بفتح الياء والسين: الرجل الذي يشتغل بالميسر وجمعه أيسار، وميسر العرب أنهم كان لهم عشرة أقداح وهي: الأزلام لكل واحد منها نصيب معلوم من ناقة ينحرونها، وبعضها لا نصيب له ويجزءونها عشرة أجزاء ثم يدخلون الأزلام في خريطة ويضعونها على يدي عدل، ثم يدخل يده فيها فيخرج باسم رجل قدحا فمن خرج له قدح له نصيب أخذ ذلك النصيب، ومن خرج له قدح لا نصيب له غرم ثمن الناقة كلها.

ينبوع: أي عين من ماء والجمع ينابيع.

***   ***   ***

(١) قوله: (يائس) ساقط من (ف) و(ع).

(٢) في (ف) و(ع): (ألم يعلم).

الكلام على الاستعاذة

فيه عشر فوائد من فنون مختلفة:

الأولى: لفظ التعوذ على خمسة أوجه: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»[١] وهو المروي عن النبي ﷺ، والمختار عند القراء.

و«أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم»، وهو مروي عن النبي ﷺ[٢] و«أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم»، و«أعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي»، و«أعوذ بالله المجيد من الشيطان المريد»، وهي محدثة.

الثانية: يؤمر القارئ بالاستعاذة قبل القراءة سواء ابتدأ أول سورة أو جزء سورة والأمر بذلك[٣] على الندب.

الثالثة: يجهر بالاستعاذة عند الجمهور وهو المختار، وروي الإخفاء عن حمزة ونافع[٤].

الرابعة: لا يتعوذ في الصلاة عند مالك، ويتعوذ في أول ركعة عند الشافعي وأبي حنيفة، وفي كل ركعة عند قوم. فحجة مالك عمل أهل المدينة، وحجة قول غيره قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف الحديث رقم: (٢٥٨٩)، وهو من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) سنن أبي داود الحديث رقم: (٧٨٥)، والترمذي الحديث رقم: (٢٩٢٢)، وأحمد: ٢٦/٥، والدارمي الحديث رقم: (٣٤٢)، وضعفه الألباني في الإرواء: ٥٨/٢، وضعيف أبي داود، ص: ٧٧.

(٣) قوله: (والأمر بذلك) ساقط من (ع) و(أ).

(٤) انظر النشر في القراآت العشر لابن الجزري: ١٥٢/١، وسراج القارئ المبتدي لابن القاصح، ص: ٣٧.

[النحل الآية: ٩٨] وذلك يعم الصلاة وغيرها.

الخامسة: إنما جاء أعوذ بالمضارع دون الماضي؛ لأن معنى الاستعاذة لا يتعلق إلا بالمستقبل لأنها كالدعاء وإنما جاء بهمزة المتكلم وحده[(١)] مشاكلة للأمر به في قوله: ﴿فَاسْتَعِذْ﴾ [سورة الأعراف آية ٢٠٠].

السادسة: الشيطان يحتمل أن يراد به الجنس فتكون الاستعاذة من جميع الشياطين، أو العهد فتكون الاستعاذة من إبليس، وهو مشتق[(٢)] من شطن إذا بعد، فالنون أصلية والياء زائدة ووزنه فيعال، وقيل: من شاط إذا هاج فالنون زائدة والياء أصلية ووزنه فعلان، وإن سميت به لم ينصرف على الثاني لزيادة الألف والنون، وانصرف على الأول.

السابعة: الرجيم فعيل بمعنى مفعول، ويحتمل معنيين:

- أن يكون بمعنى لعين وطريد وهذا يناسب إبليس لقوله: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [سورة الحجر آية ٣٤].

- وأن يكون من الرجم بالنجوم، وهذا يناسب الجنس لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ﴾ [سورة الملك آية ٥]، والأول أظهر.

الثامنة: من استعاذ بالله صادقا أعاذه، فعليك بالصدق، ألا ترى امرأة عمران لما أعاذت مريم وذريتها عصمها الله، ففي الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مولود إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخا إلا ابن مريم وأمه»[(٣)].

---

(١) قوله: (وحده) ساقط من (ف).

(٢) قوله: (مشتق) زيادة من (ف).

(٣) البخاري في كتاب التفسير من صحيحه الحديث رقم: (٤٥٤٨)، ومسلم في كتاب الفضائل الحديث رقم: (٢٣٦٦)، والمسند الحديث رقم: (٧١٨٢)، ومصنف عبد الرزاق الحديث رقم: (٣١٤٩٦)، والجامع الصغير الحديث رقم: (١٠٧٢٤)، وانظر فتح الباري: ٦/٤٧٠،=

التاسعة: الشيطان عدو وحذر الله منه؛ إذ لا مطمع في زوال علة عداوته، وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم، فيأمره أولا بالكفر ويشككه في الإيمان، فإن قدر عليه وإلا أمره بالمعاصي، فإن أطاعه وإلا ثبطه عن الطاعة، فإن سلم من ذلك أفسدها عليه بالرياء والعجب.

العاشرة: القواطع عن الله أربعة: الشيطان، والنفس، والدنيا، والخلق.

فعلاج الشيطان الاستعاذة والمخالفة له.

وعلاج النفس بالقهر.

وعلاج الدنيا بالزهد.

وعلاج الخلق بالانقباض والعزلة.

** ** **

= وشرح مسلم للنووي: ١٥/١٢٠ قال: وظاهر الحديث اختصاصها بعيسى وأمه، واختار القاضي عياض أن جميع الأنبياء يتشاركون فيها.

الكلام على البسملة

فيه عشر فوائد:

الأولى: ليست البسملة عند مالك آية من الفاتحة ولا من غيرها، إلا في النمل خاصة، وهي عند الشافعي آية من الفاتحة، وعند ابن عباس آية من أول كل سورة[١]، فحجة مالك ما ورد في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: **«أنزلت علي سورة ليس في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، ثم قال: الحمد لله رب العالمين[٢] ولم يذكر البسملة، وكذلك ما ورد في الحديث الصحيح: إن الله يقول: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، يقول العبد الحمد لله رب العالمين»[٣]** فبدأ بها دون البسملة.

---

(١) أبو عبيد في فضائل القرآن، ص: ٢١٨، والحاكم في المستدرك: ١/٥٥٠ بإسناد حسن.

(٢) في سنن الترمذي أن رسول الله ﷺ قال لأبي بن كعب: تحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، قال: نعم يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: كيف تقرأ في الصلاة؟ قال: فقرأت أم القرآن... الترمذي الحديث رقم: (٢٨٧٥)، والمسند الحديث رقم: (٩٣٣٤)، (٨٦٦٧)، وهو بلفظ أتحب بهمزة الاستفهام، وكذلك في صحيح الترغيب والترهيب: ٢/٨٥

ومثل هذا الحديث حديث أبي سعيد بن المعلى، فقال: كنت أصلي في المسجد فدعاني النبي ﷺ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله إني كنت أصلي، فقال: ألم يقل الله ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ ثم قال: لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد، ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل: لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال: الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته. رواه البخاري رقم: (٤٤٧٤)، وفي عدة مواضع منه. وأبو داود الحديث رقم: (١٤٥٨)، وابن ماجه الحديث رقم: (٣٧٨٥).

(٣) هذا الحديث جزء من حديث طويل يرويه أبو هريرة، رواه مسلم في صحيحه بلفظ: فإذا قال=

وحجة الشافعي[١] ما ورد في الحديث «أن رسول الله ﷺ كان يقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين»[٢].

وحجة ابن عباس ثبوت البسملة مع كل سورة في المصحف.

الثانية: إذا ابتدأت أول سورة بسملت إلا براءة، وسنذكر علة سقوطها من براءة في موضعه، وإذا ابتدأت جزء سورة فأنت مخير بين البسملة وتركها عند أبي عمرو الداني، وتترك البسملة عند غيره، وإذا أتممت سورة وابتدأت أخرى[٣] فاختلف القراء في البسملة وتركها[٤]

الثالثة: لا يبسمل في الصلاة عند مالك، ويبسمل عند الشافعي جهرا في الجهر وسرا في السر، وعند أبي حنيفة سرا في الجهر والسر، فحجة مالك من وجهين:

أحدهما: أنها ليست عنده آية في الفاتحة حسبما ذكرنا.

والآخر: ما ورد في[٥] الحديث الصحيح عن أنس أنه قال: «صليت خلف رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون[٦] بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾»[٧]، لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول الفاتحة ولا في آخرها.

= العبد... إلخ الحديث رقم: (٣٩٥)، وأبو داود الحديث رقم: (٨٢١)، والترمذي الحديث رقم: (٢٩٥٣)، والنسائي الحديث رقم: (٩٠٩)، وابن ماجه الحديث رقم: (٣٧٨٤)، والمسند الحديث رقم: (٧٢٨٩)، وغيرهم.

(١) هو محمد بن إدريس الإمام القرشي المعروف، أشهر من أن يعرف ت: ٢٠٤هـ.

(٢) حديث صحيح أخرجه الترمذي الحديث رقم: (٢٩٢٧)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٤٠٠١)، وأحمد في المسند: ٣٠٢/٦، وابن أبي شيبة في المصنف: ٥٢٤/١٠، وأبو عبيد في الفضائل، ص: ١٥٦.

(٣) في (ع): (غيرها).

(٤) انظر النشر: ٢٥٩/١، وما بعدها.

(٥) قوله: (ما ورد في) ساقط من (ف).

(٦) في (ف) و(ع): (يفتتحون).

(٧) البخاري الحديث رقم: (١١٩)، ومسلم كتاب الصلاة الحديث رقم: (٦٠٥)، والترمذي الحديث رقم: (٢٢٩)، وأحمد في المسند: ٢٢٣/٣:

وحجة الشافعي من وجهين:

أحدهما: أن البسملة عنده آية من الفاتحة

والأخر: ما ورد في الحديث من قراءتها حسبما ذكرنا[١].

الرابعة: كانوا يكتبون باسمك اللهم حتى نزلت[٢]: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا﴾ [هود الآية: ٤١] فكتبوا بسم الله، حتى نزلت: ﴿أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [سورة الإسراء آية ١٠٩] فكتبوا بسم الله الرحمن، حتى نزل: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل الآية: ٣٠] فكتبوها، وحذفت الألف في[٣] بسم الله لكثرة الاستعمال.

الخامسة: الباء من بسم الله متعلقة باسم محذوف عند البصريين، والتقدير: ابتداء كائن بسم الله، فموضعها رفع، وعند الكوفيين تتعلق بفعل تقديره: أبدأ أو أتلو، فموضعها نصب، وينبغي أن يقدر متأخرا لوجهين:

أحدهما: إفادة الحصر والاختصاص.

والآخر: تقديم اسم الله اعتناء كما قدم[٤] في (بسم الله مجراها).

السادسة: الاسم مشتق من السمو عند البصريين فلامه واو محذوفة، وعند الكوفيين مشتق من السمة وهي العلامة، ففاؤه محذوفة ودليل البصريين التصغير والتكبير لأنهما[٥] يردان الكلمات إلى أصولها[٦]، وقول الكوفيين أظهر في المعنى

---

(١) عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ كان يقطع قراءته آية آية، يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين... المسند (٦/٣٠٢)، وسنن أبي داود برقم (٤٠٠١)، والشمائل للترمذي رقم (٢٩٩). وانظر تفسير ابن كثير: ١/٢٥٠.

(٢) في (أ): (نزل).

(٣) في (ف) و(ع): (من بدر في).

(٤) في (أ): (تقدم).

(٥) في (ع) و(ف): (فإنهما).

(٦) في (ف) زيادة: (في قول العرب: اسما وسمى دليل على أن الفاء هي السين وأن اللام حرف علة).

لأن الاسم علامة على المسمى.

السابعة: قولك (الله) اسم مرتجل جامد والألف واللام فيه لازمة لا للتعريف، وقيل: إنه مشتق من التأله وهو التعبد، وقيل: من الولهان وهي الحيرة لتحير العقول في شأنه، وقيل: أصله إله من غير ألف ولام ثم حذفت الهمزة من أوله على غير قياس ثم أدخلت الألف واللام عليه، وقيل: أصله الإله بالألف واللام ثم حذفت الهمزة ونقلت حركتها إلى اللام كما تنقل[١] في الأرض وشبهه فاجتمع لامان فأدغمت إحداهما في الأخرى وفخم للتعظيم إلا إذا كان قبله كسرة.

الثامنة: الرحمن الرحيم صفتان من الرحم ومعناهما الإحسان فهي صفة فعل، وقيل: إرادة الإحسان فهي صفة ذات.

التاسعة: الفرق بين[٢] الرحمن الرحيم على ما روي عن رسول الله ﷺ: «أن الرحمن في الدنيا والرحيم في الآخرة»[٣]، وقيل: الرحمن عام في رحمته[٤] المؤمنين والكافرين والرحيم خاص بالمؤمنين[٥] لقوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ [الأحزاب الآية: ٤٣]. فالرحمن أعم وأبلغ، وقيل: الرحيم أبلغ لوقوعه بعده على طريقة الارتقاء إلى الأعلى.

العاشرة: إنما قدم الرحمن لوجهين: اختصاصه بالله، وجريانه مجرى الأسماء التي ليست بصفات.

---

(١) في (أ): (نقلت).

(٢) قوله: (الفرق بين) ساقط من (أ).

(٣) الذي في الطبري: الرحمن رحمان الدنيا والآخرة، والرحيم: رحيم الآخرة. جامع البيان: ١٢٧/١، وابن عدي في الكامل: ٣٠٣/١، وأبو نعيم في الحلية: ٢٥١/٧، وابن الجوزي في الموضوعات: ٢٠٣/١ قال ابن كثير: ٤٠/١ هذا غريب جدا، وقد يكون صحيحا إلى من دون رسول الله ﷺ، وقد يكون من الإسرائيليات لا من المرفوعات.

(٤) في (أ): (رحمة).

(٥) قوله: (والرحيم خاص بالمؤمنين) ساقط من (أ).

سُورَةُ الفَاتِحَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٤﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٥﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿٦﴾ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

سورة أم القرآن

وتسمى سورة الحمد، وفاتحة الكتاب، والواقية، والشافية، والسبع المثاني، وفيها عشرون فائدة سوى ما تقدم في اللغات من تفسير ألفاظها، واختلف هل هي مكية أو مدنية؟ ولا خلاف أن الفاتحة سبع آيات، إلا أن الشافعي يعد البسملة آية منها، ومالك[١] يسقطها ويعد ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آية.

الفائدة[٢] الأولى: قراءة الفاتحة في الصلاة واجبة عند مالك والشافعي خلافا لأبي حنيفة، وحجتهما قوله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»[٣]، وحجة أبي حنيفة قوله ﷺ للذي علمه الصلاة: «اقرأ ما تيسر من القرآن»[٤].

الفائدة الثانية: اختلف: هل أول الفاتحة على إضمار القول[٥] تعليما للعباد، أي قولوا الحمد لله، أو هو ابتداء كلام الله؟ ولا بد من إضمار القول في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وما بعده.

(١) في (ف): (والمالكي).

(٢) قوله: (الفائدة) زيادة من (أ) وكذلك في البقية إلى العشرين.

(٣) البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٧٢٣)، ومسلم الحديث رقم: (٣٩٧)، وأبو داود الحديث رقم: (٨٢٢)، والترمذي الحديث رقم: (٢٣٨)، والنسائي الحديث رقم: (٩١٩).

(٤) هذا الحديث جزء من حديث المسيء صلاته، أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٤٦٥٣)، وفي مواضع أخرى منه، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٣٥٤)، والترمذي الحديث رقم: (٢٨٦٧)، والنسائي الحديث رقم: (٩٢٧)، وأبو داود الحديث رقم: (١٢٦١).

(٥) في (ف): (قول).

الفائدة الثالثة: الحمد أعم من الشكر؛ لأن الشكر لا يكون إلا جزاء على نعمة، والحمد يكون جزاء كالشكر ويكون ثناء ابتداء، كما أن الشكر قد يكون أعم من الحمد؛ لأن الحمد باللسان، والشكر باللسان والقلب والجوارح، فإذا فهمت عموم الحمد علمت أن قولك: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يقتضي الثناء عليه لما هو أهله من الجلال والعظمة والوحدانية والعزة والإفضال والعلم والمقدرة والحكمة وغير ذلك من الصفات، ويتضمن معاني أسمائه الحسنى التسعة والتسعين، ويقتضي شكره والثناء عليه بكل نعمة أعطى ورحمة أولى، جميع خلقه في الآخرة والأولى، فيا لها من كلمة جمعت ما تضيق عنه المجلدات، وتقف دون مداه عقول الخلائق، ويكفيك أن الله جعلها أول كتابه، وآخر دعوى أهل الجنة.

الفائدة الرابعة: الشكر باللسان هو الثناء على المنعم والتحدث بالنعم. قال رسول الله ﷺ: «**التحدث بالنعمة شكر**»[1].

والشكر بالجوارح هو العمل بطاعة الله وترك معاصيه، والشكر بالقلب هو معرفة مقدار النعمة، والعلم بأنها من الله وحده، والعلم بأنها تفضل لا باستحقاق العبد.

واعلم أن النعم التي يجب الشكر عليها لا تحصى، ولكنها تنحصر في ثلاثة أقسام: نعم دنياوية[2] كالعافية والمال، ونعم دينية كالعلم والتقوى، ونعم أخراوية[3] وهي جزاؤه بالثواب الكثير، على العمل القليل، في العمر القصير.

---

(١) حديث ضعيف، أخرجه ابن أبي الدنيا في الشكر رقم: (٦٣)، والبيهقي في شعب الإيمان: ٥١٦/٦، والبغوي في معالم التنزيل: ٤٥٩/٨، وهو عند بعضهم أطول ولفظه: من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر، والجماعة رحمة، والفرقة عذاب، قال الحافظ ابن كثير: إسناده ضعيف، انظر تفسير القرآن العظيم: ٦٣٦/٤، والقرطبي: ١٠٢/٢٠.

(٢) في (أ): (دنيوية).

(٣) في (أ): (أخروية).

والناس في الشكر على مقامين: منهم من يشكر على النعم الواصلة إليه خاصة، ومنهم من يشكر الله عن جميع خلقه على النعم الواصلة إلى جميعهم.

والشكر على ثلاث درجات: فدرجة العوام الشكر على النعم، ودرجة الخواص الشكر على النعم والنقم وعلى كل حال، ودرجة خواص الخواص أن يغيب عن النعمة بمشاهدة المنعم، قال رجل لإبراهيم بن أدهم:[١] الفقراء إذا أعطوا شكروا، وإذا منعوا صبروا، فقال إبراهيم بن أدهم: هذه أخلاق الكلاب، ولكن القوم[٢] إذا منعوا شكروا، وإذا أعطوا آثروا.

ومن فضيلة الشكر أنه من صفات الحق ومن صفات الخلق فإن من أسماء الله الشاكر والشكور، وقد فسرتهما في اللغات[٣].

الفائدة الخامسة: قولنا الحمد لله رب العالمين أفضل عند المحققين من لا إله إلا الله لوجهين:

أحدهما: ما خرجه النسائي عن رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله كتبت[٤] له عشرون حسنة، ومن قال: الحمد لله رب العالمين كتبت[٥] له ثلاثون حسنة»[٦].

---

(١) إبراهيم بن أدهم بن منصور التيمي البلخي خديم المسلمين أبو إسحاق زاهد مشهور، كان أبوه من أهل الغنى في بلخ، ويقال كان إبراهيم سلطانا تفقه ورحل إلى بغداد وجال في العراق والشام والحجاز، وأخذ عن كثير من علماء هذه الأقطار، وكان يعيش من العمل في الحصاد وحفظ البساتين، والحمل والطحن، ويشترك مع الغزاة في قتال الروم، كان يصوم في السفر والحضر، وكان لا يلحن، وما روي في زهده وتقشفه كثير ت: ١٦١هـ انظر للمزيد: البداية والنهاية لابن كثير: ١٠/١٣٥، وحلية الأولياء: ٧/٣٦٧، والأعلام: ١/٣١.

(٢) في (ف) و(ع): (ولكن الفقراء).

(٣) في (أ): (في اللغة).

(٤) في (أ): (كتب).

(٥) في (أ): (كتب).

(٦) حديث صحيح، ولفظه: «إن الله اصطفى من الكلام أربعا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله=

والثاني: أن التوحيد الذي تقتضيه لا إله إلا الله حاصل في قولك رب العالمين وزادت بقولك الحمد لله، وفيه من المعاني ما قدمنا.

وأما قول رسول الله ﷺ: «أفضل ما قلت أنا والنبيئون من قبلي لا إله إلا الله»[١] فإنما ذلك[٢] للتوحيد الذي يقتضيه، وقد شاركتها الحمد لله رب العالمين في ذلك وزادت عليها، وهذا لمؤمن يقولها لطلب الثواب، وأما لمن دخل في الإسلام فيتعين عليه لا إله إلا الله.

الفائدة السادسة: الرب وزنه فعل بكسر العين ثم أدغم، ومعانيه أربعة: الإله، والسيد، والمالك، والمصلح، وكلها في رب العالمين إلا أن الأرجح معنى الإله لاختصاصه بالله تعالى، كما أن الأرجح في العالمين أن يراد به كل موجود سوى الله تعالى فيعم جميع المخلوقات.

الفائدة السابعة: ملك قراءة[٣] الجماعة بغير ألف من الملك وقرأ عاصم والكسائي بالألف[٤] والتقدير على هذا مالك مجيء يوم الدين، أو مالك الأمر يوم الدين، وقراءة الجماعة أرجح لثلاثة أوجه:

= والله أكبر، فمن قال: سبحان الله كتبت له عشرون حسنة، ومحيت عنه عشرون سيئة، ومن قال: لا إله إلا الله مثل ذلك، ومن قال: الحمد لله رب العالمين من قبل نفسه كتبت له ثلاثون حسنة وحط ثلاثون خطيئة». أخرجه النسائي من عمل اليوم والليلة رقم: (٨٤٠)، والحاكم في المستدرك: ٥١٢/١، وابن عبد البر في التمهيد: ٤٧/٦ قال الحاكم: هذا الحديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند: ١٦٦/٥، والألباني في صحيح الجامع الصغير: ٣٥٣/١.

(١) حديث صحيح الموطأ للإمام مالك الحديث رقم: (٨٤١)، والمصنف لعبد الرزاق الحديث رقم: (٨١٢٥)، وأخرجه الطبراني الحديث رقم: (٨٧٤)، وصححه الألباني بشواهده. سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٧/٤، وانظر التمهيد لابن عبد البر: ٤٠/٦.

(٢) في (ع): (فإن ذلك).

(٣) في (أ): (قراه).

(٤) انظر النشر لمحمد بن الجزري: ٢٧١/١.

الأول: أن الملك أعظم من المالك؛ إذ قد يوصف كل أحد بالمالك لماله، وأما الملك فهو سيد الناس.

والثاني: قوله ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ [سورة الأنعام آية ٧٤].

والثالث: أنها لا تقتضي حذفا والأخرى تقتضيه؛ لأن تقديرها مالك الأمر أو مالك مجيء يوم الدين، والحذف على خلاف الأصل، وأما قراءة الجماعة فإضافة ملك إلى يوم الدين فهي على طريقة الاتساع وأجرى[1] الظرف مجرى المفعول به، والمعنى على الظرفية أي الملك في يوم الدين، ويجوز أن يكون المعنى ملك الأمور يوم الدين فيكون فيه حذف، وقد رويت القراءتان في الحديث عن رسول الله ﷺ[2] وقد قرئ ملك بوجوه كثيرة إلا أنها شاذة.

الفائدة الثامنة: الرحمن الرحيم ملك[3] صفات، فإن قيل: كيف جر ملك وملك صفة للمعرفة وإضافة اسم الفاعل غير محضة؟ فالجواب: أنها تكون غير محضة إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال، وأما هذا فهو مستمر دائم[4] فإضافته محضة.

الفائدة التاسعة: يوم الدين هو يوم القيامة ويصلح هنا في معاني الدين الحساب والجزاء والقهر ومنه: ﴿إِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [سورة الصافات آية ٥٣].

الفائدة العاشرة: إياك في الموضعين مفعول بالفعل الذي بعده، وإنما قدم ليفيد الحصر فإن تقديم المعمولات يقتضي الحصر فاقتضى قول العبد ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أن يعبد الله وحده لا شريك له[5]، واقتضى قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ اعترافا بالعجز والفقر وأنه لا نستعين إلا بالله وحده.

---

(١) في (أ): (وإجراء).

(٢) حديث صحيح رواه الترمذي الحديث رقم: (٢٩٢٧).

(٣) في (ف) و(ع): (وملك).

(٤) في (أ): (دائما).

(٥) قوله: (لا شريك له) زيادة من (أ).

الفائدة الحادية عشر: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي نطلب العون منك على العبادة وعلى جميع أمورنا، وفي هذا دليل على بطلان قول القدرية والجبرية وأن الحق بين ذلك.

الفائدة الثانية عشر: ﴿اهْدِنَا﴾ دعاء بالهدى، فإن قيل: كيف يطلب المؤمنون الهدى وهو حاصل لهم؟ فالجواب: أن ذلك طلب للثبات عليه إلى الموت أو الزيادة[1] منه؛ فإن الارتقاء في المقامات لا نهاية له.

الفائدة الثالثة عشر: قدم الحمد والثناء على الدعاء لأن تلك السنة في الدعاء، وشأن الطلب أن يأتي بعد المدح وذلك أقرب للإجابة، وكذلك قدم الرحمن على ملك يوم الدين لأن رحمة الله سبقت غضبه، وكذلك قدم إياك نعبد على إياك نستعين؛ لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة.

الفائدة الرابعة عشر: ذكر الله تعالى في أول هذه السورة على طريق الغيبة ثم على الخطاب في إياك نعبد وما بعده وذلك يسمى الالتفات، وفيه إشارة إلى أن العبد إذا ذكر الله تقرب منه فصار من أهل الحضور فناداه.

الفائدة الخامسة عشر: الصراط في اللغة الطريق المحسوس الذي يمشى عليه، ثم استعير للطريق الذي[2] يكون الإنسان عليها من الخير والشر، ومعنى المستقيم القويم الذي لا عوج فيه، فالصراط المستقيم: الإسلام[3] وقيل: القرآن[4]، والمعنيان متقاربان؛ لأن القرآن تضمن شرائع الإسلام، وكلاهما مروي عن النبي

---

(١) في (ف): (والزيادة).

(٢) في (ف): (التي).

(٣) صحيح من حديث النواس بن سمعان، أخرجه الترمذي في سننه، الحديث رقم: (٢٨٥٩)، وأحمد في المسند: ٤/١٨٢، والنسائي الحديث رقم: (١١٧١٤).

(٤) أخرجه الترمذي رقم: (٢٩٠٦) في فضائل القرآن وأحمد: ١/٩١، والبغوي: ٤/٢٣٨ قال أبو عيسى هذا حديث غريب، وضعفه أحمد شاكر في تعليقه على المسند: ٢/٨٨.

ﷺ، وقرئ الصراط بالصاد[١] والسين[٢] وبين الصاد والزاي، وقد قيل: إنه قرئ بزاي خالصة، والأصل فيه السين، وإنما أبدلوا[٣] منها صادا لموافقة الطاء في الاستعلاء والإطباق، وأما الزاي فلموافقة الطاء في الجهر.

الفائدة السادسة عشر: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ قال ابن عباس: هم النبيئون والصديقون والشهداء والصالحون[٤]، وقيل: المؤمنون، وقيل: الصحابة، وقيل: قوم موسى وعيسى قبل أن يغيروا، والأول أرجح لعمومه ولقوله: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [سورة النساء آية ٦٨].

الفائدة السابعة عشر: إعراب ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ بدل ويبعد النعت لأن إضافته غير محضة، وهو قد جرى عن معرفة، وقرئ بالنصب[٥] على الاستثناء أو الحال.

الفائدة الثامنة عشر: أسند أنعمت عليهم إلى الله، والغضب لما لم يسم فاعله على وجه التأدب كقوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [سورة الشعراء آية ٨٠] وعليهم الأول في موضع نصب والثاني في موضع رفع.

الفائدة التاسعة عشرة: ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ اليهود و﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ النصارى، قاله ابن عباس وابن مسعود[٦] وغيرهما، وقد روي ذلك عن النبي ﷺ[٧] وقيل:

---

(١) انظر النشر: ١/٢٧١.

(٢) في (ف): (وبالسين).

(٣) في (ف): (أبدل).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان رقم: (١٨٨) عن الضحاك عن ابن عباس وهو أثر ضعيف لانقطاعه، فالضحاك لم يلق ابن عباس قط.

(٥) الكشاف: ١/٩، والمحرر الوجيز: ١/١٣.

(٦) أخرجه الطبري رقم: (٢٠١) بإسناد جيد، وأخرجه ابن مردويه في تفسيره كما في تفسير ابن كثير: ١/٦٢.

(٧) الترمذي الحديث رقم: (٢٩٥٤)، والمسند الحديث رقم: (١٨٥٧٢)، وصحيح ابن حبان الحديث رقم: (٧٢٠٦)، والطبري: ١/١٨٥.

ذلك عام في كل مغضوب عليه وكل ضال، والأول أرجح لأربعة أوجه: روايته عن النبي ﷺ، وجلالة قائله، وذكر ولا في قوله ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ دليل على تغاير الطائفتين، وأن الغضب صفة اليهود في مواضع من القرآن كقوله: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ﴾ [سورة البقرة آية ٨٩] والضلال صفة النصارى لاختلاف أقوالهم الفاسدة في عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولقول الله فيه ﴿قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [سورة المائدة آية ٧٩].

الفائدة الموفية عشرين: هذه السورة جمعت معاني القرآن العظيم كله، فكأنها نسخة مختصرة منه، فتأملها بعد تحصيل الباب الثالث[١] من المقدمة الأولى تعلم ذلك، فالإلاهيات حاصلة في قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ والدار الآخرة في قوله ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ والعبادات كلها من الاعتقادات والأحكام التي تقتضيها الأوامر والنواهي في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ والشريعة كلها في قوله ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ والأنبياء وغيرهم في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وذكر طوائف الكفار في قوله ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾

خاتمة: أمر بالتأمين عند خاتمة الفاتحة للدعاء الذي فيها، وقولك: آمين اسم فعل معناه: اللهم استجب، وقيل: هو من أسماء الله، ويجوز فيه[٢] مد الهمزة وقصرها، ولا يجوز تشديد الميم، وليؤمن في الصلاة المأموم والفذ والإمام إذا أسر، واختلفوا إذا جهر.

*** *** ***

---

(١) في (أ): (من الباب السادس) وهو خطأ.

(٢) قوله: (فيه) ساقط من (ف).

سُورَةُ البَقَرَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾

سورة البقرة

﴿الٓمٓ﴾ اختلف فيه وفي سائر حروف الهجاء في أوائل حروف السور وهي: ألمص، وألر، وألمر، وكهيعص، وطه، وطسم، وطس، ويس، وص، وق، وحم، وحم عسق، وق، ون، فقال قوم: لا تفسر لأنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله، قال أبو بكر الصديق: لله في كل كتاب سر، وسره في القرآن فواتح السور[١] وقال قوم تفسر، ثم اختلفوا فيها، فقيل: هي أسماء للسور، وقيل: أسماء لله، وقيل: أسماء[٢] أقسم الله بها، وقيل: هي حروف مقطعة من كلمات، فالألف من الله، واللام من جبريل، والميم من محمد ﷺ، ومثل ذلك في سائرها وورد في الحديث: أن بني إسرائيل فهموا أنها تدل بعدد حروف[٣] أبي جاد على السنين التي تبقي هذه الأمة، وسمع النبي ﷺ منهم ذلك فلم ينكره[٤] وقد جمع أبو القاسم السهيلي[٥] عددها على ذلك بعد أن أسقط المتكرر فبلغت تسعمائة وثلاثة[٦].

---

(١) انظر الطبري: ١/٨٨، ٩٣، والتفسير الكبير للرازي: ١/٦، ولم نجده مسندا.

(٢) في (أ): (أشياء).

(٣) في (أ): (بحروف).

(٤) هذا لا يثبت، ويذكر بعض المفسرين هنا بعض الروايات الواهية التي لا يثبت منها شيء فلا داعي للحديث عنها.

(٥) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي حافظ عالم باللغة والسير ضرير عمي وعمره: ١٧سنة، من كتبه الروض الأنف في شرح السيرة لابن هشام ت: ٥٨١هـ.

(٦) وبذلك يظهر بطلان تلك الروايات فنحن الآن في سنة: ١٤٣١ للهجرة والأمة باقية، وقد حكم=

وإعراب هذه الحروف يختلف بالاختلاف في معناها، فيتصور أن تكون في موضع رفع أو نصب أو خفض، فالرفع على أنها مبتدأ أو خبر ابتداء[(١)] مضمر. والنصب على أنها مفعول بفعل مضمر، والخفض على قول من جعلها مقسما بها كقولك: الله لأفعلن، وإنما سكنت لأنها لم يدخل عليها عامل يقتضي حركة، فسكونها للوقف لا للبناء كقولك: واحد، اثنان.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ هو هنا القرآن، وقيل: التوراة والإنجيل، وقيل: اللوح المحفوظ وهو الصحيح الذي يدل عليه سياق الكلام، ويشهد له مواضع من القرآن، والمقصود منها[(٢)] إثبات أن القرآن من عند الله كقوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة السجدة آية ١] يعني القرآن باتفاق، وخبر ذلك لا ريب فيه، وقيل: خبره الكتاب، فعلى هذا ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ جملة مستقلة فيوقف عليها.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي لا شك أنه من عند الله في نفس الأمر وفي اعتقاد أهل الحق، ولم يعتبر اعتقاد[(٣)] أهل الباطل، ﴿فِيهِ﴾ خبر لا فيوقف عليه، وقيل: خبرها محذوف فيوقف على ريب[(٤)]، والأول أرجح لتعينه في قوله ﴿لَا رَيْبَ﴾ في مواضع أخر.

فإن قيل: فهلا[(٥)] قدم قوله فيه على الريب كقوله ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [سورة الصافات آية ٤٧]؟

فالجواب: أنه إنما قصد نفي الريب عنه ولو قدم فيه لكان إشارة إلى أن ثم كتاب آخر فيه ريب، كما أن ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [سورة الصافات آية ٤٧] إشارة إلى أن خمر

= العلماء على هذه الروايات بالبطلان، وانظر للتفصيل جامع البيان: ١/٩٣، وابن كثير: ١/٥٤.

(١) في (ف) و(ع): (مبتدإ).

(٢) في (ف): (المقصود فيها).

(٣) قوله: (اعتقاد) ساقط من (أ).

(٤) في (أ): (﴿لَا رَيْبَ﴾)، وفي (ع) و(ف): الاقتصار على ﴿رَيْبَ﴾.

(٥) في (ف) و(ع): (هلا).

الدنيا فيها غول، وهذا المعنى يبعد قصده فلا يقدم[١] الخبر.

﴿هُدًى﴾ هنا بمعنى الإرشاد لتخصيصه بالمتقين ولو كان بمعنى البيان لعم كقوله: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [سورة البقرة آية ١٨٤] وإعرابه خبر ابتداء أو مبتدأ وخبره فيه عند من يقف على لا ريب، أو منصوب على الحال والعامل فيه الإشارة.

﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ مفتعلين من التقوى وقد تقدم معناه في اللغات[٢] فنتكلم عن التقوى في ثلاثة فصول:

الأول: في فضائلها المستنبطة من القرآن وهي خمس عشرة:

الهدى لقوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

والنصرة لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ [سورة النحل آية ١٢٨].

والولاية لقوله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الجاثية آية ١٨].

والمحبة لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة التوبة آية ٤].

والمعرفة[٣] لقوله: ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [سورة الأنفال آية ٢٩].

والمخرج من الغم والرزق من حيث لا يحتسب، لقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ [سورة الطلاق آية ٢].

وتيسير الأمور لقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [سورة الطلاق آية ٣].

وغفران الذنوب وإعظام الأجور، لقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [سورة الطلاق آية ٤].

وتقبل الأعمال لقوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة آية ٢٩].

---

(١) في (ف) و(ع): (فلم يقدم).
(٢) في (أ) و(ع): (الكتاب).
(٣) في (أ): (والمغفرة)، وفي (ع): (والمعونة).

والفلاح لقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة البقرة آية ١٨٨].

والبشرى لقوله: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [سورة يونس آية ٦٤].

ودخول الجنة لقوله: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [سورة القلم آية ٣٤].

والنجاة من النار لقوله ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ [سورة مريم آية ٧١].

* الفصل الثاني: البواعث على التقوى وهي[(١)] عشرة:

- خوف العقاب الدنياوي.
- وخوف العقاب الأخراوي.
- ورجاء الثواب الدنياوي.
- ورجاء الثواب الأخراوي.
- وخوف الحساب.
- والحياء من نظر الله، وهو مقام المراقبة.
- والشكر على نعمه بطاعته.
- والعلم لقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [سورة فاطر آية ٢٨].
- وتعظيم جلال الله وهو مقام الهيبة.
- وصدق المحبة فيه[(٢)] لقول القائل[(٣)]:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

(١) قوله: (وهي) ساقط من (ع) و(ف).
(٢) قوله: (فيه) ساقط من (أ).
(٣) البيتان للإمام الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولله در القائل(١):

قالت وقد سألت عن حال عاشقها	بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقلت لو كان رهن الموت من ظمإ	وقلت قف عن ورود الماء لم يرد

※ الفصل الثالث: درجات التقوى خمس:

أن يتقي العبد الكفر وذلك مقام الإسلام.

وأن يتقي المعاصي والمحرمات وهو مقام التوبة.

وأن يتقي الشبهات وهو مقام الورع.

وأن يتقي المباحات وهو مقام الزهد.

وأن يتقي حضور غير الله على قلبه وهو مقام المشاهدة.

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ فيه قولان:

يؤمنون بالأمور المغيبات كالآخرة وغيرها، فالغيب على هذا بمعنى الغائب إما تسمية بالمصدر كعدل، وإما تخفيفا في فعيل كميت.

والآخر: يؤمنون في حال غيبهم(٢) أي باطنا وظاهرا وبالغيب على القول الأول يتعلق بيؤمنون وعلى الثاني في موضع الحال، ويجوز في الذين أن يكون خفضا على النعت، أو نصبا على إضمار فعل، أو رفعا على أنه خبر مبتدإ(٣).

﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ إقامتها عملها، من قولك قامت السوق وشبه ذلك، والكمال المحافظة عليها في أوقاتها، بالإخلاص لله في فعلها، وتوفية شروطها وأركانها

---

(١) القائل هو يزيد بن معاوية الأموي ت: ٦٣هـ من قصيدته التي مطلعها:

نالت على يدها ما لم تنله يدي	نقشا على معصم أوهت به جلدي

انظر: تزيين الأسواق في أخبار العشاق ٢/٢٥٤، وموسوعة الشعر الإسلامي رقم ٥٢٢ ـ ٦٠.

(٢) في (أ): (غيبتهم).

(٣) في (ب): (ابتداء).

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ * وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

ثمن

وفضائلها وسننها، وحضور القلب والخشوع فيها، وملازمة الجماعة في الفرائض، والإكثار من النوافل. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: الزكاة لاقترانها مع الصلاة.

والثاني: أنه التطوع.

والثالث: العموم وهو الأرجح؛ لأنه لا دليل على التخصيص.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ اختلف: هل هم المذكورون قبل، فيكون قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ من عطف الصفات؟ أو غيرهم وهم من أسلم من أهل الكتاب فيكون عطفا للمغايرة؟ أو مبتدأ وخبره الجملة بعده؟ ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ القرآن ﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية فيمن سبق القدر أنه لا يؤمن كأبي جهل، فإن كان الذين للجنس فلفظها عام يراد به الخصوص، وإن كان للعهد فهو إشارة إلى قوم بأعيانهم، وقد اختلف فيهم فقيل: المراد من قتل ببدر من كفار قريش، وقيل: المراد حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف اليهوديان. ﴿سَوَاءٌ﴾ خبر إن، و﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ فاعل به لأنه في تقدير المصدر، أو سواء[1] مبتدأ وأنذرتهم خبره، أو العكس وهو أحسن و﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ على هذه الوجوه استئناف للبيان، أو للتأكيد، أو خبر بعد خبر، أو تكون الجملة اعتراضا، ولا يؤمنون الخبر، والهمزة في أنذرتهم لمعنى التسوية قد انسلخت من معنى الاستفهام.

(١) في (ع): (وسواء).

﴿خَتَمَ﴾ الآية تعليل لعدم إيمانهم وهو عبارة عن إضلالهم فهو مجاز، وقيل: حقيقة وأن القلب كالكف ينقبض[١] مع زيادة الضلال أصبعا أصبعا حتى يختم عليه، والأول أبرع. ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ معطوف على قلوبهم فيوقف عليه، وقيل: الوقف على قلوبهم والسمع راجع إلى ما، والأول أرجح لقوله: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾. ﴿غِشَاوَةٌ﴾ مجاز باتفاق، وفيه دليل على وقوع المجاز في القرآن، خلافا لمن منعه، ووحد السمع لأنه مصدر في الأصل، والمصادر لا تجمع.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أصل الناس أناس؛ لأنه مشتق من الإنس وهو اسم جمع وحذفت الهمزة مع لام التعريف تخفيفا ﴿مَن يَقُولُ﴾ إن كان اللام في الناس للجنس فمن موصوفة، وإن جعلتها للعهد فمن موصولة، وأفرد الضمير في يقول رعياً للفظ من. ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ هم المنافقون وكانوا جماعة من الأوس والخزرج رأسهم عبد الله بن أبي ابن سلول يظهرون الإسلام ويسرون الكفر ويسمى الآن من كان كذلك زنديقا، وهم في الآخرة مخلدون في النار، وأما في الدنيا فإن[٢] لم تقم عليهم بينة فحكمهم كالمسلمين في دمائهم وأموالهم، وإن شهد على معتقدهم شاهدان عدلان فمذهب مالك القتل دون الاستتابة، ومذهب الشافعي الاستتابة وترك القتل. فإن قيل: كيف جاء قولهم ﴿ءَامَنَّا﴾ جملة فعلية ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ جملة اسمية فهلا طابقتها؟ فالجواب: أن قولهم ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ أبلغ وأوكد في نفي الإيمان عنهم من لو قال: وما آمنوا. فإن قيل: لم جاء[٣] قولهم آمنا مقيدا بالله واليوم الآخر، وما هم بمؤمنين مطلقا؟ فالجواب: أنه يحتمل وجهين: التقييد فتركه لدلالة الأول عليه، والإطلاق وهو أعم في سلبهم من الإيمان.

﴿يُخَـٰدِعُونَ﴾ أي يفعلون فعل المخادع ويرومون الخداع[٤] بإظهار خلاف ما

---

(١) في (ف): (يقبض).
(٢) في (أ): (إن).
(٣) في (ف): (كيف جاء).
(٤) في (أ): (الخدع).

يسرون، وقيل: معناه يخدعون[١] رسول الله ﷺ، والأول أظهر. ﴿وَمَا يُخَـٰدِعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ أي وبال فعلهم راجع عليهم، وقرئ[٢] وما يخدعون بفتح الياء من غير ألف من خدع وهو أبلغ في المعنى؛ لأنه يقال خادع إذا رام الخداع وخدع إذا تم له. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ حذف معموله أي لا يشعرون أنهم يخدعون أنفسهم.

﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يحتمل أن يكون حقيقة وهو الألم الذي يجدونه من الخوف وغيره، وأن يكون مجازا بمعنى الشك أو الحسد ﴿فَزَادَهُمُ﴾ يحتمل الدعاء والخبر ﴿يُكَذِّبُونَ﴾ بالتشديد أي يكذبون الرسول ﷺ وقرئ[٣] بالتخفيف أي يكذبون في قولهم آمنا.

﴿لَا تُفْسِدُواْ﴾ أي بالكفر والنميمة وإيقاع الشر وغير ذلك ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ يحتمل أن يكون جحودا للكفر لقولهم آمنا، أو اعتقاد أنهم على إصلاح ﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ أصحاب النبي ﷺ. والكاف يحتمل أن تكون[٤] للتشبيه أو للتعليل، وما يحتمل أن تكون كافة مهيأة[٥] كما هي في ربما، وأن تكون مصدرية. ﴿أَنُؤْمِنُ﴾ إنكار منهم وتقبيح.

---

(١) في (ف): (يخادعون).

(٢) قال ابن الجزري: ﴿وَمَا يُخَـٰدِعُونَ﴾ قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بضم الياء وفتح الخاء وألف بعدها وكسر الدال والباقون بفتح الياء وإسكان الخاء بلا ألف وفتح الدال، وخلاف القراء إنما هو في الموضع الثاني المقيد بقوله تعالى ﴿وَمَا﴾ وأما الموضع الأول وهو يخادعون الله فاتفقوا على قراءته كقراءة نافع ومن معه في الموضع الثاني. النشر: ٢/٢٥.

(٣) قال ابن الجزري: واختلفوا في ﴿يُكَذِّبُونَ﴾ فقرأ الكوفيون بفتح الياء وتخفيف الذال وقرأ الباقون بالضم والتشديد. النشر: ٢/٢٣٧، والبدور الزاهرة: ١/٢٦.

(٤) قوله: (أن تكون) ساقط من (ع).

(٥) قوله: (مهيأة) زيادة من (ف) و(ع).

﴿هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ رد عليهم وإناطة السفه بهم وكذلك هم المفسدون وجاء بالألف واللام ليفيد حصر السفه والفساد فيهم وأكده بإن وبألا التي تقتضي الاستئناف وتنبيه المخاطب.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ كذبوا خوفا من المؤمنين ﴿خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ هم رؤساء الكفر، وقيل: شياطين الجن وهو بعيد، وتعدى خلا بإلى لأنه ضمن معنى مشوا أو[1] ذهبوا أو ركنوا، وقيل: إلى بمعنى مع أو بمعنى الباء، وجاء قولهم ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ بجملة اسمية مبالغة وتأكيدا[2] بخلاف قولهم آمنا فإنه جاء بالفعل لضعف إيمانهم.

﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: تسمية العقوبة باسم الذنب، كقوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾، وقيل: يملي لهم بدليل قوله: ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾، وقيل: يفعل بهم في الآخرة ما يظهر لهم أنه استهزأ[3] بهم كما جاء في سورة الحديد ﴿ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا﴾. ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ يزيدهم، وقيل: يملي لهم وقد ذكر ﴿يَعْمَهُونَ﴾.

﴿ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ عبارة عن تركهم الهدى مع تمكنهم منه ووقوعهم في الضلالة فهو[4] مجاز بديع. ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ ترشيح للمجاز[5]. لما ذكر الشر ذكر ما يتبعه من الربح والخسران. وإسناد عدم الربح إلى التجارة مجاز أيضا؛ لأن الرابح أو الخاسر هو التاجر ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ في هذا الشراء أو على الإطلاق، وقال الزمخشري: نفى الربح في قوله ﴿فَمَا رَبِحَت﴾، ونفى سلامة رأس المال في قوله

---

(١) في (أ): (وذهبوا).
(٢) قوله: (وتأكيدا) ساقط من (ع).
(٣) في (ف) و(ع): (استهزاء).
(٤) في (ع): (فهي).
(٥) في (ع): (ترجيح للمجاز) وهو خطأ.

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ﴾ إن كان المثل هنا بمعنى حالهم وصفتهم فالكاف للتشبيه، وإن كان المثل بمعنى التشبيه فالكاف زائدة ﴿اسْتَوْقَدَ﴾ أي أوقد، وقيل: طلب الوقود على الأصل في استفعل ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ إن تعدى فما حوله مفعول به، وإن لم يتعد فما زائدة أو ظرفية ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أي أذهبه. وهذه الجملة جواب لمحذوف تقديره: طفئت النار، و(ذهب الله بنورهم) جملة مستأنفة، والضمير عائد على المنافقين، فعلى هذا يكون الذي على بابه من الإفراد، والأرجح أنه أعيد ضمير الجماعة لأنه لم يقصد بالذي واحد بعينه إنما المقصود التشبيه بمن استوقد نارا سواء كان واحدا أو جماعة، ثم أعيد الضمير بالجمع ليطابق المشبه لأنهم جماعة. **فإن قيل:** ما وجه تشبيه المنافقين بصاحب النار التي أضاءت ثم أظلمت؟ **فالجواب** من ثلاثة أوجه: أحدها: أن منفعتهم في الدنيا بدعوى الإيمان شبيه بالنور، وعذابهم في الآخرة شبيه بالظلمة بعده. والثاني: أن استخفاء[1] كفرهم كالنور وفضيحتهم بعده[2] كالظلمة. والثالث: أن ذلك فيمن آمن منهم ثم كفر، فإيمانه نور وكفره بعده ظلمة، ويرجح هذا قوله ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾. **فإن قيل:** لم قال: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ولم يقل ذهب الله بضوئهم مشاكلة لقوله ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾؟

---

(١) في (ف): (اختفاء).

(٢) قوله: (بعده) ساقط من (أ).

فالجواب: أن إذهاب النور أبلغ؛ لأنه إذهاب للقليل[١] والكثير، بخلاف الضوء فإنما[٢] يطلق على الكثير.

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ يحتمل أن يراد به المنافقون والمستوقد المشبه بهم، وهذه الأوصاف مجاز عبارة عن عدم انتفاعهم بسمعهم وأبصارهم وكلامهم، وليس المراد فقد الحواس ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ إن أريد به المنافقون فمعناه لا يرجعون إلى الهدى، وإن أريد به أصحاب النار فمعناه أنهم متحيرون في الظلمة لا يرجعون ولا يهتدون إلى الطريق.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ عطف على الذي استوقد والتقدير أو كصاحب صيب أو للتنويع لأن هذا مثل آخر ضربه الله للمنافقين والصيب المطر وأصله صيوب ووزنه فعيل وهو مشتق من قولك صاب يصوب وفي قوله ﴿مِّنَ السَّمَآءِ﴾ إشارة إلى قوته وشدة انصبابه، قال ابن مسعود[٣]: إن رجلين من المنافقين هربا إلى المشركين فأصابهما هذا المطر وأيقنا بالهلاك فعزما على الإيمان ورجعا إلى النبي ﷺ وحسن إسلامهما، فضرب الله ما أنزل فيهما مثلا للمنافقين، وقيل: المعنى تشبيه المنافقين في حيرتهم في الدين وفي خوفهم على أنفسهم بمن أصابه مطر فيه ظلمات ورعد وبرق فضل عن الطريق وخاف الهلاك على نفسه[٤]، وهذا التشبيه على الجملة، وقيل: إن التشبيه على التفصيل، فالمطر مثل للقرآن أو الإسلام، والظلمات مثل لما فيه من الإشكال على المنافقين، والرعد مثل لما فيه من الوعيد والزجر لهم، والبرق مثل لما فيه من البراهين الواضحة.

---

(١) في (ع): (بالقليل).

(٢) في (أ): (فإنه).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١/٣٤٧، وهو بإسناد حسن عن ابن عباس، وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ١/١٩٠.

(٤) قوله: (على نفسه) ساقط من (ع) و(ف).

فإن قيل: لم قال رعد وبرق بالإفراد ولم يجمعه كما جمع ظلمات؟

فالجواب: أن الرعد والبرق مصدران والمصدر لا يجمع، ويحتمل أن يكونا اسمين وترك جمعهما لأنهما في الأصل مصدران.

﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَاعِقِ﴾ أي من أجل الصواعق قال ابن مسعود[١]: كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا القرآن في مجلس النبي ﷺ فهو على هذا حقيقة في المنافقين، والصواعق على هذا ما يكرهون من القرآن والموت هو ما يتخوفونه فهما مجازان، وقيل: إنه راجع لأصحاب المطر المشبه بهم فهو حقيقة فيهم، والصواعق على هذا حقيقة وهي التي تكون من المطر من شدة الرعد ونزول قطعة نار، والموت أيضا حقيقة، وقيل: إنه راجع للمنافقين على وجه التشبيه لهم في خوفهم بمن جعل أصابعه في آذانه من شدة الخوف من المطر والرعد.

فإن قيل: لم قال أصابعهم ولم يقل أناملهم والأنامل هي التي تجعل في الآذان؟

فالجواب: أن ذكر الأصابع أبلغ لأنها أعظم من الأنامل ولذلك جمعها مع أن الذي يجعل في الآذان السبابة خاصة.

﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ أي لا يفوتونه بل هم تحت قهره وهو قادر على عقابهم.

﴿يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ﴾ إن رجع إلى أصحاب المطر وهم الذين شبه بهم المنافقين فهو بين في المعنى، وإن رجع إلى المنافقين فهو تشبيه بمن أصابه البرق على وجهين:

أحدهما: تكاد براهين القرآن تلوح لهم كما يضيء البرق وهذا مناسب لتمثيل البراهين بالبرق حسبما تقدم.

والآخر: يكاد زجر القرآن ووعيده يأخذهم كما يكاد البرق يخطف أبصار

---

(١) الطبري: ١/٣٤٧.

أصحاب المطر المشبه بهم.

﴿كُلَّمَا أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾ إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى أنهم يمشون بضوء البرق إذا لاح لهم. وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى أنه يلوح لهم من الحق ما يقربون به من الإيمان. ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾ إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى أنهم إذا زال عنهم الضوء وقفوا متحيرين لا يعرفون الطريق، وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى أنه إذا ذهب عنهم ما لاح لهم من الإيمان ثبتوا على كفرهم. وقيل: إن المعنى كلما صلحت أحوالهم في الدنيا قالوا هذا دين مبارك، فهذا مثل الضوء، وإذا أصابتهم شدة أو مصيبة عابوا الدين وسخطوا فهذا مثل الظلمة.

فإن قيل: لم قال مع الإضاءة كلما ومع الظلام إذا؟

فالجواب: أنهم لما كانوا حراصا على المشي ذكر معه كلما؛ لأنها تقتضي التكرار والكثرة.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ الآية، إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى: لو شاء الله لأذهب سمعهم بالرعد وأبصارهم بالبرق، وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى لو شاء الله لأوقع بهم العذاب والفضيحة. وجاءت العبارة عن ذلك بإذهاب سمعهم وأبصارهم. والباء للتعدية كما هي في قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ الآية لما قدم اختلاف الناس في الدين وذكر ثلاث طوائف: المؤمنين والكافرين والمنافقين؛ أتبع ذلك بدعوة الخلق إلى عبادة الله وجاء بالدعوة عامة للجميع لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث إلى جميع الناس ﴿ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ يدخل فيه الإيمان به سبحانه، وتوحيده، وطاعته، فالأمر بالإيمان به لمن كان جاحدا، والأمر بالتوحيد لمن كان مشركا، والأمر بالطاعة لمن كان مؤمنا. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يتعلق بخلقكم أي خلقكم لتتقوه كقوله ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أو بفعل مقدر من معنى الكلام أي دعوتكم إلى عبادة الله لعلكم تتقون وهذا أحسن،

وقيل: يتعلق بقوله ﴿اعْبُدُواْ﴾ وهذا ضعيف وإن كانت لعل للترجي فتأويله أنه في حق المخلوقين جريا على عادة كلام العرب، وإن كانت للمقاربة أو التعليل فلا إشكال والأظهر فيها أنها لمقاربة الأمر نحو عسى فإذا قالها الله فمعناها إطماع العباد وهكذا القول فيها حيث ما وردت في كلام الله تعالى.

﴿الْأَرْضَ فِرَاشاً﴾ تمثيل لما كانوا يقعدون وينامون عليها كالفراش فهو مجاز وكذلك السماء بناء. ﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ من للتبعيض أو لبيان الجنس لأن الثمرات هو المأكول من الفواكه وغيرها والباء في به للسببية أو كقولك: كتبت بالقلم لأن الماء سبب في خروج الثمرات بقدرة الله تعالى. ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ﴾ لا ناهية أو نافية وانتصب الفعل بإضمار أن بعد الفاء في جواب اعبدوا والأول أظهر. ﴿أَندَاداً﴾ يراد به هنا الشركاء المعبودون مع الله جل وعلا. ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ حذف مفعوله مبالغة وبلاغة أي وأنتم تعلمون وحدانيته بما ذكر لكم من البراهين وفي ذلك بيان لقبح كفرهم بعد معرفتهم بالحق، ويتعلق قوله بلا تجعلوا بما تقدم من البراهين ويحتمل أن يتعلق بقوله: ﴿اعْبُدُواْ﴾ والأول أظهر.

* فوائد ثلاث:

الأولى: هذه الآية تضمنت دعوة الخلق إلى عبادة الله بطريقين:

أحدهما: إقامة البراهين بخلقتهم وخلقة السموات والأرض والمطر والثمرات.

والآخر: ملاطفة جميلة بذكر ما لله عليهم من الحقوق ومن الإنعام فذكر أولا ربوبيته لهم ثم ذكر خلقته لهم وآبائهم؛ لأن الخالق يستحق أن يعبد، ثم ذكر ما أنعم الله به عليهم من جعل الأرض فراشا والسماء بناء ومن إنزال المطر وإخراج الثمرات لأن المنعم يستحق أن يعبد ويشكر، وانظر قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمُ﴾ و﴿رِزْقاً لَّكُمْ﴾ يدلك على ذلك لتخصيصه ذلك بهم في ملاطفة وخطاب بديع.

الثانية: المقصود الأعظم من هذه الآية الأمر بتوحيد الله وترك ما عبد من دونه

لقوله في آخرها ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ وذلك هو الذي يترجم عنه بقولنا: لا إله إلا الله، فيقتضى ذلك الأمر بالدخول في دين الإسلام الذي قاعدته التوحيد، وقول: لا إله إلا الله.

الثالثة: تكرر في القرآن ذكر المخلوقات، والتنبيه على الاعتبار في الأرض والسموات، والحيوان والنبات، والرياح والأمطار والشمس والقمر والليل والنهار وذلك أنها تدل بالعقل على عشرة أمور وهي:

ـ أن الله موجود؛ لأن الصنعة دليل على الصانع لا محالة.

ـ وأنه واحد لا شريك له؛ لأنه لا خالق إلا هو ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ النحل الآية: ١٧.

ـ وأنه حي قدير عليم مريد؛ لأن هذه الصفات الأربع من شروط الصانع إذ لا تصدر صنعة عمن عدم صفة منها.

ـ وأنه قديم؛ لأنه صانع للمحدثات فيستحيل أن يكون مثلها في الحدوث.

ـ وأنه باق؛ لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه.

ـ وأنه حكيم؛ لأن آثار حكمته ظاهرة في إتقانه للمخلوقات وتدبيره للملكوت.

ـ وأنه رحيم؛ لأن في كل ما خلق منافع لبني آدم سخر لهم ما في السموات وما في الأرض.

وأكثر ما يأتي ذكر المخلوقات في القرآن في معرض الاستدلال على وجوده تعالى، أو على وحدانيته.

فإن قيل: لم قصر الخطاب بقوله لعلكم تتقون على المخاطبين دون الذين من قبلهم مع أنه أمر الجميع بالتقوى؟

فالجواب: أنه لم يقصره عليهم في المعنى[1] ولكنه غلب المخاطبين على

(١) قوله: (في المعنى) زيادة من (ف).

الغائبين في اللفظ والمراد الجميع، **فإن قيل**: هلا قال لعلكم تعبدون مناسبة لقوله اعبدوا؟ **فالجواب**: أن التقوى غاية العبادة وكمالها، فكان قوله لعلكم تتقون أبلغ وأوقع في النفوس.

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ الآية إثبات لنبوءة نبينا ومولانا[١] محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإقامة الدليل على أن القرآن[٢] جاء به من عند الله، فلما قدم إثبات الألوهية أعقبها بإثبات النبوءة، **فإن قيل**: كيف قال إن كنتم في ريب ومعلوم أنهم كانوا في ريب وفي تكذيب؟ **فالجواب**: أنه ذكر حرف إن إشارة إلى أن الريب بعيد عند العقلاء في مثل هذا الأمر الساطع البرهان فلذلك وضع حرف التوقع والاحتمال في الأمر الواقع لبعد وقوع الريب وقبحه عند العقلاء وكما قال تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ هو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والعبودية على وجهين:

عامة: وهي التي بمعنى الملك.

وخاصة: وهي التي يراد بها التشريف والتخصيص وهي من أوصاف أشراف العباد، ولله در القائل[٣]:

لا تدعني إلا بياعبدها فإنه أشرف أسمائي

﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾ أمر يراد به التعجيز ﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾ الضمير عائد على ما نزلنا[٤] وهو القرآن ومن لبيان الجنس، وقيل: يعود على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمن على هذا

---

(١) قوله: (نبينا ومولانا) ساقط من (أ) و(ف).

(٢) في (ف) و(ع) زيادة (الذي).

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره: ١/٢٣٢، وقبله قوله:

يا قوم قلبي عند زهراء يعرفه السامع والرائي
لا تدعني إلا بيا عبدها فإنه أشرف أسمائي

وذكره جمع من المفسرين كابن كثير والألوسي وأبي حيان والخازن وغيرهم، ولم ينسبوه لأحد.

(٤) في (ف): (أنزلنا) والصواب ما أثبتناه.

لابتداء الغاية ومعناه من بشر مثله، والأول أرجح لتعيينه في يونس وهود، وبمعنى مثله في فصاحته وفيما تضمنه[١] من العلوم والحكم العجيبة والبراهين الواضحة. ﴿شُهَدَآءَكُم﴾ آلهتكم أو أعوانكم أو من يشهد لكم[٢] ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غير الله، وقيل: هو من الدني الحقير فهو مقلوب اللفظ.

﴿وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ اعتراض بين الشرط وجوابه فيه مبالغة وبلاغة وهو إخبار بغيب[٣] ظهر مصداقه في الوجود إذ لم يقدر أحد أن يأتي بمثل القرآن مع فصاحة العرب في زمان نزوله وتصرفهم في الكلام، وحرصهم على التكذيب، وفي الإخبار بذلك معجزة أخرى، وقد اختلف في عجز الخلق عنه على قولين:

أحدهما: أنه[٤] ليس في قدرتهم الإتيان بمثله وهو الصحيح.

والثاني: أنه كان في قدرتهم وصرفوا عنه[٥] والإعجاز حاصل على الوجهين، وقد بينا سائر وجوه إعجازه في المقدمة.

﴿فَاتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ أي فآمنوا لتنجوا من النار وعبر باللازم[٦] عن ملازمه لأن ذكر النار أبلغ في التفخيم والتهويل والتخويف. ﴿وَقُودُهَا﴾ حطبها ﴿الحجارة﴾ قال ابن مسعود: هي حجارة الكبريت لسرعة اتقادها وشدة حرها وقبح رائحتها، وقيل: الحجارة المعبودة، وقيل: الحجارة على الإطلاق. ﴿أُعِدَّتۡ﴾ دليل على أنها قد خلقت وهو مذهب الجماعة وأهل السنة خلافا لمن قال إنها تخلق يوم

---

(١) في (أ): (تضمن).

(٢) في (ع): (شهداءكم وأعوانكم...).

(٣) قوله: (بغيب) ساقط من (أ).

(٤) قوله: (أنه) ساقط من (ف).

(٥) القول بأن معارضة القرآن كانت في طوق البشر وصرفوا عنها قول في غاية الفساد، ولم يقل به إلا النظام من المعتزلة، وقد تكفل المحققون بالرد على هذا القول من أمثال أبي بكر الباقلاني وغيره فليرجع إليهم من أراد تحرير المسألة.

(٦) في (ف): (بالملازم).

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِۦ إِلَّا الْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِۦ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰٓ إِلَى السَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾

ربع

القيامة وكذلك الجنة.

﴿وَبَشِّرِ﴾ يحتمل أن تكون خطابا للنبي ﷺ، أو خطابا لكل أحد ورجح الزمخشري هذا لأنه أفخم ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ﴾ دليل على أن الإيمان خلاف العمل لعطفه عليه خلافا لمن قال الإيمان اعتقاد وقول وعمل[1]، وفيه دليل على أن السعادة بالإيمان مع الأعمال خلافا للمرجئة ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ﴾ أي تحت أشجارها وتحت مبانيها وهي أنهار الماء واللبن والخمر والعسل وهكذا تفسيره حيث وقع، وروي[2] أن أنهار الجنة تجري في غير أخدود ﴿مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾ من الأولى للغاية أو للتبعيض أو لبيان الجنس، ومن الثانية لبيان الجنس. ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي في الدنيا بدليل قولهم ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ أي في الدنيا؛ فإن ثمر الجنة أجناس ثمر الدنيا وإن كانت خيرا منها في المطعم والمنظر. ﴿وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ أي يشبه ثمر الدنيا في جنسه، وقيل: يشبه بعضه بعضا في المنظر

(١) الصحيح أن الإيمان: اعتقاد، وقول، وعمل، وهو الذي تشهد له الآثار الصحيحة منها: قوله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون أو بعض وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق...» مسلم الحديث رقم: (٥١)، والترمذي الحديث رقم: (٢٥٣٩)، وانظر الثمر الداني: ١/١٩.

(٢) في مصنف ابن أبي شيبة عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: أَنْهَارُ الْجَنَّةِ تَجْرِي فِي غَيْرِ أُخْدُودٍ، وَثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ، كُلَّمَا نُزِعَتْ ثَمَرَةٌ عَادَتْ أُخْرَى، وَالْعَنْقُودُ اثْنَا عَشَرَ ذِرَاعًا. ١٣/٩٧.

ويختلف في المطعم، والضمير المجرور يعود على المرزوق الذي يدل عليه المعنى ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض وأقذار النساء وسائر[1] الأقذار التي لا تختص بالنساء كالبول وغيره، ويحتمل أن يريد: طهارة الطيب وطيب الأخلاق[2].

﴿لَا يَسْتَحْيِى﴾ تأول قوم أن معناه لا يترك؛ لأنهم زعموا أن الحياء مستحيل على الله؛ لأنه عندهم انكسار يمنع من الوقوع في أمر، وليس كذلك وإنما هو كرم وفضيلة تمنع من الوقوع فيما يعاب، ويرد عليهم قوله ﷺ: «**إن الله حيي كريم يستحي من العبد إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا**»[3]. ﴿أَن يَضْرِبَ﴾ سبب الآية: أنه لما ذكر في القرآن الذباب والنمل والعنكبوت عاب الكفار على ذلك، وقيل: لما ضرب المثلين المتقدمين في المنافقين تكلموا في ذلك فنزلت الآية[4] ردا عليهم. ﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ إعراب بعوضة مفعول بيضرب ومثلا حال أو مثلا مفعول وبعوضة بدل منه أو عطف بيان أو هما مفعولان بيضرب؛ لأنها على هذا المعنى تتعدى إلى مفعولين وما صفة للنكرة أو زائدة ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ في الكبر، وقيل: في الصغر، والأول أصح ﴿فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ لأنه لا يستحيل على الله أن يذكر ما شاء ولأن ذكر تلك الأشياء فيه حكمة وضرب أمثال وبيان للناس ولأن الصادق جاء بها من عند الله. ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ﴾ لفظه الاستفهام ومعناه الاستبعاد والاستهزاء والتكذيب. وفي إعراب ماذا وجهان: أن تكون ما مبتدأ وذا خبره وهي موصولة، وأن تكون كلمة مركبة في موضع نصب على المفعول بأراد ومثلا منصوب على الحال أو التمييز. ﴿يُضِلُّ بِهِۦ﴾ من كلام الله جوابا للذين قالوا: ماذا أراد الله بهذا مثلا، وهو أيضا تفسير لما أراد الله بضرب المثل من الهدى والضلال.

---

(١) في (ف): (ومن سائر).

(٢) في (ف): (طهارة الطباع مطهرة الأخلاق).

(٣) رواه الترمذي الحديث رقم: (٣٤٧٩)، وصححه الألباني رحمه الله تعالى.

(٤) تفسير الطبري: ٣٩٩/١، وابن أبي حاتم: ٦٩/١، وابن كثير: ٢٠٦/١.

﴿عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ مطلق في العهود وكذلك ما بعده من القطع والفساد ويحتمل أن يشار بنقض عهد الله إلى اليهود لأنهم نقضوا العهد الذي أخذ الله عليهم في الإيمان بمحمد ﷺ، ويشار بقطع ما أمر الله به أن يوصل إلى قريش لأنهم قطعوا الأرحام التي بينهم وبين المؤمنين، ويشار بالفساد في الأرض إلى المنافقين لأن الفساد[1] من أفعالهم حسبما تقدم في وصفهم ﴿مِيثَاقِهِۦ﴾ الضمير للعهد أو لله تعالى.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ موضعها الاستفهام ومعناها هنا الإنكار والتوبيخ ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ أي معدومين أي في أصلاب الآباء أو نطفا في الأرحام ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ أي أخرجكم إلى الدنيا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ الموت المعروف ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بالبعث ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للجزاء، وقيل: الحياة الأولى حين أخرجهم من صلب آدم لأخذ العهد، وقيل: في الحياة الثانية إنها في القبور والراجح القول الأول لتعينه في قوله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾.

❖ **فوائد ثلاث[2]:**

الأولى: هذه الآية في معرض الرد على الكفار وإقامة البرهان على بطلان قولهم، **فإن قيل**: إنما يصح الاحتجاج عليهم بما يعترفون به فكيف يحتج عليهم بالبعث وهم منكرون له؟ **فالجواب**: أنهم ألزموا من ثبوت ما اعترفوا به من الحياة والموت ثبوت البعث؛ لأن القدرة صالحة لذلك كله.

الثانية: قوله وكنتم أمواتا في موضع الحال، **فإن قيل**: كيف جاز ترك قد[3] وهي لازمة مع الفعل الماضي إذا كان في موضع الحال؟ **فالجواب**: أنه قد جاء بعد

---

(١) في (ع) و(أ): (الإفساد).

(٢) قوله: (ثلاث) ساقط من (ع).

(٣) في (ف) و(ع): (جاء دون قد).

الماضي مستقبل والمراد مجموع الكلام كأنه يقول: وحالهم هذه فلذلك لم تلزم قد.

الثالثة: عطف فأحياكم بالفاء لأن الحياة أثر العدم ولا[١] تراخي بينهما وعطف ثم يميتكم وثم يحييكم[٢] بثم للتراخي الذي بينهما.

﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ دليل على إباحة الانتفاع بما في الأرض. ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾ أي قصد لها والسماء هنا جنس ولأجل ذلك أعاد عليها بعد ضمير الجماعة. ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ أي أتقن خلقهن كقوله: ﴿فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾، وقيل: جعلهن سواء.

فائدة: هذه الآية تقتضي أنه خلق السماء بعد الأرض وقوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ ظاهره خلاف ذلك، والجواب من وجهين:

أحدهما: أن الأرض خلقت قبل السماء ودحيت بعد ذلك فلا تعارض والآخر: أن[٣] تكون ثم لترتيب الإخبار.

﴿الملائكة﴾ جمع ملك واختلف في وزنه فقيل فعل فالميم أصلية ووزن ملائكة على هذا مفاعلة، وقيل: هي من الألوكة وهي الرسالة فوزنه مفعل ووزنه مألك ثم حذفت الهمزة ووزن ملائكة على هذا مفاعلة ثم قلبت وأخرت الهمزة فصار مفاعلة وذلك بعيد. ﴿خَلِيفَةً﴾ هو آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ لأن الله استخلفه في الأرض، وقيل: ذريته لأن بعضهم يخلف بعضا والأول أرجح ولو أراد الثاني لقال خلفاء ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ الآية سؤال محض؛ لأنهم استبعدوا أن يستخلف الله من يعصيه وليس فيه اعتراض؛ لأن الملائكة منزهون عنه، وإنما علموا أن بني آدم يفسدون بإعلام الله إياهم بذلك، وقيل: كان في الأرض جن فأفسدوا فبعث الله

---

(١) في (ف): (لا).

(٢) قوله: (وثم يحييكم) ساقط من (ف).

(٣) قوله: (أن) ساقط من (أ).

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓا إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

ثمن

إليهم ملائكة فقتلتهم فقاس الملائكة بني آدم عليهم. ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ اعتراف والتزام للتسبيح لا افتخار ﴿بِحَمْدِكَ﴾ أي حامدين لك والتقدير نسبح متلبسين[1] بحمدك فهو في موضع الحال ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ يحتمل أن تكون الكاف مفعولا ودخلت عليها اللام كقولك ضربت لزيدا وأن يكون المفعول محذوفا أي نقدسك على معنى ننزهك أو نعظمك وتكون اللام في لك للتعليل أي لأجلك أو يكون التقدير نقدس أنفسنا أي نطهرها لك. ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي ما يكون في بني آدم من الأنبياء والأولياء وغير ذلك من المصالح والحكمة.

﴿الْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ أي أسماء بني آدم وأسماء أجناس الأشياء[2] كتسمية القمر والشجر وغير ذلك. ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أي عرض المسميات وبين أشخاص بني آدم وأجناس الأشياء ﴿أَنۢبِـُٔونِي﴾ أمر على وجه التعجيز. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي في قولكم: إن الخليفة يفسد في الأرض ويسفك الدماء، وقيل: إن كنتم صادقين في جواب السؤال والمعرفة بالأسماء.

﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ اعتراف.

---

(١) في (ع): (ملتبسين).

(٢) في (ف) زيادة ﴿أَنۢبِـُٔونِي﴾ أمر على وجه التعجيز، ولكن هذا مكرر مع ما سيأتي قريبا.

﴿أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ﴾ أي أنبئ الملائكة بأسماء ذريتك أو بأسماء أجناس الأشياء.

﴿ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ السجود له[1] على وجه التحية، وقيل: عبادة لله وآدم كالقبلة ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾ روي[2] أن[3] أول من سجد إسرافيل ولذلك جازاه الله بولاية[4] اللوح المحفوظ. ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ استثناء متصل عند من قال إنه كان ملكا، ومنقطع عند من قال كان من الجن. ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ لقوله أنا خير منه ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ قيل: كفر بإبايته من السجود وذلك بناء على أن المعصية كفر، والأظهر أنه كفر باعتراضه على الله وتسفيهه له في أمره بالسجود لآدم، وليس كفره كفر جحود لاعترافه بالربوبية.

﴿وَزَوۡجُكَ﴾ هي حواء خلقها الله من ضلع آدم ويقال زوجة وزوج هنا أفصح ﴿ٱلۡجَنَّةَ﴾ هي جنة الخلد عند الجماعة وعند أهل السنة خلافا لمن قال هي غيرها. ﴿لا تقربا﴾ النهي عن القرب يقتضي النهي عن الأكل بطريق الأولى وإنما نهى عن القرب سدا للذريعة فهذا أصل في سد الذرائع ﴿ٱلشَّجَرَةَ﴾ قيل: هي شجرة العنب، وقيل: شجرة التين، وقيل: الحنطة وذلك مفتقر إلى نقل صحيح واللفظ مبهم ﴿فَتَكُونَا﴾ عطف على تقربا أو نصب بإضمار أن بعد الفاء في جواب النهي ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ متعد من زلل القدم، وأزالهما بالألف[5] من الزوال ﴿عَنۡهَا﴾ الضمير

---

(١) قوله: (له) زيادة من (ف).

(٢) أخرجه ابن عساكر عن عمر بن عبد العزيز كما في البداية والنهاية: ٩٧/١، وفي الدر المنثور: ١٢٣/١ قال صاحب تخريج أحاديثه: إنه منكر لفظا منقطع معنى: ١١٥/١، وقال إسماعيل حقي في روح البيان: وقيل: أول من سجد إسرافيل فرفع رأسه وقد ظهر كل القرآن مكتوباً على جبهته كرامة له على سبقه إلى الائتمار. ٨١/١ دار إحياء التراث العربي. ولم يأت بسند على ما قال.

(٣) في (أ): (من أول).

(٤) في (ف): (بولايته).

(٥) ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ قرأ حمزة ﴿فأزالهما﴾ بألف بعد الزاي وتخفيف اللام وقرأ الباقون بالحذف والتشديد. ٢٤١/٢.

قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٣٩) يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ (٤٠) وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ (٤١) وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤٢) وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ (٤٣) ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٤٤) وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ (٤٥) ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ (٤٦) يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٧) وَٱتَّقُواْ يَوْماً لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـٔاً وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٨)

ربع

عائد على الجنة أو على الشجرة فتكون عن سببية على هذا.

فائدة: اختلفوا في أكل آدم من الشجرة فالأظهر أنه كان على وجه النسيان لقوله تعالى ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْماً﴾، وقيل: سكر من خمر الجنة فحينئذ أكل منها وهذا باطل لأن خمر الجنة لا تسكر، وقيل: أكل عمدا وهي معصية صغرى[1] وهذا عند من أجاز على الأنبياء الصغائر، وقيل: تأول آدم أن النهي كان عن شجرة معينة فأكل من غيرها من جنسها، وقيل: لما حلف له إبليس صدقه لأنه ظن أنه لا يحلف أحد بالله[2] كاذبا.

﴿ٱهْبِطُواْ﴾ خطاب لآدم وزوجه وإبليس بدليل بعضكم لبعض عدو ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ موضع استقرار وهو في مدة الحياة، وقيل: في بطن الأرض بعد الموت ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ ما يتمتع به ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ إلى الموت ﴿فَتَلَقَّىٰٓ﴾ أي أخذ وقبل على قراءة الجماعة، وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات[3] فتلقى على هذا من اللقاء ﴿كَلِمَٰتٍ﴾ هي قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ بدليل ورودها في الأعراف، وقيل: غير ذلك ﴿ٱهْبِطُواْ﴾ كرر ليناط به ما بعده، ويحتمل

---

(١) في (ف) و(ع) صغيرة.

(٢) في (أ): (لا يحلف أحد كذبا)، وفي (ع): (لا يحلف كاذبا).

(٣) قال الإمام أبو عمرو الداني في التيسير: ابن كثير ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمَ﴾ بالنصب ﴿كَلِمَٰتٌ﴾ بالرفع والباقون برفع ﴿ءَادَمُ﴾ وكسر التاء، ص: ٦٠.

أن يكون أحد الهبوطين من السماء، إلى الأرض[١] والآخر من الجنة، وأن يكون هذا الثاني لذرية آدم لقوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ والأول أظهر لتناوله لآدم وزوجه وإبليس. وروي[٢] أن آدم نزل بسرنديب من أرض الهند ونزلت حواء بجدة وإبليس بالأبلة[٣].

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ إن شرطية وما زائدة للتأكيد والهدى هنا يراد به كتاب الله ورسالته. ﴿فَمَن تَبِعَ﴾ شرط وهو جواب الشرط الأول، وقيل: فلا خوف جواب الشرطين.

﴿يَابَنِي إِسْرَآءِيلَ﴾ لما قدم دعوة الناس عموما وذكر مبدأهم دعا بني إسرائيل خصوصا وهم اليهود وجرى الكلام معهم من هنا إلى حزب سيقول السفهاء، فتارة دعاهم بالملاطفة وذكر الإنعام عليهم وعلى آبائهم، وتارة بالتخويف وتارة بإقامة الحجة وتوبيخهم على سوء أعمالهم وذكر العقوبات التي عاقبهم بها[٤]، فذكر من النعم عليهم عشرة أشياء وهي:

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ [سورة البقرة آية ٤٨].

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ [سورة البقرة آية ٤٩].

و﴿بَعَثْنَاكُم مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [سورة البقرة آية ٥٥].

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ [سورة البقرة آية ٥٦].

---

(١) قوله: (إلى الأرض) زيادة من (ف).

(٢) قال ابن عطية في تفسيره: وروي أن آدم نزل على جبل من جبال سرنديب وأن حواء نزلت بجدة، وأن الحية نزلت بأصبهان، وقيل: بميسان، وأن إبليس نزل على الأبلة. المحرر الوجيز: ١١٣/١، ولم يذكر لذلك سندا.

(٣) قوله: (﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ والأول أظهر لتناوله لآدم وزوجه... بجدة وإبليس) ساقط من (أ).

(٤) قوله: (بها) ساقط من (ف).

﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ [سورة البقرة آية ٥٦].

و﴿عَفَوْنَا عَنكُم﴾ [سورة البقرة آية ٥١].

و﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة البقرة آية ٥٣].

و﴿يَغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [سورة البقرة آية ٥٧].

و﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [سورة البقرة آية ٥٢].

﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [سورة البقرة آية ٥٩].

وذكر من سوء أفعالهم عشرة أشياء، قولهم:

﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [سورة البقرة آية ٩٢].

و﴿ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [سورة البقرة آية ٥٠].

وقالوا[1]: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [سورة النساء آية ١٥٢].

و﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [سورة البقرة آية ٥٨].

و﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ [سورة البقرة آية ٦٠].

و﴿يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ [سورة البقرة آية ٧٤].

و﴿تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [سورة البقرة آية ٦٣].

و﴿قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ [سورة البقرة آية ٧٣].

﴿وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [سورة النساء آية ١٥٤].

﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [سورة آل عمران آية ١٨١].

وذكر من عقوبتهم[2] عشرة أشياء:

---

(١) في (ف): (وقولهم).

(٢) في (أ): (عقوباتهم).

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة آية ٦٠].

و﴿يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ [سورة التوبة آية ٢٩].

و﴿فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [سورة البقرة آية ٥٣].

و﴿كُونُوا قِرَدَةً﴾ [سورة البقرة آية ٦٤].

و﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَآءِ﴾ [سورة الأعراف آية ١٦٢].

﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ [سورة البقرة آية ٥٤].

﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [سورة المائدة آية ١٤].

و﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [سورة النساء آية ١٥٩].

وهذا كله جرى[(١)] لآبائهم المتقدمين، وخوطب به[(٢)] المعاصرون لمحمد ﷺ؛ لأنهم متبعون لهم راضون بأحوالهم، وقد وبخ المعاندين[(٣)] لمحمد ﷺ بتوبيخات أخر، وهي عشرة:

- كتمانهم أمر محمد ﷺ مع معرفتهم به.
- و﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [سورة النساء آية ٤٥].
- و﴿يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة آية ٧٨].
- و﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [سورة البقرة آية ٨٤].
- ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ﴾ [سورة البقرة آية ٨٤].
- وحرصهم على الحياة.

---

(١) في (أ): (جزاء).

(٢) قوله: (به) ساقط من (أ).

(٣) في (ع) و(ف): (المعاصرون) بالرفع على أن وبخ مبني للمفعول.

- وعداوتهم لجبريل.
- واتباعهم للسحر.
- وقولهم ﴿نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ﴾ [سورة المائدة آية ٢٠].
- وقولهم ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [سورة المائدة آية ٦٦].

﴿نِعْمَتِيَ﴾ اسم جنس فهي مفردة بمعنى الجمع، ومعناه عام في جميع النعم التي على بني إسرائيل مما اشترك فيه معهم غيرهم أو اختصهم[1] به كالمن والسلوى، وللمفسرين فيه أقوال تحمل على أنها أمثلة واللفظ يعم النعم جميعا. ﴿بِعَهْدِيٓ﴾ مطلق في كل ما أخذ عليهم من العهود، وقيل: الإيمان بمحمد ﷺ وذلك قوي لأنه مقصود الكلام ﴿بِعَهْدِكُمْ﴾ دخول الجنة. ﴿وَإِيَّـٰيَ﴾ مفعول بفعل مضمر مؤخر لانفصال الضمير وليفيد الحصر يفسره فارهبون ولا يصح أن يعمل فيه فارهبون لأنه قد أخذ معموله وكذلك ﴿وَإِيَّـٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾.

﴿بِمَآ أَنزَلْتُ﴾ يعني القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ أي مصدقا للتوراة وتصديق القرآن للتوراة وغيرها، وتصديق محمد ﷺ للأنبياء والمتقدمين له ثلاثة معان:

أحدها: أنهم أخبروا به ثم ظهر كما قالوا فتبين صدقهم في الإخبار به

والآخر: أنه ﷺ أخبر أنهم أنبياء وأنزل عليهم الكتب فهو مصدق لهم أي شاهد بصدقهم

والثالث: أنه وافقهم فيما في كتبهم من التوحيد وذكر الدار الآخرة وغير ذلك من عقائد الشرائع فهو مصدق لهم لاتفاقهم في الإيمان بذلك.

﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ الضمير عائد على القرآن وهذا نهي عن المسابقة

---

(١) في (ف) و(ع): (اختصوا هم به).

إلى الكفر به، ولا يقتضي إباحة الكفر به[١] في ثاني حال لأن هذا مفهوم معطل، بل يقتضي الأمر بمبادرتهم إلى الإيمان به لما يجدون من ذكره ولما يعرفون من علامته[٢] ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الاشتراء هنا استعارة في الاستبدال كقوله: ﴿اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ [سورة البقرة آية ١٥] والآيات هنا هي الإيمان بمحمد ﷺ، والثمن القليل ما ينتفعون به في الدنيا من بقاء رياستهم وأخذ الرشا على تغيير أمر محمد ﷺ وغير ذلك، وقيل: كانوا يعلمون دينهم بالأجرة فنهوا عن ذلك واحتج الحنفية بهذه الآية على منع الإجارة على تعليم القرآن.

﴿الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ الحق هنا يراد به نبوءة محمد ﷺ، والباطل الكفر به، وقيل: الحق التوراة والباطل ما زادوا فيها ﴿وَتَكْتُمُوا﴾ معطوف على النهي أو منصوب بإضمار أن في جواب النهي والواو بمعنى الجمع والأول أرجح؛ لأن العطف يقتضي النهي عن كل واحد من الفعلين بخلاف النصب بالواو فإنه إنما يقتضي النهي عن الجمع بين الشيئين لا النهي عن كل واحد على انفراده. ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي تعلمون أنه حق.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يراد بها صلاة المسلمين وزكاتهم فهو يقتضي الأمر بالدخول في الإسلام. ﴿وَارْكَعُوا﴾ خصص الركوع بعد ذكر الصلاة؛ لأن صلاة اليهود بلا ركوع فكأنه أمر بصلاة المسلمين التي فيها الركوع، وقيل: اركعوا[٣] للخضوع والانقياد ﴿مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ مع المسلمين فيقتضي ذلك الأمر بالدخول في دينهم، وقيل: الأمر بالصلاة مع الجماعة.

﴿أَتَأْمُرُونَ﴾ تقريع وتوبيخ لليهود ﴿بِالْبِرِّ﴾ عام في كل[٤] أنواعه فوبخهم على

---

(١) قوله: (به) ساقط من (أ).

(٢) في (ع): (علاماته).

(٣) في (ف): (الركوع الخضوع).

(٤) قوله: (كل) ساقط من (أ).

أمر الناس وتركهم له، وقيل: كان الأحبار يأمرون من نصحوه في السر باتباع محمد ﷺ ولا يتبعونه، وقال ابن عباس: بل كانوا يأمرون باتباع التوراة ويخالفون في جحدهم منها صفة محمد ﷺ، ﴿تنسون﴾ أي تتركون وهذا تقريع ﴿تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ حجة عليهم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ توبيخ.

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ﴾ قيل: معناه استعينوا بها على مصائب الدنيا، وقد روي أن رسول الله ﷺ: «**كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة**»[1] ونعي إلى ابن عباس أخوه فقام إلى الصلاة فصلى ركعتين وقرأ الآية، وقيل: استعينوا بهما على طلب الآخرة، وقيل: الصبر هنا الصوم، وقيل: الصلاة هنا الدعاء ﴿وَإِنَّهَا﴾ الضمير عائد على العبادة التي تضمنها الصبر والصلاة، أو على الاستعانة أو على الصلاة ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ أي شاقة صعبة.

﴿يَظُنُّونَ﴾ هنا يتيقنون ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي أهل زمانهم، وقيل: تفضيل من وجه ما هو كثرة الأنبياء وغير ذلك ﴿لَّا تَجْزِي﴾ لا تغني وشيئا مفعول به أو صفة لمصدر محذوف والجملة في موضع الصفة وحذف الضمير أي فيه.

﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ ليس نفي الشفاعة مطلقا؛ فإن مذهب أهل الحق ثبوت الشفاعة لسيدنا محمد ﷺ[2] وشفاعة الملائكة والأنبياء والمؤمنين، وإنما المراد أنه لا يشفع أحد إلا بعد أن يأذن الله له لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ ولقوله: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ ولقوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ وانظر ما ورد في الحديث[3] «**أن رسول الله ﷺ يستأذن في الشفاعة فيقال له: اشفع تشفع**»[4] فكل ما ورد في القرآن من

---

(١) رواه أبو داود في سننه الحديث رقم: (١٣١٩) كتاب الصلاة وأحمد في مسنده: ٣٨٨/٥، والطبري في جامع البيان: ٨٤٩، والبخاري في تاريخه: ١٧٢/١.

(٢) في (ف): (شفاعة النبي ﷺ).

(٣) قوله: (في الحديث) ساقط من (أ).

(٤) رواه البخاري في مواضع من صحيحه منها الحديث رقم: (٣٣٤٠) ومسلم في صحيحه=

وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذتُّمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥١﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٢﴾ • وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٥﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٦﴾

ثمن

نفي الشفاعة مطلقا يحمل على هذا لأن المطلق يحمل على المقيد، فليس في هذه الآيات المطلقة دليل للمعتزلة على نفي الشفاعة ﴿عَدْلٌ﴾ هنا فدية ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ جمع لأن النفس المذكورة يراد بها نفوس.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم﴾ تقديره اذكروا إذ نجيناكم أي نجينا آباءكم وجاء الخطاب للمعاصرين للنبي ﷺ منهم؛ لأنهم ذريتهم وعلى دينهم ومتبعون لهم فحكمهم كحكمهم، وكذلك فيما بعد هذا من تعداد النعم؛ لأن الإنعام على الآباء إنعام على الأبناء، ومن ذكر مساوئهم لأن ذريتهم راضون بها ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ المراد من فرعون وآله وحذف لدلالة المعنى وآل فرعون هم جنوده وأشياعه وآل دينه لا قرابته خاصة ويقال إن اسمه الوليد بن مصعب وهو من ذرية عمليق ويقال فرعون لكل من ولي مصر. وأصل آل أهل ثم أبدلت من الهاء[1] همزة وأبدل من الهمزة ألف

فائدة: كل ما ذكره في هذه السور من الأخبار معجزات للنبي ﷺ؛ لأنه أخبر بها من غير تعلم.

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي يلزمونهم به وهو استعارة من السوم في البيع وفسر سوء العذاب بقوله ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ ولذلك لم يعطفه هنا، وأما حيث عطفه في سورة إبراهيم فيحتمل أن يراد بسوء العذاب غير

= الحديث رقم: (٤٩٥) وابن حبان في صحيحه الحديث رقم: (٦٤٦٤).

(١) في (ف): (أبدل من الهاء).

ذلك فيكون عطف مغايرة، أو أراد به ذلك وعطف لاختلاف اللفظ، وكان سبب قتل فرعون لأبناء بني إسرائيل أن أخبره الكهان والمنجمون أن هلاكه على يد مولود ذكر[١] من بني إسرائيل، وقيل: إن آل فرعون تذاكروا وعد الله لإبراهيم بأن يجعل في ذريته ملوكا وأنبياء فحسدوهم[٢] على ذلك، وروي[٣] أنه وكل بالنساء رجالا يحفظون من تحمل منهن، وقيل: بل وكل على ذلك القوابل ولأجل هذا قيل: معنى يستحيون يفتشون الحياء من كل امرأة وهو فرجها وهذا بعيد، والأظهر أنه من الحياة ضد الموت.

﴿فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ فصلناه وجعلناه فرقا اثني عشر طريقا على عدد الأسباط، والباء سببية أو للمصاحبة والبحر المذكور هنا هو بحر القلزم.

﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ هي شهر ذي القعدة وعشر ذي الحجة وإنما خص الليالي بالذكر لأن التاريخ بها والأيام تابعة لها والمراد أربعين ليلة بأيامها. ﴿اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ اتخذتموه إلها فحذف لدلالة المعنى.

﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي بعد غيبته في الطور.

﴿الْكِتَابَ﴾ هنا التوراة ﴿وَالْفُرْقَانَ﴾ أي المفرق بين الحق والباطل وهو صفة للتوراة عطف عليها لاختلاف اللفظ، وقيل: الفرقان هنا فرق البحر، وقيل: المعنى[٤] آتينا موسى التوراة وآتينا محمدا الفرقان وهذا بعيد لما فيه من الحذف من غير دليل عليه.

﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي يقتل بعضكم بعضا كقوله ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾

---

(١) قوله: (ذكر) ساقط من (أ).

(٢) في (أ): (فحسدهم).

(٣) الروايات في هذا كثيرة ولكن الأولى الإعراض عنها لقلة ثبوتها وانظر المحرر الوجيز: ١/١٢٣.

(٤) قوله: (المعنى) ساقط من (أ).

وروي: أن من لم يعبد العجل قتل من غده، وروي[١] أن الظلام ألقي عليهم فقتل بعضهم بعضا حتى بلغ القتلى سبعون ألفا فعفا الله عنهم، وإنما خص هنا اسم البلد لأن فيه توبيخا للذين عبدوا العجل كأنه يقول: كيف عبدتم غير الذي برأكم؟ ومعنى الباري الخالق. ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قبله محذوف لدلالة الكلام عليه وهو فحوى الخطاب أي ففعلتم ما أمرتم به من القتل فتاب عليكم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ تعدى باللام لأنه تضمن معنى الانقياد.

﴿جَهْرَةً﴾ عيانا ﴿الصَّاعِقَةُ﴾ الموت وكانوا سبعين وهم الذين اختارهم موسى وحملهم إلى الطور فسمعوا كلام الله ثم طلبوا الرؤية فعوقبوا لسوء أدبهم وجراءتهم[٢] على الله ﴿وَظَلَّلْنَا﴾ أي جعلنا الغمام فوقهم كالظلة يقيهم حر الشمس وكان ذلك في التيه وكذلك أنزل عليهم[٣] فيه المن والسلوى تقدم في اللغات.

﴿كُلُوا﴾ معمول لقول محذوف ﴿هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس، وقيل: أريحاء، وقيل: قريب من بيت المقدس ﴿فَكُلُوا﴾ جاء هنا بالفاء التي للترتيب؛ لأن الأكل بعد الدخول فيها[٤] وجاء في الأعراف بالواو بعد قوله اسكنوا لأن الدخول لا يتأتى معه السجود، وقيل: متواضعين ﴿حِطَّةٌ﴾ تقدم في اللغات ﴿وَسَنَزِيدُ﴾ أي نزيدهم أجرا إلى المغفرة.

﴿فَبَدَّلَ﴾ روي[٥] أنهم قالوا حنطة وروي حبة في شعرة ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يعني

---

(١) الطبري: ٢/٧٦، وابن أبي حاتم: ١/١١٠، وابن كثير: ١/٢٦٢.

(٢) في (ف): (وجرأتهم).

(٣) في (أ): (وكذا أنزل عليه).

(٤) قوله: (فيها) زيادة من (أ).

(٥) قال ابن عطية: روي أنهم لما جاؤوا الباب دخلوا من قبل أدبارهم القهقرى، وفي الحديث: أنهم دخلوا يزحفون على أستاههم وبدلوا فقالوا حبة في شعرة وقيل: قالوا حنطة حبة حمراء فيها شعرة، وقيل: شعيرة. المحرر الوجيز: ١/١٣١، ورواه الطبراني في المعجم الكبير عن ابن مسعود الحديث رقم: (٩٠٢٧).

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ • وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيئِينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

ربع

المذكورين وضع الظاهر موضع المضمر لقصد ذمهم بالظلم وكرره زيادة في تقبيح أمرهم ﴿رِجْزًا﴾ روي أنهم أصابهم الطاعون فمات منهم سبعون ألفا.

﴿اسْتَسْقَىٰ﴾ طلب السقي[1] لما عطشوا في التيه ﴿الْحَجَرَ﴾ كان مربعا ذراعا في ذراع تفجر من كل جهة ثلاث عيون، وروي[2] أن آدم كان أهبطه من الجنة، وقيل: هو جنس غير معين، وذلك أبلغ في الإعجاز ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ قبله محذوف تقديره فضربه فانفجرت ﴿مَشْرَبَهُمْ﴾ أي موضع شربهم وكانوا اثني عشر سبطا لكل سبط عين ﴿كُلُوا﴾ أي من المن والسلوى واشربوا من الماء المذكور.

﴿وَفُومِهَا﴾ هي[3] الثوم، وقيل: الحنطة ﴿أَدْنَىٰ﴾ من الدنيء الحقير، وقيل: أصله أدون ثم قلب بتأخير عينه وتقديم لامه ﴿مِصْرًا﴾ قيل: البلد المعروف وصرف لسكون وسطه، وقيل: هو غير معين فهو نكرة لما روي: أنهم نزلوا بالشام[4] والأول أرجح لقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يعني مصر ﴿ضُرِبَتْ﴾ أي قضى عليهم بها وألزموها وجعله الزمخشري استعارة من ضرب القبة لأنها تعلوا

(١) في (أ): (السقيا).

(٢) المحرر الوجيز: ١/١٧٢.

(٣) في (ف) و(ع): (يعني).

(٤) في (ف): (نزلوا الشام).

الإنسان وتحيط به ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾ الفاقة، وقيل: الجزية ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ الإشارة إلى ضرب الذلة والمسكنة والغضب والباء للتعليل ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الآيات المتلوات أو العلامات ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ معلوم أنه لا يقتل نبي إلا بغير حق وإنما نص عليه تشنيعا لقبح فعلهم ولأنهم اجترؤوا على قتلهم مع معرفتهم أنه بغير حق وذلك أقبح[١].

فائدة: قال هنا بغير الحق بالتعريف باللام للعهد لأنه قد تقررت الموجبات لقتل النفس، وقال في الموضع الآخر من آل عمران ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ بالتنكير لاستغراق النفي لأن تلك نزلت في المعاصرين لمحمد ﷺ ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ﴾ يحتمل أن يكون تأكيدا للأول وتكون الإشارة بذلك إلى القتل والكفر، والباء للتعليل أي اجترؤوا على الكفر وقتل الأنبياء لما[٢] انهمكوا في العصيان والعدوان.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ الآية، قال ابن عباس[٣]: نسختها[٤] ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ وقيل: معناها أن هؤلاء الطوائف من آمن منهم إيمانا صحيحا فله أجره فيكون في حق المؤمنين الثبات إلى الموت وفي حق غيرهم الدخول في الإسلام فلا نسخ، وقيل: إنها فيمن كان قبل بعث النبي ﷺ فلا نسخ ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ مبتدأ خبره فلهم أجرهم والجملة خبر إن أو من آمن بدل ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ خبر إن.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ لما جاء موسى بالتوراة أبوا أن يقبلوها فرفع الجبل فوقهم، وقيل لهم: إن لم تأخذوها وقع عليكم. ﴿بِقُوَّةٍ﴾ جد في العلم بالتوراة أو العمل بها.

---

(١) قوله: (وإنما نص عليه تشنيعا لقبح فعلهم ولأنهم اجترؤوا على قتلهم مع معرفتهم أنه بغير حق وذلك أقبح) ساقط من (أ) هنا وفيها زيادة: (وذلك أفصح).

(٢) في (ف): (لأنهم).

(٣) الطبري في جامع البيان: ٢/١٥٥، وابن أبي حاتم في تفسيه: ١/١٩٨ بإسناد حسن.

(٤) في (ف) و(ع): (نسخها).

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ ۞ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾

ثمن

﴿اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ اصطادوا فيه الحوت وكان محرما عليهم ﴿كُونُوا قِرَدَةً﴾ عبارة عن مسخهم وخاسئين صفة أو خبر ثان. ومعناه مبعدين كما يخسأ الكلب. ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ الضمير للفعلة وهي المسخ.

﴿نَكَالًا﴾ أي[1] عقوبة لما تقدم من ذنوبهم وما تأخر، وقيل: عبرة لمن تقدم ومن[2] تأخر.

﴿أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ قصتها: أن رجلا من بني إسرائيل قتل قريبه ليرثه وادعى على قوم أنهم قتلوه، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضرب[3] القتيل ببعضها ففعلوا فقام وأخبر بمن قتله ثم عاد ميتا ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ جفاء وقلة أدب وتكذيب ﴿فَارِضٌ﴾ مسنة ﴿بِكْرٌ﴾ صغيرة ﴿عَوَانٌ﴾ متوسطة ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي بين ما ذكر ولذلك قال ذلك مع الإشارة إلى شيئين.

﴿صَفْرَاءُ﴾ من الصفرة المعروفة، وقيل: سوداء وهو بعيد، والظاهر صفراء كلها، وقيل: القرن والظلف فقط، وهو بعيد ﴿فَاقِعٌ﴾ شديد[4] الصفرة ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ لحسن لونها، وقيل: لسمنها ومنظرها كله.

---

(١) قوله: (أي) ساقط من (ف).

(٢) قوله: (من) ساقط من (ف).

(٣) في (أ): (ويضربوا).

(٤) في (ف): (شديدة).

﴿لاَّ ذَلُولٌ﴾ غير مذللة للعمل ﴿تُثِيرُ الأَرْضَ﴾ أي تحرثها وهو داخل تحت النفي على الأصح ﴿وَلاَ تَسْقِي الحَرْثَ﴾ لا يسقى عليها ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ من العمل أو من العيوب ﴿لاَّ شِيَةَ﴾ لا لمعة غير الصفرة وهو من وشى ففاؤه واو محذوفة كعدة ﴿ءَالْئَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ العامل في الضرب جئت بالحق، وقيل: العامل فيه مضمر تقديره: الآن تذبحها والأول أظهر، فإن كان قولهم أتتخذنا هزؤا هكذا فهذا تصديق وإن كان غير ذلك فالمعنى الحق المبين[1] ﴿وَمَا كَادُواْ﴾ لعصيانهم وكثرة سؤالهم أو لغلاء البقرة؛ فقد جاء أنها كانت ليتيم وأنهم اشتروها بوزنها ذهبا، أو لقلة وجود تلك الصفة؛ فقد روي[2]: أنهم لو ذبحوا أدنى بقرة أجزأت عنهم ولكنهم شددوا فشدد عليهم.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً﴾ هو أول قصة البقرة فمرتبته التقديم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ قال الزمخشري[3]: إنما أخر لتعدد توبيخهم لقصتين وهما ترك المسارعة إلى الأمر

---

(١) في (ف): (البين).

(٢) ابن كثير: ٢٠٨/١، وفيه أثر ضعيف عن أبي هريرة.

(٣) قال الزمخشري: فإن قلت فما للقصة لم تقص على ترتيبها وكان حقها أن يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الأمر بذبحها، وأن يقال: وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها؟

قلت: كل ما قص من قصص بني إسرائيل إنما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها، ولما جدد فيهم من الآيات العظام، وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وإن كانتا متصلتين متحدتين:

فالأولى: لتقريعهم على الاستهزاء، وترك المسارعة إلى الامتثال، وما يتبع ذلك.

والثانية: للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الآية العظيمة.

وإنما قدمت قصة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتيل؛ لأنه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة، ولذهب الغرض في تثنية التقريع.

ولقد روعيت نكتة بعدما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها، أن وصلت بالأولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح، في قوله: ﴿اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ حتى تبين أنهما قصتان فيما يرجع إلى التقريع، وتثنيته بإخراج الثانية مخرج الاستئناف مع تأخيرها وأنها قصة واحدة بالضمير الراجع إلى البقرة. الكشاف: ١٨٢/١.

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤) أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) ۞ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٧٦)

حزب

وقتل النفس ولو قدم لكان قصة واحدة بتوبيخ واحد. ﴿فَادَّارَأْتُمْ﴾ أي اختلفتم وهو من المدارأة أي المدافعة ﴿مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ من[1] أمر القتيل ومن قتله.

﴿اضْرِبُوهُ﴾ القتيل أو قريبه ﴿بِبَعْضِهَا﴾ مطلق، وقيل: الفخذ، وقيل: اللسان، وقيل: الذنب ﴿كَذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى حياة القتيل واستدلال بها على الإحياء للبعث وقبله محذوف لا بد منه (تقديره)[2]: ففعلوا ذلك فقام القتيل.

فائدة: استدل المالكية بهذه القصة على قبول قول المقتول: فلان قتلني وهو ضعيف؛ لأن هذا المقتول قام بعد موته ومعاينة الآخرة، وقصته معجزة لنبي فلا يتأتى أن يكذب المقتول بخلاف غيره، واستدلوا أيضا بها على أن القاتل لا يرث ولا دليل فيها على ذلك.

﴿قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ خطاب لبني إسرائيل ﴿مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي بعد إحياء القتيل وما جرى في القصة من العجائب وذلك بيان لقبح قسوة[3] قلوبهم بعد ما رأوا تلك الآيات ﴿أَوْ أَشَدُّ﴾ عطف على موضع الكاف أو خبر ابتداء أي هي أشد وأو هنا إما للإبهام[4]

(١) قوله: (من) ساقط من (ف).
(٢) في (ف): (وهو).
(٣) في (ف): (قساوة).
(٤) في (أ): (للإيهام).

أو للتخيير كأن من علم حالها مخير بين أن يشبهها بالحجارة أو بما هو أشد قسوة كالحديد، أو التفضيل أي فهم أقسى، مع أن فعل القسوة ينبني منه أفعل لكون أشد أدل على فرط القسوة ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ﴾ الآية تفضيل الحجارة على قلوبهم ﴿يَهْبِطُ﴾ أي يتردى من علو إلى أسفل والخشية عبارة عن انقيادها، وقيل: حقيقة، وأن كل حجر يهبط فمن خشية الله.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ خطاب للمؤمنين ﴿أَن يُؤْمِنُوا۟﴾ يعني اليهود وتعدى باللام لما تضمن معنى[1] الانقياد ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ السبعون الذي يسمع كلام الله على الطور ثم حرفوه، وقيل: بنو إسرائيل حرفوا التوراة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بيان لقبح حالهم[2].

﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ قالها رجل ادعى الإسلام من اليهود وقيل قالوها ليدخلوا إلى المؤمنين ويسمعوا إلى أخبارهم ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم﴾ توبيخ ﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه: بما حكم عليهم من العقوبات وبما في كتبهم من ذكر محمد ﷺ وبما فتح الله عليهم من الفتح والإنعام. وكل وجه حجة عليهم ولذلك قالوا ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ قيل: في الآخرة، وقيل: أي في حكم ربكم وما أنزل في كتابه فعنده بمعنى حكمه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ من بقية كلامهم توبيخا لقولهم.

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾ الآية من كلام الله ردا عليهم وفضيحة لهم.

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ أي الذين لا يقرؤون ولا يكتبون فهم ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ والمراد قوم من اليهود، وقيل: من المجوس وهذا غير صحيح؛ لأن الكلام كله مع اليهود ﴿إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾ تلاوة بغير فهم، أو أكاذيب وما تتمناه النفوس.

﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ تحقيق لافترائهم ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عرض الدنيا من الرياسة والرشوة

---

(١) في (ف): (من).

(٢) في (ف): (فعلهم).

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

وغير ذلك. ﴿يَكْسِبُونَ﴾ من الدنيا أو هي الذنوب.

﴿أَيَّاماً مَّعْدُودَةً﴾ أربعين يوما عدد عبادتهم العجل، وقيل: سبعة أيام. ﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾ الآية تقرير يقتضي إبطال قولهم.

﴿بَلَىٰ﴾ تحقيق لطول مكثهم في النار ولقولهم ما لا يعلمون ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ الآية في الكفار لأنها رد على اليهود ولقوله بعدها.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة في النار.

﴿لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ جواب لقسم يدل عليه الميثاق، وقيل: خبر بمعنى النهي ويرجحه قراءة لا تعبدوا[1] وقيل: الأصل بأن لا تعبدوا ثم حذفت الباء وأن ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾ يتعلق بـ ﴿إِحْسَاناً﴾ أو بمحذوف تقديره: أحسنوا وأكد بإحسانا ﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾ القرابة ﴿الْيَتَامَىٰ﴾ جمع يتيم وهو من فقد والده قبل البلوغ، واليتيم من سائر الحيوان من فقد أمه، وجاء الترتيب في هذه الآية بتقديم الأهم فقدم الوالدين لحقهما الأعظم، ثم القرابة لأن فيهم أجر الإحسان وصلة الرحم ثم اليتامى لقلة حيلتهم ثم المساكين.

﴿لاَ تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ لا يسفك بعضكم دم بعض، وإعرابه مثل لا تعبدون ﴿وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم﴾ لا يخرج بعضكم بعضا ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ بالميثاق واعترفتم

---

(١) قال ابن عطية في قراءة أبي ﴿لا تَعْبُدُوا﴾ المحرر الوجيز: ١٥٣/١ ط دار الكتب العلمية ـ لبنان. ١٤١٣هـ الطبعة: الأولى تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

ثمن

بلزومه ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ بأخذ الميثاق عليكم.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ منصوب على التخصيص بفعل مضمر، وقيل: هؤلاء مبتدأ وخبره أنتم وتقتلون حال لازمة تم بها المعنى ﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ كانت قريظة حلفاء الأوس والنضير حلفاء الخزرج وكان كل فريق يقاتل الآخر مع حلفائه وينفيه من موضعه إذا ظفر به ﴿تَظَٰهَرُونَ﴾ أي تتعاونون ﴿تُفَٰدُوهُمْ﴾ قرئ بالألف وحذفها[١] والمعنى واحد، وكذلك أسارى بالألف[٢] وحذفها جمع أسير ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ﴾ الضمير للإخراج من ديارهم وهو مبتدأ وخبره محرم، وإخراجهم بدل والضمير للأمر والشأن وإخراجهم مبتدأ ومحرم خبره والجملة خبر الضمير ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فداؤهم الأسارى موافقة لما في كتبهم ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ القتل والإخراج من الديار مخالفة لما في كتبهم. ﴿خِزْىٌ﴾ الجزية أو الهزيمة لقريظة والنضير وغيرهم أو مطلق.

﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ أي جئنا من بعده بالرسل وهو مأخوذ من القفا أي

---

(١) قال محمد بن الجزري: واختلفوا في ﴿تفدوهم﴾ فقرأ المدنيان وعاصم والكسائي ويعقوب ﴿تُفَٰدُوهُمْ﴾ بضم التاء وألف بعد الفاء. وقرأ الباقون بفتح التاء وسكون الفاء من غير ألف. النشر: ٢/٢٤٨.

(٢) ﴿أُسَٰرَىٰ﴾ قرأ حمزة ﴿أسرى﴾ بفتح الهمزة وسكون السين من غير ألف وقرأ الباقون بضم الهمزة وألف بعد السين. المصدر السابق.

وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

ربع

جاء بالثاني في قفا الأول ﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات من إحياء الموتى وغير ذلك ﴿رُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ جبريل وقيل: الإنجيل، وقيل: الاسم الذي كان يحيي به الموتى والأول أرجح لقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾ ولقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحسان: «اللهم أيده بروح القدس»[1] ﴿تَقْتُلُونَ﴾ جاء مضارعا مبالغة لأنه أبد استحضاره في النفوس أو لأنهم حاولوا قتل محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لولا أن الله عصمه.

﴿غُلْفٌ﴾ جمع أغلف أي عليها غلاف وهو الغشاء فلا تفقهه ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ رد عليهم وبيان أن عدم فقههم بسبب كفرهم ﴿فَقَلِيلًا﴾ أي إيمانا قليلا ﴿مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ ما زائدة ويجوز أن تكون القلة بمعنى العدم أو على أصلها لأن من دخل منهم في الإسلام قليل، أو لأنهم آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض.

﴿كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ هو القرآن ﴿مُصَدِّقٌ﴾ تقدم أن له ثلاثة معان ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ أي ينتصرون على المشركين إذا قاتلوهم قالوا: اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان، ويقولون لأعدائهم المشركين قد أظل زمان نبي يخرج فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، وقيل: يستفتحون أي يعرفون الناس النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والسين على هذا للمبالغة كما[2] في استعجب واستسخر وعلى الأول للطلب ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟﴾ القرآن والإسلام ومحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال المبرد: كفروا جواب

---

(١) سنن النسائي الحديث رقم: (٧٠٩)، ومسند الإمام أحمد الحديث رقم: (٢٠٩٢٦).

(٢) في (ف): (كالسين).

لما الأولى والثانية، وأعيدت الثانية لطول الكلام ولقصد التأكيد، وقال الزجاج: كفروا جواب لما الثانية وحذف جواب الأولى للاستغناء عنه بذلك[١]، وقال الفراء: جواب لما الأولى فلما وجواب الثانية كفر ﴿عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ أي عليهم يعني اليهود ووضع الظاهر موضع المضمر ليدل أن اللعنة بسبب كفرهم واللام للعهد أو للجنس فيدخلون فيها مع غيرهم من الكفار.

﴿بِئْسَمَا﴾ فاعل بئس مضمر وما مفسرة له و﴿أَن يَكْفُرُواْ﴾ هو المذموم وقال الفراء بئسما مركب كحبذا، وقال الكسائي: ما مصدرية أي اشتراؤهم فهي فاعلة ﴿ٱشْتَرَوْاْ﴾ هنا بمعنى باعوا ﴿أَن يَكْفُرُواْ﴾ في موضع خبر ابتداء أو مبتدأ كاسم المذموم في بئس أو مفعول من أجله أو بدل من الضمير في به ﴿بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ القرآن أو التوراة لأنهم كفروا بما فيها من ذكر محمد ﷺ ﴿أَن يُنَزِّلَ﴾ في موضع مفعول من أجله ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ القرآن والرسالة ﴿مَن يَشَآءُ﴾ يعني محمدا ﷺ والمعنى أنهم إنما كفروا حسدا لمحمد ﷺ لما تفضل الله عليه بالرسالة ﴿بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ لعبادتهم العجل أو لقولهم عزير ابن الله أو لغير[٢] ذلك من قبائحهم.

﴿بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ القرآن ﴿بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ أي بما بعده وهو القرآن. ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ رد عليهم فيما ادعوا من الإيمان بالتوراة وتكذيب لهم، وذكر الماضي بلفظ المستقبل إشارة إلى ثبوته فكأنه دائم لما رضي هؤلاء به ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ شرطية بمعنى القدح في إيمانهم وجوابها يدل عليه ما قبل، أو نافية فيوقف قبلها، والأول أظهر.

﴿بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ يعني المعجزات كالعصا وفلق البحر وغير ذلك. ﴿ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ ذكر هنا على وجه الذم لهم والإبطال لقولهم نؤمن بما أنزل علينا وكذلك

---

(١) في (أ): (لذلك).

(٢) في (ف): (ولغير ذلك).

قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

رفع الطور وذكر قبل هذا على وجه تعداد النعم لقوله ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم﴾ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ وعطفه بثم في الموضعين إشارة إلى قبح ما فعلوه من ذلك. ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ الضمير لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أي من بعد غيبته في مناجاة الله على جبل الطور.

﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ أي سمعنا قولك وعصينا أمرك ويحتمل أن يكونوا[1] قالوه بلسان المقال أو بلسان الحال ﴿وَأُشْرِبُوا﴾ عبارة عن تمكن حب العجل من قلوبهم فهو مجاز تشبيها بشرب الماء أو بشرب الصبغ في الثوب وفي الكلام محذوف أي أشربوا حب العجل، وقيل: إن موسى برد العجل بالمبرد ورمى برادته في الماء فشربوه فالشرب على هذا حقيقة، ويرد هذا قوله في قلوبهم ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ الباء سببية للتعليل أو بمعنى المصاحبة ﴿يَأْمُرُكُم﴾ إسناد الأمر إلى إيمانهم فهو مجاز على وجه التهكم فهو[2] كقوله ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ كذلك إضافة الإيمان إليهم. ﴿إِن كُنتُم﴾ شرط أو نفي.

﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾ بالقلب واللسان أو باللسان خاصة وهذا أمر على وجه التعجيز والتبكيت؛ لأنه من علم أنه من أهل الجنة اشتاق إليها، وروي أنهم لو تمنوا الموت لماتوا، وقيل: إن ذلك معجزة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دامت طول حياته.

---

(١) قوله: (يكونوا) ساقط من (ف).

(٢) قوله: (فهو) ساقط من (ف).

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ إن قيل: لم قال في هذه السورة ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ﴾ وفي سورة الجمعة ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ﴾ فنفى هنا بلن وفي الجمعة بلا؟ فقال أستاذنا الشيخ أبو جعفر بن الزبير، الجواب: أنه لما كان الشرط في المغفرة مستقبلا وهو قوله ﴿إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً﴾ جاءت جوابه بلن التي تخلص الفعل للاستقبال، ولما كان الشرط في الجمعة حالا وهو قوله ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ﴾ جاء جوابه بلا التي تدخل على الحال أو تدخل على المستقبل، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾ أي لسبب ذنوبهم وكفرهم ﴿عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ تهديد لهم ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون عطفا على ما قبله فيوصل به. والمعنى أن اليهود أحرص على الحياة من الناس ومن الذين أشركوا فحمل على المعنى كأنه قال أحرص من الناس ومن الذين أشركوا وخص الذين أشركوا بالذكر بعد دخولهم في عموم الناس؛ لأنهم لا يؤمنون بالآخرة بإفراط حبهم للحياة الدنيا.

والآخر: أن يكون من الذين أشركوا ابتداء كلام فيوقف على ما قبله والمعنى من الذين أشركوا قوم ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فحذف الموصوف وقيل: أراد به المجوس لأنهم يقولون لملوكهم عش ألف سنة، والأول أظهر لأن الكلام إنما هو في اليهود وعلى الثاني يخرج الكلام عنهم. ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ﴾ الآية فيها وجهان:

أحدهما: أن يكون هو عائد على أحدهم وأن يعمر فاعل لمزحزحه.

والآخر: أن يكون هو للتعمير وأن يعمر بدل.

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ الآية سببها[1]: أن اليهود قالوا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) صحيح من حديث ابن عباس أخرجه الترمذي في سننه الحديث رقم: (٣١١٧)، وأحمد في مسنده: ١/٢٧٤، والطبري في جامع البيان: ٢/٣٧٧، وابن كثير في تفسير: ١/٢٤٢.

جبريل عدونا لأنه ملك الشدائد والعذاب فلذلك لا نؤمن به ولو جاءك ميكائيل لآمنا بك لأنه ملك الأمطار والرحمة ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فإن الله نزل جبريل.

والآخر: فإن جبريل نزل القرآن وهذا أظهر لأن قوله ﴿مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من أوصاف القرآن، والمعنى: الرد على اليهود بأحد وجهين:

أحدهما: من كان عدوا لجبريل فلا ينبغي له أن يعاديه لأنه نزله على قلبك فهو مستحق للمحبة ويؤكد هذا قوله ﴿وَهُدىً وَبُشْرَىٰ﴾.

والثاني: من كان عدوا لجبريل فإنما عاداه لأنه نزله على قلبك فكان هذا التعليل[١] لعداوتهم لجبريل.

﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَـٰلَ﴾ ذكرا بعد الملائكة تجديدا[٢] للتشريف والتعظيم.

﴿أَوَ كُلَّمَا﴾ الواو للعطف، وقال[٣] الأخفش: زائدة. ﴿نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ نزلت[٤] في مالك بن الضيف اليهودي وكان قد قال والله ما أخذ علينا عهد أن نؤمن بمحمد رسول يعني محمدا ﷺ.

﴿كِتَـٰبَ ٱللَّهِ﴾ يعني القرآن أو التوراة لما فيها من ذكر محمد ﷺ.

﴿وَاتَّبَعُواْ﴾ أي اليهود الذين في زمن النبي ﷺ أو المتقدمون. ﴿مَا تَتْلُواْ﴾ هو من القراءة أو الاتباع[٥] ﴿عَلَىٰ مُلْكِ﴾ أي في ملك أو عهد ملك سليمان ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ﴾ تبرئة له مما نسبوه إليه وذلك أن سليمان عليه السلام دفن السحر

(١) في (ف): (تعليلا).
(٢) في (ف): (تجريدا).
(٣) في (أ): (قال).
(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٤٠٠/٢، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٢٥٩/١ بسند ضعيف.
(٥) في (ف): (والاتباع).

• وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

ليذهبه فأخرجوه بعد موته ونسبوه إليه وقالت اليهود إنما كان سليمان ساحرا، وقيل: إن الشياطين استرقوا السمع وألقوه إلى الكهان فجمع سليمان ما كتبوا من ذلك ودفنه فلما مات قالوا ذلك علم سليمان ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ بتعلم[1] السحر وبالعمل به أو بنسبته إلى سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَمَآ أُنزِلَ﴾ نفي أو عطف على السحر أو على ما تتلوا ﴿ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ إن كانت ما نافية فذلك تبرئة لهما من إنزال السحر عليهما، إلا أن ذلك يرده آخر الآية، وإن كانت معطوفة بمعنى الذي فالمعنى أنهما أنزل عليهما ضرب من السحر ابتلاء من الله لعباده، أو ليعرف فيحذر وقرئ الملكين بكسر اللام[2]، وقال الحسن[3]: هما علجان فعلى هذا يتعين أن تكون ما غير نافية. ﴿بِبَابِلَ﴾ موضع معروف ﴿هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ اسمان علمان بدل من الملكين أو عطف بيان. ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ أي محنة وذلك تحذير من السحر.

﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ أي بتعليم[4] السحر، ومن هنا أخذ مالك أن الساحر يقتل

---

(١) في (ف): (بتعليم).

(٢) قال الزمخشري: وقرأ الحسن ﴿عَلَى ٱلْمَلِكَيْنِ﴾ بكسر اللام على أن المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل الكشاف: ١٩٨/١.

(٣) تفسير بن أبي حاتم: ١٨٩/١، والجامع لأحكام القرآن: ٥٢/٢، والبحر المحيط: ٤٩٧/١.

(٤) في (ف): (أي فلا يتعلم).

كفرا[١] ﴿يُفَرِّقُونَ﴾ زوال العصمة أو المنع من الوطء ﴿يَضُرُّهُمْ﴾ أي في الآخرة ﴿عَلِمُواْ﴾ أن اليهود والشياطين أي اشتغلوا به وذكر الشري لأنهم كانوا يعطون الأجرة عليه ﴿شَرَوْاْ﴾ هنا بمعنى باعوا.

﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ من الثواب وهو جواب لو أنهم وإنما جاء جوابها بجملة اسمية وعدل عن الفعلية لما في ذلك من الدلالة على إثبات الثواب واستقراره، وقيل: الجواب محذوف أي لأثيبوا ﴿لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ في الموضعين نفي لعلمهم، فإن قيل: كيف نفاه وقد أثبته في قوله ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ﴾؟ فالجواب: أنه لم ينفعهم علمهم فكأنهم لم يعلموا.

﴿لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا﴾ كان المسلمون يقولون للنبي ﷺ يا رسول الله راعنا، وذلك من المراعاة أي راقبنا وانظرنا فكان اليهود يقولونها ويعنون بها معنى الرعونة على وجه الإذاية للنبي ﷺ، وربما كانوا يقولونها على معنى النداء فنهى الله المسلمين أن يقولوا هذه الكلمة لاشتراك معناها بين ما قصده المسلمون وما[٢] قصده اليهود، فالنهي سدا للذريعة وأمروا أن يقولوا انظرنا لخلوه عن ذلك الاحتمال المذموم فهو من النظر والانتظار، وقيل: إنما نهى الله المسلمين عنها لما فيها من الجفاء وقلة التوقير ﴿وَاسْمَعُواْ﴾ عطف على قولوا لا على معمولها، والمعنى الأمر بالطاعة والانقياد.

﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ جنس يعم نوعين أهل الكتاب والمشركين من العرب، ولذلك فسره بهما ومعنى الآية أنهم لا يحبون أن ينزل الله خيرا على المسلمين ﴿مِّنْ خَيْرٍ﴾ من للتبعيض، وقيل: زائدة لتقدم النفي في قوله ما يود. ﴿بِرَحْمَتِهِ﴾ قيل: القرآن، وقيل: النبوءة والعموم أولى، ومعنى الآية الرد على من

---

(١) الاستذكار لابن عبد البر: ٨/١٦١، والمنتقى للباجي: ٦/٢٨٠.

(٢) قوله: (ما) ساقط من (أ).

ربع

• مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

كره الخير للمسلمين.

﴿مَا نَنسَخْ﴾ نزيل حكمه ولفظه أو أحدهما وقرئ بضم النون[(١)] أي نأمر بنسخه ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ من النسيان وهو ضد الذكر أي ينساها النبي ﷺ بإذن الله كقوله ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أو بمعنى الترك أي نتركها غير منزلة أي غير منسوخة. وقرئ بالهمز[(٢)] بمعنى التأخير أي نؤخر إنزالها أو نسخها ﴿بِخَيْرٍ﴾ في خفة العمل أو في الثواب ﴿قَدِيرٌ﴾ استدلال على جواز النسخ لأنه من المقدورات خلافا لليهود لعنهم الله فإنهم أحالوه على الله وهو جائز عقلا وواقع[(٣)] شرعا، فكما نسخت شريعتهم ما قبلها نسخها ما بعدها.

﴿تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ أي تطلبوا الآيات، ويحتمل السؤال عن العلم، والأول أرجح لما بعده فإنه شبهه بسؤالهم لموسى وهو قولهم له: أرنا الله جهرة.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي تمنوا ونزلت الآية[(٤)] في حيي بن أخطب

---

(١) قال ابن الجزري: واختلفوا في ﴿نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ فقرأ ابن عامر من غير طريق الداجوني عن هشام بضم النون الأولى وكسر السين. وقرأ الباقون بفتح النون والسين. انظرالنشر: ٢/٢٥٠.

(٢) قال ابن الجزري: واختلفوا في ﴿نُنسِهَا﴾ فقرأه ابن كثير وأبو عمرو بفتح النون والسين وهمزة ساكنة بين السين والهاء. وقرأ الباقون ﴿نُنسِهَا﴾ بضم النون وكسر السين من غير همزة. المصدر السابق.

(٣) في (ف): (واقع).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢/٤٩٩ بسند ضعيف.

وأمية بن ياسر وأشباههما من اليهود الذين كانوا يحرصون على فتنة المسلمين ويطمعون أن يردوهم عن الإسلام ﴿حَسَدًا﴾ مفعول من أجله أو مصدر في موضع الحال والعامل فيه ما قبله فيجب وصله معه، وقيل: هو مصدر والعامل فيه محذوف تقديره: يحسدونكم حسدا فعلى هذا يوقف على ما قبله. والأول أظهر وأرجح. ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ يتعلق بحسدا، وقيل: بيود ﴿فَاعْفُوا﴾ منسوخ بالسيف ﴿بِأَمْرِهِ﴾ يعني إباحة قتالهم أو وصول آجالهم.

﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ﴾ الآية أي قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا ﴿هُودًا﴾ يعني اليهود وهذه الكلمة جمع هايد، أو مصدر وصف به، وقال الفراء: (أصله يهودي[1] فحذفت منه الياء على غير قياس) ﴿أَمَانِيُّهُمْ﴾ أكاذيبهم أو ما يتمنونه ﴿هَاتُوا﴾ أمر على وجه التعجيز والرد عليهم وهو من هاتى يهاتي ولم يُنطق به، وقيل: أصله آتوا وأبدل من الهمزة هاء.

﴿بَلَىٰ﴾ إيجاب لما نفوا: أي يدخلها[2] من ليس يهوديا ولا نصرانيا ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أي دخل في الإسلام وأخلص وذكر الوجه لشرفه والمراد جملة الإنسان.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ الآية سببها[3] اجتماع نصارى نجران مع يهود المدينة فذمت كل طائفة الأخرى ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ﴾ تقبيح لقولهم مع تلاوتهم الكتاب ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ المشركون من العرب لأنهم لا كتاب لهم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ لفظه الاستفهام ومعناه لا أحد أظلم منه حيث وقع. ﴿مَسَاجِدَ

---

(١) قوله: (أصله يهودي) ساقط من (أ) وعبارة هذه النسخة: وقال الفراء حذفت منه ياء يهودا على غير قياس.

(٢) في (ف): (يدخلوها).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢/٥١٣، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١/٣٣٨ بسند ضعيف.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١١٣) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤) وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (١١٥) وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ (١١٦) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (١١٧) وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (١١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (١١٩)﴾

ثمن

﴿اللَّهِ﴾ قريش منعت الكعبة أو النصارى منعوا بيت المقدس أو على العموم ﴿خَآئِفِينَ﴾ في حق قريش لقوله ﷺ: «لا يحج بعد هذا العام مشرك»[(١)] وفي حق النصارى ضربهم عند بيت المقدس أو الجزية ﴿خِزْيٌ﴾ في حق قريش غلبتهم وفتح مكة وفي حق النصارى فتح بيت المقدس أو الجزية.

﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ﴾ في الحديث الصحيح أنهم صلوا ليلة في سفر إلى غير القبلة بسبب الظلمة فنزلت[(٢)] وقيل: هي في نفل المسافر حيث ما توجهت به دابته وقيل: هي راجعة إلى ما قبلها أي إن منعتم من مساجد الله فصلوا حيث كنتم، وقيل: إنها احتجاج على من أنكر تحويل القبلة فهي كقوله بعد هذا ﴿قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ الآية والقول الأول هو الصحيح، ويؤخذ منه أن من أخطأ القبلة فلا تجب عليه الإعادة وهو مذهب مالك. ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ المراد به هنا رضاه[(٣)] كقوله ﴿ابْتِغَآءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ أي رضاه، وقيل: معناه الجهة التي وجهه إليها وأما قوله ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ فهو من المتشابه الذي يجب التسليم له من غير تكييف ويرد علمه إلى الله، وقال الأصوليون: هو عبارة عن الذات أو عن الوجود، وقال بعضهم: هو صفة ثابتة بالسمع.

---

(١) روي بألفاظ قريبة من هذا اللفظ انظر الترمذي الحديث رقم: (١٩٨)، ومسند الإمام أحمد الحديث رقم: (٥٦٠)، ومصنف ابن أبي شيبة: ٤/٤٢٠.

(٢) الطبري في جامع البيان: ٢/٥٣١ بسند ضعيف.

(٣) قوله: (رضاه) ساقط من (ف).

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ﴾ قالت اليهود عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله، وقال[١]: الصابئون وبعض العرب الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيه له عن قولهم ﴿بَل لَّهُ﴾ الآية رد عليهم لأن الكل ملكه والعبودية تنافي البنوة ﴿قَانِتُونَ﴾ أي طائعون منقادون.

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ﴾ أي مخترعها وخالقها ابتداء ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أي قدره وأمضاه، قال ابن عطية[٢]: يتحد في الآية المعنيان فعلى مذهب أهل السنة قدر في الأزل وأمضى فيه، وعلى مذهب المعتزلة أمضى عند الخلق والإيجاد.

قلت: لا يكون قضى هنا بمعنى قدر؛ لأن القدر قديم و(إذا) تقتضي الحدوث والاستقبال وذلك يناقض القدم، وإنما قضى هنا بمعنى أمضى أو فعل أو أوجد[٣] كقوله: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ وقد قيل: إنه بمعنى ختم الأمر وبمعنى حكم، والأمر هنا بمعنى الشيء وهو واحد الأمور، وليس بمصدر أمر يأمر ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ قال الأصوليون: إن هذا[٤] عبارة عن نفوذ قدرة الله تعالى وليس بقول حقيقي لأنه إن كان قول كن خطابا للشيء في حال عدمه لم يصح؛ لأن المعدوم لا[٥] يخاطب، وإن كان خطابا في حال وجوده لم يصح؛ لأنه قد كان وتحصيل الحاصل غير مطلوب، وحمله المفسرون على حقيقته وأجابوا عن ذلك بأربعة أجوبة[٦]:

أحدها: أن الشيء الذي يقول الله[٧] له كن فيكون هو موجود في علم الله،

---

(١) في (ف): (وقالت الصابئة).
(٢) المحرر الوجيز: ١/١٨٧.
(٣) في (أ): (وجد).
(٤) في (أ): (هذه).
(٥) في (أ): (لم).
(٦) في (ف): (بأربعة أوجه).
(٧) قوله: (اسم الجلالة) لا يوجد في (ف) و(ع).

وإنما يقول له كن ليخرجه إلى العيان لنا.

والثاني: أن قوله كن لا يتقدم على وجود الشيء ولا يتأخر عنه قاله الطبري[١].

والثالث: أن ذلك خطاب لمن كان موجودا على حالة فيأمر بأن يكون على حالة أخرى كإحياء الموتى ومسخ الكفار، وهذا ضعيف لأنه تخصيص من غير مخصص.

والرابع: أن معنى يقول له يقول من أجله فلا يلزم خطابه والأول أحسن هذه الأجوبة.

وقال ابن عطية[٢]: تلخيص المعتقد في هذه الآية أن الله ﷻ لم يزل آمرا للمعدومات بشرط وجودها، فكل ما في الآية مما يقتضي الاستقبال فهو بحسب المأمورات إذ المحدثات تجيء بعد أن لم تكن فيكون رفع على الاستئناء، قال سيبويه: معناه فهو يكون، وقال غيره: يكون عطف على يقول واختاره الطبري[٣]، وقال ابن عطية[٤]: وهو فاسد من جهة المعنى ويقتضي أن القول مع التكوين والوجود وفي هذا نظر.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ هم هنا وفي الموضع الأول كفار العرب على الأصح، وقيل هنا[٥] هم اليهود والنصارى ﴿لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ لولا هنا عرض والمعنى: أنهم قالوا لن نؤمن حتى يكلمنا الله ﴿أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٌ﴾ أي دلالة من المعجزات كقولهم ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا﴾ وما بعده

(١) الطبري: ٢/٥٤٧.
(٢) المحرر الوجيز: ١/١٨٨.
(٣) جامع البيان: ٢/٥٤٩.
(٤) المحرر الوجيز: ١/١٨٧.
(٥) قوله: (هنا) ساقط من (أ).

﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾ يعني اليهود والنصارى على القول بأن الذين لا يعلمون كفار العرب، وأما على القول بأن الذين لا يعلمون اليهود والنصارى فالذين من قبلهم هم أمم الأنبياء المتقدمين ﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ الضمير للذين لا يعلمون وللذين من قبلهم وتشابه قلوبهم في الكفر أو في طلب ما لا يصح أن يطلب وهو كقولهم لولا يكلمنا الله ﴿قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ أخبر تعالى أنه قد بين الآيات الدالة على وحدانيته وصدق رسوله عليه الصلاة والسلام فكيف تطلب الآيات بعد بيانها ولكن إنما فهمها الذين يوقنون فلذلك خصهم بالذكر بخلاف الكفار المعاندين فإنهم لا تنفعهم الآيات[١] لعنادهم.

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ خطاب للنبي ﷺ والمراد بالحق التوحيد وكل ما جاءت به الشريعة ﴿بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ﴾ تبشر المؤمنين بالجنة وتنذر الكافرين بالنار وهذا معنى حديث وقع ﴿وَلَا تَسۡـَٔلُ﴾ بالجزم نهي، وسببها: أن النبي ﷺ سأل عن حال آبائه في الآخرة فنزلت[٢].

وقيل: إن ذلك على معنى التهويل كقولك لا تسأل عن فلان لشدة حاله، وقرأ غير نافع[٣] بضم التاء واللام أي لا تسأل في القيامة عن ذنوبهم.

---

(١) قوله: (الدالة على وحدانيته... فإنهم لا تنفعهم الآيات) ساقط من (أ).

(٢) قال أبو حيان في البحر المحيط: قال محمد بن كعب القرظي: قال النبي ﷺ: ليت شعري ما فعل أبواي؟ فنزلت، واستبعد في المنتخب هذا لأنه عالم بما آل إليه أمرهما، وقد ذكر عياض: أنهما أحييا له فأسلما، وقد صح أن الله أذن له في زيارتهما، واستبعد أيضا ذلك لأن سياق الكلام يدل على أن ذلك عائد على اليهود والنصارى ومشركي العرب الذين جحدوا نبوءته، وكفروا عنادا وأصروا على كفرهم، وكذلك جاء بعده: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ﴾ إلا إن كان ذلك على سبيل الانقطاع من الكلام الأول ويكون من تلوين الخطاب. وهو بعيد. انظر البحر المحيط: ٥٨٩/١.

(٣) قال ابن الجزري في النشر: ٢٥١/٢ ﴿وَلَا تَسۡـَٔلُ﴾ قرأ نافع ويعقوب بفتح التاء وجزم اللام على النهي. وانظر الحجة في القراءات السبع لابن خالويه: ٨٧/١.

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٢٠) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٢١) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٢٢) وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (١٢٣) ۞ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤) وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦)

ربع

﴿مِلَّتَهُمْ﴾ ذكرت[١] مفردة وإن كانت ملتين لأنهما متفقتان في الكفر فكأنهما ملة واحدة ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾[٢] رد على[٣] اليهود والنصارى والمعنى أن الذي أنت عليه يا محمد هو الهدى الحقيقي؛ لأنه هدى من عند الله بخلاف ما يدعيه اليهود والنصارى ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم﴾ جمع هوى ويعني به ما هم عليه من الأديان الفاسدة والأقوال المضلة لأنهم اتبعوها بغير حجة بل بهوى النفوس والضمير لليهود والنصارى والخطاب لمحمد ﷺ، وقد علم الله أنه لا يتبع أهواءهم، ولكن قال ذلك على وجه التهديد لو وقع ذلك فهو على معنى الفرض والتقدير، ويحتمل أن يكون خطابا له ﷺ والمراد غيره.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني المسلمين والكتاب على هذا القرآن، وقيل: هم من أسلم من بني إسرائيل والكتاب على هذا هو[٤] التوراة، ويحتمل العموم ويكون الكتاب اسم جنس ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ أي يقرؤونه كما يجب من التدبر له والعمل به، وقيل: معناه يتبعونه حق اتباعه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه

---

(١) في (أ): (ذكرها).

(٢) في (أ): (﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾).

(٣) في (أ): (لا ما عليه اليهود).

(٤) قوله: (هو) ساقط من (أ).

والأولى أظهر فإن التلاوة وإن كانت تقال بمعنى القراءة وبمعنى الاتباع فإنها[١] أظهر في معنى القراءة لا سيما إذا كانت تلاوة الكتاب، ويحتمل أن تكون هذه الجملة في موضع خبر الذين فيتم الكلام فيوقف عليها ويحتمل أن تكون هذه الجملة في موضع[٢] الحال ويكون الخبر أولئك يؤمنون وهذا أرجح؛ لأن مقصود الكلام الثناء عليهم بالإيمان أو إقامة الحجة بإيمانهم على غيرهم ممن لم يؤمن.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ الآية تقدم الكلام على نظيرتها.

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ﴾ أي اختبر، فالعامل في إذ فعل مضمر تقديره اذكروا، وقوله: ﴿بِكَلِمَٰتٍ﴾ قيل: مناسك الحج، وقيل: خصال الفطرة العشرة، وهي: المضمضة، والاستنشاق، والسواك، وقص الشارب، وإعفاء اللحية، وقص الأظافر، ونتف الإبطين، وحلق العانة، والختان، والاستنجاء، وقيل: هي ثلاثون خصلة عشر ذكرت في براءة من قوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ وعشر في الأحزاب من قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ وعشر في المعارج من قوله ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾. ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أي عمل بهن ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ استفهام أو رغبة ﴿عَهْدِى﴾ الإمامة[٣].

﴿ٱلْبَيْتَ﴾ الكعبة ﴿مَثَابَةً﴾ اسم مكان من قولك ثاب إذا رجع لأن الناس يرجعون إليه عاما بعد عام ﴿وَٱتَّخَذُوا۟﴾ بالفتح[٤] إخبار عن المتبعين لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وبالكسر إخبار لهذه الأمة وافق قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٥] لو اتخذت من مقام

---

(١) في (أ): (فإنه).
(٢) قوله: (خبر الذين فيتم الكلام فيوقف عليها ويحتمل أن تكون هذه الجملة في موضع) ساقط من (أ).
(٣) في (ع): (الأمانة).
(٤) قال ابن الجزري: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟﴾ قرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء على الخبر وقرأ الباقون بكسرها على الأمر. النشر: ٢/٢٥٣.
(٥) صحيح ويرويه عنه أنس بن مالك ولفظه: قال وافقت الله في ثلاث، أو وافقني ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ وآية الحجاب قلت: يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن، فإنه يكلمهن البر=

إبراهيم مصلى، وقيل: أمر لإبراهيم وشيعته، وقيل: لبني إسرائيل فهو على هذا عطف على قوله ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ﴾ وهذا بعيد ﴿مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ هو الحجر الذي صعد به حين بناء[1] الكعبة، وقيل: المسجد الحرام ﴿وَعَهِدْنَا﴾ عبارة عن الأمر والوصية ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ عبارة عن بنيانه بنية خالصة كقوله: ﴿أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾، وقيل: المعنى طهراه عن عبادة الأصنام ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ هم الذين يطوفون بالكعبة، وقيل: الغرباء القادمون المصلون، وقيل: المجاورون بمكة من الغرباء، وقيل: أهل مكة، والعكوف في اللغة اللزوم.

﴿بَلَداً﴾ يعني مكة. ﴿ءَامِناً﴾ أي مما يصيب غيره من الخسف والعذاب، وقيل: آمنا من إغارة الناس على أهله؛ لأن العرب كان يغير بعضهم على بعض وكانوا لا يتعرضون لأهل مكة وهذا أرجح لقوله: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً ءَامِناً﴾، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً ءَامِناً وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ فإن قيل: لم قال في البقرة ﴿هَٰذَا بَلَداً ءَامِناً﴾، وفي إبراهيم ﴿هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِناً﴾[2] فعرف في إبراهيم ونكر في البقرة أجيب عن ذلك بثلاثة[3] أجوبة:

الجواب الأول: قاله أستاذنا الشيخ أبو جعفر بن الزبير وهو أنه تقدم في البقرة ذكر البيت في قوله: ﴿ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ وذكر البيت يقتضي بالملازمة ذكر البلد الذي هو فيه فلم يحتج إلى تعريف بخلاف آية إبراهيم فإنها لم يتقدم قبلها ما

= والفاجر فنزلت آية الحجاب واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت لهن ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجاً خَيْراً مِّنكُنَّ﴾ فنزلت هذه الآية. أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٤٠٢)، والترمذي الحديث رقم: (٢٩٦٠)، والطبري في جامع البيان: ٣٠/٣، وموافقات عمر أكثر من هذا وقد جمعها السيوطي في نظم سماه: «قطف الثمر في موافقات عمر» انظرالحاوي للفتاوي: ٥٨/٢.

(١) في (ف) و(ع): (بنى).

(٢) قوله: (وفي إبراهيم: ﴿هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِناً﴾) ساقط من (أ).

(٣) في (ف): (فعن ذلك ثلاثة).

يقتضي ذكر البلد ولا المعرفة به فذكره بلام التعريف.

الجواب الثاني: قاله السهيلي، وهو: أن النبي ﷺ كان بمكة حين نزلت آية إبراهيم لأنها مكية فلذلك[1] قال فيه البلد بلام التعريف التي للحضور كقولك: هذا الرجل وهو حاضر بخلاف آية البقرة فإنها مدنية ولم تكن مكة حاضرة حين نزولها فلم يعرفها بلام الحضور، وفي هذا نظر؛ لأن ذلك الكلام حكاية عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فلا فرق بين نزوله بمكة أو المدينة.

الجواب الثالث: قاله بعض المشارقة أنه قال هذا بلدا آمنا قبل أن يكون بلدا فكأنه قال اجعل هذا الموضع بلدا آمنا، وقال هذا البلد بعد ما صار بلدا وهذا يقتضي أن إبراهيم دعا بهذا الدعاء مرتين والظاهر أنه مرة واحدة حكي لفظه فيها على وجهين ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ بدل بعض من كل ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ أي قال الله وأرزق من كفر لأن الله يرزق في الدنيا المؤمن والكافر ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ على حذف القول أي يقولان ذلك.

﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ أي[2] علمنا موضع الحج، وقيل: العبادات ﴿فِيهِمْ﴾ أي في ذريتنا ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ هو محمد ﷺ؛ ولذلك قال ﷺ: «**أنا دعوة أبي**[3] **إبراهيم**»[4] والضمير المجرور لذرية إبراهيم وإسماعيل وهم العرب الذين هم[5] من نسل عدنان وأما الذين من نسل[6] قحطان فاختلف هل هم من ذرية إسماعيل أم لا.

---

(١) في (أ): (فلهذا).

(٢) قوله: (أي) ساقط من (أ).

(٣) قوله: (أبي) ساقط من (ف) و(ع).

(٤) انظر تفسير الألوسي: ٢٥٥/١٤، والبغوي: ١٥١/١، والبحر المحيط: ٢٠٤/٢، وهو بلفظ قريب من هذا في الطبري: ٤٤٣/١.

(٥) قوله: (هم) ساقط من (ف) و(ع).

(٦) قوله: (نسل) ساقط من (أ).

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١٢٧ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٢٨ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٢٩ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٣٠ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٣١ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٣٢ ۞ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝١٣٣ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٣٤﴾

ثمن

﴿ءَايَٰتِكَ﴾ هنا القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ هنا[1] هي السنة ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي يطهرهم من الكفر والذنوب.

﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ منصوب على التشبيه بالمفعول به، وقيل: الأصل في نفسه ثم حذف الجار فانتصب، وقيل: تمييز.

﴿وَأَوْصَىٰ بِهَا﴾ أي بالكلمة والملة ﴿وَيَعْقُوبُ﴾ بالرفع عطف على إبراهيم فهو موصي[2]، وقرئ[3] بالنصب عطف[4] على بنيه فهو موصَى.

﴿أَمْ كُنتُمْ﴾ أم هنا منقطعة معناها الاستفهام والإنكار وإسماعيل كان عمه والعم يسمى أبا.

﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟﴾ أي قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى. ﴿بَلْ مِلَّةَ﴾ منصوب بإضمار فعل.

﴿لَا نُفَرِّقُ﴾ أي لا نؤمن بالبعض دون البعض وهذا برهان لأن كل من أتى بالمعجزة فهو نبي؛ فالكفر ببعضهم والإيمان ببعضهم تناقض.

---

(١) قوله: (هنا) ساقط من (ف).

(٢) بصيغة اسم الفاعل.

(٣) قال الزمخشري: ويعقوب عطف على إبراهيم داخل في حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه أيضا وقرئ ﴿وَيَعْقُوبُ﴾ بالنصب عطفا على بنيه. الكشاف: ٢١٧/١.

(٤) في (أ): (عطفا بالنصب).

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا
أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ
مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾
فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا
هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُ
عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ
وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ
تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ۗ
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ﴾ وعد ظهر مصداقه فقتل بني قريظة وأجلى بني النضير وغير ذلك.

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ أي دينه، وهو استعارة من صبغ الثوب وغيره، ونصبه على الإغراء وعلى المصدر من المعاني المتقدمة أو بدل من ملة إبراهيم.

﴿كَتَمَ شَهَادَةً﴾ هي[1] الشهادة بأن الأنبياء على الحنيفية ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ يتعلق بكتم أو كأن المعنى شهادة تخلصت له من الله.

﴿سَيَقُولُ﴾ ظاهره الإعلام بقولهم قبل وقوعه إلا أن ابن عباس قال[2] نزلت بعد قولهم. ﴿السُّفَهَاءُ﴾ هنا اليهود أو المشركون أو المنافقون ﴿مَا وَلَّاهُمْ﴾ أي ما ولى المسلمين ﴿عَن قِبْلَتِهِمُ﴾ الأولى وهي بيت المقدس إلى لكعبة ﴿لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ الآية[3] رد عليهم لأن الله يحكم ما يريد ويولي عباده حيث شاء لأن الجهات كلها له.

---

(١) في (أ): (من).

(٢) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ: ٤٤٥/١، والطبري في جامع البيان: ٥٢٧/٢، والبيهقي في الكبرى: ١٢/٢ قال السيوطي في اللباب: ، ص: ١٦ إسناده قوي والمعنى أيضا يساعده، وضعفه أحمد شاكر بالانقطاع كما في تعليقه على الطبري: ٥٢٨/٢ ثم قال: لكن معناه ثابت عن ابن عباس من وجه صحيح.

(٣) قوله: (الآية) ساقط من (أ).

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَآءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ بعد ما هديناكم ﴿جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي خيارا ﴿شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ﴾ أي تشهدون يوم القيامة بإبلاغ الرسل إلى قومهم ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أي بأعمالكم قال[1] رسول الله ﷺ: أقول كما قال أخي عيسى ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾[2] الآية، فإن قيل: لم قدم المجرور في قوله ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ وأخره في قوله ﴿شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ﴾؟

فالجواب: أن تقديم المعمولات يفيد الحصر فقدم المجرور في قوله ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ لاختصاص شهادة النبي ﷺ بأمته، ولم يقدمه في قوله ﴿شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ﴾ لأنه لم يقصد الحصر ﴿الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها الكعبة وهو قول ابن عباس

والآخر: هو بيت المقدس وهو قول قتادة وعطاء والسدي وهذا مع ظاهر قوله ﴿كُنتَ عَلَيْهَا﴾ لأن النبي ﷺ كان يصلي إلى بيت المقدس ثم انصرف عنه إلى الكعبة وأما قول ابن عباس فتأويله بوجهين:

الأول: أن كنت بمعنى أنت.

(١) في (أ): (قال عليه الصلاة والسلام).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٣٣٤٩) كتاب الأنبياء ومسلم الحديث رقم: (٢٨٦٠)، والنسائي في سننه الحديث رقم: (٢٤٢٣)، وأحمد في مسنده: ١/٢٢٠.

والثاني: قيل: إن النبي ﷺ صلى إلى الكعبة قبل بيت المقدس[(١)] وإعراب التي كنت عليها مفعول بجعلنا أو صفة للقبلة ومعنى الآية على القولين اختبار وفتنة للناس بأمر القبلة، وأما على قول قتادة فإن الصلاة إلى بيت المقدس فتنة للعرب لأنهم كانوا يعظمون الكعبة أو فتنة لمن أنكر تحويلها وتقديره على هذا: ما جعلنا صرف القبلة، أما على قول ابن عباس فإن الصلاة إلى الكعبة فتنة لليهود لأنهم يعظمون بيت المقدس وهم مع ذلك ينكرون النسخ فأنكروا صرف القبلة، أو فتنة لضعفاء المسلمين حتى رجع بعضهم عن الإسلام حين صرفت القبلة.

﴿لِنَعْلَمَ﴾ أي العلم الذي تقوم به الحجة على العبد وهو إذا ظهر في الوجود ما علمه الله ﴿يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ عبارة عن الارتداد عن الإسلام وهو تشبيه بمن رجع يمشي إلى وراء ﴿وَإِن كَانَتْ﴾ إن مخففة من الثقيلة واسم كان ضمير الفعلة وهي التحول عن القبلة ﴿إِيمَانَكُمْ﴾ قيل: صلاتكم إلى بيت المقدس واستدل به من قال إن الأعمال من الإيمان، وقيل: معناه ثبوتكم على الإيمان حين انقلب غيركم بسبب تحويل القبلة.

﴿تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ كان النبي ﷺ يرفع رأسه إلى السماء رجاء أن يؤمر بالصلاة إلى الكعبة. ﴿شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ﴾ جهة.

﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ خبر يتضمن النهي. ووحدت قبلتهم وإن كانت جهتين لاستوائهما في البطلان. ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ لأن اليهود لعنهم الله يستقبلون المغرب والنصارى المشرق.

﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾ أي يعرفون القرآن، أو النبي ﷺ، أو أمر القبلة[(٢)] ﴿كَمَا

(١) قال ابن عبد البر: وقد ذكر ابن شهاب أن في صلاته بمكة اختلافا قيل كانت صلاته إلى الكعبة وقيل: إلى بيت المقدس. التمهيد: ٨/٤٩.

(٢) الطبري في جامع البيان: ١/٢٥٥ رقم: (٢٢٦١).

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا ٱلْخَيْرَٰتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱسْتَعِينُوا بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾

ثمن

يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ مبالغة في وصف المعرفة، وقال عبد الله بن سلام: معرفتي بالنبي ﷺ أشد من معرفتي بابني؛ لأن ابني قد يمكن فيه الشك[1].

﴿وَلِكُلٍّ﴾ أي لكل أحد أو لكل طائفة ﴿وِجْهَةٌ﴾ أي جهة، ولم تحذف الواو لأنه ظرف مكان، وقيل: إنه مصدر وثبت فيه الواو على غير قياس ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ أي موليها وجهه، وقرئ[2] مولاها أي

---

(١) قال البغوي في معالم التنزيل: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾يعني مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾ يعني يعرفون محمدا ﷺ ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ من بين الصبيان، قال عمر بن الخطاب لعبد الله بن سلام إن الله قد أنزل على نبيه ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ فكيف هذه المعرفة؟ قال عبد الله: يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما عرفت ابني ومعرفتي بمحمد ﷺ أشد من معرفتي بابني، فقال عمر: كيف ذلك؟ فقال أشهد إنه رسول الله حق من الله تعالى وقد نعته الله في كتابنا، ولا أدري ما تصنع النساء، فقال عمر: وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت: ١٦٤/١، والبحر المحيط: ٦٠٩/١، وأخرجه الثعلبي من حديث ابن عباس. وفيه الكلبي وهو كذاب الفتح السماوي: ١٩٥/١. انظر: الوسيط للواحدي: ٢١٥/١، أسباب النزول له أيضا، ص: ٤٠.

(٢) قال ابن الجزري: قرأ ابن عامر ﴿مولاها﴾ بفتح اللام وألف بعدها أي مصروف إليها. وقرأ الباقون بكسر اللام وياء بعدها على معنى مستقبلها. النشر: ٢٥٤/٢، وقد روي عن ابن عباس وغيره أنهم قرؤوها: ﴿هو مُولاها﴾ بمعنى أنه مُوجَّهٌ نحوها. ويكون «الكل» حينئذ غير مسمًّى فاعله، ولو سُمي فاعله، لكان الكلام: ولكلّ ذي ملة وجهةٌ، اللهُ مولِّيه إياها، بمعنى: موجِّهه إليها. ١٩٥/٣، وانظر البدور الزاهرة: ٥٢/١ لعبد الفتاح القاضي.

ولاه الله إليها والمعنى أن الله جعل لكل أمة قبلة ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ أي بادروا إلى الأعمال الصالحات ﴿يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ﴾ أي يبعثكم من قبوركم.

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ الأمر كرر للتأكيد[1] أو ليناط به ما بعده ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ الآية معناها أن الصلاة إلى الكعبة تدفع حجة المعترضين من الناس فإن أريد اليهود فحجتهم أنهم يجدون في كتبهم أن النبي ﷺ يتحول إلى الكعبة فلما صلى إليها لم تبق لهم حجة على المسلمين، وإن أريد قريش فحجتهم أنهم قالوا قبلة آبائه أولى به ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي من يتكلم بغير حجة ويعترض التحول إلى الكعبة والاستثناء متصل لأنه استثناء من عموم الناس، ويحتمل الانقطاع على أن يكون[2] استثناء ممن له حجة، فإن الذين ظلموا هم الذين ليس لهم حجة ﴿وَلِأُتِمَّ﴾ متعلق بمحذوف أي فعلت ذلك لأتم، أو معطوف على لئلا يكون.

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾ متعلق بقوله لأتم أو بقوله فاذكروني والأول أظهر.

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ قال سعيد بن المسيب[3]: معناه اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب، وقيل: اذكروني بالدعاء والتسبيح ونحو ذلك، وقد أكثر المفسرون ولا سيما المتصوفة في تفسير هذا الموضع بألفاظ لها معاني مخصوصة ولا دليل على التخصيص، وبالجملة فهذه الآية بيان لشرف الذكر وبينها قول رسول الله ﷺ فيما[4] يرويه عن ربه: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير

(١) في (ف): (كرر الأمر تأكيدا).

(٢) في (ف): (على أنه).

(٣) لم نجده مسندا لابن المسيب، وهو مروي عن سعيد بن جبير، أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢١١/٣ بسند ضعيف.

(٤) في (أ): (كما).

منهم»[١] والذكر ثلاثة أنواع: ذكر بالقلب، وذكر[٢] باللسان، وبهما معا.

واعلم أن الذكر أفضل الأعمال على الجملة وإن ورد في بعض الأحاديث[٣] تفضيل غيره من الأعمال كالصلاة وغيرها؛ فإن ذلك لما فيها من معنى الذكر والحضور مع الله تعالى، والدليل على فضيلة الذكر من ثلاثة أوجه:

الأول: النصوص الواردة بتفضيله على سائر الأعمال، قال رسول الله ﷺ: **«ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ذكر الله»**[٤]، وسئل رسول الله ﷺ: **«أي الأعمال أفضل؟ قال: ذكر الله، قيل الذكر أفضل أم الجهاد في سبيل الله؟ فقال: لو ضرب المجاهد بسيفه في الكفار حتى ينقطع سيفه ويختضب دما لكان الذاكر أفضل منه»**[٥].

الوجه الثاني: أن الله تعالى حيثما أمر بالذكر أو أثنى على الذاكرين[٦] اشترط

---

(١) البخاري الحديث رقم: (٧٤٠٥)، ومسلم الحديث رقم: (٤٨٣٢)، والترمذي الحديث رقم: (٢٣١٠)، وابن ماجه الحديث رقم: (٣٨١٢)، وأحمد في المسند: ١٩٥/٥، والبغوي في شرح السنة: ١٥/٥، وابن عبد البر في التمهيد: ٥٨/٦.

(٢) قوله: (ذكر) ساقط من (ف).

(٣) من تلك الأحاديث حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: الصلاة لوقتها، قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قال: قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله، فسكت عن رسول الله ﷺ، ولو استزدته لزادني رواه البخاري الحديث رقم: (٥٢٧)، ومسلم الحديث: ١٨٩٨)، والنسائي: ٢٩٢/١، وأحاديث أخرى.

(٤) الترمذي كتاب الدعوات باب ما جاء في فضل الذكر الحديث رقم: (٣٣٧٧)، وابن ماجه الحديث رقم: (٢٧٨٠)، والمستدرك الحديث رقم: (١٧٧٩) قال الحاكم: هذا إسناد صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٣٧٦)، والبغوي في شرح السنة: ١٧/٥، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي، ص: ٤٤٢.

(٦) في (أ): (على الذكر).

فيه الكثرة فقال: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾، ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ولم يشترط ذلك في سائر الأعمال.

الوجه الثالث: للذكر[١] مزية هي له خاصة وليست[٢] لغيره، وهي الحضور في الحضرة العلية والوصول إلى القرب الذي[٣] عبر عنه ما ورد في الحديث من المجالسة والمعية، فإن الله تعالى يقول: «[٤] **أنا جليس من ذكرني**»، ويقول: «**أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني**»[٥].

وللناس في المقصد بالذكر مقامان: فمقصد العامة اكتساب الأجور، ومقصد الخاصة القرب والحضور، وما بين المقامين بون بعيد فكم بين من يأخذ أجره وهو من وراء حجاب، وبين من يقرب حتى يكون من خواص الأحباب

واعلم أن الذكر على أنواع كثيرة فمنها: التهليل، والتسبيح، والتكبير، والتحميد[٦]، والحوقلة، والحسبلة، وذكر كل اسم من أسماء الله تعالى، والصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والاستغفار، وغير ذلك.

ولكل ذكر خاصيته وثمرته.

فأما التهليل فثمرته: التوحيد أعني التوحيد الخاص فإن التوحيد العام حاصل لكل مؤمن.

وأما التكبير فثمرته: التعظيم والإجلال لذي الجلال.

وأما الحمد والأسماء التي معناها الإحسان والرحمة كالرحمن الرحيم

---

(١) في (ف): (في الذكر).

(٢) في (ف) قوله: (ليست).

(٣) في (أ): (بالذي).

(٤) هذا الأثر لا أصل له انظر إتحاف السادة: ٦/ ٨٧.

(٥) جزء من حديث تقدم تخريجه وهو في الصحيحين.

(٦) في (ف): (والحمد).

والكريم والغفار وشبه ذلك فثمرتها: ثلاثة[١] مقامات، وهي: الشكر، وقوة الرجاء، والمحبة، فإن المحسن محبوب لا محالة.

وأما الحوقلة والحسبلة فثمرتهما: التوكل على الله، والتفويض إلى الله، والثقة بالله.

وأما الأسماء التي معانيها الاطلاع والإدراك كالعليم والسميع والبصير والقريب وشبه ذلك فثمرتها المراقبة.

وأما الصلاة على النبي ﷺ فثمرتها: شدة المحبة فيه والمحافظة على اتباع سنته[٢].

وأما الاستغفار فثمرته: الاستقامة على التقوى، والمحافظة على شروط التوبة، مع إنكار القلب بسبب الذنوب المتقدمة.

ثم إن ثمرة الذكر التي تجمع[٣] الأسماء والصفات مجموعة في الذكر الفرد، وهو قولنا: الله الله فهذا هو الغاية وإليه المنتهى[٤].

---

(١) في: (أ): (ثلاث مقامات)، وهو خطأ بين.

(٢) في (ف) و(ع): (السنة).

(٣) في (ف): (بجميع).

(٤) قال المؤلف في القوانين الفقهية: الفصل الثاني: في الذكر وهو ثلاثة أنواع:
ذكر بالقلب واللسان وهو أعلاها. وذكر بالقلب خاصة. وذكر باللسان خاصة وهو أدناها. والذكر على نوعين: واجب، وفضيلة. فالواجب التلفظ بالشهادتين والصلاة على رسول الله ﷺ مرة في العمر، وقيل: متى ما ذكر. والفضيلة: ما عدا ذلك. وهي أنواع كثيرة؛ كالتهليل، والتكبير، والتسبيح، والتحميد، والحوقلة، والحسبلة، والبسملة، وأسماء الله تعالى كلها، والصلاة على رسول الله ﷺ.
ولكل ذكر معنى وفائدة مخصوصة توصل إلى مقام مخصوص، والمنتهى إلى الذكر الفرد وهو قولك: (الله) وقد قيل: إنه اسم الله الأعظم. القوانين، ص: ٦٢٢ طبعة وزارة الأوقاف الكويتية.
ولكن بعض العلماء يرى خلاف ذلك، وأن الذكر بالاسم المفرد غير مشروع. انظر النفراوي على الرسالة: ٤٢٩/٢، وابن تيمية في مجموع الفتاوى: ٢٢٦/١٠.

وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

ربع

﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ أي بمعونته ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾ قيل: إنها نزلت في الشهداء المقتولين في غزوة بدر وكانوا أربعة عشر رجلا لما قتلوا حزن عليهم أقاربهم فنزلت الآية مبينة لمنزلة الشهداء عند الله ومسلية[1] لأقاربهم ولا يخصصها نزولها فيهم بل حكمها على العموم في الشهداء[2].

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ أي نختبركم وحيث ما جاء الاختبار في حق الله فمعناه أن يظهر في الوجود ما في[3] علمه لتقوم الحجة على العبد وليس كاختبار الناس بعضهم بعضا؛ لأن الله يعلم ما كان وما يكون، والخطاب بهذا[4] الابتلاء للمسلمين، وقيل: لكفار قريش والأول أظهر لقوله بعد هذا: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾، ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾ من الأعداء ﴿وَالْجُوعِ﴾ بالجدب ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ﴾ بالخسارة ﴿وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ بالجوائح، وقيل: ذلك كله بسبب الجهاد.

﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ اللام للملك والمالك يفعل في ملكه ما يشاء ﴿رَاجِعُونَ﴾ تذكروا الآخرة لتهون عليهم[5] مصائب الدنيا، وفي الحديث الصحيح أن رسول الله

---

(١) في (ع): (وتسلية).

(٢) وذلك للقاعدة الأصولية الشهيرة: «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب».

(٣) قوله: (في) ساقط من (ع) و(ف).

(٤) في (ع): (بهذه الآية).

(٥) قوله: (عليهم) ساقط من (ف).

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من أصابته مصيبة فقال إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها أخلف الله له خيرا مما أصابه قالت أم سلمة فلما مات زوجي أبو سلمة قلت ذلك فأبدلني الله به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[١].

فائدة: ورد ذكر الصبر في[٢] القرآن في أكثر من سبعين موضعا وذلك لعظمة موقعه في الدين، قال بعض العلماء: كل الحسنات لها أجر محصور من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف[٣]، إلا الصبر فإنه لا يحصر أجره لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

وذكر الله للصابرين ثمانية أنواع من الكرامة:

أولها: المحبة قال ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

والثاني: النصر[٤] قال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

والثالث: غرفات الجنة قال ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾.

والرابع: الأجر الجزيل قال ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ والأربعة الأخرى المذكورة في هذه الآية ففيها البشارة قال ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ والصلاة والرحمة والهداية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾.

والصابرون على أربعة أوجه: صبر على البلاء وهو منع النفس من التسخط والهلع والجزع، وصبر على النعم وهو تقييدها بالشكر وعدم الطغيان وعدم التكبر

---

(١) الموطأ الحديث رقم: (٤٩٨)، ومسلم الحديث رقم: (١٥٢٦)، والترمذي الحديث رقم: (٨٩٩)، والنسائي الحديث رقم: (١٨٠٢)، وأبو داود الحديث رقم: (٢٧١٢)، وابن ماجه الحديث رقم: (١٤٣٧).

(٢) في (أ): (من القرآن).

(٣) قوله: (ضعف) ساقط من (أ).

(٤) في (ف): (النصرة).

بها، وصبر على الطاعة بالمحافظة والدوام عليها، وصبر عن المعاصي بكف النفس عنها، وفوق الصبر التسليم: وهو ترك الاعتراض والتسخط ظاهرا وترك الكراهة باطنا، وفوق التسليم الرضا بالقضاء وهو سرور النفس بفعل الله وهو صادر عن[(١)] المحبة. وكل ما يفعل المحبوب محبوب.

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾ جبلان صغيران بمكة ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ أي معالم دينه واحدها شعيرة أو شعارة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ إباحة للسعي بين الصفا والمروة والسعي بينهما واجب عند مالك والشافعي. وإنما جاء بلفظ يقتضي الإباحة لأن بعض الصحابة امتنعوا من السعي بينهما لأنه كان في الجاهلية على الصفا صنم يقال له أساف وعلى المروة صنم يقال له نائلة فخافوا أن يكون السعي بينهما تعظيما للصنمين فرفع الله ما وقع في نفوسهم من ذلك. ثم إن السعي بينهما[(٢)] واجب[(٣)] بالسنة، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «سن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السعي بين الصفا والمروة وليس لأحد تركه»[(٤)]، وقيل: إن الوجوب يؤخذ من قوله ﴿شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ وهذا ضعيف لأن شعائر الله منها واجبة ومنها مندوبة، وقد قيل: إن السعي مندوب ﴿يَطَّوَّفَ﴾ أصله يتطوف ثم أدغمت التاء في الطاء وهذا الطواف يراد به السعي سبعة أشواط ﴿وَمَن تَطَوَّعَ﴾ عام في أفعال البر أو خاص في السعي بين الصفا والمروة فيقتضي أن السعي بينهما تطوع، ويؤخذ الوجوب من السنة، أو معنى[(٥)] التطوع التطوع بحج بعد حجة الفريضة.

---

(١) في (ع): (على المحبة).

(٢) قوله: (بينهما) ساقط من (ع).

(٣) في (ف): (وجب).

(٤) ولفظه: «فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما». أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الحج الحديث رقم: (١٦٤٣)، ومسلم في صحيحه (١٢٧٧)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٩٦٥)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (١٩٠١)، والسائي: ٥/٢٣٧، والطبري في جامع البيان: ٣/٢٣٦.

(٥) في (ف): (ومعنى)، وفي (ع): (أو معنى).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ أمر محمد ﷺ ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ التوراة هنا ﴿ٱللَّٰعِنُونَ﴾ الملائكة والمؤمنون، وقيل: المخلوقات إلا الثقلين وقيل: البهائم لما يصيبهم من الجدب لذنوب[١] الكاتمين للحق.

﴿وَبَيَّنُواْ﴾ إنما شرط[٢] في توبتهم أن يبينوا لأنهم كتموا.

﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ هم المؤمنون فهو عموم يراد به الخصوص؛ لأن المؤمنين هم الذين يعتد بلعنهم للكافرين، وقيل: يلعنهم جميع الناس في الآخرة[٣].

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي في اللعنة وقيل في النار ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ من أنظر إذا أخر أي لا يؤخرون عن العذاب ولا يمهلون أو من نظر لقوله ﴿لَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ إلا أن يتعدى بإلى.

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ الواحد له ثلاثة معان كلها صحيحة في حق الله تعالى:

أحدها: أنه لا ثاني له فهو نفي للعدد.

والآخر: أنه لا شريك له.

والثالث: أنه لا يتبعض ولا ينقسم وقد فسر المراد به هنا بقوله[٤]: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

واعلم أن توحيد الخلق لله تعالى على ثلاث درجات:

الأولى: توحيد عامة المسلمين وهو الذي يعصم النفس والمال في الدنيا وينجي

(١) في (ف): (بسبب).
(٢) في (ع): (اشترط).
(٣) قوله: (في الآخرة) ساقط من (أ).
(٤) في (أ): (في قوله).

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَٰحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ الشَّيْطَٰنِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوٓءِ وَالْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

من الخلود في النار في الآخرة، وهو نفي الشركاء والأنداد والصاحبة والأولاد والأشباه والأضداد.

الدرجة الثانية: توحيد الخاصة وهو أن يرى الأفعال كلها صادرة من الله وحده ويشاهد ذلك بطريق المكاشفة لا بطريق الاستدلال الحاصل لكل مؤمن وإنما مقام الخاصة في التوحيد يقين في القلب بعلم ضروري لا يحتاج إلى دليل، وثمرة هذا العلم الانقطاع إلى الله والتوكل عليه وحده، واطراح جميع الخلق فلا يرجو إلا الله ولا يخاف أحدا سواه، إذ ليس يرى فاعلا إلا إياه ويرى جميع الخلق في قبضة القهر، ليس بيدهم شيء من الأمر، فيطرح الأسباب، وينبذ الأرباب.

والدرجة الثالثة: ألا يرى في الوجود إلا الله وحده فيغيب عن النظر إلى المخلوقات حتى كأنها عنده معدومة وهذا الذي تسميه الصوفية مقام الفناء بمعنى الغيبة عن الخلق حتى أنه قد يفنى عن نفسه وعن توحيده أي يغيب عن ذلك باستغراقه في مشاهدة الله.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية ذكر فيها ثمانية أصناف[1] من المخلوقات تنبيها على ما فيها من العبر والاستدلال على التوحيد المذكور قبلها في قوله ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾. ﴿وَاخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي اختلاف وصفهما من

(١) في (ع): (أوصاف)، والصواب ما أثبت من النسخ الأخرى.

الضياء والظلام والطول والقصر، وقيل[١] المعنى: إن أحدهما يخلف[٢] الآخر ﴿بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ من التجارة وغيرها ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ إرسالها من جهات مختلفة[٣] وهي الجهات الأربع وما بينهما وبصفات مختلفة فمنها: ملقحة بالشجر، وعقيم، وصر، وللنصر، وللهلاك.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ اعلم أن محبة العبد لربه على درجتين:

إحداهما: المحبة العامة التي لا يخلو منها كل مؤمن وهي واجبة

والأخرى: المحبة الخاصة التي ينفرد بها العلماء الربانيون والأولياء والأصفياء وهي أعلى المقامات وغاية المطلوبات[٤]، فإن سائر مقامات الصالحين كالخوف والرجاء والتوكل وغير ذلك هي[٥] مبنية على حظوظ النفس ألا ترى أن الخائف إنما يخاف على نفسه، وأن الراجي إنما يرجو منفعة نفسه، بخلاف المحبة فإنها من أجل المحبوب فليست من المعاوضات[٦].

واعلم أن سبب محبة الله معرفته، فتقوى المحبة على قدر قوة المعرفة، وتضعف على قدر ضعف المعرفة، فإن الموجب للمحبة أحد أمرين أو كلاهما إذا اجتمعا، ولا شك أنهما في حق الله تعالى على غاية الكمال.

فالموجب الأول: الحسن والجمال.

والآخر: الإحسان والإجمال.

فأما الجمال: فهو محبوب بالطبع فإن الإنسان بالضرورة يحب كل ما يستحسن.

---

(١) زيادة في (ع): (إن).

(٢) في (ع) و(ف): (يخلفه).

(٣) قوله: (مختلفة) ساقط من (ع).

(٤) في (ع): (المطلوب).

(٥) في (أ): (فهي).

(٦) في (أ): (المعاوضة).

ولا جمال[١]: مثل جمال الله في حكمته البالغة، وصنائعه البديعة، وصفاته الجميلة الساطعة الأنوار، التي تروق العقول وتهيج القلوب، وإنما يدرك جمال[٢] الله تعالى بالبصائر لا بالأبصار.

وأما الإحسان: فقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وإحسان الله إلى عباده متواتر، وإنعامه عليهم باطن وظاهر، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ ويكفيك أنه يحسن إلى المطيع والعاصي وإلى[٣] المؤمن والكافر وكل إحسان ينسب إلى غيره فهو في الحقيقة منه وهو المستحق للمحبة وحده.

واعلم: أن محبة الله إذا تمكنت من القلب ظهرت آثارها على الجوارح من الجد في طاعته، والنشاط لخدمته، والحرص على مرضاته، والتلذذ بمناجاته، والرضا بقضائه، والشوق إلى لقائه، والأنس بذكره، والاستيحاش من غيره، والفرار من الناس، والانفراد في الخلوات، وخروج الدنيا من القلب، ومحبة كل ما يحبه الله وكل من يحب الله[٤]، وإيثار[٥] الله على كل من سواه، قال الحارث المحاسبي:[٦] المحبة تسليمك إلى المحبوب بكليتك، ثم إيثارك له على نفسك

---

(١) في (أ): (والإجمال).

(٢) في (ف): (جماله تعالى).

(٣) قوله: (إلى) ساقط من (أ).

(٤) في (أ): (كل من يحبه الله).

(٥) في (أ): (وإيثاره).

(٦) هو الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله: من أكابر الصوفية. كان عالما بالأصول والمعاملات، واعظا مبكيا، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم، ولد ونشأ بالبصرة، ومات ببغداد، وهو أستاذ أكثر البغداديين في عصره، من كتبه: (آداب النفوس ـ خ) صغير، و(شرح المعرفة ـ خ) تصوف، و(المسائل في أعمال القلوب والجوارح ـ ط) رسالة، و(المسائل في الزهد وغيره ـ خ) رسالة و(البعث والنشور ـ خ) رسالة، و(مائية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه ـ خ) و(الرعاية لحقوق الله ﷻ ـ ط) و(الخلوة والتنقل في العبادة ـ ط) و(معاتبة النفس ـ خ) في الأزهرية، و(كتاب التوهم ـ ط) و(رسالة المسترشدين ـ ت: ٢٤٣ هـ انظر: الأعلام: ١٥٣/٢.

وروحك، ثم موافقته سرا وجهرا، ثم علمك بتقصيرك في حبه. ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ من رؤية العين والذين ظلموا مفعول وجواب لو محذوف وهو العامل في أن، والتقدير: لو ترى الذين ظلموا لعلمت أن القوة لله أو لعلموا أن القوة لله، والقوي بالياء وهو على هذه القراءة من رؤيا القلب والذين ظلموا فاعل و﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ﴾ مفعول يرى وجواب لو محذوف والتقدير: لو يرى الذين ظلموا أن القوة لله لندموا أو لاستعظموا[١] ما حل بهم.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾ بدل من إذ يرون أو استئناف والعامل فيه محذوف وتقديره: اذكر ﴿ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾ هم الآلهة أو الشياطين أو الرؤساء من الكفار والعموم أولى ﴿ٱلْأَسْبَابُ﴾ هنا الوصلات من الأرحام والمودات.

﴿أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ﴾ أي سيئاتهم، وقيل: حسناتهم إذ[٢] لم تقبل منهم أو ما عملوا لآلهتهم.

﴿كُلُواْ﴾ أمر محمول على الإباحة ﴿حَلَالًا﴾ حال مما في الأرض أو مفعول بكلوا أو صفة لمفعول محذوف أي شيئا حلالا ﴿طَيِّبًا﴾ يحتمل أن يريد الحلال ﴿خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَانِ﴾ ما يأمر به وأصله من خطوت الشيء، وقال المنذر بن سعيد[٣] يحتمل أن يكون من الخطيئة ثم سهلت همزته وقرئ بضم الطاء[٤] وإسكانها وهما لغتان.

---

(١) في (أ): (ولاستعظموا).

(٢) في (أ): (إذا).

(٣) منذر بن سعيد البلطي ت: ٣٥٥هـ تقدمت ترجمته في مقدمة الكتاب الباب السادس في ذكر المفسرين..

(٤) قال ابن الجزري: وأسكن الطاء من ﴿خُطُوَاتِ﴾ أين أتى: نافع وأبو عمرو وحمزة وخلف وأبو بكر. واختلف عن البزي فروى عنه أبو ربيعة الإسكان وروى عنه ابن الحباب الضم. النشر: ٢٤٦/٢.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ
ءَابَآءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا
يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ
بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
﴿١٧١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ
وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ
عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ
لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ
الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ
فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا
أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

﴿بِالسُّوٓءِ وَالْفَحْشَآءِ﴾ المعاصي ﴿وَأَن تَقُولُواْ﴾ الإشراك وتحريم الحلال كالبحيرة وغير ذلك.

﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ رد على قولهم بل نتبع والآية[1] في كفار العرب، وقيل في اليهود أنهم يتبعونهم ولو كانوا ﴿لاَ يَعْقِلُونَ﴾ فدخلت همزة الإنكار على واو الحال.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية في معناها قولان:

الأول: تشبيه الذين كفروا بالبهائم لقلة فهمهم وعدم استجابتهم لمن يدعوهم ولا بد في هذا من محذوف وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون المحذوف أول الآية والتقدير: مثل داعي الذين كفروا إلى الإيمان ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾ أي يصيح ﴿بِمَا لاَ يَسْمَعُ﴾ وهي البهائم التي لا تسمع ﴿إِلاَّ دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ ولا تعقل معناه[2].

والآخر: أن يكون المحذوف بعد ذلك والتقدير: مثل الذين كفروا كمثل مدعو الذي ينعق ويكون دعاء ونداء على الوجهين مفعولا يسمع[3]، والنعيق هو زجر الغنم والصياح عليها، فعلى هذا القول شبه الكفار بالغنم وداعيهم بالذي يزجرها وهو يصيح عليها.

---

(١) في (أ): (الآية).

(٢) في (أ): (ولا يعقل معنى).

(٣) في (ف) و(ع): (بيسمع).

والقول الثاني: تشبيه الذين كفروا في دعائهم وعبادتهم لأصنامهم[١] بمن ينعق بما لا يسمع؛ لأن الأصنام لا تسمع شيئا، ويكون دعاء ونداء على هذا منقطعا أي أن الداعي يتعب نفسه بالدعاء أو النداء لمن لم يسمعه من غير فائدة، فعلى هذا شبه الكفار بالناعق.

﴿صُمٌّ﴾ وما بعده راجع إلى الكفار وذلك غير التأويل الأول ورفعوا على إضمار مبتدإ.

﴿وَاشْكُرُوا﴾ الآية دليل على وجوب الشكر لقوله ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

﴿الْمَيْتَةَ﴾ ما مات حتف أنفه وهو عموم خص منه الحوت والجراد، وأجاز مالك أكل الطافي من الحوت، ومنعه أبو حنيفة، ومنع مالك أكل[٢] الجراد حتى يسبب في[٣] موتها بقطع عضو منها أو وضعها في الماء أو غير ذلك، وأجازه ابن عبد الحكم دون ذلك. ﴿وَالدَّمَ﴾ يريد المسفوح لتقييده بذلك في سورة الأنعام، ولا خلاف في إباحة ما خالط اللحم من الدم ﴿وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ﴾ هو حرام سواء ذكي أو لم يذك وكذلك شحمه بإجماع[٤]، وإنما خص اللحم بالذكر لأنه الغالب في الأكل ولأن الشحم تابع له، وكذلك من حلف لا يأكل لحما فأكل شحما حنث بخلاف العكس ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ﴾ أي صيح لأنهم كانوا يصيحون باسم من ذبح له ثم استعمل في النية في الذبح ﴿لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ الأصنام وشبهها ﴿اضْطُرَّ﴾ بالجوع أو بالإكراه وهو مشتق من الضرورة ووزنه افتعل وأبدل من التاء طاء ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ قيل: باغ على المسلمين وعاد عليهم ولذلك لم يرخص مالك في رواية عنه للعاصي بسفره أن يأكل لحم الميتة، والمشهور عنه الترخيص له، وقيل: غير باغ

(١) في (ع) و(ف): (الأصنام).
(٢) قوله: (أكل) ساقط من (أ).
(٣) قوله: (في) ساقط من (ف).
(٤) قوله: (بإجماع) ساقط من (ف).

باستعمالها من غير إضرار، وقيل: باغ أي متزيد[١] على إمساك رمقه ولهذا لم يجز الشافعي للمضطر أن يشبع من الميتة، وقال مالك: بل يشبع ويتزود[٢] ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ رفع للحرج ويجب على المضطر أكل الميتة لئلا يقتل نفسه بالجوع، وإنما تدل الآية على الإباحة ويؤخذ الوجوب من غيرها، وقد اختلف هل يباح له أكل الميتة والدم ولحم الخنزير، أو أكل ما عدا الخنزير؟ وقد اختلف: هل يباح له أكل[٣] ميتة ابن آدم أم لا؟ فمنعه مالك وأجازه الشافعي لعموم الآية.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ اليهود. ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ أي أكلهم للدنيا يقودهم إلى النار فوضع السبب موضع المسبب، وقيل: يأكلون النار في جهنم حقيقة ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ عبارة عن غضبه عليهم، وقيل: لا يكلمهم بما يحبون ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ لا يثني عليهم.

﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ تعجب من جرأتهم على ما يقودهم إلى النار أو من صبرهم على عذاب النار في الآخرة، وقيل: إنه[٤] استفهام وأصبرهم بمعنى صبرهم وهذا بعيد وإنما حمل قائله عليه اعتقاده أن التعجب مستحيل على الله؛ لأنه استعظام خفي سببه وذلك لا يلزم فإنه في حق الله غير خفي السبب.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى العذاب ورفعه بالابتداء أو بفعل مضمر ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ الباء سببية ﴿نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن هنا ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي بالواجب أو بالأخبار الحق أي الصادق، والباء فيه سببية أو للمصاحبة ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ اليهود والنصارى والكتاب على هذا التوراة والإنجيل، وقيل: الذين اختلفوا العرب والكتاب على هذا القرآن، ويحتمل جنس الكتاب في الموضعين ﴿لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾

---

(١) في (أ): (متزايد).

(٢) قوله: (وقال مالك بل يشبع) ساقط من (ف).

(٣) قوله: (أكل) ساقط من (أ).

(٤) في (أ): (إنها).

ربع

• لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ
الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَٰٓئِكَةِ وَالْكِتَٰبِ
وَالنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَٰمَىٰ
وَالْمَسَٰكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ
الصَّلَوٰةَ وَءَاتَى الزَّكَوٰةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا
وَالصَّٰبِرِينَ فِي الْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ
صَدَقُوا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧) يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ
عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ
بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ
إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ
بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ
يَٰٓأُوْلِي الْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩) كُتِبَ عَلَيْكُمْ
إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (١٨٠) فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا
سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨١)

أي بعيد من الحق والاستقامة.

﴿لَّيْسَ الْبِرَّ﴾ الآية خطاب لأهل الكتاب؛ لأن المغرب قبلة اليهود والمشرق قبلة النصارى، أي إنما البر التوجه إلى الكعبة، وقيل: خطاب للمؤمنين أي ليس البر الصلاة خاصة بل البر جميع الأشياء المذكورة بعد هذا[1] ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ﴾ لا يصح أن يكون خبرا عن البر، فتأويله: لكن صاحب البر من آمن أو لكن البر بر من آمن أو يكون البر مصدرا وصف به ﴿وَءَاتَى الْمَالَ﴾ صدقة التطوع وليست بالزكاة لقوله بعد ذلك ﴿وَءَاتَى الزَّكَوٰةَ﴾ ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ الضمير عائد على المال لقوله ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية وهو الراجح من طريق المعنى، وعود الضمير على الأقرب وهو على هذا تتميم وهو من أدوات البيان، وقيل: يعود على مصدر آتى، وقيل: على الله ﴿ذَوِي الْقُرْبَىٰ﴾ وما بعده مرتب بتقديم الأهم والأفضل؛ لأن الصدقة على القرابة صدقة وصلة بخلاف من بعدهم، ثم اليتامى لصغرهم وحاجتهم، ثم المساكين للحاجة خاصة، وابن السبيل الغريب، وقيل: الضيف[2]، والسائلين وإن كانوا غير محتاجين، وفي الرقاب عتقها ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾ أي العهد مع الله ومع الناس ﴿وَالصَّٰبِرِينَ﴾ نصب بإضمار فعل ﴿فِي الْبَأْسَآءِ﴾ الفقر ﴿وَالضَّرَّآءِ﴾ المرض ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ القتال ﴿صَدَقُوا﴾ في القول والفعل والعزيمة.

---

(١) في (ف) و(ع): (بعدها).

(٢) في (أ): (الضعيف).

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ أي شرع لكم وليس بمعنى فرض لأن ولي المقتول مخير بين القصاص والدية والعفو، وقيل: بمعنى فرض، أي فرض على القاتل الانقياد للقصاص وعلى ولي المقتول أن لا يتعداه إلى غيره كفعل الجاهلية، وعلى الحاكم التمكين من القصاص. ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ﴾ ظاهره اعتبار التساوي بين القاتل والمقتول في الحرية والذكورية، وأن لا يقتل[1] حر بعبد ولا ذكر بأنثى إلا أن العلماء أجمعوا على قتل الذكر بالأنثى، وزاد[2] قوم أن يعطى أولياؤها حينئذ نصف الدية لأولياء الرجل المقتص منه، خلافا لمالك والشافعي وأبي حنيفة.

وأما قتل الحر بالعبد فهو مذهب أبي حنيفة خلافا لمالك والشافعي، فعلى هذا لم يأخذ أبو حنيفة بشيء من ظاهر الآية لا في الذكورية ولا في الحرية؛ لأنها عنده منسوخة، وأخذ مالك بظاهرها في الحرية كما في الذكورية، وتأويلها عنده أن قوله: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ عموم يدخل فيه الذكر بالذكر، والأنثى بالأنثى، والأنثى بالذكر، والذكر بالأنثى، ثم كرر[3] قوله ﴿وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ﴾ تجريدا للتأكيد لأن بعض العرب كانوا[4] إذا قتلت منهم أنثى قتلوا بها ذكرا تكبرا وعدوانا، وقد يتوجه قول مالك على نسخ جميعها ثم يكون عدم قتل الحر بالعبد من السنة، وهو قوله ﷺ: «لا يقتل حر بعبد»[5] والناسخ لها[6] على القول بالنسخ عموم قوله

(١) في (أ): (ولا يقتل).

(٢) في (ع) و(ف): (ورأى).

(٣) في (ف): (ذكر).

(٤) قوله: (كانوا) ساقط من (أ).

(٥) حديث ضعيف كما في التلخيص: ٢٦٣/٢ لضعف سنده وانقطاعه. أخرجه أبو داود الحديث رقم: (٣٩١٤) السنن الكبرى للبيهقي: ٣٤/٨، والدارقطني الحديث رقم: (٣٣٠٠)، وسنن الدارمي الحديث رقم: (٢٤١٣).

(٦) قوله: (لها) ساقط من (ف).

﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ على أن هذا ضعيف؛ لأنه إخبار عن حكم في[(١)] بني إسرائيل ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ﴾ الآية فيها تأويلان:

أحدهما: أن المعنى من قتل فعفي عنه فعليه أداء الدية بإحسان وعلى أولياء المقتول اتباعه بها بمعروف فعلى هذا (من) كناية عن القاتل، وأخوه هو المقتول أو وليه، وعفي من العفو عن القصاص وأصله أن يتعدى بعن وإنما تعدى هنا باللام لأنه كقولك تجاوزت لفلان عن ذنبه.

والثاني[(٢)]: أن معناه[(٣)] من أعطيته الدية فعليه اتباع بمعروف وعلى القاتل أداء بإحسان، فعلى هذا (من) كناية عن أولياء المقتول و(أخيه) هو القاتل أو على[(٤)] عاقلته، وعفي بمعنى يسر كقوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ أي ما تيسر ولا إشكال في تعدي عفي باللام على هذا المعنى ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ﴾ إشارة إلى جواز أخذ الدية لأن بني إسرائيل لم يكن عندهم دية وإنما هو القصاص ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾ أي قتل قاتل وليه بعد أن أخذ منه الدية ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ القصاص منه، وقيل: عذاب الآخرة.

﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ بمعنى قولهم: القتل أنفى للقتل، أي أن القصاص يردع الناس عن القتل، وقيل: المعنى أن القصاص أقل قتلا لأنه قتل واحد بواحد بخلاف ما كان في الجاهلية من اقتتال قبيلتي القاتل والمقتول حتى يقتل بسبب ذلك جماعة.

﴿ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ كانت فرضا قبل الميراث ثم نسخها آية المواريث مع قوله ﷺ: «لا وصية لوارث»[(٥)]، وبقيت الوصية مندوبة لمن لا

---

(١) قوله: (في) ساقط من (أ).

(٢) في (أ): (وعلى الثاني).

(٣) قوله: (معناه) ساقط من (أ).

(٤) قوله: (على) ساقط من (أ).

(٥) حديث صحيح أخرجه الترمذي في سننه كتاب الوصايا الحديث رقم: (٢٢٠٣)، وأبو داود=

فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٨١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٢) أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةُ طَعَامِ مَسَاكِينَ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٣) • شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٤) وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٥)

يرث من الأقربين، وقيل: معناها الوصية بتوريث الوالدين والأقربين على حسب الفرائض فلا تعارض بينها وبين المواريث ولا نسخ والأول أشهر.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ أي فرض ﴿كَمَا كُتِبَ﴾ والقصد بقوله ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ وبقوله: ﴿أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ﴾ تسهيل الصيام على المسلمين وكأنه اعتذار عن كتبه عليهم وملاطفة جميلة، والذي كتب على الذين[1] من قبلنا الصيام مطلقا، وقيل: كتب على الذين من قبلنا رمضان فبدلوه ﴿أَيَّاماً﴾ منصوب بالصيام أو بمحذوف ويبعد انتصابه بتتقون ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً﴾ الآية إباحة للفطر مع المرض والسفر وقد يجب الفطر إذا خاف الهلاك وفي الكلام عند الجمهور محذوف يسمى فحوى الخطاب، والتقدير: فمن كان منكم مريضا أو على سفر فأفطر فعليه عدة من أيام أخر، ولم يقل الظاهرية بهذا المحذوف فرأوا أن صيام المسافر والمريض لا يصح وأوجبوا عليه عدة من أيام أخر وإن صام في رمضان، وهذا منهم جهل بكلام العرب وليس في الآية ما يقتضي تحديد السفر وبذلك قال الظاهرية، وحده في مشهور مذهب مالك أربعة برد ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ﴾ قيل: يطيقونه من غير مشقة فيفطرون

= الحديث رقم: (٢٨٧٠)، وابن ماجه في سننه الحديث رقم: (٢٧١٣)، والبيهقي في السنن الكبرى: ٦/٢١٢، وعبد الرزاق في المصنف: ٤/١٤٨، وتمامه: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث» قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح..

(١) قوله: (الذين) ساقط من (ف) و(ع).

ويكفرون ثم نسخ جواز الإفطار بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ وقيل: يطيقونه بمشقة كالشيخ الهرم فيجوز له الفطر فلا نسخ على هذا ﴿فَمَن تَطَوَّعَ﴾ أي صام ولم يأخذ بالفطر والكفارة وذلك على القول بالنسخ، وقيل: تطوع بالزيادة في مقدار الإطعام وذلك على القول بعدم النسخ.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ مبتدأ أو خبر ابتداء مضمر أو بدل من الصيام ﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ قال[١] ابن عباس:[٢] أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر من رمضان، ثم نزل به جبريل على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بطول عشرين سنة، وقيل: المعنى أنزل في شأنه القرآن كقولك أنزل القرآن في فلان، وقيل: المعنى ابتدئ فيه إنزال القرآن ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾ أي أن القرآن هدى للناس ثم هو مع ذلك من مبينات الهدى، وذلك أن الهدى على نوعين: مطلق وموصوف بالبينات، فالهدى الأول هنا على الإطلاق، وقوله: ﴿وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾ أي وهو[٣] من الهدى المبين فهو من عطف الصفات كقولك فلان عالم وجليل من العلماء. ﴿فَمَن شَهِدَ﴾ أي كان حاضرا غير مسافر والشهر منصوب على الظرفية واليسر والعسر على الإطلاق، وقيل: اليسر الفطر في السفر والعسر الصوم فيه ﴿وَلِتُكْمِلُواْ﴾ متعلق بمحذوف تقديره شرع أو عطف على اليسر ﴿ٱلْعِدَّةَ﴾ الأيام التي أفطر فيها ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ﴾ التكبير يوم العيد أو مطلق.

﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ مقيد بمشيئة الله وموافقة القدر وهذا[٤] جواب من قال:

---

(١) قوله: (قال) ساقط من (ف).

(٢) صحيح أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن، ص: ٣٦٧، والنسائي في فضائل القرآن، ص: ٩٦، والبيهقي في الأسماء والصفات، ص: ٢٣٥، والدر المنثور: ١/٤٥٧، والطبري في جامع البيان: ١٥/١١٩، والحاكم في المستدرك: ٢/٢٢٢ قال الحاكم في المستدرك: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) في (ف): (هو).

(٤) في (ف): (وهو).

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ • يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

ربع

كيف لا يستجاب الدعاء مع وعد الله بالاستجابة؟ ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ أي امتثال ما دعوتهم إليه من الإيمان والطاعة.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ الآية كان الأكل والجماع محرما بعد النوم في ليل رمضان فجرت لذلك قصة لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولصرمة بن مالك فأحلهما الله تخفيفا على عباده[1] ﴿الرَّفَثُ﴾ هنا الجماع وإنما تعدى بإلى لأنه في معنى الإفضاء ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ﴾ تشبيه بالثياب لاشتمال كل واحد من الزوجين على الآخر، وهذا تعليل للإباحة ﴿تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي[2] تأكلون وتجامعون بعد النوم في رمضان ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ أي غفر ما وقعتم فيه من ذلك، وقيل: رفع عنكم ذلك الحكم ﴿بَاشِرُوهُنَّ﴾ إباحة ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قيل: الولد يبتغى بالجماع، وقيل: الرخصة في الأكل والجماع لمن نام في ليل رمضان بعد منعه ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ بيان للخيط الأبيض لا للأسود؛ لأن الفجر ليس له سواد والخيط هنا[3] استعارة يراد بالخيط الأبيض بياض الفجر وبالخيط الأسود سواد الليل،

---

(١) حديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصوم الحديث رقم: (١٩١٥)، والترمذي في سننه كتاب التفسير، الحديث رقم: (٢٩٦٨)، وأبو داود كتاب الصيام الحديث رقم: (٢٣١٤)، والنسائي في سننه: ١٤٧/٤، والحاكم في المستدرك: ٢٩٥/٤، وابن خزيمة في صحيحه رقم: (١٩٠٤)، والطبري في جامع البيان: ٤٩٥/٣.

(٢) قوله: (أي) ساقط من (ف).

(٣) قوله: (هنا) ساقط من (ف).

وروي[١] أن قوله من الفجر نزل بعد ذلك بيانا لهذا المعنى؛ لأن بعضهم جعل خيطا أبيض وخيطا أسود عند وسادته وأكل حتى تبين له، فقال له النبي ﷺ: «إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار»[٢] ﴿إِلَى ٱلَّيۡلِۚ﴾ أي إلى أول الليل وهو غروب الشمس فمن أفطر قبل ذلك فعليه القضاء والكفارة، ومن شك هل غربت أم لا فأفطر فعليه القضاء والكفارة أيضا[٣]، وقيل: القضاء فقط وقالت عائشة رضي الله عنها[٤] ﴿إِلَى ٱلَّيۡلِۚ﴾ يقتضي المنع من الوصال، وقد جاء ذلك في الحديث[٥] ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ﴾ تحريم للمباشرة حين الاعتكاف. قال الجمهور: المباشرة هنا الجماع فما دونه[٦]، وقيل: الجماع فقط ﴿فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ﴾ دليل على جواز الاعتكاف في كل مسجد خلافا لمن قال لا اعتكاف إلا في المسجد الحرام ومسجد المدينة وبيت المقدس، وفيه أيضا دليل على أن الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد لا في غيرها[٧] خلافا

---

(١) صحيح أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له الحديث رقم: (١٩١٧) كتاب الصيام ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٠٩)، والطبري في جامع البيان: ٥١٣/٣، والبيهقي في السنن الكبرى: ٢١٥/٤، والبغوي في معالم التنزيل: ٢٨٠/١، والواحدي في أسباب النزول، ص: ٤٣، والدر المنثور: ٤٧٠/١.

(٢) البخاري في صحيحه الحديث رقم: (١٩١٦) كتاب التفسير، ومسلم الحديث رقم: (١٨٢٤) كتاب الصيام، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٩٧٠)، وأبو داود الحديث رقم: (٢٠٠٢)، والطبري في جامع البيان: ٥١١/٣، والبغوي في معالم التنزيل: ٢٠٨/١..

(٣) في (ف): (أيضا القضاء والكفارة).

(٤) أثر عائشة هذا رواه الطبري في جامع البيان: ٥٣٤/٣ بسند ضعيف.

(٥) النهي عن الوصال ورد عن مجموعة من الصحابة منهم أنس بن مالك وأبو هريرة رواه البخاري في صحيحه الحديث رقم: ١٩٦١، وفي عدة مواضع، ومسلم الحديث رقم: ٥٥، ورواه أحمد في مسنده: ١٧٣/٣، والطبري في جامع البيان: ٥٣٤/٣، والدر المنثور: ٤٨٣/١ عن عائشة، ومن أراد الوصال إلى السحر فله ذلك لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا تواصلوا فأيكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر»، قالوا: فإنك تواصل يا رسول الله، قال: «إني لست كهيئتكم إني أبيت لي مطعم يطعمني وساق يسقيني» الحديث رواه البخاري رقم: (١٩٦٣) ومسلم الحديث رقم: (٢٦٢٧) وغيرهما.

(٦) في (ف): (وما دونه).

(٧) قال ابن عبد البر: وأجمعوا أن الاعتكاف لا يكون إلا في مسجد لقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ=

لمن أجازه في غيرها من مفهوم الآية ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ أحكامه التي أمر بالوقوف عندها ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ أي لا تقربوا مخالفتها، واستدل بعضهم به[١] على سد الذرائع لأن المقصود النهي عن المخالفة للمحدود لقوله[٢] ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ ثم نهى هنا عن مقاربة المخالفة سدا للذريعة.

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم﴾ أي لا يأكل بعضكم مال بعض ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ كالقمار والغصب وجحد الحقوق وغير ذلك ﴿وَتُدْلُواْ﴾ عطف على لا تأكلوا، أو نصب بإضمار أن وهو من أدلى الرجل بحجته إذا قام بها. والمعنى نهى عن أن يحتج بحجة باطلة ليصل بها إلى أكل مال الناس، وقيل: نهى عن رشوة الحكام[٣] بالأموال للوصول إلى أكل أموال الناس فالباء على الأول سببية، وعلى الثاني

= ﴿فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ في الآية المذكورة يعني في البقرة: ١٨٧ انظر الاستذكار: ٣٨٥/٣، وقال القرطبي: الثامنة والعشرون: أجمع العلماء على أن الاعتكاف لا يكون إلا في المسجد، لقول الله تعالى: ﴿فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ واختلفوا في المراد بالمساجد، فذهب قوم إلى أن الآية خرجت على نوع من المساجد، وهو ما بناه نبي كالمسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ ومسجد إيلياء، روي هذا عن حذيفة بن اليمان وسعيد بن المسيب، فلا يجوز الاعتكاف عندهم في غيرها. وقال آخرون: لا اعتكاف إلا في مسجد تجمع فيه الجمعة، لأن الإشارة في الآية عندهم إلى ذلك الجنس من المساجد، روي هذا عن علي بن أبي طالب وابن مسعود، وهو قول عروة والحكم وحماد والزهري وأبي جعفر محمد بن علي، وهو أحد قولي مالك. وقال آخرون: الاعتكاف في كل مسجد جائز، يروى هذا القول عن سعيد بن جبير وأبي قلابة وغيرهم، وهو قول الشافعي وأبي حنيفة وأصحابهما. وحجتهم حمل الآية على عمومها في كل مسجد له إمام ومؤذن، وهو أحد قولي مالك، وبه يقول ابن علية وداود بن علي والطبري وابن المنذر. وروى الدارقطني عن الضحاك عن حذيفة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل مسجد له مؤذن وإمام فالاعتكاف فيه يصلح». قال الدارقطني: والضحاك لم يسمع من حذيفة. الجامع لأحكام القرآن: ٣٣٣/٢.

(١) في (أ): (بها).

(٢) في (ف): (كقوله).

(٣) في (أ): (الحاكم).

للإلصاق ﴿بِالإِثْمِ﴾ الباء سببية أو للمصاحبة والإثم على القول الأول في تدلوا إقامة الحجة الباطلة كشهادة الزور والأيمان[1] الكاذبة، وعلى القول الثاني الرشوة.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ سببها[2] أنهم سألوا عن الهلال وما فائدته ومخالفته لحال الشمس، والهلال ليلتان من أول الشهر، وقيل: ثلاث ثم يقال له قمر ﴿مَوَاقِيتُ﴾ جمع ميقات لمحل الديون والأكرية والقضاء والعدد وغير ذلك ثم ذكر الحج اهتماما بذكره وإن كان قد دخل في المواقيت للناس ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ﴾ الآية كان قوم إذا رجعوا من الحج لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها وإنما يدخلون من ظهورها ويقولون لا يحول بيننا وبين السماء شيء فنزلت الآية إعلاما بأن[3] ذلك ليس من البر[4] وإنما ذكر ذلك بعد ذكر الحج لأنه كان عندهم من تمام الحج، وقيل: المعنى ليس البر أن تسألوا عن الأهلة وغيرها مما لا فائدة لكم فيه فتأتون الأمور على غير ما يجب، فعلى هذا البيوت وأبوابها وظهورها استعارة يراد بالبيوت المسائل، وبظهورها السؤال عما لا يفيد، وأبوابها السؤال عما يحتاج إليه ﴿ٱلْبِرُّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ تأويله مثل البر من آمن.

﴿ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ كان القتال غير مباح في أول الإسلام ثم أمر بقتال الكفار الذين يقاتلون المسلمين دون من لم يقاتل وذلك مقتضى هذه الآية، ثم أمر بقتال جميع الكفار في قوله ﴿وَقَاتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ فهذه الآية منسوخة، وقيل: إنها محكمة وأن المعنى قاتلوا الرجال الذين هم بحال من يقاتلونكم دون النساء والصبيان الذين لا يقاتلونكم والأول أرجح وأشهر ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ أي

---

(١) في (ف): (واليمين).

(٢) أثر ضعيف عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣/٥٤٤.

(٣) في نسخة: (أن).

(٤) من حديث البراء بن عازب، صحيح أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير الحديث رقم: (٤٥١٢)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٣٠٢٦)، والطبري في جامع البيان: ٣/٥٥٦.

وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

بقتال من لم يقاتلكم على القول الأول وبقتال النساء والصبيان على القول[1] الثاني.

﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ أي من مكة لأن قريشا أخرجوا منها المسلمين ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ أي فتنة المؤمن عن دينه أشد عليه من قتله، وقيل: كفر الكفار أشد من قتل المؤمنين لهم في الجهاد ﴿عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ منسوخ بقوله حيث وجدتموهم وهذا يقوي نسخ الذين يقاتلونكم.

﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾ عن الكفر فأسلموا بدليل قوله ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وإنما يغفر للكافر إذا أسلم.

﴿لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي[2] لا يبقى دين كفر.

(﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾ الآية نزلت[3] لما صد الكفار النبي ﷺ والمسلمين[4] عن دخول مكة للعمرة عام الحديبية في شهر ذي الحجة فدخلها في العام الذي[5] بعده في شهر ذي القعدة، أي الشهر الحرام الذي دخلتم فيه مكة

(١) قوله: (القول) ساقط من (ف).

(٢) قوله: (أي) ساقط من (ف).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٥٧٩/٣ عن عطاء مرسلا.

(٤) قوله: (والمسلمين) ساقط من (ع) و(أ).

(٥) قوله: (الذي) ساقط من (ع).

بالشهر الحرام الذي صددتم فيه عن دخولها ﴿وَالْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ أي حرمة الشهر والبلد حين دخلتموها قصاص بحرمة الشهر والبلد حين صددتم عنها ﴿فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ﴾ تسمية للعقوبة باسم الذنب أي قاتلوا من قاتلكم ولا تبالوا بحرمة من صدكم عن دخول[١] مكة.

﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ قال أبو أيوب الأنصاري[٢] المعنى: لا تشتغلوا بأموالكم عن الجهاد[٣]، وقيل: لا تتركوا النفقة في الجهاد خوف العيلة، وقيل: لا تقنطوا من التوبة، وقيل: لا تقتحموا المهالك والباء في بأيديكم زائدة، وقيل: التقدير لا تلقوا أنفسكم بأيديكم.

﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أي أكملوهما إذا ابتدأتم عملهما قال ابن عباس[٤]: إتمامهما إكمال[٥] المناسك، وقال علي[٦]: إتمامهما أن تحرم بهما من دارك ولا حجة فيه لمن أوجب العمرة لأن الأمر إنما هو بالإتمام لا بالابتداء ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ المشهور في اللغة أحصره المرض بالألف وحصره العدو، وقيل:

---

(١) قوله: (دخول) ساقط من (ف).

(٢) هو الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري، واسمه خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد ابن عوف بن غنم بن مالك بن النجار شهد العقبة وبدرا وأحدا والخندق وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ وتوفي بالقسطنطينية من أرض الروم سنة خمسين، وقيل سنة إحدى وخمسين في خلافة معاوية تحت راية يزيد. وقيل إن يزيد أمر بالخيل فجعلت تدبر وتقبل على قبره حتى عفا أثر قبره روي هذا عن مجاهد. وقد قيل إن الروم قالت للمسلمين في صبيحة دفنهم لأبي أيوب لقد كان لكم الليلة شأن عظيم فقالوا هذا رجل من أكابر أصحاب نبينا ﷺ وأقدمهم إسلاما وقد دفناه حيث رأيتم والله لئن نبش لا ضرب لكم ناقوس أبدا في أرض العرب ما كانت لنا مملكة. أسد الغابة: ٦/٢٢، والاستيعاب: ١/٥١٠، والأعلام للزركلي: ٢/٣٦.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣/٥٩١، وابن كثير في تفسيره: ١/٥٢٩.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٤/٧ بسند حسن.

(٥) في (أ): (كمال).

(٦) صحيح عن علي رواه البيهقي في السنن الكبرى: ٤/٣٤، والطبري في جامع البيان: ٤/٨.

بالعكس، وقيل: هما بمعنى واحد، فقال مالك: أحصرتم هنا بالمرض على مشهور اللغة فأوجب عليه الهدي ولم يوجبه على من حصره العدو، وقال الشافعي وأشهب: يجب الهدي على من حصره العدو وحملا الآية على ذلك واستدلا بنحر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الهدي بالحديبية[١]، وقال أبو حنيفة: يجب الهدي على المحصر بعدو وبمرض ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ﴾ أي فعليكم ما استيسر من الهدي وذلك شاة ﴿وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ﴾ خطاب للمحصر بالمرض عند مالك لأنه لا يتحلل بالحلق حتى يبلغ الهدي محله أي مو ضع نحره وهو مكة ومنى عند مالك وقال الشافعي: محله حيث أحصر، وقيل: هو خطاب للمحصر[٢] وغيره ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً﴾ الآية نزلت في كعب بن عجرة[٣] حين رآه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال له: **«لعلك يؤذيك هوام رأسك احلق رأسك وصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين أو أنسك بشاة»**[٤] فمعنى الآية أن من كان في الحج واضطره مرض أو قمل إلى حلق رأسه قبل يوم النحر جاز له حلقه وعليه صيام أو صدقة أو نسك حسبما تفسر في الحديث، وقاس الفقهاء على حلق الرأس سائر الأشياء التي يمنع الحاج منها إلا الصيد والوطء، وقصر الظاهرية ذلك على حلق الرأس ولا بد في الآية من مضمر لا يستقل الكلام عنه وهو المسمى فحوى الخطاب، وتقديرها فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه فحلق رأسه فعليه فدية ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾ أي من المرض على قول مالك ومن العدو على قول غيره، والمعنى: إذا كنتم بحال أمن سواء تقدم مرض أو خوف عدو أو لم يتقدم ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ التمتع عند مالك وغيره هو أن يعتمر

---

(١) انظر الطبري في جامع البيان: ٣/٥٧٧.

(٢) قوله: (بالمرض عند مالك لأنه لا يتحلل بالحلق... للمحصر) ساقط من (أ).

(٣) حديث صحيح رواه كعب بن عجرة البخاري الحديث رقم: (١٨١٥)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٢٠١)، والطبري في جامع البيان: ٤/٣٣٤٦..

(٤) الموطأ الحديث رقم: (٨٣٤)، والبخاري الحديث رقم: (١٨١٤)، ومسلم الحديث رقم: (٢٠٨٤)، وأبو داود الحديث رقم: (١٥٨٦).

الإنسان في أشهر الحج ثم يحج من عامه فهو قد تمتع بإسقاط أحد السفرين للحج أو العمرة، وقال عبد الله بن الزبير[١]: التمتع هو أن يحصر عن الحج بعدو حتى يفوته الحج فيعتمر عمرة يتحلل بها من إحرامه ثم يحج من قابل قضاء لحجته، فهو قد تمتع بفعل الممنوعات من الحج في[٢] وقت تحلله بالعمرة إلى الحج القابل، وقيل: التمتع هو قران الحج والعمرة ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ شاة ﴿ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾ وقتها من إحرامه إلى يوم عرفة فإن فاته صام أيام التشريق ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى بلادكم أو في الطريق ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ﴾ فائدته أن السبع تصام بعد الثلاثة فتكون عشرة ورفع لئلا يتوهم أن السبعة بدل من الثلاثة، وقيل: هو مثل الفذلكة وهو قول الناس بعد الأعداد فذلك كذا، وقيل: كاملة في الثواب ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يعني غير أهل مكة، وذي طوى بإجماع، وقيل: أهل الحرم كله وقيل: من كان دون الميقات، وقيل: ذلك إشارة إلى التمتع[٣]، وقوله ذلك إشارة إلى الهدي أو الصيام أي إنما يجب الهدي أو الصيام بدلا منه على الغرباء لا على أهل مكة، وقيل: ذلك إشارة إلى التمتع.

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ﴾ التقدير: أشهر الحج أشهر أو الحج في أشهر وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة، وقيل: العشر الأول منه وينبني على ذلك أن من أخر طواف الإفاضة إلى آخر ذي الحجة فعليه دم على القول بالعشر الأول ولا دم عليه على القول بجميع الشهر، واختلف فيمن أحرم بالحج قبل هذه الأشهر فأجازه مالك على كراهة ولم يجزه الشافعي وداود لتعيين هذا الاسم كذلك فكأنها كوقت الصلاة ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾ أي ألزم بالحج[٤] نفسه ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ الرفث:

---

(١) صحيح أخرجه الطبري في جامع البيان: ٤/٨٨.

(٢) في (ف): (من).

(٣) قوله: (وقيل: ذلك إشارة إلى التمتع) زيادة من (ف) هنا، ويأتي في النسخ الأخرى بعد قوله: أهل مكة.

(٤) في (ف): (ألزم الحج).

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾

الجماع، وقيل: الفحش من الكلام والفسوق المعاصي والجدال المراء مطلقا، وقيل: المجادلة في مواقيت الحج، وقيل: النسيء الذي كانت العرب تفعله ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾ قيل: احملوا زادا في السفر وقيل: تزودوا للآخرة بالتقوى وهو الأرجح[١] لما بعده ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ التجارة في أيام الحج أباحها الله تعالى[٢]، وقرأ ابن عباس: فضلا من ربكم في مواسم الحج[٣] ﴿أَفَضْتُم﴾ اندفعتم جملة واحدة ﴿مِّنْ عَرَفَاتٍ﴾ اسم علم للموقف والتنوين فيه في مقابلة النون في جمع المذكر لا تنوين صرف فإن فيه التعريف والتأنيث ﴿الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ المزدلفة والوقوف بها سنة ﴿كَمَا هَدَاكُمْ﴾ الكاف للتعليل ﴿وَإِن كُنتُم﴾ إن مخففة من الثقيلة ولذلك جاء اللام في خبرها ﴿مِّن قَبْلِهِ﴾ أي من قبل الهدى.

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه أمر للحمس وهم قريش ومن تبعهم كانوا يقفون بالمزدلفة لأنها حرم ولا يقفون بعرفة مع سائر الناس لأنها حل ويقولون: نحن أهل الحرم لا نقف

---

(١) في (ف): (ارجح).

(٢) صحيح أخرجه رواه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٢٠٥٠)، والطبري في جامع البيان: ٤/١٦٧.

(٣) قال الزمخشري: وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿فضلا من ربكم في مواسم الحج﴾، الكشاف: ١/٢٧٣.

إلا بالحرم، فأمرهم الله تعالى أن يقفوا بعرفة مع الناس ويفيضوا منها وقد كان النبي ﷺ قبل ذلك يقف مع الناس بعرفة توفيقا من الله تعالى له.

والقول الثاني: أنها خطاب لجميع الناس ومعناها أفيضوا من المزدلفة إلى منى فثم على هذا القول على بابها من الترتيب، وأما على القول الأول فليست[١] للترتيب بل للعطف خاصة، قال الزمخشري: هي كقولك: أحسن إلى الناس ثم لا تحسن إلى غير كريم[٢]، فإن[٣] معناها التفاوت بين ما قبلها وما بعدها، وأن ما بعدها أوكد.

﴿قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾ فرغتم من أعمال الحج ﴿كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾ لأن الإنسان كثيرا ما يذكر آباءه، وقيل: كانت العرب يذكرون آباءهم مفاخرة عند الجمرة فأمروا بذكر الله عوضا من ذلك ﴿ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا﴾ كان الكفار إنما يدعون بخير الدنيا خاصة لأنهم لا يؤمنون بالآخرة.

﴿حَسَنَةً﴾ قيل: العمل الصالح، وقيل المال[٤] وقيل: المرأة[٥] الصالحة ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً﴾ الجنة.

﴿نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾ يحتمل أن تكون من سببية أي لهم نصيب من الحسنات التي اكتسبوها والنصيب على هذا الثواب ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يراد به سرعة مجيء يوم القيامة.

والآخر: أن يراد به سرعة وقوع الحساب يوم القيامة؛ لأن الله لا يحتاج إلى

---

(١) في (ف): (فبيس).

(٢) الكشاف: ٢٧٣/١.

(٣) في (ف) و(ع): (فإنما).

(٤) قوله: (وقيل المال) زيادة من (ف).

(٥) في (أ): (الزوجة).

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٠٣) وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٠٨) فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٠٩) هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٢١٠)﴾

مدة[١] ولا فكرة.

وقيل: لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كيف يحاسب الله الناس على كثرتهم؟ قال: كما يرزقهم على كثرتهم[٢].

﴿فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ ثلاثة بعد يوم النحر وهي أيام التشريق، والذكر فيها التكبير في أدبار الصلوات وعند رمي الجمار وغير ذلك ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي انصرف في اليوم الثاني من أيام التشريق ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ أي[٣] إلى اليوم الثالث فرمى فيه بقية الجمار، وأما المتعجل فقيل: يترك[٤] رمي جمار اليوم الثالث، وقيل: يقدمها في اليوم الثاني ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في الموضعين قيل: إنه إباحة للتعجل والتأخر، وقيل: إنه إخبار عن غفران الإثم وهو الذنب للحاج سواء تعجل أو تأخر ﴿لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ أما على القول بأن معنى فلا إثم عليه الإباحة[٥] فالمعنى أن الإباحة في التعجل والتأخر لمن اتقى أن يأثم فيهما فقد أبيح له ذلك من غير إثم، وأما على القول بأن معنى فلا إثم عليه إخبار بغفران الذنوب فالمعنى أن الغفران إنما هو لمن اتقى الله في حجه كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[٦]، فاللام متعلقة إما بالغفران

(١) في (ف): (عدة).
(٢) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز بدون سند: ٢/١٣٢.
(٣) قوله: (أي) ساقط من (أ).
(٤) في (ف): (وأما التعجل فقيل: ترك).
(٥) في (ف): (أباحة).
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (١٨١٩)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم:=

أو بالإباحة المفهومين من الآية.

﴿مَنْ يُعْجِبُكَ﴾ الآية قيل: نزلت في الأخنس بن شريق[١] فإنه أظهر الإسلام ثم خرج فقتل دواب المسلمين وأحرق لهم زرعا، وقيل: في المنافقين، وقيل: عامة في كل من كان على هذه الصفة ﴿فِي الْحَيَوٰةِ﴾ متعلق بقوله يعجبك[٢] أي يعجبك ما يقول في أمر الدنيا، ويحتمل أن يتعلق بيعجبك ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ﴾ أي يقول الله يعلم[٣] إنه لصادق ﴿أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ شديد الخصومة.

﴿تَوَلَّىٰ﴾ أدبر بجسده أو أعرض بقلبه، وقيل: صار واليا ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ على القول بأنها في الأخنس فإهلاك الحرث حرقه الزرع[٤]، وإهلاك النسل قتله الدواب[٥]، وعلى القول بالعموم فالمعنى مبالغته[٦] في الفساد، وعبر عن ذلك بإهلاك الحرث والنسل لأنهما قوام معيشة بني[٧] آدم فإن الحرث هو الزرع والفواكه وغير ذلك من النبات، والنسل هو الإبل والبقر والغنم وغير ذلك مما يتناسل.

﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ المعنى أنه لا يطيع من أمره بالتقوى تكبرا وطغيانا. والباء يحتمل أن تكون سببية أو بمعنى مع، وقال الزمخشري: هي كقولك أخذ الأمير الناس بكذا أي ألزمهم إياه فالمعنى: حملته العزة على الإثم.

= (٢٤٠٤)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٧٣٩)، والنسائي الحديث رقم: (٢٥٨٠)، وابن خزيمة في صحيحه الحديث رقم: (٢٥١٤)..

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢٢٩/٤، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٣٦٤/٢.

(٢) قوله: (يعجبك) ساقط من (ف).

(٣) في (أ): (الله أعلم).

(٤) في (ف): (للزرع).

(٥) في (ف): (للدواب).

(٦) في (ف): (مبالغة).

(٧) في (أ): (ابن آدم).

﴿مَن يَشْرِى نَفْسَهُ﴾ أي يبيعها، قيل: نزلت في صهيب[١]، وقيل: على العموم، وبيع النفس في الهجرة أو الجهاد، وقيل: في تغيير المنكر وأن الذي قبلها فيمن غير عليه فلم ينزجر.

﴿السِّلْمِ﴾ بفتح السين المسالمة والمراد بها هنا عقد الذمة بالجزية والأمر على هذا لأهل الكتاب وخوطبوا بالذين آمنوا لإيمانهم بأنبيائهم وكتبهم المتقدمة، وقيل: هو[٢] الإسلام، وكذلك هو بكسر السين فيكون الخطاب لأهل الكتاب على معنى الأمر لهم بالدخول في الإسلام، وقيل: إنها نزلت في قوم من اليهود[٣] أسلموا وأرادوا أن يعظموا السبت كما كانوا، فالمعنى على هذا: ادخلوا في الإسلام واتركوا سواه، ويحتمل أن يكون الخطاب للمسلمين على معنى الأمر بالثبوت عليه أو الدخول[٤] في جميع شرائعه من الأوامر والنواهي ﴿كَآفَّةً﴾ عموم في المخاطبين أوفى شرائع الإسلام.

﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ تهديد لمن زل بعد البيان.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي ينتظرون ﴿يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ تأويله عند المتأولين يأتيهم عذاب الله في الآخرة أو أمره في الدنيا، وهي عند السلف الصالح من المتشابه يجب الإيمان بها من غير تكييف، ويحتمل أن لا تكون من المتشابه لأن قوله ينظرون بمعنى يطلبون بجهلهم كقولهم: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ ﴿فِي ظُلَلٍ﴾ جمع ظلة وهي[٥] ما علاك من فوق، فإن كان ذلك لأمر الله فلا إشكال وإن كان لله فهو من المتشابه ﴿الْغَمَامِ﴾

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٢٩٨/٣ من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس، قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي.

(٢) قوله: (هو) ساقط من (ف).

(٣) أورده الطبري في جامع البيان: ٢٥٥/٤ عن عكرمة مرسلا بإسناد جيد.

(٤) في (أ): (والدخول).

(٥) في (ف): (وهو).

سَلْ بَنِي إِسْرَاءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَاهُم مِّنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ ۞ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

السحاب ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ فرغ منه وذلك كناية عن وقوع العذاب.

﴿سَلْ بَنِي إِسْرَآءِيلَ﴾ على وجه التوبيخ لهم وإقامة الحجة عليهم ﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾ معجزات موسى أو الدلالات على نبوءة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿وَمَن يُبَدِّلْ﴾ وعيد.

﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ كفار قريش سخروا من فقراء المسلمين كبلال وصهيب ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ هم المؤمنون الذين سخر الكفار منهم ﴿فَوْقَهُمْ﴾ أي أحسن حالا منهم، ويحتمل فوقية المكان لأن الجنة في السماء ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ إن أراد في الآخرة فمن كناية عن المؤمنين والمعنى رد على الكفار أي إن رزق الله الكفار في الدنيا فإن المؤمنين يرزقون في الآخرة، وإن أراد في الدنيا فيحتمل أن يكون من كناية عن المؤمنين أي[1] سيرزقهم ففيه وعد لهم، وأن تكون كناية عن الكافرين أي أن رزقهم في الدنيا بمشيئة الله لا على وجه الكرامة لهم ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ إن كان للمؤمنين فيحتمل أن يريد بغير تضييق ومن حيث لا يحتسبون أو لا يحاسبون عليه، وإن كان للكفار فمن غير تضييق.

﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي متفقين في الدين، قيل[2]: كفار[3] في زمن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيل: مؤمنون ما بين آدم ونوح، أو من كان مع نوح في السفينة، وعلى ذلك يقدر

(١) قوله: (والمعنى رد على الكفار... عن المؤمنين أي) ساقط من (ع).

(٢) في (أ): (وقيل).

(٣) في (أ): (كفارا) بالنصب وقيل: مومنين).

فاختلفوا بعد اتفاقهم ويدل عليه: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَاحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ﴾ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هنا جنس، أو مع كل نبيء كتابه ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ الضمير المجرور يعود على الكتاب أو على الضمير المجرور المتقدم، وقال الزمخشري: يعود على الحق، وأما الضمير في أوتوه فيعود على الكتاب والمعنى تقبيح الاختلاف بين الذين أوتوا الكتاب بعد أن جاءتهم البينات ﴿بَغْيًا﴾ أي حسدا أو عدوانا وهو مفعول من أجله أو مصدر في موضع الحال ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعني أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ أي للحق لما اختلفوا فيه فما بمعنى الذي وقبلها مضاف محذوف والضمير في اختلفوا لجميع الناس يريد اختلافهم في الأديان فهدى الله المؤمنين لدين الحق وتقدير الكلام: فهدى الله الذين آمنوا لإصابة ما اختلف فيه الناس من الحق ومن في قوله ﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ لبيان الجنس أي[1] جنس ما وقع فيه الخلاف ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ قيل: بعلمه، وقيل: بأمره.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ خطاب للمؤمنين على وجه التشجيع لهم والأمر بالصبر على الشدائد ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم﴾ أي لا تدخلوا الجنة حتى يصيبكم مثل ما أصاب من كان قبلكم ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ﴾ أي حالهم وعبر عنه بالمثل لأنه في شدته يضرب به المثل ﴿وَزُلْزِلُواْ﴾ بالتخويف والشدائد ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ يحتمل أن يكون جوابا للذين قالوا متى نصر الله وأن يكون إخبارا مستأنفا، وقيل: إن الرسول قال ذلك لما قال الذين معه متى نصر الله.

﴿فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ إن أريد بالنفقة الزكاة فذلك منسوخ والصواب أن المراد التطوع فلا نسخ، وقدم في الترتيب الأهم فالأهم، وورد السؤال عن[2] المنفق والجواب عن مصرفه؛ لأنه كان المقصود بالسؤال، وقد حصل الجواب عن المنفق في قوله: ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾.

---

(١) في (أ): (أعني).

(٢) في (أ): (على).

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰٓئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ

ربع

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ إن كان على الأعيان فنسخه ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ فصار القتال فرض كفاية، وإن كان على الكفاية فلا نسخ ﴿كُرْهٌ﴾ مصدر كره[1] ذكر للمبالغة أو اسم مفعول كالخبز بمعنى المخبوز ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا﴾ حض على القتال.

﴿الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ جنس وهو[2] أربعة أشهر: رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾ بدل من الشهر وهو[3] مقصود السؤال ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ أي ممنوع ثم نسخه ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ وذلك بعيد فإن ﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ عموم في الأمكنة لا في الأزمنة، ويظهر أن ناسخه ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ بعد ذكر الأشهر الحرم، فكان التقدير: قاتلوا فيها[4]، ويدل عليه ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ ويحتمل أن يكون المراد وقوع القتال في الشهر الحرام أي إباحته حسبما استقر في الشرع فلا تكون الآية منسوخة، بل ناسخة لما كان في أول الإسلام من تحريم القتال في الأشهر الحرم ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ابتداء وما[5] بعده معطوف عليه و﴿أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ﴾ خبر الجميع، أي أن هذه الأفعال القبيحة التي

---

(١) قوله: (كره) زيادة من (ف).

(٢) في (ف): (وهي).

(٣) في (ف): (وهذا).

(٤) في (أ): (فيهن).

(٥) في نسخة: (ما).

فعلها الكفار أعظم عند الله من القتال في الشهر الحرام الذي عير به الكفار المسلمين في سرية عبد الله بن جحش[١] حين قاتل في أول يوم من رجب، وقد قيل: إنه ظن أنه[٢] آخر يوم من جمادى[٣] ﴿وَالْمَسْجِدِ﴾ عطف على سبيل الله ﴿حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ﴾ قال الزمخشري: حتى هنا للتعليل ﴿فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ ذهب مالك إلى[٤] أن المرتد يحبط عمله بنفس الارتداد سواء رجع إلى الإسلام أو مات على الارتداد، ومن ذلك انتقاض وضوئه، وبطلان صومه، وذهب الشافعي إلى أنه لا يحبط إلا إن مات كافرا لقوله ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ وأجاب المالكية: بأن قوله[٥] ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ جزاء على الردة، وقوله: ﴿أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ جزاء على الموت على الكفر، وفي ذلك نظر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية نزلت في عبد الله بن جحش وأصحابه[٦].

﴿الْخَمْرِ﴾ كل مسكر من العنب وغيره ﴿وَالْمَيْسِرِ﴾ القمار، وكان ميسر العرب بالقداح في لحم الجزور، ثم يدخل في ذلك النرد والشطرنج وغيرهما، وروي[٧] أن السائل عنهما كان حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ نص في التحريم

---

(١) هو الصحابي الجليل عبد الله بن جحش الأسدي أمه أحيحة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استشهد في معركة أحد سنة: ٣هـ، للمزيد ينظر الاستيعاب لابن عبد البر: ٣/١٤، والإصابة لابن حجر: ٢/٢٨٧، والأعلام للزركلي: ٤/٧٦..

(٢) في (ف): (وقد قيل: إنه ظنه).

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده: ٣/١٠٣، والطبري في جامع البيان: ٢/٣٠٦، والطبراني في المعجم الكبير رقم: (١٦٧٠)، والبيهقي في السنن الكبرى: ٩/١١، وابن كثير في تفسيره: ١/٤٦٦، قال السيوطي في الدر المنثور: ١/٦٠٠ (بسند صحيح). وانظر الكشاف للزمخشري: ١/٢٥٥.

(٤) في (ف): (على).

(٥) في (أ): (بقوله).

(٦) صحيح الطبري الحديث رقم: (٤١٢٠٢)، وانظر السيرة لابن هشام: ٢/٢٥٢..

(٧) انظر الكشاف للزمخشري: ١/١١٠، وقال ابن عطية السائلون: هم المؤمنون. انظر المحرر الوجيز: ١/١٧٨.

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٠) وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢) نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣) وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٤)

وأنهما من الكبائر لأن الإثم حرام لقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ﴾ خلافا لمن قال إنما حرمتها آية المائدة لا هذه الآية ﴿وَمَنَافِعُ﴾ في الخمر التلذذ والطرب وفي القمار الاكتساب به ولا يدل ذكر المنافع على الإباحة، قال ابن عباس: المنافع قبل التحريم، والإثم بعده[1]. ﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ﴾ تغليبا للإثم على المنفعة، وذلك أيضا بيان للتحريم.

﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾ أي السهل من غير مشقة، وقراءة الجماعة بالنصب[2] بإضمار فعل مشاكلة للسؤال، على أن يكون ما ذا مركبا مفعولا لينفقون وقرأ أبو عمرو بالرفع بالابتداء مشاكلة للسؤال على أن يكون ما مبتدءا وذا خبره ﴿تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ أي في أمرهما ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ كانوا قد تجنبوا اليتامى تورعا، فنزلت إباحة مخالطتهم بالإصلاح لهم، **فإن قيل**: لم جاء ﴿**يسألونك**﴾ بالواو ثلاث مرات وبغير واو ثلاث مرات قبلها؟ **فالجواب**: أن سؤالهم عن المسائل الثلاث الأول وقع في أوقات مفترقة فلم يأت بحرف عطف، وجاءت الثلاثة الأخيرة بالواو لأنها كانت متناسقة. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ تحذير من الفساد وهو أكل أموال اليتامى ﴿لَأَعْنَتَكُمْ﴾ لضيق عليكم بالمنع من مخالطتهم، قال ابن عباس[3]:

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٢٩/٤، والسيوطي في الدر المنثور: ٦٠٧/١ بإسناد ضعيف.

(٢) قال ابن الجزري: واختلفوا في ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾ فقرأ أبو عمرو بالرفع وقرأ الباقون بالنصب. النشر: ٢٥٩/٢.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٥٩/٤ بإسناد ضعيف وانظر الدر المنثور: ٦١٣/١.

لأهلككم بما سبق من أكلكم لأموال اليتامى.

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟﴾ أي لا تتزوجوا والنكاح مشترك بين الوطء والعقد ﴿ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ عباد الأوثان من العرب فلا تتناول اليهود ولا النصارى المباح نكاحهن في المائدة فلا تعارض بين الموضعين ولا نسخ خلافا لمن قال آية المائدة نسخت هذه، ولمن قال هذه نسخت آية المائدة، فمنع نكاح الكتابيات ونزول الآية بسبب مرثد[١] الغنوي[٢] أراد أن يتزوج امرأة مشركة[٣] ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾ أي أمة لله حرة كانت أو مملوكة، وقيل: أمة مملوكة خير من حرة مشركة[٤] ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ في الجمال والمال وغير ذلك ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي لا تزوجوهم نساءكم وانعقد الإجماع على أن الكافر لا يتزوج مسلمة سواء كان كتابيا أو غيره، واستدل المالكية على وجوب الولاية في النكاح بقوله ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ لأنه أسند نكاح النساء إلى الرجال ﴿وَلَعَبْدٌ﴾ أي عبد لله، وقيل: مملوك ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ المشركات والمشركون ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ أي[٥] إلى الكفر

(١) وقيل: في أبي مرثد، قال القرطبي: وقال مقاتل: نزلت هذه الآية في أبي مرثد الغنوي، وقيل: في مرثد بن أبي مرثد، واسمه كناز بن حصين الغنوي، بعثه رسول الله ﷺ إلى مكة سرا ليخرج رجلا من أصحابه، وكانت له بمكة امرأة يحبها في الجاهلية يقال لها «عناق» فجاءته، فقال لها: إن الإسلام حرم ما كان في الجاهلية، قالت: فتزوجني، قال: حتى أستأذن رسول الله ﷺ، فأتى النبي ﷺ فاستأذنه فنهاه عن التزوج بها، لأنه كان مسلما وهي مشركة. ٦٧/٣ الجامع لأحكام القرآن.

(٢) هو مرثد بن أبي مرثد الغنوي واسم أبيه كناز بن حصين، هاجر إلى المدينة وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أوس بن الصامت، شهد هو وأبوه بدرا، واستشهد في غزوة الرجيع مع عاصم بن ثابت سنة: ٣هـ، الطبقات الكبرى لابن سعد: ٤٧/٣، والاستيعاب: ١٧٠/٤، والإصابة: ١٧٧/٤، وأسد الغابة: ١٠٠١/١. أسباب النزول: ٤٥/١.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٣٩٨/٢، والدر المنثور: ٦١٤/١، وهو بإسناد فيه انقطاع.

(٤) قوله: (﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾ أي أمة لله حرة كانت... مشركة) ساقط من (ف).

(٥) قوله: (أي) ساقط من (ف) و(ع).

الموجب للنار[١] ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ أي بإرادته أو علمه.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ سأل عن ذلك عباد بن بشر[٢] وأسيد بن حضير[٣] قالا

---

(١) في (أ): (النار).

(٢) هو عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصارى الأشهلي. قال الواقدي: يكنى أبا بشر. وقال ابن عمارة: يكنى أبا الربيع، وقال إبراهيم بن المنذر: عباد بن بشر يكنى أبا بشر ويكنى أبا الربيع، قال أبو عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا يختلفون أنه أسلم بالمدينة على يد مصعب بن عمير وذلك قبل إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وشهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها، وكان فيمن قتل كعب بن الأشرف اليهودي وكان من فضلاء الصحابة وأبطالهم. روى أنس مالك أن عصاه كانت تضيء له إذ كان يخرج من عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بيته ليلا، وعرض له ذلك مرة مع أسيد بن حضير فلما افترقا أضاءت لكل واحد منهما عصاه، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبعثه إلى القبائل يصدقها (يجمع الصدقات) وجعله على مقاسم حنين، واستعمله على حرسه بتبوك. استشهد يوم اليمامة سنة: ١٢هـ. انظر: الاستيعاب: ٢٤١/١، وابن سعد، القسم الثاني من الجزء الثالث، ص: ١٧، وتهذيب التهذيب: ٥: ٩٠، والأعلام للزركلي: ٢٧٥/٣.

(٣) هو أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل... اختلف في كنيته فقيل فيها خمسة أقوال قيل يكنى أبا عيسى، روى معاذ بن هشام عن أبيه عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أسيد بن حضير قال قال لي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يا أبا عيسى، وقيل: يكنى أبا يحيى، وقيل: يكنى أبا عتيك، وقيل: أبا الحضير، وقيل: أبا الحصين بالصاد والنون وأخشى أن يكون تصحيفا والأشهر أبو يحيى وهو كما يقول ابن إسحاق وغيره: أسلم قبل سعد بن معاذ على يدي مصعب بن عمير، وكان ممن شهد العقبة الثانية وهو من النقباء ليلة العقبة وكان بين العقبة الأولى والثانية سنة ولم يشهد بدرا كذلك ابن إسحاق وغيره يقول إنه شهد بدرا وشهد أحدا وما بعدهما من المشاهد، وجرح يوم أحد سبع جراحات وثبت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين انكشف الناس، ذكر له أبو أحمد الحاكم في كتابه في الكنى ثلاث كنى أبو الحصين وأبو الحضير وأبو عيسى وذكر له في موضع آخر خمس كنى وذكر له أبو الحسن علي ابن عمر الدارقطني كنية سادسة أبو عتيق فقال أسيد بن حضير: يكنى أبا يحيى وأبا عتيك وأبا عتيق

وكان أسيد ين حضير أحد العقلاء الكملة من أهل الرأي وآخى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينه وبين زيد بن حارثة وكان أسيد بن حضير من أحسن الناس صوتا بالقرآن وحديثه في استماع الملائكة قراءته حين نفرت فرسه حديث صحيح عن طرق صحاح من نقل أهل الحجاز والعراق

لرسول الله ﷺ: «**ألا نجامع النساء في المحيض خلافا لليهود؟**»[1] ﴿هُوَ أَذًى﴾ مستقذر وهذا تعليل لتحريم الجماع في المحيض ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ﴾ أي[2] اجتنبوا جماعهن، وقد فسر ذلك الحديث بقوله: «**لتشد عليها إزارها ثم شأنك بأعلاها**»[3] ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ أي ينقطع عنهن الدم ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ أي اغتسلن بالماء

= وذكر إسمعيل بن إسحاق قال حدثنا نصر بن علي قال حدثنا الأصمعي قال حدثنا أبو عطارد ومات قبل ابن عون قال جاء عامر بن الطفيل وزيد إلى رسول الله ﷺ فسألاه أن يجعل لهما نصيبا من تمر المدينة فأخذ أسيد بن حضير الرمح فجعل يقرع رءوسهما ويقول: أخرجا أيها الهجرسان فقال عامر من أنت فقال أنا أسيد ابن حضير قال حضير الكتائب قال نعم قال كان أبوك خيرا منك قال بل أنا خير منك ومن أبي، مات أبي وهو كافر فقلت للأصمعي ما الهجرس قال الثعلب، وذكر البخاري عن عبد العزيز الأويسي عن إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق عن يحيى بن عباد عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد يعتد عليهم فضلا كلهم من بني عبد الأشهل: سعد ابن معاذ وأسيد بن حضير، وعباد بن بشر

توفي أسيد بن حضير في شعبان سنة عشرين، وقيل: سنة إحدى وعشرين، وحمله عمر بن الخطاب بين العامودين من عبد الأشهل حتى وضعه بالبقيع وصلى عليه وأوصى إلى عمر بن الخطاب فنظر عمر في وصيته فوجد عليه أربعة آلاف دينار فباع نخله أربع سنين بأربعة آلاف وقضى دينه، وقيل: إنه حمل نعشه بنفسه بين الأربعة الأعمدة وصلى عليه. الاستيعاب: ١/٣٠، والإصابة: ١/٤٨، وأسد الغابة: ١/١١١، وتهذيب الكمال: ١/١١٣.

(١) حديث صحيح من حديث أنس بن مالك ولفظه: أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يواكلوها ولم يجامعوهن في البيوت فسأل أصحاب النبي ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ...﴾ فقال ﷺ «اصنعوا كل شيء إلا النكاح» فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه... أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (٣٠٢)، وأبو داود الحديث رقم: (٢٥٨)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٩٧٧)، وابن حبان في صحيحه الحديث رقم: (١٣٦٢)، وأحمد في المسند: ٣/١٣١.

(٢) قوله: (أي) ساقط من (أ).

(٣) مرسل صحيح رواه مالك في الموطإ: باب ما يحل للرجل من امرأته وهي حائض، الحديث رقم: (١١٤) قال ابن عبد البر في التمهيد: «لا أعلم أحدا روى هذا الحديث مسندا بهذا اللفظ ومعناه صحيح ثابت، التمهيد: ٥/٢٦٠، ويغني عنه الحديث وهو أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يباشر من نسائه أمرها فاتزرت وهي حائض» أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم:=

وتعلق الحكم بالغاية الأخيرة عند مالك والشافعي، فلا يجوز عندهما وطء حتى تغتسل، وبالغاية الأولى عند أبي حنيفة فأجاز الوطء عند انقطاع الدم وقبل الغسل، وقرئ حتى يطهرن بالتشديد[1] ومعنى هذه القراءة بالماء، فتكون القراءتان بمعنى واحد، وذلك حجة لمالك. ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ قبل المرأة ﴿التَّوَّابِينَ﴾ من الذنوب ﴿الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ بالماء أو من الذنوب[2].

﴿حَرْثٌ لَكُمْ﴾ أي موضع حرث وذلك تشبيه للجماع في إلقاء النطفة وانتظار الولد بالحرث في إلقاء البذر وانتظار الزرع ﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ أي كيف شئتم من الهيئات أو متى شئتم لا أين شئتم لأنه يوهم الإتيان في الدبر، وقد افترى من نسب جوازه إلى مالك، وقد تبرأ هو من ذلك وقال: إنما الحرث في موضع الزرع[3] ﴿وَقَدِّمُوا

= (٣٠٣)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٩٤)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٢١٦٧)..

(١) ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر بتشديد الطاء والهاء والباقون بتخفيفهما، وضم الهاء. النشر: ٢/٢٥٩، والتحبير: ١/٣٠٤.

(٢) في (ع): (ومن الذنوب).

(٣) قال القرطبي نقلا عن ابن العربي في قبسه: وقد حرم الله تعالى الفرج حال الحيض لأجل النجاسة العارضة. فأولى أن يحرم الدبر لأجل النجاسة اللازمة. وقال مالك لابن وهب وعلي بن زياد لما أخبراه أن ناسا بمصر يتحدثون عنه أنه يجيز ذلك، فنفر من ذلك، وبادر إلى تكذيب الناقل فقال: كذبوا علي، كذبوا علي، كذبوا علي! ثم قال: ألستم قوما عربا؟ ألم يقل الله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ وهل يكون الحرث إلا في موضع المنبت! وما استدل به المخالف من أن قوله ﷻ: ﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ شامل للمسالك بحكم عمومها فلا حجة فيها، إذ هي مخصصة بما ذكرناه، وبأحاديث صحيحة حسان وشهيرة رواها عن رسول الله ﷺ اثنا عشر صحابيا بمتون مختلفة، كلها متواردة على تحريم إتيان النساء في الأدبار، ذكرها أحمد بن حنبل في مسنده، وأبو داود والنسائي والترمذي وغيرهم. وقد جمعها أبو الفرج بن الجوزي بطرقها في جزء سماه «تحريم المحل المكروه». ولشيخنا أبي العباس أيضا في ذلك جزء سماه «إظهار إدبار، من أجاز الوطء في الأدبار». =

لِأَنفُسِكُمْ﴾ أي الأعمال الصالحة.

﴿عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾ أي لا تكثروا الحلف بالله فتبتذلوا[١] اسمه، وأن تبروا على هذا علة للنهي فهو مفعول من أجله، أي نهيتم عن كثرة الحلف كي تبروا، وقيل المعنى: لا تحلفوا على أن تبروا وتتقوا وافعلوا البر والتقوى دون يمين، فأن تبروا على هذا هو المحلوف عليه والعرضة على هذين القولين كقولك: فلان عرضة لفلان إذا أكثر التعرض له، وقيل: عرضة مانع من قولك: عرض له أمر حال بينه وبين كذا، أي لا تمتنعوا بالحلف بالله من فعل البر والتقوى، ومن ذلك يمين أبي بكر الصديق أن لا ينفق على مسطح[٢] فأن تبروا على هذا علة لامتناعهم فهو مفعول

= قلت: وهذا هو الحق المتبع والصحيح في المسألة، ولا ينبغي لمؤمن بالله واليوم الآخر أن يعرج في هذه النازلة على زلة عالم بعد أن تصح عنه. وقد حذرنا من زلة العالم. وقد روي عن ابن عمر خلاف هذا، وتكفير من فعله، وهذا هو اللائق به رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وكذلك كذب نافع من أخبر عنه بذلك، كما ذكر النسائي، وقد تقدم. وأنكر ذلك مالك واستعظمه، وكذب من نسب ذلك إليه. وروى الدارمي أبو محمد في مسنده عن سعيد بن يسار أبي الحباب قال: قلت لابن عمر: ما تقول في الجواري حين أحمض بهن؟ قال: وما التحميض؟ فذكرت له الدبر، فقال: هل يفعل ذلك أحد من المسلمين! وأسند عن خزيمة بن ثابت: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «أيها الناس إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أعجازهن». ومثله عن علي بن طلق. وأسند عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من أتى امرأة في دبرها لم ينظر الله تعالى إليه يوم القيامة» وروى أبو داود الطيالسي في مسنده عن قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «تلك اللوطية الصغرى» يعني إتيان المرأة في دبرها. وروي عن طاوس أنه قال: كان بدء عمل قوم لوط إتيان النساء في أدبارهن. قال ابن المنذر: وإذا ثبت الشيء عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استغني به عما سواه. القرطبي: ٣/٩٤.

(١) في المطبوع: (فتبدلوا).

(٢) هو مسطح بن أثاثة، بن عباد، بن المطلب، بن عبد مناف، بن قصي القرشي، المطلبي، يكنى أبا عباد. وقيل: أبا عبد الله، وأمه سلمى بنت صخر بن عامر ابن كعب بن سعد بن تيم بن مرة وهي ابنة خالة أبي بكر الصديق، وقيل: أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها رائطة بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق شهد بدراً، ثم خاض في الإفك على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فجلده رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيمن جلد في ذلك، وكان أبو بكر ينفق عليه فأقسم=

لَّا يُوَاخِذُكُمُ اُللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِنْ يُّوَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٣﴾ لِّلَّذِينَ يُولُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ اُللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ وَإِنْ عَزَمُوا اُلطَّلَاقَ فَإِنَّ اُللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ • وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَّكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اَللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُومِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ اِ۬لْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحاً وَلَهُنَّ مِثْلُ اُلذِے عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ اَلطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَن يَّخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اَللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمُ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اَللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا اَفْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اُللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَّتَعَدَّ حُدُودَ اَللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٧﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَّتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُّقِيمَا حُدُودَ اَللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اُللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٢٨﴾

من أجله أو مفعول بعرضة لأنها بمعنى مانع.

﴿بِاللَّغْوِ﴾ الساقط وهو عند مالك قولك: نعم والله، ولا والله، الجاري على اللسان من غير قصد[1] وفاقا للشافعي، وقيل: أن يحلف على الشيء بظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه[2]، وفاقا لأبي حنيفة، وقال ابن عباس[3]: اللغو الحلف حين الغضب، وقيل: اللغو اليمين على

= ألا ينفق عليه فنزلت: ﴿وَلَا يَاتَلِ أُوْلُوا اُلْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ...﴾ [النور: ٢٢] الآية، ويقال: مسطح لقب واسمه عوف بن أثاثة. توفي سنة أربع وثلاثين وهو ابن ست وخمسين سنة، وقد قيل: شهد مسطح صفين وتوفي سنة سبع وثلاثين وقد ذكرناه في باب من اسمه عوف من العين في هذا الكتاب والحمد لله. الاستيعاب لابن عبد البر: ٤٦٣/١.

(١) ما ذكره المؤلف هنا ليس هو المشهور، قال ابن عبد البر في الاستذكار: قال مالك: أحسن ما سمعت في هذا أن اللغو حلف الإنسان على الشيء يستيقن أنه كذلك ثم يوجد على غير ذلك، فهو اللغو وليس فيه كفارة. ١٩٠/٥.

(٢) هذا هو المعروف في كتب المالكية قاطبة، وهو المشهور عن مالك، وقال المؤلف في قوانينه: الأيمان على ثلاثة أنواع؛ لغو، وغموس، وعقد.
فاللغو: لا كفارة فيه اتفاقا، وهو الحلف على شيء يظنه كما حلف ثم تبين له خلافه وفاقا لأبي حنيفة، وقيل هو: قول لا والله، ونعم والله، الجاري على اللسان، من غير قصد وفاقا للشافعي، وإسماعيل القاضي، وقال طاوس: هو أن يحلف الرجل وهو غضبان، وقال ابن عباس: هو أن يحلف على معصية، ص: ٢٧٩.

(٣) أخرجه ابن منصور في سننه: ١٥٣٣/٤، والبيهقي في السنن الكبرى: ٤٩/١٠، والطبري في جامع البيان: ٤٣٨/٤، وهو ضعيف من جهة السند.

المعصية والمؤاخذة العقاب أو وجوب الكفارة ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي قصدت فهو خلاف اللغو، وقال ابن عباس[١]: هو اليمين الغموس وذلك أن يحلف على الكذب متعمدا وهو حرام إجماعا وليس فيه كفارة عند مالك خلافا للشافعي.

﴿يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ يحلفون على ترك وطئهن، وإنما تعدى بمن لأنه تضمن معنى البعد منهن، ويدخل في عموم قوله ﴿الذين﴾ كل حالف حرا كان أو عبدا، إلا أن مالكا جعل مدة إيلاء العبد شهرين خلافا للشافعي، ويدخل في إطلاق الإيلاء اليمين بكل ما يلزم عنه حكم خلافا للشافعي في قصره[٢] الإيلاء على الحلف بالله ووجهه أنها اليمين الشرعية ولا يكون موليا عند مالك والشافعي إلا إذا حلف على مدة أكثر من أربعة أشهر، وعند أبي حنيفة أربعة أشهر فصاعدا فإذا انقضت الأربعة الأشهر: وقف المولي عند مالك والشافعي فإما فاء وإلا طلق فإن أبى الطلاق طلق[٣] عليه الحاكم، وقال أبو حنيفة: إذا انقضت الأربعة الأشهر وقع الطلاق دون توقيف، ولفظ الآية يحتمل القولين، ﴿فَإِن فَآءُو﴾ رجعوا إلى الوطء وكفروا عن اليمين ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي يغفر ما في الأيمان من إضرار المرأة.

﴿عَزَمُواْ الطَّلَاقَ﴾ العزيمة على قول مالك التطليق أو الإباية فيطلق عليه الحاكم وعند أبي حنيفة ترك الفيء حتى تنقضي الأربعة الأشهر، والطلاق في الإيلاء رجعي عند مالك بائن عند الشافعي وأبي حنيفة.

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ بيان للعدة وهو عموم مخصوص خرجت منه الحامل بقوله تعالى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ واليائسة والصغيرة بقوله ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ﴾ الآية[٤] والتي لم يدخل بها بقوله ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٤/٤٥٠ من طريق عبد الله بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) في (أ): (قصر).

(٣) قوله: (فإن أبى الطلاق طلق) ساقط من (ف).

(٤) قوله: (الآية) ساقط من (أ).

عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ فيبقى حكمها في المدخول بها وهي في سن من تحيض، وقد خص مالك منها الأمة فجعل عدتها قرأين، ويتربصن خبر بمعنى الأمر. ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ انتصب ثلاثة على أنه مفعول به هكذا قال الزمخشري[١]، وقروء جمع قرء وهو مشترك في اللغة بين الطهر والحيض فحمله مالك والشافعي على الطهر لإثبات التاء في ثلاثة فإن الطهر مذكر والحيض مؤنث ولقول عائشة: الأقراء هي الأطهار[٢]، وحمله أبو حنيفة على الحيض لأنه الدليل على براءة الرحم وذلك مقصود العدة، فعلى قول مالك تنقضي العدة بالدخول في الحيضة الثالثة إذا طلقها في طهر لم يمسها فيه، وعند أبي حنيفة بالطهر منها ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ يعني الحمل والحيض، وبعولتهن جمع بعل وهو هنا[٣] الزوج ﴿فِى ذَٰلِكَ﴾ أي في زمان العدة ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ﴾ من الاستمتاع وحسن المعاشرة ﴿دَرَجَةٌ﴾ في الكرامة، وقيل: الإنفاق، وقيل: كون الطلاق بيده.

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ بيان لعدد الطلاق الذي يرتجع منه دون زوج آخر، وقيل: بيان لعدد الطلاق الذي يجوز إيقاعه وهو طلاق السنة ﴿فَإِمْسَاكٌ﴾ ارتجاع وهو مرفوع بالابتداء أو بالخبر ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ حسن المعاشرة وتوفية الحقوق ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ﴾ هو تركها حتى تنقضي العدة فتبين منه ﴿بِإِحْسَانٍ﴾ المتعة، وقيل: التسريح هنا الطلقة الثالثة بعد الاثنتين، وروي في ذلك حديث ضعيف[٤] وهو بعيد لأن قوله تعالى بعد ذلك ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ هو الطلقة الثالثة، وعلى ذلك يكون تكرارا، والطلقة الرابعة[٥] لا معنى

---

(١) قال الزمخشري في كشافه: فإن قلت فعلام انتصب ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ قلت: على انه مفعول به كقولك: المحتكر يتربص الغلاء أي يتربصن مضي ثلاثة قروء...) ١/٣٠٠.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٤/٥٠٦، وأبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ: ٢/٣٠، والدر المنثور: ١/٦٥٦.

(٣) قوله: (هنا) ساقط من (ف).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٤/٥٥٧.

(٥) في (ف) و(ع): (وطلقة رابعة).

لها. ﴿وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ﴾ الآية[١] نزلت بسبب ثابت بن قيس اشتكت منه[٢] امرأته لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال لها: أتردين عليه حديقته؟ قالت: نعم، فدعاه فطلقها على ذلك[٣] وحكمها على العموم وهو[٤] خطاب للأزواج في حكم الفدية وهي الخلع، وظاهرها أنه لا يجوز الخلع إلا إذا خاف الزوجان ألا يقيما حدود الله، وذلك إذا ساء ما بينهما وقبحت معاشرتهما، ثم إن المخالعة على أربعة أحوال:

الأول: أن تكون من غير ضرر من الزوج ولا من الزوجة فأجازها مالك وغيره لقوله تعالى ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً﴾ الآية[٥].

ومنعها قوم لقوله تعالى: ﴿إِلاَّ أَنْ يَّخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾.

والثاني: أن يكون الضرر منهما جميعا، فمنعه مالك في المشهور لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾، وأجازه الشافعي لقوله تعالى: ﴿إِلاَّ أَنْ يَّخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾.

والثالث: أن يكون الضرر من الزوجة خاصة فأجازه الجمهور لظاهر هذه الآية.

والرابع: أن يكون الضرر من الزوج خاصة فمنعه الجمهور لقوله تعالى ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾، وقد منع بعضهم الخلع مطلقا لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ

---

(١) قوله: (الآية) ساقط من (أ).

(٢) في (ف) و(ع): (به).

(٣) البخاري كتاب الطلاق باب الخلع الحديث رقم: (٥٢٧٣)، والنسائي في سننه: ٦/١٦٩ الحديث رقم: (٣٤٠٩)، وابن ماجه الحديث رقم: (٢٠٥٦)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٢٢٢٩)، وشرح السنة للبغوي الحديث رقم: (٢٣٤٩)..

(٤) في (ف) و(ع): (وهي).

(٥) قوله: (الآية) ساقط من (أ).

أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ الآية[١]، وأجازه أبو حنيفة مطلقا وقوله في ذلك مخالف للكتاب والسنة.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ خطاب للحكام والمتوسطين في هذا الأمر[٢]. ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ هذه هي الطلقة الثالثة بعد الطلقتين المذكورتين في قوله: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُۥ﴾ أجمعت الأمة على أن النكاح هنا هو العقد مع الدخول والوطء لقوله ﷺ للمطلقة ثلاثا حين أرادت الرجوع إلى مطلقها قبل أن يمسها الزوج الآخر: «لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك»[٣] وروي عن سعيد بن المسيب أن العقد يحلها دون وطء، وهو قول مرفوض لمخالفته للحديث[٤] وخرقه للإجماع، وإنما تحل عند مالك إذا كان النكاح صحيحا لا شبهة فيه، والوطء مباحا، في غير حيض، ولا إحرام، ولا اعتكاف، ولا صيام، خلافا لابن الماجشون في الوطء غير المباح، وأما نكاح المحلل فحرام ولا يحل الزوجة لزوجها عند مالك، خلافا لأبي حنيفة، والمعتبر في ذلك نية المحلل لا نية المرأة، ولا المحلل له، وقال قوم: من نوى التحليل منهم أفسد. ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ يعني هذا الزوج الثاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ أي على الزوجة والزوج الأول ﴿أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ أي أوامره فيما يجب من حقوق الزوجية[٥].

---

(١) قوله: (وقد منع بعضهم الخلع مطلقا لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ الآية) ساقط من (أ).

(٢) قوله: (الأمر) ساقط من (ف).

(٣) البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٢٦٣٩) كتاب الشهادات ومسلم الحديث رقم: (١٤٣٣)، والترمذي الحديث رقم: (١٠٣٧)، والنسائي في سننه الحديث رقم: (٣٣٥٦)، وابن ماجه الحديث رقم: (١٩٣٢)، والطبري في جامع البيان: ٤/٥٩٠..

(٤) قال ابن كثير: في تفسيره وفي صحته عنه نظر، ثم ساق روايات عنه عن ابن عمر بخلاف هذه الروايات: ١/٥١١ ثم علق بقوله: فبعيد أن يخالف ما رواه بغير سند، وحكى قول سعيد هذا الإمام النووي في شرحه على مسلم ونقله عن القاضي عياض. انظر شرح صحيح مسلم: ١٠/٣.

(٥) في (أ): (الزوجة).

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢٣٢) * وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣)

ربع

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ الآية[1] خطاب للأزواج وهو[2] نهي عن أن يطول الرجل العدة على المرأة مضارة منه لها بأن يرتجع قرب انقضاء العدة، ثم يطلق بعد ذلك، ومعنى ﴿بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ في هذا الموضع: قاربن انقضاء العدة، وليس المراد انقضاءها لأنه ليس بيده إمساك حينئذ، ومعنى: أمسكوهن راجعوهن ﴿مَعْرُوفٍ﴾ هنا قيل: هو الإشهاد، وقيل: النفقة.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ الآية هذه الأخرى خطاب للأولياء وبلوغ الأجل هنا انقضاء العدة ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ أي لا تمنعوهن ﴿أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ أي يراجعن الأزواج الذين طلقوهن، قال السهيلي: نزلت[3] في معقل بن يسار كان له أخت فطلقها زوجها ثم أراد مراجعتها وأرادت هي مراجعته فمنعها أخوها، وقيل: نزلت[4] في جابر بن عبد الله، وذلك أن رجلا طلق أخته وتركها حتى تمت عدتها، ثم أراد ارتجاعها فمنعها جابر، وقال: تركتها وأنت أملك بها، لا زوجتكها أبدا، فنزلت الآية، والمعروف هنا العدل، وقيل: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ هنا الإشهاد، وهذه الآية

---

(١) قوله: (الآية) ساقط من (أ).

(٢) في (أ): (وهي).

(٣) صحيح خرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير الحديث رقم: (٤٥٢٩)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٢٠٨٧)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٩٨١)، والطبري في جامع البيان: ١٧/٥.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢١/٥ بسند غير متصل، قال ابن كثير في تفسيره: ٥٢١/١ بعد أن أورد السببين، والصحيح الأول، يشير إلى نزولها في معقل بن يسار وأخته.

تقتضي ثبوت حق الولي في نكاح وليته، خلافا لأبي حنيفة. ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ خطاب للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكل أحد على حدته، ولذلك وحد ضمير الخطاب ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ خطاب للمؤمنين والإشارة إلى ترك العضل، ومعنى أزكى أطيب للنفس، ومعنى أطهر: أي[١] للدين والعرض.

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ خبر بمعنى الأمر، وتقتضي الآية حكمين:

الحكم الأول: من يرضع الولد. فمذهب مالك أن المرأة يجب عليها إرضاع ولدها ما دامت في عصمة والده، إلا أن تكون شريفة لا يرضع مثلها فلا يلزمها ذلك، وإن كان والده قد مات وليس للولد مال لزمها رضاعه في[٢] المشهور، وقيل: أجرة رضاعه على بيت المال، وإن كانت مطلقة بائنا لم يلزمها إرضاعه لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ إلا أن تشاء هي فهي أحق به بأجرة المثل، فإن لم يقبل غيرها وجب عليها إرضاعه، ومذهب الشافعي وأبي حنيفة أنها لا يلزمها إرضاعه أصلا، والأمر في هذه الآية عندهما على الندب، وقال أبو ثور: يلزمها على الإطلاق لظاهر الآية، وحملها على الوجوب، وأما[٣] مالك فحملها في موضع على الوجوب[٤] وفي موضع على الندب، وفي موضع على التخيير، حسبما ذكر[٥] من التقسيم في المذهب.

الحكم الثاني: مدة الرضاع، وقد ذكرها في قوله ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ وإنما وصفهما بكاملين لأنه يجوز أن يقال في حول وبعض آخر حولين[٦] فرفع ذلك الاحتمال وأباح الفطام قبل تمام الحولين بقوله تعالى ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾

(١) قوله: (أي) ساقط من (ف) و(ع).
(٢) في (ف): (على).
(٣) زاد في (ف): (مذهب).
(٤) قوله: (في موضع على الوجوب) ساقط من (ف).
(٥) في (ف): (ذكرنا).
(٦) في (ف) و(ع): (حولان).

واشترط أن يكون الفطام عن تراض الأبوين بقوله ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾ الآية فإن لم يكن على الولد ضرر في الفطام فلا جناح عليهما، ومن دعا منهما إلى تمام الحولين فذلك له، وأما بعد الحولين فمن دعا منهما إلى الفطام فذلك له، وقال ابن عباس[1]: إنما يرضع حولين من مكث في البطن ستة أشهر، فإن مكث سبعة فرضاعه ثلاثة وعشرون شهرا، وإن مكث تسعة فرضاعه إحدى وعشرون لقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَالُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾. ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ في هذه النفقة والكسوة قولان:

أحدهما: أنها أجرة رضاع الولد أوجبها الله للأم على الوالد وهو قول الزمخشري[2] وابن العربي[3].

الثاني: أنها نفقة الزوجات على الإطلاق، قال[4] منذر ابن سعيد[5] البلوطي: هذه الآية نص في وجوب نفقة الرجل على زوجته، وعلى ذلك[6] حملها ابن الفرس[7].

---

(١) صحيح أخرجه البيهقي في السنن الكبرى: ٧/٤٤٢، والحاكم في المستدرك: ٢/٢٨٥، والطبري في جامع البيان: ٥/٣٤ بإسناد صحيح وانظر الدر المنثور: ١/٦٨٨.

(٢) انظر الكشاف: ١/٣٠٧.

(٣) قال ابن العربي: الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: قَوْله تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ دَلِيلٌ عَلَى وُجُوبِ نَفَقَةِ الْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ لِعَجْزِهِ وَضَعْفِهِ؛ فَجَعَلَ اللهُ تَعَالَى ذَلِكَ عَلَى يَدَيْ أَبِيهِ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَشَفَقَتِهِ عَلَيْهِ؛ وَسَمَّى اللهُ تَعَالَى الْأُمَّ لِأَنَّ الْغِذَاءَ يَصِلُ إلَيْهِ بِوَسَاطَتِهَا فِي الرَّضَاعَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ﴾ لِأَنَّ الْغِذَاءَ لَا يَصِلُ إلَى الْحَمْلِ إلَّا بِوَسَاطَتِهِنَّ فِي الرَّضَاعَةِ؛ وَهَذَا بَابٌ مِنْ أُصُولِ الْفِقْهِ، وَهُوَ أَنَّ مَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إلَّا بِهِ وَاجِبٌ مِثْلُهُ. أحكام القرآن: ١/٤٠٢.

(٤) في (أ): (وقال).

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) في (أ): (وعلى هذا).

(٧) تقدمت ترجمته.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي على قدر حال الزوج في ماله والزوجة في منصبها، وقد بين ذلك بقوله: ﴿لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا﴾.

﴿لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ قرئ[١] بفتح الراء لالتقاء الساكنين على النهي، وبرفعها[٢] على الخبر ومعناه النهي، ويحتمل على كل واحد من الوجهين أن يكون الفعل مسندا إلى الفاعل فيكون ما قبل الآخر مكسورا قبل الإدغام، أو يكون مسندا إلى المفعول فيكون مفتوحا، والمعنى على الوجهين: النهي عن إضرار أحد الوالدين بالآخر بسبب الولد ويدخل في عموم النهي وجوه الضرر كلها والباء في قوله بولدها وبولده سببية والمراد بقوله ﴿وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ﴾ الوالد وإنما ذكره بهذا[٣] اللفظ إعلاما بأن الولد ينسب[٤] له لا للأم. ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَالِكَ﴾ اختلف في الوارث فقيل: وارث المولود له، وقيل: وارث الصبي لو مات، وقيل: هو الصبي نفسه، وقيل: من بقي من أبويه، واختلف في المراد بقوله ﴿مِثْلُ ذَالِكَ﴾ فقال مالك وأصحابه: عدم المضارة وذلك يجري مع كل قول في الوارث؛ لأن ترك الضرر واجب على كل أحد، وقيل: المراد أجرة الرضاع من النفقة والكسوة، ويختلف هذا القول بحسب الاختلاف في الوارث، فأما على القول بأن الوارث هو الصبي فلا إشكال؛ لأن أجرة رضاعه في ماله، وأما على سائر الأقوال فقيل: إن الآية منسوخة فلا تجب أجرة الرضاع على أحد غير الوالد، وقيل: إنها محكمة فتجب أجرة الرضاع على وارث الصبي لو مات[٥] أو على وارث الوالد وهو قول قتادة والحسن

---

(١) قال ابن الجزري: واختلفوا في ﴿لاَ تُضَآرَّ﴾ فقرأ ابن كثير والبصريان برفع الراء وقرأ الباقون بفتحها. واختلف عن أبي جعفر في سكونها مخففة فروى عيسى من طريق ابن مهران عن ابن شبيب وابن جماز من طريق الهاشمي بتخفيف الراء مع إسكانها كذلك النشر: ٢/٢٦٠، والبدور الزاهرة، ص: ٦٢.

(٢) في (أ): (وبرفعه).

(٣) في (ف): (هذا).

(٤) قوله: (ينسب) ساقط من (ع).

(٥) قال ابن العربي: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَالِكَ﴾ قَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ عَنْ مَالِكٍ: هِيَ مَنْسُوخَةٌ،=

البصري[1]. ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ﴾ إباحة لاتخاذ الظئر ﴿إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي دفعتم أجرة الرضاع.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً﴾ الآية عموم في كل متوفى عنها سواء توفي زوجها قبل الدخول أو بعده إلا الحامل فعدتها وضع حملها سواء وضعته قبل

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلاً مَّعْرُوفاً وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ ۞ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

ثمن

= وَهَذَا كَلَامٌ تَشْمَئِزُّ مِنْهُ قُلُوبُ الْغَافِلِينَ، وَتَحَارُ فِيهِ أَلْبَابُ الشَّادِينَ، وَالْأَمْرُ فِيهِ قَرِيبٌ؛ لِأَنَّا نَقُولُ: لَوْ ثَبَتَتْ مَا نَسَخَهَا إِلَّا مَا كَانَ فِي مَرْتَبَتِهَا، وَلَكِنَّ وَجْهَهُ أَنَّ عُلَمَاءَ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُفَسِّرِينَ كَانُوا يُسَمُّونَ التَّخْصِيصَ نَسْخًا؛ لِأَنَّهُ رَفْعٌ لِبَعْضِ مَا يَتَنَاوَلُهُ الْعُمُومُ وَمُسَامَحَةٌ، وَجَرَى ذَلِكَ فِي أَلْسِنَتِهِمْ حَتَّى أَشْكَلَ ذَلِكَ عَلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، وَهَذَا يَظْهَرُ عِنْدَ مَنِ ارْتَاضَ بِكَلَامِ الْمُتَقَدِّمِينَ كَثِيرًا. وَتَحْقِيقُ الْقَوْلِ فِيهِ أَنَّ قَوْله تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى مَا تَقَدَّمَ؛ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ رَدَّهُ إِلَى جَمِيعِهِ مِنْ إِيجَابِ النَّفَقَةِ وَتَحْرِيمِ الْإِضْرَارِ، مِنْهُمْ أَبُو حَنِيفَةَ مِنَ الْفُقَهَاءِ، وَمِنَ السَّلَفِ قَتَادَةُ وَالْحَسَنُ، وَيُسْنَدُ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَوْجَبُوا عَلَى قَرَابَةِ الْمَوْلُودِ الَّذِينَ يَرِثُونَهُ نَفَقَتَهُ إِذَا عَدِمَ أَبُوهُ فِي تَفْصِيلٍ طَوِيلٍ لَا مَعْنَى لَهُ.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ: إِنَّ قَوْله تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ لَا يَرْجِعُ إِلَى جَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ كُلِّهِ؛ وَإِنَّمَا يَرْجِعُ إِلَى تَحْرِيمِ الْإِضْرَارِ. الْمَعْنَى: وَعَلَى الْوَارِثِ مِنْ تَحْرِيمِ الْإِضْرَارِ بِالْأُمِّ مَا عَلَى الْأَبِ. وَهَذَا هُوَ الْأَصْلُ؛ فَمَنِ ادَّعَى أَنَّهُ يَرْجِعُ الْعَطْفُ فِيهِ إِلَى جَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ فَعَلَيْهِ الدَّلِيلُ؛ وَهُوَ يَدَّعِي عَلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مَا لَيْسَ مِنْهَا، وَلَا يُوجَدُ لَهُ نَظِيرٌ فِيهَا. أحكام القرآن: ١/٤٠٦، وانظر القرطبي: ٣/١٦٩ ففيه تفصيل حسن.

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان بأسانيد جيدة: ٥/٥٤، وعبد الرزاق في مصنفه: ٧/٦٠.

الأربعة الأشهر والعشر أو بعدها عند مالك والشافعي وجمهور العلماء، وقال علي[١] بن أبي طالب: عدتها أبعد الأجلين، وخص مالك من ذلك الأمة فعدتها في الوفاة شهران وخمس ليال، و﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ معناه عن التزوج[٢]، وقيل: عن الزينة فيكون أمرا بالإحداد، وإعراب الذين مبتدأ وخبره يتربصن على تقدير أزواجهم يتربصن، وقيل: التقدير: وأزواج الذين يتوفون منكم يتربصن، وقال الكوفيون: الخبر عن الذين متروك والقصد عن الإخبار عن أزواجهم ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ﴾ من التزوج والزينة ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ هنا إذا كان غير منكر، وقيل: معناه الإشهاد.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ﴾ الآية إباحة التعريض بخطبة المرأة المعتدة ويقتضي ذلك النهي عن التصريح ثم أباح ما يضمر في النفس بقوله: ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ أي تذكرونهن في أنفسكم بألسنتكم لم يخف عليكم، وقيل: أي ستخطبونهن إن لم تنتهوا عن ذلك ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي لا تواعدوهن في العدة خفية[٣] بأن تتزوجوهن بعد العدة، وقال مالك: فيمن يعد في العدة ثم يتزوج بعدها فراقها أحب إلي، ثم يكون خاطبا من الخطاب، وقال ابن القاسم: يجب فراقها ﴿إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ استثناء منقطع، والقول المعروف هو ما أبيح من التعريض كقوله: إنكم لأكفاء كرام، وقوله: إن الله سيفعل معك خيرا، وشبه ذلك ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ الآية نهي عن عقد النكاح قبل تمام العدة، والكتاب هنا القدر الذي

---

(١) أخرجه أبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ: ٢/٧٥، والبيهقي في السنن الكبرى: ٧/٤٣٠، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ١/٢٠٦ لابن المنذر وهذا الأثر له طرق عدة، وقد صححه الحافظ في الفتح: ٩/٣٨٤.

(٢) في (أ): (التزويج).

(٣) في (ع): (خيفة أن).

شرع فيه[١] من المدة. ومن تزوج امرأة في عدتها يفرق[٢] بينهما اتفاقا، فإن دخل بها حرمت عليه[٣] على التأبيد عند مالك خلافا للشافعي وأبي حنيفة، واختلف عن مالك في تأبيد التحريم إذا لم يدخل بها، وإذا دخل بها ولم يطأها.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ الآية، قيل: إنها إباحة للطلاق قبل الدخول، ولما[٤] نهى عن التزويج[٥] بمعنى الذوق وأمر بالتزويج[٦] طلب العصمة ودوام الصحبة ظن قوم أن من طلق قبل البناء وقع في المنهي عنه فنزلت الآية رافعة للجناح في ذلك[٧]، وقيل: إنها في بيان ما يلزم من الصداق والمتعة في الطلاق قبل الدخول، وذلك أن من طلق قبل الدخول فإن كان لم يفرض لها صداقا وذلك في نكاح التفويض فلا شيء عليه من الصداق لقوله: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ الآية والمعنى[٨]: لا طلب عليكم بشيء[٩] من الصداق ويؤمر بالمتعة لقوله تعالى ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ وإن كان قد فرض لها: فعليه نصف الصداق لقوله تعالى: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ ولا متعة عليه لأن المتعة إنما ذكرت لمن لم يفرض لها فقوله ﴿أَوْ تَفْرِضُواْ﴾ أو فيه بمعنى الواو ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أي أحسنوا إليهن وأعطوهن شيئا عند الطلاق، والأمر بالمتعة مندوب عند مالك، وواجب عند الشافعي. ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾ أي يمتع كل واحد[١٠] على قدر ما يجد، والموسع

---

(١) قوله: (فيه) ساقط من (ف) و(ع).

(٢) في (ف) و(ع): (فرق).

(٣) قوله: (عليه) ساقط من (ف) و(ع).

(٤) في (ف) و(ع): (لما).

(٥) في (ف) و(ع) (التزوج).

(٦) في (ف) و(ع): (بالتزوج).

(٧) لم نعثر على هذا الأثر مسندا، وقال ابن حجر في الكافي الشافي: ٢٨٥/١ مع الكشاف لم أجده.

(٨) في (ف) و(ع): (فالمعنى).

(٩) في (ف) و(ع): (لشيء).

(١٠) في (ع) و(ف): (أحد).

الغني ﴿ٱلْمُقْتِرِ﴾ الضيق الحال. وقرئ[1] بإسكان دال قدره وفتحها وهما بمعنى واحد[2] وبالمعروف هنا: أي لا حمل فيه ولا تكلف على أحد الجانبين ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ تعلق الشافعي في وجوب المتعة بقوله: حقا، وتعلق مالك بالندب في قوله: على المحسنين لأن الإحسان تطوع بما لا يلزم.

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ الآية بيان أن المطلقة قبل الدخول[3] لها نصف الصداق إذا كان قد[4] فرض لها صداق مسمى، بخلاف نكاح التفويض. ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾ النون فيه نون جماعة النسوة يريد المطلقات، والعفو هنا بمعنى الإسقاط أي للمطلقات قبل الدخول نصف الصداق إلا أن يسقطنه، وإنما يجوز إسقاط المرأة إذا كانت مالكة أمر نفسها ﴿أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ قال ابن عباس[5] ومالك وغيرهما: هو الولي الذي تكون المرأة في حجره كالأب في ابنته المحجورة والسيد في أمته، فيجوز له أن يسقط نصف الصداق الواجب لها بالطلاق قبل الدخول، وأجاز شريح[6] إسقاط غير الأب من الأولياء، وقال علي بن أبي طالب[7] والشافعي: الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج وعفوه أن يعطي النصف الذي سقط عنه من الصداق، ولا يجوز عندهما[8] أن يسقط الأب النصف الواجب لابنته، وحجة مالك أن قوله ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ في الحال،

(١) قال ابن الجزري: (قدره) الموضعين فقرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي وخلف وابن ذكوان وحفص بفتح الدال فيهما وقرأ الباقون بإسكانها منهما. النشر: ٢/٢٦٠..

(٢) قوله: (واحد) ساقط من (ف).

(٣) في (أ): (الدخول).

(٤) قوله: (قد) ساقط من (أ).

(٥) صحيح أخرجه عبد الرزاق: ٦/٢٨٣، وابن أبي شيبة في المصنف: ٤/٢٨٢، والطبري في جامع البيان: ٥/١٤٦، والدر المنثور: ١/٦٩٩.

(٦) أثر صحيح أخرجه الطبري في جامع البيان: ٥/١٤٨.

(٧) صحيح عن الإمام علي أخرجه الطبري في جامع البيان: ٥/١٥١.

(٨) في (ف) و(ع): (عندهم).

حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ﴿٢٣٦﴾ فإن خفتم فرجالا أو ركبانا فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴿٢٣٧﴾ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم في ما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم ﴿٢٣٨﴾ وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين ﴿٢٣٩﴾ كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون ﴿٢٤٠﴾ • ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴿٢٤١﴾ وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم ﴿٢٤٢﴾ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون ﴿٢٤٣﴾

ربع

والزوج ليس بيده بعد الطلاق عقدة النكاح، وحجة الشافعي قوله تعالى ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ فإن الزوج إذا تطوع بإعطاء النصف الذي لا يلزمه فذلك فضل، وأما إسقاط الأب لحق ابنته فليس فيه تقوى لأنه إسقاط حق الغير. ﴿وَلَا تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ قيل: إنه يعني إسقاط المرأة نصف صداقها، أو دفع الرجل النصف الساقط عنه، واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَالصَّلَوٰةِ الْوُسْطَىٰ﴾ جرد[1] ذكرها بعد دخولها في الصلاة اعتناء بها، وهي الصبح عند مالك وأهل المدينة، والعصر عند علي بن أبي طالب[2] لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر»[3]، وقيل: هي[4] الظهر، وقيل: المغرب، وقيل: هي العشاء الآخرة، وقيل: الجمعة وسميت الوسطى لتوسطها في عدد الركعات على القول بأنها المغرب لأنها بين الركعتين والأربع، أو لتوسط وقتها، على القول بأنها الصبح لأنها متوسطة بين الليل والنهار، وعلى القول

(١) في (أ): (جدد).

(٢) صحيح عن الإمام علي المصنف لابن أبي شيبة: ٢/٥٠٢، وابن حزم في المحلى: ٤/٣٧٠، وجامع البيان للطبري: ٥/١٧٠.

(٣) البخاري في صحيحه كتاب الجهاد باب الدعاء على المشركين بالهزيمة، الحديث رقم: (٢٩٣١)، ومسلم في صحيحه كتاب المساجد واللفظ له، الحديث رقم: (٩٩٣)، والنسائي الحديث رقم: (٤٦٩)، وابن ماجه الحديث رقم: (٦٧٦)، والطبري في جامع البيان: ٥/١٨٥..

(٤) قوله: (هي) ساقط من (ع) و(ف).

بأنها الظهر أو الجمعة لأنها في وسط النهار، أو لفضلها من الوسط وهو الخيار، وعلى هذا يجري اختلاف الأقوال فيها ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ﴾ معناه في صلاتكم ﴿قَٰنِتِينَ﴾ هنا ساكتين وكانوا يتكلمون في الصلاة حتى نزلت، قاله ابن مسعود[١] وزيد[٢] بن أرقم[٣]، وقيل: خاشعين، وقيل: هنا[٤] طول القيام.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ أي من عدو أو سبع أو غير ذلك مما يخاف منه على النفس ﴿فَرِجَالًا﴾ جمع راجل أي على رجليه ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ جمع راكب أي صلوا كيفما كنتم من ركوب أو غيره وذلك[٥] في صلاة المسايفة، ولا ينقص فيها من ركعتين في السفر، وأربع في الحضر عند مالك ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ الآية، قيل المعنى: إذا زال الخوف فصلوا الصلاة التي علمتموها وهي التامة، وقيل: إذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم هذه الصلاة التي تجزئكم في حال الخوف، فالذكر على القول الأول بمعنى الصلاة، وعلى الثاني بمعنى الشكر.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم﴾ هذه[٦] الآية منسوخة ومعناها: أن الرجل إذا مات كان لزوجه أن تقيم في منزله[٧] سنة وينفق

---

(١) صحيح أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العمل في الصلاة الحديث رقم: (١١٩٩)، ومسلم في صحيحه كتاب المساجد الحديث رقم: (٥٣٨)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٩٢٣)، والنسائي في سننه: ٣/١٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب العمل في الصلاة الحديث رقم: (١٢٠٠)، ومسلم في كتاب المساجد الحديث رقم: (٥٣٩)، والطبري في جامع البيان: ٥/٢٣٢.

(٣) هو زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن الأغر بن ثعلبة الأنصاري كنيته أبو عمر، غزا مع النبي ﷺ سبع عشرة غزوة، وشهد صفين مع علي، ومات بالكوفة. سنة: ٦٨هـ له في كتب الحديث: ٧٠ حديثا. الإصابة: ٢/٥٨٩، والأعلام: ٣/٥٦.

(٤) قوله: (هنا) ساقط من (أ).

(٥) قوله: (وذلك) ساقط من (ف).

(٦) قوله: (هذه) ساقط من (ف) و(ع).

(٧) في (ف): (بيته).

عليها من ماله وذلك وصية لها، ثم نسخ إقامتها سنة بالأربعة الأشهر والعشر، ونسخت النفقة بالربع أو الثمن الذي لها في[1] الميراث حسبما ذكر في سورة النساء، وإعراب وصية مبتدأ وخبره لأزواجهم، أو مضمر تقديره فعليهم وصية، وقرئت بالنصب[2] على المصدر تقديره ليوصوا وصية، ومتاعا نصب على المصدر ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ أي ليس لأولياء الميت إخراج المرأة ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ معناه إذا كان الخروج من قبل المرأة فلا جناح على أحد فيما فعلت في نفسها من تزوج وزينة.

﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌ﴾ عام في إمتاع كل مطلقة، وبعمومه أخذ أبو ثور واستثنى الجمهور المطلقة قبل الدخول وقد فرض لها بالآية المتقدمة منه[3]، واستثنى مالك المختلعة والملاعنة. ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ يدل على وجوب المتعة وهي الإحسان للمطلقات لأن التقوى واجبة، ولذلك قال بعضهم: نزلت مؤكدة للمتعة لأنه نزل قبلها ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فقال رجل: فإن لم أرد أن أحسن لم أمتع. فنزلت[4] ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ رؤية قلب ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ وهم قوم من بني إسرائيل أمروا بالجهاد فخافوا الموت بالقتال فخرجوا من ديارهم فرارا من ذلك، فأماتهم الله ليعرفهم أنه لا ينجيهم من الموت شيء، وقيل: بل فروا من الطاعون ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ جمع ألف قيل ثمانون ألفا، وقيل: ثلاثون ألفا، وقيل: ثمانية آلاف، وقيل: هو من الألفة وهذا[5] ضعيف ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟﴾ عبارة عن إماتتهم،

---

(١) في (ف) و(ع):: (من).

(٢) قال محمد بن الجزري ﴿وَصِيَّةٌ﴾ قرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص ﴿وَصِيَّةً﴾ بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع. النشر: ٢/٢٦٠.

(٣) قوله: (منه) ساقط من (ف) و(ع).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٥/٢٦٤ بسند فيه انقطاع، وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف، انظر التهذيب: ٦/١٧٧.

(٥) في (أ) و(ع): (وهو).

وقيل: إن ملكين صاحا بهم موتوا فماتوا ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ ليستوفوا آجالهم.

﴿وَقَاتِلُواْ﴾ خطاب لهذه الأمة، وقيل: للذين أماتهم الله ثم أحياهم.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ استفهام يراد به الطلب والحض على الإنفاق، وذكر لفظ القرض تقريبا للأفهام؛ لأن المنفق ينتظر الثواب كما ينتظر المسلف رد ما أسلف، وروي أن الآية نزلت في أبي الدحداح حين تصدق بحائط لم يكن له غيره[(١)] ﴿قَرْضاً حَسَناً﴾ أي خالصا طيبا من حلال من غير من ولا أذى ﴿فَيُضَاعِفَهُ﴾ قرئ[(٢)] بالتشديد والتخفيف وبالرفع على الاستئناف أو عطفا على يقرض وبالنصب في جواب الاستفهام ﴿أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾ عشرة فما فوقها إلى سبعمائة ﴿يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾ إخبار يراد به الترغيب في الإنفاق.

---

(١) روى الطبري في جامع البيان: ٢٨٤/٥، والبزار في مسنده: ٤٠٢/٥، وابن كثير في تفسيره: ٥٥١/١ عن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ قال أبو الدحداح: يا رسول الله إن الله يريد منا القرض؟ قال: نعم يا أبا الدحداح، قال: أرني يدك، قال فناوله يده، قال: أقرضت ربي حائطي، وحائطه فيه ست مائة نخلة فجاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيها وعيالها فنادى يا أم الدحداح قالت لبيك فقال: أخرجي فقد أقرضت ربي، وهذا الأثر ضعفه أحمد شاكر في تعليقه على الطبري: ٢٨٥/٥، وأما ما قال ابن جزي: إن الآية نزلت في أبي الدحداح فلم نعثر عليه مسندا، لكن قال ابن عطية: (ويروى أن هذه الآية لما نزلت قال أبو الدحداح يا رسول الله أو إن الله يريد منا القرض؟ قال: نعم يا أبا الدحداح، قال: فإني قد أقرضت الله حائطي لحائط فيه ستمائة نخلة، ثم جاء الحائط وفيه أم الدحداح فقال: اخرجي فإني قد أقرضت ربي حائطي هذا، قال فكان رسول الله ﷺ يقول: «كم من عذق مذلل لأبي الدحداح في الجنة»...) المحرر الوجيز: ٣٢٢/١.

(٢) قال ابن الجزري: واختلفوا في ﴿فَيُضَاعِفَهُ﴾ هنا والحديد؛ فقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب بنصب الفاء فيهما، وقرأ الباقون بالرفع، واختلفوا في حذف الألف وتشديد العين منهما ومن (يضعف، ومضعفة) وسائر الباب، فقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب بالتشديد مع حذف الألف في جميع القرآن. وقرأ الباقون بالإثبات والتخفيف. النشر: ٢٦٠/٢.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ۞ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

ثمن

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ﴾ رؤية قلب وكانوا قوما نالتهم الذلة من أعدائهم، فطلبوا الإذن في القتال، فلما أمروا به كرهوه ﴿لِنَبِيٍّ لَهُمُ﴾ قيل: اسمه شمويل، وقيل: شمعون ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ أي قاربتم وأراد النبي المذكور أن يتوثق منهم، ويجوز في السين من عسيتم الكسر والفتح وهو أفصح. ولذلك انفرد نافع بالكسر[1] وأما إذا لم يتصل بعسى ضمير فلا يجوز فيها إلا الفتح.

﴿طَالُوتَ مَلِكًا﴾ قال وهب بن منبه[2] أوحى الله إلى نبيئهم: إذا دخل عليك

---

(١) قال ابن الجزري: ﴿عَسَيْتُمْ﴾ هنا والقتال قرأ نافع بكسر السين فيهما وقرأ الباقون بفتحها. النشر: ٢/٢٦٢.

(٢) وهب بن منبه الأبناوي الصنعاني الذماري، أبو عبد الله: مؤرخ، كثير الأخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين ولا سيما الإسرائيليات، يعد في التابعين، أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن، وأمه من حمير، ولد ومات بصنعاء وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها، وكان يقول: سمعت اثنين وتسعين كتابا كلها أنزلت من السماء، اثنان وسبعون منها في الكنائس، وعشرون في أيدي الناس لا يعلمها إلا قليل، ووجدت في كلها أن من أضاف إلى نفسه شيئا من المشيئة فقد كفر، ومن كلامه، وينسب إلى غيره: إذا دخلت الهدية من الباب خرج الحق من الكوة! واتهم بالقدر، ورجع عنه، ويقال: ألف فيه «كتابا» ثم ندم عليه، وحبس في كبره وامتحن، قال صالح بن طريف: لما قدم يوسف بن عمر العراق، بكيت، وقلت: هذا الذي ضرب وهب بن منبه حتى قتله، وفي «طبقات الخواص» أنه صحب ابن عباس ولازمه ثلاث عشرة سنة، من كتبه: «ذكر الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم» رآه ابن خلكان في مجلد واحد، وقال: هو من الكتب المفيدة، وله «قصص الأنبياء ـ خ» و«قصص الأخيار» ذكرهما صاحب كشف الظنون. توفي سنة: ١١٤هـ الأعلام للزركلي: ٨/١٢٦.

رجل فنش[١] الدهن الذي في القرن[٢] فهو ملكهم[٣]، وقال السدي: أرسل الله إلى نبيهم عصا وقال له إذا دخل عليك رجل على طول هذه العصا فهو ملكهم فكان ذلك طالوت[٤] ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ روي[٥]: أنه كان دباغا ولم يكن من بيت الملك، والواو في قوله: ﴿وَنَحْنُ﴾ واو الحال والواو في قوله ﴿وَلَمْ يُؤْتَ﴾ لعطف الجملة على الأخرى ﴿بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ كان عالما بالعلوم، وقيل: بالحروب، وكان أطول رجل يصل إلى منكبه. ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ رد عليهم في اعتقادهم أن الملك يستحق بالبيت أو المال.

﴿أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ كان هذا التابوت قد تركه موسى عند يوشع فجعله يوشع في البرية فبعث الله ملائكة حملته فجعلته[٦] في دار طالوت، وفيه قصص كثيرة غير ثابتة. ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ قيل: رمح فيه[٧] رأس ووجه كوجه الإنسان، وقيل: طست من ذهب تغسل فيه قلوب الأنبياء، وقيل: رحمة وقيل: وقار ﴿وَبَقِيَّةٌ﴾ قال[٨]..

---

(١) نش الماء ينش نشا، ونشيشا: صوت عند الغليان.

(٢) قال أحمد محمد شاكر في تعليقه على هذه الرواية في الطبري: ٣٠٧/٥ القرن: قرن الثور وغيره، وكأنه أراد هنا: القنينة التي يكون فيها الدهن والطيب، وكأنهم كانوا يتخذونها من قرون البقر وغيرها، وقد سموا المحجمة التي يحتجم بها «قرنا» ولم أجد هذا الحرف بهذا المعنى في كتب اللغة، ولكنه صحيح كما رأيت.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٠٦/٥ بسند ضعيف جدا، ولفظ الألوسي في تفسيره: انظر القرن الذي فيه الدهن في بيتك، فإذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذي فيه، فهو ملك بني إسرائيل فأدهن رأسه منه وملكه عليهم. روح المعاني: ١٦٦/٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٠٩/٥، وهو من الإسرائيليات وإسناده حسن إلى السدي وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧٥٢/١ لابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٠٦/٥ عن وهب بن منبه بسند ضعيف.

(٦) في (ف) و(ع): (فجعلوه).

(٧) في (ف) و(ع): (فيها).

(٨) قوله: (قال) ساقط من (ف) و(ع).

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢٥٢)﴾

ابن عباس[(١)]: هي عصى موسى ورضاض الألواح[(٢)]، وقيل: العصا والنعلان، وقيل: ألواح من التوراة ﴿ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ يعني أقاربهما قال الزمخشري[(٣)]: يعني الأنبياء من بني إسرائيل، ويحتمل أن يريد موسى وهارون وأقحم الآل[(٤)].

﴿فَصَلَ طَالُوتُ﴾ أي خرج من موضعه إلى الجهاد ﴿بِنَهَرٍ﴾ قيل: هو نهر فلسطين ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ﴾ الآية اختبر طاعتهم بمنعهم من الشرب باليد ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غَرْفَةً﴾ رخص لهم في الغرفة باليد وقرئ[(٥)] بفتح الغين وهو المصدر، وبضمها هو الاسم، ﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قيل: كانوا ثمانين ألفا فشربوا منه كلهم إلا ثلاثمائة[(٦)] وبضعة عشر عدد أصحاب بدر، فأما من شرب فاشتد عليه العطش، وأما من لم يشرب فلم يعطش. ﴿بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ كان كافرا عدوا

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٣١/٥، والسيوطي في الدر المنثور: ٧٥٨/١.

(٢) رضاض الألواح بضم الراء أي فتاتها.

(٣) قال الزمخشري: «فإن قلت: من آل موسى وآل هارون».

قلت: الأنبياء من بني يعقوب بعدهما؛ لأن عمران هو ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب فكان أولاد يعقوب آلهما، ويجوز أن يراد مما تركه موسى وهارون والآل مقحم لتفخيم شأنهما. ٣٢١/١.

(٤) في (أ): (الأهل).

(٥) قال ابن الجزري: ﴿غَرْفَةً﴾ قرأ المدنيان وابن كثير وأبو عمرو بفتح الغين. وقرأ الباقون بضمها النشر: ٢٦٢/٢.

(٦) في (ف) و(ع): (ثمان مئة) وهو خطأ.

• تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

لهم وهو ملك العمالقة، ويقال[1] إن البربر من ذريته ﴿يَظُنُّونَ﴾ أي يوقنون وهم أهل البصائر من أصحابه.

﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾ كان داود في جند طالوت فقتل جالوت فأعطاه الله ملك بني إسرائيل، وفي ذلك قصص كثيرة غير صحيحة[2] ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ هنا النبوءة والزبور ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ صنعة الدروع ومنطق الطيور[3] وغير ذلك ﴿وَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ﴾ الآية منة على العباد بدفع بعضهم ببعض وقرئ دفاع بالألف ودفع بغير ألف[4] والمعنى متفق[5].

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾ الإشارة إلى جماعتهم ﴿فَضَّلْنَا﴾ نص في التفضيل في الجملة من غير تعيين مفضول كقوله ﷺ: «لا تخيروا بين الأنبياء»[6]، و«لا

---

(١) في (ع): (وقيل).

(٢) في (ف) و(ع): (كثير غير صحيح).

(٣) في (ف) و(ع): (الطير).

(٤) قال ابن الجزري: ﴿دِفَاعُ اللَّهِ﴾ هنا والحج قرأ المدنيان ويعقوب بكسر الدال وألف بعد الفاء وقرأ الباقون ﴿دَفْعُ﴾ بفتح الدال وإسكان الفاء من غير ألف. النشر: ٢/٢٦٣..

(٥) قوله: (﴿وَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ﴾ الآية منة على العباد... والمعنى متفق) ساقط من (ف).

(٦) هو طرف من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعا قال: «لا تخيروا بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق أم حوسب بصعقته الأولى». أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٢٤١٢) واللفظ له، ومسلم في صحيحه رقم: (٣٣٩٨)، وأبو داود في سننه كتاب السنة الحديث رقم: (٤٦٦٨)، وابن حبان في صحيحه: ١٤/١٣٠، وأحمد: ٣/٣١.

تفضلوني على يونس بن متى»[(١)] فإن معناه النهي عن تعيين المفضول لأنه تنقيص له، وذلك غيبة ممنوعة، وقد صرح ﷺ بفضله على جميع الأنبياء بقوله: «أنا سيد ولد آدم»[(٢)] لا بفضله على واحد بعينه، فلا تعارض بين الحديثين ﴿مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ هو[(٣)] موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ﴾ قيل: هو محمد ﷺ لتفضيله على الأنبياء بأشياء كثيرة، وقيل: هو إدريس لقوله ﴿وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ فالرفعة على هذا في المسافة، وقيل: هو مطلق في كل من فضله الله منهم ﴿مِنۢ بَعْدِهِم﴾ أي من بعد الأنبياء والمعنى بعد كل نبيء لا بعد الجميع ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ كرره تأكيدا وليبني عليه ما بعده.

﴿أَنفِقُوا۟﴾ يعم الزكاة والتطوع ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ أي لا يتصرف أحد في ماله والمراد لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق في الدنيا ويدخل فيه نفي الفدية لأنها[(٤)] شراء الإنسان نفسه ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ أي مودة نافعة لأن كل أحد يومئذ مشغول بنفسه. ﴿وَلَا شَفَـٰعَةٌ﴾ أي ليس في يوم القيامة شفاعة إلا بإذن الله فهي في الحقيقة رحمة من الله للمشفوع فيه وكرامة للشافع ليس فيها تحكم على الله، وعلى هذا يحمل ما ورد من نفي الشفاعة في القرآن أعني أنها لا تقع إلا بإذن الله فلا تعارض بينه وبين إثباتها، وحيث ما كان سياق الكلام في أهوال يوم القيامة

(١) هذا اللفظ ليس محفوظا عند أهل العلم، ولكن الرسول ﷺ قال: لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى، أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٣٤١٦) كتاب الأنبياء ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل الحديث رقم: (٢٣٧٦)، وأبو داود كتاب السنة الحديث رقم: (٤٦٦٩).

(٢) جزء من حديث صحيح عن أبي هريرة وأنس، رواه البخاري في صحيحه رقم: (٣٣٤٠)، ومسلم الحديث رقم: (٤٢٢٣)، وأبو داود الحديث رقم: (٤٠٥٣)، والترمذي الحديث رقم: (٣٠٧٣).

(٣) قوله: (هو) ساقط من (أ).

(٤) في (أ): (لأنه).

والتخويف بها نفيت الشفاعة على الإطلاق مبالغة في التهويل، وحيث ما كان سياق الكلام تعظيم الله نفيت الشفاعة إلا بإذنه ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ قال عطاء بن دينار[١]: الحمد لله الذي قال هكذا، ولم يقل: والظالمون هم الكافرون.

﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ هذه آية الكرسي وهي أعظم آية في القرآن حسبما ورد في الحديث[٢] وجاء فيها فضل كبير في الحديث الصحيح[٣] وفي غيره ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ تنزيه لله تعالى عن الآفات البشرية والفرق بين السنة والنوم أن السنة هي ابتداء النوم لا نفسه كقول القائل:

❊ في عينه سنة وليس بنائم[٤] ❊

﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ﴾ استفهام يراد[٥] به نفي الشفاعة إلا بإذن الله فهي في الحقيقة راجعة إليه ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الضميران عائدان[٦] على من يعقل ممن تضمنه قوله ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ والمعنى يعلم ما كان قبلهم وما يكون[٧] بعدهم..

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٨٥/٥ بإسناد حسن.

(٢) روى أبو داود أن رسول الله ﷺ قال: أبا المنذر أي آية معك أعظم في كتاب الله؟ قال: قلت: الله لا إله إلا هو الحي القيوم، قال: فضرب في صدري وقال: ليهن لك يا أبا المنذر العلم، أبو داود الحديث رقم: (١٢٤٨)، وفي سنن الترمذي ما خلق الله من شيء أعظم من آية الكرسي الحديث رقم: (٢٨٠٩)، وورد أنها ربع القرآن، كما في المسند، الحديث رقم: (١٢٨٣١).

(٣) البخاري الحديث رقم: (٢٣١١)، والحديث رقم: (٣٢٧٥)، وتقدم تخريجه.

(٤) هذا عجز بيت لعدي بن الرقاع العاملي، وهو من بحر (الكامل)، وتمامه:

وسنان أقصده النعاس فرنقت   في عينه سنة وليس بنائم

انظر الطبري: ٣٨٩/٥، والمحرر الوجيز: ٣٠٦/١، والكشاف: ٢٢٥/١، ولسان العرب مادة: (وسن) و(رنق).

(٥) في (أ): (مراد).

(٦) في (أ): (الضمير عائد).

(٧) قوله: (يكون) ساقط من (ع).

وقال مجاهد[١]: ما بين أيديهم الدنيا، وما خلفهم الآخرة ﴿مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ من معلوماته أي لا يعلم عباده من معلوماته إلا ما شاء هو أن يعلموه ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ الكرسي مخلوق عظيم بين يدي العرش، وهو أعظم من السموات والأرض وهو بالنسبة إلى العرش كأصغر شيء، وقيل: كرسيه علمه، وقيل: كرسيه ملكه ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾ أي لا يثقله[٢] ولا يشق عليه[٣].

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ المعنى أن دين الإسلام في غاية الوضوح وظهور البراهين على صحته بحيث لا يحتاج أن يكره أحد على الدخول فيه بل يدخل فيه كل ذي عقل سليم من تلقاء نفسه دون إكراه، ويدل على ذلك قوله: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ أي قد تبين أن الإسلام رشد وأن الكفر غي فلا يفتقر بعد بيانه إلى إكراه، وقيل: معناها الموادعة وأن لا يكره أحد بالقتال على الدخول في الإسلام ثم نسخت بالقتال وهذا ضعيف لأنها مدنية، وإنما آيات[٤] المسالمة وترك القتال بمكة. ﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ العروة في الأجرام هي موضع الإمساك وشد الأيدي وهي هنا تشبيه واستعارة في الإيمان ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ لا انكسار لها ولا انفصال.

﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.

﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ جمع الطاغوت هنا وأفرد في غير هذا الموضع[٥] فكأنه اسم جنس لما عبد من دون الله، ولمن يضل الناس من الشياطين وبني آدم.

﴿ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ هو نمرود الملك وكان يدعي الربوبية فقال لإبراهيم

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٥/٣٩٦ بسند ضعيف.

(٢) في (أ): (يشغله).

(٣) قال ابن عطية: و﴿يَـُٔودُهُۥ﴾ معناه يثقله، يقال: آدني الشيء بمعنى أثقلني وتحملت منه مشقة، وبهذا فسر اللفظة ابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم. المحرر الوجيز: ١/٣٣٦.

(٤) في (أ): (آية).

(٥) قوله: (الموضع) ساقط من (ع).

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ ﴿٢٥٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٦﴾ • ثمن • أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِيمَ فِي رَبِّهِۦ أَنْ ءَاتَىٰهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٧﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٨﴾

من ربك؟ ﴿قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ فقال نمروذ ﴿أَنَا أُحْيِۦ وَأُمِيتُ﴾ وأحضر رجلين فقتل أحدهما وترك الآخر فقال: قد أحييت هذا وأمت هذا، فقال له إبراهيم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ﴾ أي انقطع وقامت عليه الحجة، فإن قيل: لم انتقل إبراهيم عن دليله الأول إلى هذا الدليل الثاني والانتقال علامة الانقطاع؟ فالجواب: أنه لم ينقطع ولكنه لما ذكر الدليل الأول وهو الإحياء والإماتة كان له حقيقة وهو فعل الله ومجازا وهو فعل غيره فتعلق نمروذ بالمجاز غلطا منه أو مغالطة فحينئذ انتقل إبراهيم إلى الدليل الثاني لأنه لا مجاز له ولا يمكن الكافر عدول عنه أصلا[1].

﴿أَوْ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ تقديره: أو رأيت مثل الذي فحذف لدلالة ألم تر عليه لأن كلتيهما كلمة[2] تعجب ويجوز أن يحمل على المعنى كأنه يقول[3]: أرأيت كالذي حاج إبراهيم أو كالذي مر على قرية، وهذا المار قيل: إنه عزير، وقيل: الخضر فقوله ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ﴾ ليس إنكارا للبعث ولا استبعادا ولكنه استعظام لقدرة الذي يحيي الموتى، أو سؤال عن كيفية الإحياء وصورته لا شك في وقوعه، وذلك مقتضى كلمة أنى، فأراه الله ذلك عيانا ليزداد بصيرة، وقيل: بل كان كافرا

(١) قوله: (أصلا) ساقط من (ف) و(ع).

(٢) في (أ): (كلمتا).

(٣) في (ف) و(ع) قيل.

وقالها إنكارا للبعث واستبعادا، فأراه الله الحياة بعد الموت في نفسه وذلك أعظم برهان ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ أي خالية من الناس، وقال السدي[(١)]: سقطت سقوفها[(٢)] وهي العروش ثم سقطت الحيطان على السقف ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ﴾ ظاهر هذا اللفظ إحياء هذه[(٣)] القرية بالعمارة بعد الخراب، ولكن المعنى إحياء أهلها بعد موتهم لأن ذلك هو الذي يمكن فيه الشك أو الإنكار، ولذلك أراه الله الحياة بعد موته، والقرية كانت بيت المقدس لما خربه بختنصر، وقيل: قرية الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ سؤال على وجه التقرير[(٤)] ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ استقل مدة موته، قيل: أماته الله غدوة يوم ثم بعثه قبل الغروب من يوم آخر بعد مائة عام فظن أنه يوم واحد، ثم رأى بقية من الشمس فخاف أن يكذب في قوله: ﴿يَوْمًا﴾ فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾. ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ﴾ قيل: كان طعامه تينا وعنبا وأن شرابه كان عصيرا ولبنا ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ معناه لم يتغير بل بقي على حاله طول مائة عام وذلك أعجوبة إلّهية، واللفظ يحتمل أن يكون مشتقا من السنه لأن لامها هاء فتكون الهاء في يتسنه أصلية أي لم تغيره السنون[(٥)] ويحتمل أن يكون مشتقا من قولك: تسنن الشيء إذا فسد، ومنه الحمأ المسنون ثم قلبت النون حرف علة كقولهم: قصيت أظفاري، ثم حذف حرف العلة للجازم، والهاء على هذا هاء السكت ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ قيل: بقي حماره حيا طول المائة عام دون علف ولا ماء، وقيل: مات ثم أحياه الله وهو ينظر إليه ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ التقدير فعلنا بك هذا لتكون آية للناس، وروي أنه قام شابا على حالته يوم مات

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٥/٤٤٦.

(٢) في (ف) و(ع): (سقط سقفها).

(٣) قوله: (هذه) ساقط من (ف) و(ع).

(٤) في (ف): (التعجيز).

(٥) قال الزمخشري: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم تمر عليه السنون التى مرت عليه يعني هو بحاله كما كان كانه لم يلبث مائة سنة، الكشاف: ٢/٣٣٩، وقال البيضاوي: لم يتغير بمرور الزمان: ١/٢٩٠.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٦٠) مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢) • قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤)

ربع

فوجد أولاده وأولادهم شيوخا ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾ هي عظام نفسه، وقيل: عظام الحمار على القول بأنه مات ﴿نُنشِرُهَا﴾ بالراء نحييها[١] وقرئ بالزاي ومعناه نرفعها للإحياء ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ بهمزة قطع وضم الميم أي قال الرجل ذلك اعترافا وقرئ[٢] بألف الوصل والجزم على الأمر أي قال له الملك ذلك.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ الآية[٣]، قال الجمهور: لم يشك إبراهيم في إحياء الموتى وإنما طلب المعاينة لأنه رأى دابة قد أكلتها السباع والحيات فسأل ذلك السؤال ويدل على ذلك قوله: كيف فإنها سؤال عن حال الإحياء وصورته لا عن وقوعه ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ أي بالمعاينة ﴿أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ قيل: هي الديك، والطاوس، والحمام، والغراب، فقطعها وخلط أجزاءها ثم جعل من المجموع جزءا على كل جبل وأمسك رؤوسها[٤] بيده ثم قال: تعالين بإذن الله فتطايرت تلك الأجزاء حتى التأمت وبقيت بلا رؤوس ثم

---

(١) ﴿نُنشِزُهَا﴾ فقد قرأ ابن عامر والكوفيون بالزاي المنقوطة. وقرأ الباقون بالراء المهملة. النشر: ٢/٢٦٤..

(٢) قال ابن الجزري: واختلفوا في وصل همزة ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ والجزم فقرأ حمزة والكسائي بالوصل وإسكان الميم على الأمر، وإذا ابتدءا كسرا همزة الوصل. وقرأ الباقون بقطع الهمزة والرفع على الخبر. النشر: ٢/٢٦٤.

(٣) قوله: (الآية) ساقط من (ف).

(٤) في (أ): (رأسها).

كرر النداء فجاءته تسعى حتى وضعت أجسادها في رؤوسها وطارت بإذن الله ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ أي ضمهن، وقيل: قطعهن على كل جبل، قيل: أربعة جبال، وقيل: سبعة، وقيل: الجبال التي وصل إليها حينئذ من غير حصر بعدد.

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ظاهره الجهاد وقد[1] يحمل على جميع وجوه البر. ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ كل ما يزرع ويقتات وأشهره القمح وفي الكلام حذف تقديره: مثل نفقة الذين ينفقون كمثل حبة أو يقدر في آخر الكلام كمثل صاحب حبة ﴿أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ بيان أن الحسنة بسبعمائة كما جاء في الحديث أن رجلا جاء بناقة فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة»[2]. ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ أي يزيده على سبعمائة، وقيل: هو تأكيد وبيان للسبعمائة، والأول أرجح لأنه ورد في الحديث[3] ما يدل عليه.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ الآية، قيل: نزلت في عثمان، وقيل: في علي، وقيل: في عبد الرحمن ابن عوف[4] ﴿مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾ المن ذكر النعمة على معنى التعديد لها

---

(١) في (ف): (وقيل).

(٢) صحيح أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٨٩٢)، والنسائي في سننه: ٤٩/٦، والمسند: ١٢١/٤، وابن حبان في صحيحه: ٥٠٦/١٠ عن ابن مسعود قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ بناقة مخطومة، فقال: يا رسول الله هذه في سبيل الله، فقال له رسول الله ﷺ: «لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُمِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ»..

(٣) في سنن ابن ماجه ـ حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة. حدثنا أبو معاوية ووكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: ـ قال رسول الله ﷺ: «كل عمل ابن آدم يضاعف» الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله. يقول الله إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به. يدع شهوته من أجلي. للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. الحديث رقم: (١٦٣٨). [وقوله: لخلوف أي تغير رائحة الفم]. قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٤) الصحيح أنها نزلت في عثمان فعن عبد الرحمن بن سمرة قال جاء عثمان رضي الله عنه بألف دينار في جيش العسرة، وضعها في حجر رسول الله ﷺ فرأينا النبي ﷺ يدخل يده=

والتقريع بها والأذى السب.

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ هو رد السائل بجميل من القول كالدعاء له والتأنيس ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ أي[1] عفو عن السائل إذا وجد منه جفاء، وقيل: مغفرة من الله بسبب[2] الرد الجميل، والمعنى: تفضيل عدم العطاء إذا كان بقول معروف ومغفرة على العطاء الذي يتبعه أذى.

﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾ عقيدة أهل السنة أن السيئات لا تبطل الحسنات، فقالوا في هذه الآية إن الصدقة التي يعلم الله من صاحبها أنه يمن أو يؤذي لا تقبل منه، وقيل: إن المن والأذى دليل على أن نيته لم تكن خالصة فلذلك بطلت صدقته ﴿كَالَّذِي يُنفِقُ﴾ تمثيل لمن يمن ويؤذي بالذي ينفق رياء[3] وهو غير مؤمن ﴿فَمَثَلُهُ﴾ أي مثل المرائي في نفقته كحجر عليه تراب يظنه من يراه أرضا منبتة طيبة فإذا أنزل عليها المطر انكشف التراب فيبقى[4] الحجر لا منفعة فيه، فكذلك المرائي يظن أن له أجرا فإذا كان يوم القيامة انكشف سره ولم تنفعه نفقته. ﴿صَفْوَانٍ﴾ حجر كبير ﴿وَابِلٌ﴾ مطر كثير ﴿صَلْدًا﴾ أملس. ﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾ أي لا يقدرون على الانتفاع بثواب شيء من إنفاقهم وهو كسبهم.

﴿وَتَثْبِيتًا﴾ أي تيقنا وتحقيقا للثواب لأن أنفسهم لها بصائر تحملهم على الإنفاق، ويحتمل أن يكون معنى التثبيت أنهم يثبتون أنفسهم على الإيمان باحتمال

= ويقلبها ويقول: «ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم»، فأنزل الله تعالى ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الترمذي الحديث رقم: (٣٧٠١) كتاب المناقب باب مناقب عثمان، وأحمد في المسند: ٥/٦٣ قال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي: ٣/٢٠٩.

(١) قوله: (أي) ساقط من (أ).

(٢) في (أ): (لسبب).

(٣) في (ف): (زيادة الناس).

(٤) في (ف): (فبقي).

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾

ثمن

المشقة في بذل المال. وانتصاب ابتغاء على المصدر في موضع الحال، وعطف عليه وتثبيتا ولا يصح في تثبيتا أن يكون مفعولا من أجله لأن الإنفاق ليس من أجل التثبيت فامتنع ذلك في المعطوف عليه وهو ابتغاء ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ تقديره: كمثل صاحب جنة، أو يقدر: أو[1] مثل نفقة الذين ينفقون[2] ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ لأن ارتفاع موضع الجنة أطيب لتربتها وهوائها ﴿فَطَلٌّ﴾ الطل: المطر[3] الرقيق الخفيف فالمعنى أنه[4] يكفي هذه الجنة لكرم أرضها.

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾ الآية مثل ضرب للإنسان يعمل عملا[5] صالحا حتى إذا كان عند آخر عمره ختم له بعمل السوء، أو مثل للكافر أو المنافق أو المرائي المتقدم ذكره آنفا، أو ذي[6] المن والأذى، فإن كل واحد منهم يظن أنه ينتفع بعمله فإذا كان وقت حاجته[7] إليه لم يجد شيئا، فشبههم الله بمن كانت له جنة ثم

(١) في (أ): (ولا مثل نفقة...).
(٢) قال أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس في تفسيره: ﴿كَمَثَلِ﴾: خبر، ولا بد من حذف مضاف، إما من المبتدإ أو الخبر، أي: مثل نفقة الذين ينفقون كمثل حبة، أو مثل الذين ينفقون كمثل باذر حبة... إلخ. البحر المديد: ٣٣٩/١.
(٣) قوله: (المطر) ساقط من (أ).
(٤) قوله: (أنه) ساقط من (أ).
(٥) قوله: (عملا) ساقط من (أ).
(٦) في (ع): (ذكر).
(٧) في (أ): (حاجة).

أصابتها الجائحة المهلكة أحوج ما كان إليها لشيخوخته وضعف ذريته، قالوا فالواو[١] في قوله وأصابه الكبر للحال ﴿إِعْصَارٌ﴾ أي ريح فيها سموم محرقة.

﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ والطيبات هنا عند الجمهور الجيد غير الرديء فقيل: إن ذلك في الزكاة فيكون واجبا، وقيل: في التطوع فيكون مندوبا لا واجبا؛ لأنه كما يجوز التطوع بالقليل يجوز بالرديء ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا﴾ من[٢] النبات والمعادن وغير ذلك ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ﴾ أي لا تقصدوا الرديء ﴿مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ في موضع الحال ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ الواو للحال، والمعنى أنكم لا تأخذونه في حقوقكم وديونكم إلا أن تتسامحوا بأخذه[٣] و﴿تُغْمِضُوا۟﴾ من قولك أغمض فلان عن بعض حقه إذا لم يستوفه، أو إذا غض بصره.

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ الآية دفع لما يوسوس به الشيطان من خوف الفقر، ففي ضمن ذلك حض على الإنفاق، ثم بين عداوة الشيطان بأمره بالفحشاء وهي المعاصي، وقيل: الفحشاء البخل، والفاحش عند العرب البخيل، قال ابن عباس[٤]: في الآية اثنتان من الشيطان واثنتان من الله، والفضل هو الرزق والتوسعة.

﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ﴾ قيل: هي المعرفة بالقرآن، وقيل: النبوءة، وقيل: الإصابة في القول والعمل.

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ الآية ذكر نوعين وهما ما يفعله الإنسان تبرعا، وما يفعله بعد إلزامه نفسه بالنذر، وفي قوله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ وعد بالثواب وفي قوله ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ وعيد لمن يمنع الزكاة، أو ينفق لغير الله.

---

(١) قوله: (فالواو) ساقط من (أ).

(٢) قوله: (من) ساقط من (ف) و(ع).

(٣) في (ف) و(ع): (إلا بأن تتسامحوا في أخذه).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان بإسناد ضعيف.

وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَنُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

ربع

﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ﴾ هي التطوع عند الجمهور لأنها يحسن إخفاؤها وإبداء الواجبة كالصلوات ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ ثناء على الإظهار ثم حكم أن الإخفاء خير من ذلك الإبداء، وما من نعما في موضع نصب تفسير للمضمر والتقدير فنعم شيء إبداؤها.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ قيل: إن المسلمين كانوا لا يتصدقون على أهل الذمة فنزلت الآية[1] مبيحة للصدقة على من ليس على دين الإسلام وذلك في التطوع، وأما الزكاة فلا تدفع لكافر أصلا، فالضمير في هداهم على هذا القول للكفار[2]، وقيل: ليس عليك أن تهديهم لما أمروا به من الإنفاق وترك المن والأذى والرياء والإنفاق من الخبيث، إنما عليك أن تبلغهم والهدى بيد الله، فالضمير على هذا للمسلمين ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ أي إن منفعته لكم لقوله: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ قيل: إنه خبر عن الصحابة أنهم لا ينفقون إلا ابتغاء وجه الله ففيه تزكية لهم وشهادة بفضلهم، وقيل: ما تنفقون نفقة تقبل منكم إلا ابتغاء

---

(١) لم نقف عليه مسندا، وجاء عن ابن عباس قال: كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسبائهم من المشركين، فسألوا فرخص لهم فنزلت هذه الآية النسائي: ٣٠٥/٦، ولفظ البيهقي في السنن الكبرى: كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَرْضَخُوا لأَنْسِبَائِهِمْ وَهُمْ مُشْرِكُونَ فَنَزَلَتْ (لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) حَتَّى بَلَغَ (وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ) قَالَ فَرُخِّصَ لَهُمْ. الحديث رقم: (٨٠٩٤)، وهذا الأثر بسند حسن. والرضخ: إعطاء شيء ليس بالكثير.

(٢) في (أ): (للكافر).

وجه الله ففي ذلك حض على الإخلاص.

﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ متعلق بمحذوف تقديره الإنفاق للفقراء وهم هنا المهاجرون ﴿أُحْصِرُواْ﴾ حبسوا بالعدو وبالمرض ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يحتمل الجهاد أو الدخول في الإسلام ﴿ضَرْباً فِي ٱلْأَرْضِ﴾ هو التصرف في التجارة وغيرها ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ﴾ أي يظن الجاهل بحالهم أنهم أغنياء لقلة سؤالهم والتعفف هنا هو عن الطلب ومن سببية، وقال ابن عطية[1]: لبيان الجنس ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ علامة وجوههم وهي ظهور الجهد والفاقة وقلة النعمة، وقيل: الخشوع، وقيل: السجود ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافاً﴾ الإلحاف[2] هو الإلحاح في السؤال، والمعنى: أنهم إذا سألوا يتلطفون ولا يلحون، وقيل: هو نفي السؤال والإلحاح معا، وباقي الآية وعد.

﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً﴾ تعميم لوجوه الإنفاق وأوقاته، قال ابن عباس[3]: نزلت في علي فإنه تصدق بدرهم بالليل وبدرهم بالنهار وبدرهم سرا وبدرهم علانية، وقال أبو هريرة[4]: نزلت في علف الخيل.

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ أي ينتفعون به، وعبر عن ذلك بالأكل لأنه أغلب المنافع وسواء من أعطاه أو من أخذه، والربا في اللغة الزيادة ثم استعمل في

---

(١) قال ابن عطية هنا: ومن في قوله ﴿مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ لابتداء الغاية أي من تعففهم ابتدأت محسبته، وليست لبيان الجنس؛ لأن الجاهل بهم لا يحسبهم أغنياء غناء تعفف وإنما يحسبهم أغنياء غناء مال، ومحسبته من التعفف ناشئة، وهذا على أنهم متعففون عفة تامة عن المسألة، وهو الذي عليه جمهور المفسرين؛ لأنهم قالوا في تفسير قوله تعالى ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافاً﴾ المعنى لا يسألون البتة، وتحتمل الآية معنى آخر من فيه لبيان الجنس سنذكره بعد... المحرر الوجيز: ٣٦٦/١.

(٢) قوله: (الإلحاف) ساقط من (ف).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ١٠٨/١، وابن كثير: ٦٠٠/١، والواحدي في أسبابه، ص: ٧٦ بأسانيد ضعيفة.

(٤) لم نجده مسندا، وهو في تفسير الدر المنثور منسوب لابن عباس: ١٠٠/٢.

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَٰنُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي الصَّدَقَٰتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ الزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَوٰاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾

الشريعة في بيوعات ممنوعة أكثرها راجع إلى الزيادة، فإن غالب الربا في الجاهلية قولهم للغريم: أتقضي أم تربي؟ فكان الغريم: يزيد في عدد المال ويصبر الطالب عليه، ثم إن الربا على نوعين: ربا النسيئة وربا التفاضل وكلاهما يكون في الذهب والفضة وفي الطعام.

فأما النسيئة: فتحرم في بيع الذهب بالذهب، وفي[1] بيع الفضة بالفضة، وفي بيع الذهب بالفضة وهو الصرف، وفي الطعام بالطعام مطلقا.

وأما التفاضل: فإنما[2] يحرم في بيع الجنس الواحد بجنسه من النقدين ومن الطعام، ومذهب مالك أنه إنما[3] يحرم التفاضل في المقتات المدخر من الطعام، ومذهب الشافعي أنه يحرم في كل طعام، ومذهب أبي حنيفة أنه يحرم في المكيل والموزون من الطعام وغيره.

﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَٰنُ مِنَ الْمَسِّ﴾ أجمع المفسرون أن المعنى لا يقومون من قبورهم في البعث إلا كالمجنون ويتخبطه يتفعله من قولك خبط يخبط والمس الجنون ومن تتعلق بيقوم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ تعليل للعقاب الذي يصيبهم وإنما هذا للكفار لأن قولهم: إنما البيع مثل الربا رد على الشريعة وتكذيب لها، ثم قد يأخذ العصاة بحظ من هذا الوعيد، فإن قيل:

(١) قوله: (في) ساقط من (أ).
(٢) في (ف): (فيحرم).
(٣) قوله: (إنما) ساقط من (أ).

هلا[١] قيل: إنما الربا مثل البيع لأنهم قاسوا الربا على البيع؟ في الجواز[٢] فالجواب: أن هذا[٣] مبالغة فإنهم جعلوا الربا أصلا حتى شبهوا به البيع. ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾ عموم يخرج منه البيوع الممنوعة شرعا، وقد عددناها في الفقه ثمانين نوعا ﴿وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ رد على الكفار وإنكار للتسوية بين البيع والربا، وفي ذلك دليل على أن القياس يهدمه النص لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم تحليل الله وتحريمه ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ أي له ما أخذ من الربا أي لا يؤاخذ بما فعل منه قبل نزول التحريم ﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الضمير عائد على صاحب الربا والمعنى أن الله يحكم فيه يوم القيامة فلا تؤاخذوه في الدنيا وقيل: الضمير عائد على الربا والمعنى: أن أمر الربا إلى الله في تحريمه أو غير ذلك ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ الآية[٤]، يعني من عاد إلى فعل الربا وإلى القول: إنما البيع مثل الربا، ولذلك حكم عليه بالخلود في النار؛ لأن ذلك القول لا يصدر إلا من كافر فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة؛ لكونها في الكفار.

﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ ينقصه ويذهبه ﴿وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ ينميها في الدنيا بالبركة، وفي الآخرة بمضاعفة الثواب ﴿كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ أي من يجمع بين الكفر والإثم بفعل الربا، وهذا يدل على أن الآية في الكفار.

﴿وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ سبب الآية أنه كان بين قريش وثقيف ربا في الجاهلية فلما فتح رسول الله ﷺ مكة قال في خطبته: «كل ربا كان في الجاهلية موضوع»[٥] ثم إن ثقيفا أرسلت تطلب الربا الذي كان لهم على قريش

(١) في (ف) و(ع): (فهلا).

(٢) قوله: (في الجواز) ساقط من (ف) و(ع).

(٣) في (ف) و(ع): (هذه).

(٤) قوله: (الآية) ساقط من (أ).

(٥) مسند الإمام أحمد الحديث رقم: (١٩٧٧٤)..

فأبوا من دفعه[١] وقالوا: قد وضع الربا فتحاكموا إلى عتاب بن أسيد[٢] أمير مكة فكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ فنزلت الآية[٣] ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ شرط لمن خوطب به من ثقيف وغيرهم.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ﴾ أي إن لم تنتهوا عن الربا حوربتم، ومعنى فأذنوا اعلموا، وقرئ[٤] بالمد أي أعلموا غيركم ولما نزلت قالت ثقيف: لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله[٥]. ﴿لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾ أي لا تظلمون بأخذ زيادة على رؤوس أموالكم، ولا تظلمون بالنقص منها.

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ كان تامة بمعنى حضر ووقع، وقرئ[٦] ذا عسرة أي إن كان الغريم ذا عسرة ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ حكم الله للمعسر بالإنظار إلى أن يوسر وقد كان قبل ذلك يباع فيما عليه ونظرة مصدر معناه التأخير وهو مرفوع على أنه خبر ابتداء تقديره: فالجواب نظرة، أو مبتدأ وميسرة أيضا مصدر وقرئ[٧] بضم السين وفتحها ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ندب الله إلى الصدقة على المعسر بإسقاط

---

(١) في (ف): (فأبوا أن يدفعوه).

(٢) هو عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس أبو عبد الرحمن وال أمير قرشي مكي من الصحابة كان شجاعا عاقلا من أشراف العرب في صدر الإسلام أسلم يوم فتح مكة واستعمله النبي ﷺ عليها عند مخرجه ت: ١٣هـ.
الاستيعاب: ١/١٢٨، والإصابة: ٦/٥٥١، والأعلام: ٤/١٩٩.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٦/٢٣ عن ابن جريج مرسلا وهو بسند جيد والواحدي في أسباب النزول: ١/٥٨.

(٤) قال ابن الجزري: واختلفوا) في ﴿فَأْذَنُواْ﴾ فقرأ حمزة وأبو بكر بقطع الهمزة ممدودة وكسر الذال، وقرأ الباقون بفتحها ووصل الهمزة. النشر: ١/٢٧٠..

(٥) مفاتيح الغيب: ٣/٩٠، وروح البيان: ٣/٣٥٧.

(٦) قال الزمخشري: وقرأ عثمان رضي الله عنه: ﴿ذا عسرة﴾ على وإن كان الغريم ذا عسرة، وقرئ: ﴿ومن كان ذا عسرة فنظرة﴾ أي فالحكم، أو فالأمر: نظرة وهي الإنظار. الكشاف: ١/٣٥٠.

(٧) قال ابن الجزري: ﴿مَيْسُرَةٍ﴾ قرأ نافع بضم السين وقرأ الباقون بفتحه. النشر: ٢/٢٧٠.

• يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى
فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب
كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل
الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا
فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع
أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين
من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان
ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر
إحداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا
أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ذلكم أقسط
عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون
تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح
ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب
ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم
واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم ﴿٢٨١﴾

الدين عنه فذلك أفضل من إنظاره، وباقي الآية وعظ، وقيل: إن آخر آية نزلت آية الربا، وقيل: بل قول: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ الآية[1]، وقيل: آية الدين المذكورة بعد.

﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾ أي إذا عامل بعضكم بعضا بدين، وإنما ذكر الدين وإن كان مذكورا في تداينتم ليعود عليه الضمير في اكتبوه، وليزول الاشتراك الذي في تداينتم إذ قد[2] يقال لمعنى[3] الجزاء ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمّٗى﴾ دليل على أنه لا يجوز إلى أجل مجهول، وأجاز مالك البيع إلى الجذاذ والحصاد لأنه معروف عند الناس، ومنعه الشافعي وأبو حنيفة قال ابن عباس[4]: نزلت الآية في السلم خاصة، يعني أن سلم أهل المدينة كان سبب نزولها قال مالك: وهذا يجمع الدين كله[5] يعني أنه يجوز التأخير في السلم والسلف وغيرهما ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ ذهب قوم: إلى أن كتابة الدين واجبة بهذه الآية، وقال قوم: إنها منسوخة بقوله[6] ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً﴾ وقال قوم: إنها على

---

(١) (الآية) زيادة من (ع).

(٢) (قد) ساقطة من (أ).

(٣) في (ف) و(ع): (بمعنى).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٦/٤٤ قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٥) تهذيب مسائل المدونة المسمى «التهذيب في اختصار المدونة» تصنيف أبي سعيد خلف بن أبي القاسم القيرواني البراذعي تحقيق أحمد فريد المزيدي. ٢/٥١.

(٦) في (أ): (لقوله).

الندب ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ﴾ قال قوم: يجب على الكاتب أن يكتب، وقال قوم آخرون[١]: نسخ ذلك بقوله: ﴿وَلاَيُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ﴾ وقال آخرون: يجب عليه إذا لم يوجد كاتب سواه، وقال قوم: إن الأمر بذلك على الندب ولذلك جاز أخذ الأجرة على كتب الوثائق. ﴿بِالْعَدْلِ﴾ يتعلق عند ابن عطية بقوله ﴿وَلْيَكْتُب﴾ وعند الزمخشري بقوله ﴿كَاتِبٌ﴾ فعلى الأول تكون الكتابة بالعدل وإن كان الكاتب غير مرضي، وعلى الثاني يجب أن يكون الكاتب مرضيا في نفسه، قال مالك: لا يكتب الوثائق إلا عارف بها عدل في نفسه مأمون[٢] ﴿وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ﴾ نهى عن الإباية وهو يقوي الوجوب ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ يتعلق بقوله: ﴿أَنْ يَكْتُبَ﴾ والكاف للتشبيه، أي يكتب مثل ما علمه الله، أو للتعليل: أي ينفع الناس بالكتابة كما علمه الله كقوله[٣]: ﴿وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾، وقيل: يتعلق بقوله بعدها ﴿فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ﴾ يقال أمللت الكتاب وأمليته فورد هنا على اللغة الواحدة وفي قوله: ﴿تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ على الأخرى ﴿الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ لأن الشهادة إنما هي باعترافه فإن كتب الوثيقة دون إملائه ثم أقر بها جاز. ﴿وَلاَ يَبْخَسْ﴾ أمر الله بالتقوى فيما يملي ونهاه عن البخس وهو نقص الحق ﴿سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾ السفيه الذي لا يحسن النظر في ماله، والضعيف: الصغير وشبهه، والذي لا يستطيع أن يمل الأخرس وشبهه ﴿وَلِيُّهُ﴾ أبوه أو وصيه والضمير عائد على الذي عليه الحق ﴿وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ﴾ شهادة الرجلين جائزة في كل شيء إلا في الزنا فلا بد من أربعة ﴿مِن رِّجَالِكُمْ﴾ نص في رفض شهادة الكفار والصبيان والنساء، وأما العبيد: فاللفظ يتناولهم ولذلك أجاز ابن حنبل شهادتهم،

---

(١) (آخرون) ساقطة من (ف).

(٢) قال الألوسي في روح المعاني: استدل بعضهم بالآية على أنه لا يكتب الوثائق إلا عارف بها عدل مأمون ومن لم يكن كذلك يجب على الإمام أو نائبه منعه لئلا يقع الفساد ويكثر النزاع والله لا يحب المفسدين: ٥٦/٣.

(٣) في (أ): (لقوله).

ومنعها مالك والشافعي لنقص الرق ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ قال قوم: لا تجوز شهادة المرأتين إلا مع عدم الرجال، وقال: معنى الآية إن لم يكونا أي إن لم يوجدا، وأجازه الجمهور: لأن المعنى[١]: إن لم يشهد رجلان فرجل وامرأتان وإنما يجوز عند مالك شهادة الرجل والمرأتين في الأموال لا في غيرها، وتجوز عنده[٢] شهادة المرأتين دون رجل فيما لا يطلع عليه الرجال: كالولادة، والاستهلال، وعيوب النساء، وارتفع[٣] رجل بفعل مضمر تقديره فليكن رجل فهو فاعل أو تقديره فليستشهد رجل فهو مفعول لم يسم فاعله أو بالابتداء تقديره فرجل وامرأتان يشهدون ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ﴾ صفة للرجل والمرأتين وهو مشترط أيضا في الرجلين الشاهدين لأن الرضا مشترط في الجميع وهو العدالة ومعناها: اجتناب الذنوب الكبائر، وتوقي الصغائر مع المحافظة على المروءة ﴿أَن تَضِلَّ﴾ مفعول من أجله والعامل فيه هو المقدر العامل في رجل وامرأتان والضلال في الشهادة هو نسيانها أو نسيان بعضها، وإنما جعل ضلال إحدى المرأتين مفعولا من أجله وليس هو المراد لأنه سبب لتذكير الأخرى لها وهو المراد، فأقيم السبب مقام المسبب، وقرئ[٤] إن تضل بكسر الهمزة على الشرط وجوابه الفاء في فتذكر ولذلك رفعه من كسر الهمزة ونصبه من فتحها على العطف وقرئ[٥] تذكر بالتشديد والتخفيف والمعنى واحد. ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ﴾ أي لا يمتنعون ﴿إِذَا مَا دُعُوا﴾ إلى أداء الشهادة وقد ورد تفسيره بذلك عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٦] واتفق العلماء أن أداء الشهادة واجب إذا دعي إليها، وقيل: إذا دعوا إلى تحصيل الشهادة وكتبها، وقيل: إلى الأمرين ﴿وَلَا

---

(١) في (أ): (وأجاز الجمهور أن).

(٢) قوله: (عنده) ساقط من (أ).

(٣) في (أ): (وارتفاع).

(٤) ﴿أَن تَضِلَّ﴾ قرأ حمزة بكسر الهمزة وقرأ الباقون بفتحها. النشر: ٢/٢٧٠.

(٥) ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ قرأه ابن كثير والبصريان بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد. المصدر السابق.

(٦) أسنده النقاش إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في المحرر الوجيز: ٢/٩٦٨.

تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ﴾ أي لا تملوا من الكتابة إذا ترددت وكثرت سواء كان الحق صغيرا أو كبيرا ونصب صغيرا على الحال ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارة إلى الكتابة[١] ﴿أَقْسَطُ﴾ من القسط وهو العدل ﴿وَأَقْوَمُ﴾ بمعنى أشد إقامة وبني أفعل فيهما من الرباعي وهو قليل ﴿وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾ أي أقرب إلى عدم الشك في الشهادة ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً﴾ أن في موضع نصب على الاستثناء المنقطع لأن الكلام المتقدم في الدين المؤجل والمعنى إباحة ترك الكتابة في التجارة الحاضرة وهو ما يباع بالنقد[٢] ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ يقتضي القبض والبينونة ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ ذهب قوم إلى وجوب الإشهاد على كل بيع صغير أو كبير[٣] وهم الظاهرية خلافا للجمهور، وذهب قوم إلى أنه منسوخ بقوله: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾، وذهب قوم إلى أنه على الندب ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ يحتمل أن يكون كاتب فاعلا على تقدير كسر الراء المدغمة من يضار والمعنى على هذا نهي للكاتب والشاهد[٤] أن يضار صاحب الحق أو الذي عليه الحق بالزيادة فيه أو النقصان منه أو الامتناع من الكتابة أو الشهادة، ويحتمل أن يكون كاتب مفعولا لم يسم فاعله على تقدير فتح الراء المدغمة ويقوي ذلك قراءة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٥] لا يضارر بالتفكيك وفتح الراء، والمعنى: النهي عن الإضرار بالكاتب والشهيد[٦] بإذايتهما بالقول أو بالفعل ﴿وَإِن تَفْعَلُواْ﴾ أي إن وقعتم في الإضرار ﴿فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌ﴾ حال ﴿بِكُمْ﴾. ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ إخبار على وجه الامتنان، وقيل: معناه الوعد بأن من اتقى علمه الله وألهمه وهذا المعنى صحيح ولكن لفظ الآية لا يعطيه لأنه لو كان

(١) في (ع): (الكتاب).

(٢) في (أ) زيادة: (وغيره).

(٣) في (أ): (صغيرا أو كبيرا).

(٤) في (ف) وللشهيد وفي (ع): (والشهيد).

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٦/٨٧ بسند صحيح.

(٦) في (أ): (والشاهد).

ربع

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

كذلك لجزم يعلمكم في جواب اتقوا.

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ الآية لما أمر الله تعالى بكتابة الديون[1] جعل الرهن توثيقا للحق عوضا عن[2] الكتابة حيث تتعذر الكتابة في السفر، وقال الظاهرية: لا يجوز الرهن إلا في السفر، لظاهر الآية. وأجازه مالك وغيره في الحضر لأن النبي ﷺ رهن درعه بالمدينة[3] ﴿فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ يقتضي بينونة المرتهن بالرهن وأجمع العلماء على صحة قبض المرتهن وقبض وكيله، وأجاز مالك والجمهور وضعه على يد عدل والقبض للرهن شرط في الصحة عند الشافعي وغيره لقوله تعالى: ﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾ وهو عند مالك شرط كمال لا صحة[4] ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ الآية أي إن أمن صاحب الحق المديان لحسن ظنه به، فليستغن عن الكتابة وعن الرهن، فأمر أولا بالكتابة ثم بالرهن ثم بالائتمان فللدين ثلاثة أحوال، ثم أمر المديان بأداء الأمانة ليكون عند ظن صاحبه به ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ محمول على الوجوب ﴿فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ معناه قد تعلق به

(١) في (أ): (بكتب الدين).

(٢) في (ف) و(ع): (من).

(٣) قصة رهن الدرع هذه ثابتة عن جماعة من الصحابة، منهم أنس، وعائشة، وابن عباس، أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٢٩١٦)، والترمذي الحديث رقم: (١١٢٦)، والنسائي في سننه الحديث رقم: (٤٥٣١)، وأحمد في المسند: ١٣٣/٣..

(٤) (لا صحة) زيادة من (أ).

الإثم اللاحق من[١] المعصية في كتمان الشهادة وارتفع آثم[٢] بأنه خبر إن وقلبه فاعل به ويجوز أن يكون قلبه مبتدأ وآثم خبره وإنما أسند الإثم إلى القلب وإن كانت[٣] جملة الكاتم هي الآثمة؛ لأن الكتمان من فعل القلب إذ هو يضمرها ولئلا يظن أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان.

﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ الآية مقتضاها المحاسبة على ما في نفوس العباد من الذنوب سواء أبدوه أو أخفوه، ثم المعاقبة على ذلك لمن يشاء الله، أو الغفران لمن شاء الله[٤]، وفي ذلك إشكال لمعارضته لقول رسول الله ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها»[٥] ففي الحديث الصحيح عن أبي هريرة أنه لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا: هلكنا إن حوسبنا بخواطر أنفسنا، فقال لهم النبي ﷺ: «قولوا سمعنا وأطعنا» فقالوها فأنزل الله بعد ذلك[٦]: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ فكشف الله عنهم الكربة ونسخ بذلك هذه الآية، وقيل: هي في معنى كتم الشهادة وإبدائها وذلك محاسب به، وقيل: يحاسب الله خلقه على ما في نفوسهم ثم يغفر للمؤمنين ويعذب الكافرين والمنافقين، والصحيح التأويل الأول لوروده في الصحيح[٧]، وقد ورد

---

(١) في (ف): (الملاحق عن).

(٢) في نسخة (سقوط آثم).

(٣) في (أ): (كان).

(٤) قوله: (لمن يشاء الله، أو الغفران لمن شاء الله) ساقط من (ع).

(٥) لفظ البخاري في صحيحه: «إن الله تجاوز لأمتي عما وسوست أو حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم» الحديث رقم: (٥٢٦٩)، ومسلم الحديث رقم: (١٢٧)، والترمذي الحديث رقم: (١١٨٣)، وأبو داود الحديث رقم: (١٨٨٨)، وابن ماجه في سننه الحديث رقم: (٢٠٣٠)..

(٦) صحيح أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٢٦)، والترمذي الحديث رقم: (٢٩٩٢)، وأحمد في المسند: ١/٢٣٣، والطبري في جامع البيان رقم: (٦٤٥٧)..

(٧) روى ابن أبي شيبة بسنده، عن سالم بن عبد الله أن أباه قرأ: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ...﴾ الآية فدمعت عيناه، فبلغ صنيعه ابن عباس فقال: يرحم الله أبا عبد الرحمن=

أيضا عن ابن عباس وغيره، فإن قيل: الآية خبر[١] والأخبار لا يدخلها النسخ؟ فالجواب: أن النسخ إنما وقع في المؤاخذة والمحاسبة وذلك حكم يصح دخول النسخ فيه فلفظ الآية خبر ومعناها حكم ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ﴾ قرئ[٢] بجزمهما عطفا على يحاسبكم وبرفعهما على تقدير فهو يغفر.

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ الآية سببها[٣] ما تقدم في حديث أبي هريرة لما قالوا سمعنا وأطعنا مدحهم الله بهذه الآية، وقدم ذلك قبل كشف ما شق عليهم ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ عطف على الرسول، أو مبتدأ، فعلى الأول يوقف على المؤمنون وعلى الثاني يوقف على من ربه، والأول أحسن ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ إن كان المؤمنون معطوفا فكل عموم في الرسول والمؤمنين، وإن كان مبتدءا فكل عموم في المؤمنين، ووحد الضمير في آمن على معنى أن كل واحد منهم آمن ﴿وَكُتُبِهِ﴾ قرئ[٤] بالجمع أي كل كتاب أنزله الله، وقرئ بالتوحيد يريد القرآن أو الجنس ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ التقدير يقولون لا نفرق والمعنى لا نفرق بين أحد من الرسل وبين غيره في الإيمان بل نؤمن بجميعهم ولسنا كاليهود والنصارى الذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض

= لقد صنع كما صنع أصحاب رسول الله ﷺ حين نزلت فنسختها الآية التي بعدها: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾. هذا إسناد صحيح، روى مسلم في صحيحه، والترمذيّ والنسائي منه ما قاله ابن عباس دون ما قاله ابن عُمَر، من طريق آدم بن سليمان، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به. المصنف الحديث رقم: (٣٦٦٧٧)، والطبري في جامع البيان: ١٠٦/٦، وابن كثير: ٦٢٤/١. قال ابن حجر في الفتح: ٢٠٦/٨: إسناده صحيح.

(١) في (أ): (إن الآية).

(٢) ﴿فَيَغْفِرُ﴾، ﴿وَيُعَذِّبُ﴾ قرأ ابن عامر وعاصم وأبو جعفر يعقوب برفع الراء والباء منهما، والباقون بجزمها. النشر: ٢٧٠/٢.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٢٥)، وأحمد في المسند: ٤١٢/٢، وجامع البيان رقم: (٦٤٥٦)، وابن الجوزي في ناسخ القرآن ومنسوخه، ص: ٢٧٠.

(٤) ﴿وَكُتُبِهِ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿وكتابه﴾ على التوحيد وقرأ الباقون على الجمع. النشر. المصدر السابق.

﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ حكاية قول المؤمنين على وجه المدح لهم ﴿غُفْرَانَكَ﴾ مصدر والعامل فيه مضمر ونصبه على المصدرية تقديره اغفر غفرانك، وقيل: على المفعولية تقديره نطلب غفرانك ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ إقرار بالبعث مع تذلل وانقياد وهنا تمت حكاية كلام المؤمنين.

﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ إخبار من الله تعالى برفع تكليف ما لا يطاق وهو جائز عقلا عند الأشعرية، ومحال عقلا عند المعتزلة، واتفقوا على أنه لم يقع في الشريعة ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ أي من الحسنات ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ أي من السيئات وجاءت العبارة بلها في الحسنات لأنها مما ينتفع العبد به وجاءت بعليها في السيئات لأنها مما يضر بالعبد، وإنما قال في الحسنات كسبت وفي الشر اكتسبت لأن في الاكتساب ضربا من الاعتمال والمعالجة حسبما تقتضيه صيغة افتعل، فالسيئات فاعلها يتكلف مخالفة أمر الله ويتعداه، بخلاف الحسنات فإنه فيها على الجادة من غير تكلف، أو لأن السيئات يجد في فعلها لميل النفس إليها فجعلت لذلك مكتسبة، ولما لم يكن الإنسان في الحسنات كذلك وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ أي قولوا ذلك في دعائكم، ويحتمل أن يكون ذلك[1] من بقية حكاية قولهم كما حكى عنهم قولهم سمعنا وأطعنا، والنسيان هنا هو الذهول الغالب على الإنسان، والخطأ غير العمد فذلك معنى[2] قوله ﷺ: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان»[3] وقد كان يجوز

(١) : (ذلك) ساقط من (ف) و(ع).

(٢) : (معنى) ساقط من (ع).

(٣) قال الزيلعي في نصب الراية: وهذا لا يوجد بهذا اللفظ وإن كان الفقهاء كلهم لا يذكرونه إلا بهذا اللفظ: ٦٤/٢، والمحفوظ في الحديث هو: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»، الطبراني: ٩٧/٢، وفي لفظ: «تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان...»، وابن ماجه الحديث رقم: (٢٢٠٣٥) قال الهيثمي: فيه يزيد بن ربيعة وهو ضعيف، وانظر البغوي: ٣٥٧/١، وابن كثير: ٢٧٨/٣، والقرطبي: ٤٣١/٣.

أن يؤاخذ به لولا أن الله رفعه. ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾ التكاليف الصعبة، وكانت قد كلفت لمن تقدم من الأمم كقتل أنفسهم، وقرض أبدانهم، ورفعت عن هذه الأمة، قال تعالى ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ وقيل: الإصر المسخ قردة وخنازير: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ هذا الدعاء دليل على جواز تكليف ما لا يطاق لأنه لا يدعى برفع ما لا يجوز أن يقع، ثم إن الشرع رفع[1] وقوعه، وتحقيق ذلك أن ما لا يطاق أربعة أنواع:

الأول: عقلي محض كتكليف الإيمان لمن علم الله أنه لا يؤمن، فهذا جائز وواقع بالاتفاق.

والثاني: عادي كالطيران في الهواء.

والثالث: عقلي وعادي كالجمع بين الضدين فهذان وقع الخلاف في جواز التكليف بهما، والاتفاق على عدم وقوعه.

والرابع: تكليف ما يشق ويصعب فهذا جائز اتفاقًا، فقد كلفه الله من تقدم من الأمم، ورفعه عن هذه الأمة.

﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ ألفاظ متقاربة المعنى وبينها من الفرق أن العفو: ترك المؤاخذة بالذنب، والمغفرة: تقتضي مع ذلك الستر، والرحمة: تجمع ذلك مع التفضل بالإنعام ﴿مَوْلَىٰنَا﴾ ولينا وسيدنا.

*** *** ***

(١) في (أ): (دفع).

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿١﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٢﴾ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤﴾ ۞ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾

سورة آل عمران

نزل صدرها[1] إلى نيف وثمانين آية، لما قدم نصارى نجران المدينة المنورة[2] يناظرون رسول الله ﷺ في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ[3].

﴿الٓمٓ﴾ تقدم الكلام على حروف الهجاء، وقرأ الجمهور بفتح الميم هنا في الوصل لالتقاء الساكنين نحو من الناس، وقال الزمخشري[4]: هي حركة الهمزة نقلت إلى الميم، وهذا ضعيف؛ لأنها ألف وصل

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٦/١٥١ بسند فيه انقطاع.

(٢) قوله: (المنورة) زيادة من (ب).

(٣) في (أ) و(ف): (بن مريم).

(٤) قال الزمخشري: ﴿الٓمٓ﴾ حقها أن يوقف عليها كما وقف على ألف ولام، وأن يبدأ ما بعدها، كما تقول: واحد اثنان، وهي قراءة عاصم، وأما فتحها فهي حركة الهمزة ألقيت عليها حين أسقطت للتخفيف.

فإن قلت: كيف جاز إلقاء حركتها عليها وهي همزة وصل لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت حركتها؛ لأن ثبات حركتها كثباتها؟ قلت: هذا ليس بدرج لأن (م) في حكم الوقف والسكون، والهمزة في حكم الثابت، وإنما حذفت تخفيفا وألقيت حركتها على الساكن قبلها ليدل عليها، ونظيره قولهم: واحد اثنان، بإلقاء حركة الهمزة على الدال.

فإن قلت: هلا زعمت أنها حركة لالتقاء الساكنين؟ قلت: لأن التقاء الساكنين لا يبالى به في باب الوقف وذلك قولك: هذا إبراهيم وداود وإسحاق، ولو كان التقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك لحرك الميمين في ألف لام ميم لالتقاء الساكنين، ولما انتظر ساكن آخر.

فإن قلت: إنما لم يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم؛ لأنهم أرادوا الوقف وأمكنهم النطق=

تسقط في الدرج. ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ رد على النصارى في قولهم: إن عيسى هو الله؛ لأنهم زعموا أنه صلب، فليس بحي وليس بقيوم[١].

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هنا هو[٢] القرآن ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي تضمن الحق من الأخبار والأحكام وغيرها أو بالاستحقاق ﴿مُصَدِّقًا﴾ قد تقدم في مصدقا لما معكم ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ الكتب المتقدمة ﴿ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ أعجميان فلا يصح ما ذكره النحاة من اشتقاقهما ووزنهما ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ يعني[٣] القرآن وإنما كرر ذكره ليصفه بأنه المفرق[٤] بين الحق والباطل، ويحتمل أن يكون ذكره أولا على وجه الإثبات لإنزاله لقوله:[٥] ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ثم ذكره ثانيا على وجه الامتنان بالهدى به كما قال في التوراة والإنجيل.

﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ فكأنه قال: وأنزل الفرقان هدى للناس، ثم حذف ذلك لدلالة الهدى الأول عليه فلما اختلف قصد الكلام في الموضعين لم يكن ذلك تكرارا، وقيل: الفرقان هنا هو[٦] كل ما فرق بين الحق والباطل من كتاب وغيره، وقيل: هو الزبور، وهذا بعيد.

= بساكنين فإذا جاء ساكن ثالث لم يمكن إلا التحريك فحركوا. قلت: الدليل على أن الحركة ليست لملاقاة الساكن أنه كان يمكنهم أن يقولوا: واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا أصيم ومديق فلما حركوا الدال علم أن حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين.

فإن قلت: فما وجه قراءة عمرو بن عبيد بالكسر؟ قلت: هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وما هي بمقولة. الكشاف: ٣٦١/١.

(١) في (أ): (ولا بقيوم).

(٢) قوله: (هو) زيادة من (ب).

(٣) في (أ) و(ف): (هو مكان يعني).

(٤) في (ب): (الفارق).

(٥) في (أ) و(ب): (بقوله).

(٦) قوله: (هو) زيادة من (أ) و(ف).

﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ خبر عن إحاطة علم الله بجميع الأشياء على التفصيل وهذه صفة لم تكن لعيسى ولا لغيره، ففي ذلك رد على النصارى.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ﴾ برهان على إثبات علم الله المذكور قبل، وفيه رد على النصارى لأن عيسى لا يقدر على التصوير بل كان مصورا كسائر بني آدم ﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من طول وقصر وحسن وقبح ولون وغير ذلك.

﴿مِنْهُ ءَايَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ﴾ المحكم من القرآن هو البين المعنى الثابت الحكم، والمتشابه هو الذي يحتاج إلى التأويل، أو يكون مستغلق المعنى كحروف الهجاء، قال ابن عباس[(١)]: المحكمات الناسخات والحلال والحرام، والمتشابهات المنسوخات والمقدم والمؤخر، وهذا تمثيل لما قلنا ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي عمدة ما فيه ومعظمه ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ نزلت في نصارى نجران[(٢)] فإنهم قالوا للنبي ﷺ: «أليس في كتابك أن عيسى كلمة الله وروح منه؟ قال: نعم، قالوا: فحسبنا إذا. فهذا من المتشابه الذي اتبعوه»، وقيل: نزلت[(٣)] في أبي ياسر بن أخطب اليهودي وأخيه حيي[(٤)]، ثم يدخل في ذلك كل كافر، أو مبتدع، أو جاهل يتبع المتشابه من القرآن. ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ أي ليفتنوا به الناس ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ أي يبتغون أن يتأولوه على ما تقتضي مذاهبهم، أو يبتغون أن يصلوا من معرفة تأويله إلى ما لا يصل إليه مخلوق ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ إخبار عن انفراد[(٥)] الله بعلم تأويل المتشابه من القرآن، وذم لمن طلب علم ذلك من الناس ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٦/١٧٥ بسند جيد عن ابن عباس. وأورده السيوطي في الدر المنثور: ٢/١٤٢.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٦/١٨٦ بسند ضعيف..

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٢/٦٣ بسند حسن عن مقاتل بن حيان: يقول: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ يعني: حيي بن أخطب وأصحابه من اليهود، وانظر تهذيب التهذيب: ١٠/٢٧٧.

(٤) في (ب): (وأخيه حكيم)، وهو خطأ.

(٥) في المطبوعة: (بانفراد).

﴿الْعِلْمِ﴾ مبتدأ مقطوع مما قبله، والمعنى: أن الراسخين لا يعلمون تأويل المتشابه وإنما يقولون: آمنا به على وجه التسليم والانقياد والاعتراف بالعجز عن معرفته، وقيل: إنه معطوف على ما قبله، وأن المعنى: أنهم يعلمون تأويله وكلا القولين مروي عن ابن عباس[١]، والقول[٢] الأول قول أبي بكر الصديق[٣] وعائشة[٤] وعروة بن الزبير[٥] وهو أرجح، وقال ابن عطية[٦]: المتشابه نوعان: نوع انفرد الله بعلمه، ونوع يمكن وصول الخلق إليه، فيكون الراسخون ابتداء بالنظر إلى الأول، وعطفا بالنظر إلى الثاني ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ أي المحكم والمتشابه من عند الله.

﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ حكاية عن الراسخين، ويحتمل أن يكون منقطعا على وجه التعليم، والأول أرجح لاتصال الكلام، وأما قوله: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الْأَلْبَابِ﴾ فهو من كلام الله تعالى لا حكاية قول الراسخين.

﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ استدلال على البعث، ويحتمل أن يكون من تمام كلام الراسخين، أو منقطعا فهو من كلام الله.

﴿كَدَأْبِ﴾ في موضع رفع أي دأب هؤلاء كدأب ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ وفي ذلك تهديد ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ عطف على آل فرعون ويعني بهم قوم نوح وعاد وثمود

---

(١) صحيح أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ١/١١٦، والطبري في جامع البيان: ٦/٢٠٢، ويروي مجاهد عنه بسند صحيح: «أنا ممن يعلم تأويله» أخرجه الطبري في جامع البيان: ٦/٢٠٣.

(٢) قوله: (القول) ساقط من (أ) و(ف).

(٣) لم أقف على قول أبي بكر الصديق في هذه المسألة. وهو مروي عن عمر بن عبد العزيز ومالك بن أنس. كما في المحرر الوجيز: ١/٤٠٤ بدون ذكر سند.

(٤) قالت عائشة: كان من رسوخهم في العلم أن آمنوا بمحكمه ومتشابهه ولم يعلموا تأويله. أخرجه الطبري في جامع البيان: ٦/٢٠٢، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٢/٧٦.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٦/٧٦ بسند ضعيف.

(٦) المحرر الوجيز: ١/٤٠٤، ٤٠٦.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ تَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ • قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾

حزب

وغيرهم، والضمير عائد على آل فرعون ﴿بِآيَاتِنَا﴾ البراهين أو الكتاب[1].

﴿سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾ قرئ[2] بتاء الخطاب ليهود المدينة، وقيل: لكفار قريش، وقرئ بالياء إخبارا عن يهود المدينة، وقيل: عن قريش، وهو صادق على كل قول، أما اليهود فغلبوا يوم قريظة والنضير وقينقاع، وأما قريش ففي بدر وغيرها، والأشهر أنها في بني قينقاع؛ لأن رسول الله ﷺ دعاهم إلى الإسلام بعد غزوة بدر فقالوا له: لا يغرنك[3] أنك قتلت نفرا من قريش لا يعرفون القتال فلو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، فنزلت الآية[4] ثم أخرجهم رسول الله ﷺ من المدينة.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ قيل: خطاب للمؤمنين، وقيل: لليهود، وقيل: لقريش والأول أرجح أنه لبني قينقاع الذين قيل لهم: ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ ففيه تهديد لهم وعبرة كما جرى لغيرهم. ﴿فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ﴾ المسلمون والمشركون يوم بدر ﴿تَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ﴾ قرئ[5] ترونهم بالتاء خطاب لمن خوطب بقوله: ﴿قَدْ كَانَ

---

(١) في (أ) و(ف): (والكتب).

(٢) قال ابن الجزري في تحبير التيسير: حمزة والكسائي وخلف: ﴿سيغلبون ويحشرون﴾ بالياء فيهما والباقون بالتاء، ص: ٣١٩.

(٣) في (أ) و(ف): (لا يغرك).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه الحديث رقم: (٣٠٠١)، والطبري في جامع البيان: ٦/٢٢٧ بسند ضعيف.

(٥) ﴿تَرَوْنَهُمْ﴾ قرأ المدنيان ويعقوب بالخطاب، وقرأ الباقون بالغيب. النشر: ٢/٢٧١.

لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ والمعنى ترون الكفار مثلي المؤمنين[١]، ولكن الله أيد المسلمين بنصره على قلة[٢] عددهم، وقرئ بالياء، والفاعل في يرونهم هم[٣] المؤمنون والمفعول به هم المشركون، والضمير في مثليهم للمؤمنين والمعنى على حسب ما تقدم.

فإن قيل: إن الكفار كانوا يوم بدر أكثر من مثلي[٤] عدد المسلمين؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن الكفار كانوا ثلاثة أمثال المسلمين؛ لأن الكفار كانوا قريبا من ألف والمؤمنون ثلاثمائة وثلاثة عشر، ثم إن الله تعالى قلل عدد الكفار[٥] في أعين المؤمنين حتى حسبوا أنهم مثلهم مرتين ليتجاسروا على قتالهم إذ[٦] ظهر لهم أنهم على ما أمروا[٧] به من قتال الواحد للاثنين، في قوله: ﴿فَإِن تَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ وهذا المعنى موافق لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً﴾.

والآخر: أنه رجع[٨] قوم من الكفار حتى بقي منهم ستمائة وستة وعشرون رجلا، وذلك قدر عدد المسلمين مرتين، وقيل: إن الفاعل في يرونهم ضمير المشركين، والمفعول ضمير المؤمنين، وأن الضمير في مثليهم يحتمل أن يكون للمؤمنين أو للمشركين، والمعنى على هذا: أن الله كثر عدد المسلمين في أعين

(١) في (أ): (المسلمين).
(٢) قوله: (قلة) ساقط من المطبوعات.
(٣) زيادة من (أ) و(ف).
(٤) قوله: (مثلي) ساقط من المطبوع. وهي في المخطوطات.
(٥) في (أ): (الكافرين).
(٦) في (ب) والمطبوعة: (إذا).
(٧) في المطبوع: (أخبروا به).
(٨) في المطبوع: (يرجع).

المشركين حتى حسب الكفار المؤمنين مثلي الكافرين، أو مثلي المؤمنين، وهم أقل من ذلك، وإنما كثرهم الله في أعينهم ليرهبوهم، ويرد هذا قوله تعالى ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾. ﴿رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ نصب على المصدرية ومعناه معاينة ظاهرة لا شك فيها ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي أن النصر بمشيئة الله لا بالقلة ولا بالكثرة، فإن فئة المسلمين غلبت فئة الكافرين مع أنهم كانوا أكثر منهم.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ قيل: المزين هو الله، وقيل: الشيطان، ولا تعارض بينهما فتزيين الله بالإيجاد والتهيئة للانتفاع وإنشاء الجبلة على الميل إلى الدنيا، وتزيين الشيطان بالوسوسة والخديعة ﴿وَالْقَنَاطِيرِ﴾ جمع قنطار وهو ألف ومائتا أوقية، وقيل: ألف ومائتا مثقال[١] وكلاهما مروي عن النبي ﷺ[٢] ﴿الْمُقَنْطَرَةِ﴾ مبنية من لفظ القناطير للتأكيد، كقولهم: ألوف مؤلفة، وقيل: المضروبة دنانير أو دراهم. ﴿الْمُسَوَّمَةِ﴾ الراعية، من قولهم: سام الفرس وغيره إذا جال في المسارح، وقيل: المعلمة في وجوهها شيات، فهي من السيما بمعنى العلامة، وقيل: المعدة للجهاد ﴿ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ تحقير لها ليزهد فيها الناس.

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَٰلِكُمْ﴾ تفضيل للآخرة على الدنيا ليرغب فيها، وتم الكلام في قوله: من ذلكم، ثم ابتدأ قوله: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ تفسير لذلك، فجنات على هذا مبتدأ، وخبره للذين اتقوا، وقيل: إن قوله: للذين اتقوا، متعلق بما قبله وتمام[٣] الكلام في قوله: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، فجنات على هذا خبر مبتدإ[٤] مضمر

---

(١) انظر المحرر الوجيز: ١/٤١٢..

(٢) الأول: ضعيف جدا أخرجه الطبري في جامع البيان: ٦/٢٤٥ أما الثاني: فيروى بلفظ «ألف ومائتا دينار» بدلا من مثقال، والدينار هو المثقال، أخرجه الطبري في جامع البيان: ٦/٢٤٥، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، ص: ٦٠٤.

(٣) في (ف) و(أ): (ويتم الكلام).

(٤) في (أ) و(ف): (ابتداء).

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّٰبِرِينَ وَالصَّٰدِقِينَ وَالْقَٰنِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَٰمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ وَالْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَٰغُ وَاللَّهُ بَصِيرُۢ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾

﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ زيادة إلى نعيم الجنة وهو أعظم من النعيم حسبما ورد في الحديث[1].

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ نعت للذين اتقوا، أو رفع بالابتداء، أو نصب بإضمار فعل.

﴿وَالصَّٰدِقِينَ﴾ في الأقوال والأفعال ﴿وَالْقَٰنِتِينَ﴾ العابدين والمطيعين ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ الاستغفار هو طلب المغفرة، قيل: لرسول الله ﷺ: كيف نستغفر؟ فقال: قولوا: «اللهم اغفر لنا وارحمنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم»[2]. ﴿بِالْأَسْحَارِ﴾ جمع سحر وهو آخر الليل، يقال إنه الثلث الأخير وهو الذي ورد أن الله يقول حينئذ «من يستغفرني فأغفر له»[3].

﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ الآية، شهادة من الله سبحانه لنفسه بالوحدانية، وقيل: معناها إعلامه لعباده بذلك ﴿وَالْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ عطف على اسم الله، أي هم

---

(١) في الحديث الصحيح: «إن الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة، يقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا» البخاري الحديث رقم: (٦٥٤٩)، ومسلم الحديث رقم: (٥٠٥٧)، والترمذي الحديث رقم: (٢٤٧٨)..

(٢) النسائي في سننه الكبرى الحديث رقم: (١٠٢٩٧)..

(٣) حديث صحيح متواتر ويعرف بحديث النزول: البخاري الحديث رقم: (١١٤٥)، ومسلم في صحيحه (٧٥٨)، ومالك في الموطإ: ١/ ٣٠، وغيرهم، وانظر الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة، ص: ١٢٤.

شهداء بالوحدانية، ويعني بأولي العلم العارفين بالله، الذين يقيمون البراهين على وحدانيته ﴿قَآئِمًا﴾ منصوب على الحال من اسم الله، أو من هو، أو منصوب على المدح ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إنما كرر التهليل لوجهين:

أحدهما: أنه ذكر أولا الشهادة بالوحدانية ثم ذكرها ثانيا بعد ثبوتها بالشهادة المتقدمة.

والآخر: أن ذلك تعليم لعباده؛ ليكثروا من قولها.

﴿إِنَّ الدِّينَ﴾ بكسر الهمزة ابتداء وبفتحها بدل من أنه وهو بدل شيء من شيء؛ لأن التوحيد هو الإسلام. ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ﴾ الآية إخبار أنهم اختلفوا بعد معرفتهم بالحقائق من أجل البغي وهو الحسد، والآية في اليهود، وقيل: في النصارى، وقيل: فيهما ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ قد تقدم معناه في البقرة، وهو هنا تهديد ولذلك وقع في جواب من يكفر.

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾ أي جادلوك في الدين والضمير لليهود ونصارى نجران ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ﴾ أي أخلصت نفسي وجملتي ﴿لِلَّهِ﴾ وعبر بالوجه عن الجملة، ومعنى الآية إقامة الحجة عليهم؛ لأن من أسلم وجهه لله فهو على الحق بلا شك، فسقطت حجة من خالفه ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ عطف على التاء في أسلمت، ويجوز أن يكون مفعولا معه. ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ تقرير بعد إقامة الحجة عليهم، أي قد جاءكم من البراهين ما يقتضي أن تسلموا ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَٰغُ﴾ أي إنما عليك أن تبلغ رسالة ربك، فإذا بلغتها[1] فقد فعلت ما عليك، وقيل: إن فيها موادعة نسختها آية السيف.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ الآية نزلت[2] في اليهود والنصارى توبيخا لهم ووعيدا

---

(١) في المطبوع: (أبلغتها).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٦/٢٨٥، والبغوي في معالم التنزيل: ٢/٢١ بسند ضعيف.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ۞ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

ثمن

على قبح أفعالهم وأفعال أسلافهم.

﴿الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ هم اليهود، والكتاب هنا التوراة أو جنس. ﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: دخل رسول الله ﷺ على جماعة من اليهود فيهم النعمان بن عمرو والحارث بن زيد، فقالوا له: على أي دين أنت؟ فقال لهم: على دين إبراهيم، فقالوا إن إبراهيم كان يهوديا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «فهلموا إلي التوراة فهي بيننا وبينكم، فأبوا عليه، فنزلت الآية»[١] فكتاب الله على هذا التوراة، وقيل: هو القرآن كان النبي ﷺ يدعوهم إليه فيعرضون عنه.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ الإشارة إلى إعراضهم عن كتاب الله والباء سببية، والمعنى: أن كفرهم بسبب اعتراضهم وأكاذيبهم، والأيام المعدودات قد ذكرت في البقرة.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ﴾ أي كيف يكون حالهم يوم القيامة، والمعنى: تهويل واستعظام لما أعد لهم.

﴿اللَّهُمَّ﴾ منادى، والميم فيه عوض من حرف النداء عند البصريين، ولذلك لا يجتمعان، وقال الكوفيون: أصله يا الله أمنا بخير، فالميم عندهم من أمنا[٢]. ﴿مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ منادى عند سيبويه، وأجاز الزجاج أن يكون صفة لاسم الله،

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٦/٢٨٨ من طريق محمد بن إسحاق بسند ضعيف...

(٢) في المطبوع: (أما) والصواب ما في المخطوطات.

وقيل: إن الآية نزلت[١] ردا على النصارى في قولهم: إن عيسى هو الله؛ لأن هذه الأوصاف ليست لعيسى، وقيل: لما أخبر النبي ﷺ أن أمته يفتحون ملك كسرى وقيصر، استبعد ذلك المنافقون فنزلت الآية[٢] ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ قيل: المراد بيدك الخير والشر، فحذف أحدهما لدلالة الآخر عليه، وقيل: إنما خص الخير بالذكر لأن الآية في معنى دعاء ورغبة، فكأنه يقول: بيدك الخير فأجزل حظي منه.

﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ قال عبد الله بن مسعود[٣]: هي النطفة تخرج من الرجل ميتة وهو حي، ويخرج الرجل منها حيا وهي ميتة، وقال عكرمة[٤]: هي إخراج الدجاجة من البيضة، والبيضة من الدجاجة، وقيل: تخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن[٥]، فالحياة والموت على هذا استعارة، وفي ذكر الحي من الميت المطابقة وهي من أدوات البيان، وفيه أيضا القلب لأنه قدم الحي على الميت، ثم عكس ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بغير تضييق، وقيل: بغير محاسبة.

﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية عامة في جميع الأعصار، وسببها[٦] ميل بعض الأنصار إلى بعض اليهود، وقيل: كتاب حاطب[٧] إلى مشركي قريش[٨] ﴿فَلَيْسَ مِنَ

---

(١) أورده ابن عطية في المحرر الوجيز: ٤٨/٢.

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول، ص: ٨٣، والبغوي في معالم التنزيل: ٢٣/٢ قال ابن حجر في الكافي الشافي: لم أجد له إسنادا: ٣٥٠/١.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٠٦/٦، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٨٠/٢ بسند صحيح.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٠٦/٦، وابن أبي حاتم: ١٨٢/٢ بسند حسن مقطوع على عكرمة.

(٥) في المطبوع تقديم وتأخير «تخرج الكافر من المؤمن، والمؤمن من الكافر» والمعنى واحد.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣١٤/٦ بسند ضعيف.

(٧) هو حاطب بن أبي بلتعة اللخمي: صحابي، شهد الوقائع كلها مع رسول الله ﷺ وكان من أشد الرماة، في الصحابة. وكان أحد فرسان قريش وشعرائها في الجاهلية وكانت له تجارة واسعة. بعثه النبي ﷺ بكتابه إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، ومات في المدينة. سنة: ٣٠هـ. الإصابة في تمييز الصحابة الترجمة رقم: (١٥٤٠)، والأعلام للزركلي: ١٥٩/٢.

(٨) أخرجه البغوي في معالم التنزيل: ٢٥/١ معلقا، وكتاب حاطب نزل فيه قول الله تعالى:=

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٣٠ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٣٢ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٣ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٣٤ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٥ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٣٦ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٧﴾

ربع

ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ تبرؤ ممن فعل ذلك، ووعيد على موالاة الكفار، وفي الكلام حذف تقديره: ليس من التقرب إلى الله في شيء، وموضع في شيء نصب على الحال من الضمير في ﴿لَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ قاله ابن عطية[1] ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ﴾ إباحة لموالاتهم إن خافوا منهم، والمراد موالاة في الظاهر مع البغضاء في الباطن ﴿تُقَىٰةً﴾ وزنه فعلة بضم الفاء وفتح العين، وفاؤه واو أبدل منها تاء، ولامه ياء أبدل منها ألف، وهو منصوب على المصدرية، ويجوز أن ينصب على الحال من الضمير في تتقوا ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ تخويف.

﴿يَوْمَ تَجِدُ﴾ منصوب على الظرفية والعامل فيه فعل مضمر تقديره: اذكروا أو خافوا، وقيل: العامل فيه قدير، وقيل: المصير، وقيل: يحذركم ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ مبتدأ خبره تود، أو معطوف ﴿أَمَدًۢا﴾ أي مسافة ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ﴾ ذكر بعد التحذير تأنيسا لئلا يفرط الخوف، أو لأن التحذير والتنبيه رأفة.

﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾ جعل اتباع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علامة على محبة العبد لله تعالى، وشرط في محبة الله للعبد ومغفرته له، وقيل: إن الآية خطاب لنصارى نجران، ومعناها على العموم في جميع الناس.

= ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾، وسيأتي بيان ذلك فيما بعد.

(١) المحرر: ١/٤٢٥.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ الآية، لما مضى صدر من محاجة نصارى نجران أخذ يبين لهم ما اختلفوا فيه وأشكل عليهم من أمر عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكيفية ولادته، وبدأ بذكر آدم ونوح عليهما السلام تكميلا للأمر؛ لأنهما أبوان لجميع الأنبياء، ثم ذكر إبراهيم تدريجا إلى ذكر عمران والد مريم أم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيل: إن عمران هنا هو والد موسى وبينهما ألف وثمانمائة سنة، والأظهر أن المراد هنا والد مريم لذكر قصتها بعد ذلك ﴿وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾ يحتمل أن يريد بآل القرابة أو الأتباع، وعلى الوجهين يدخل نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آل إبراهيم.

﴿ذُرِّيَّةَۢ﴾ بدل مما تقدم، أو حال ووزنه فعلية منسوب إلى الذر؛ لأن الله تعالى أخرج الخلق من صلب آدم كالذر، وغير أوله في النسب، وقيل: أصل ذرية ذرورة وزنها فعولة، ثم أبدل من الراء الأخيرة ياء فصار ذروية ثم أدغمت الواو في الياء وكسرت الراء فصارت ذرية.

﴿إِذْ قَالَتِ﴾ العامل فيه محذوف، تقديره: اذكروا، وقيل: عليم، وقال الزجاج: العامل فيه معنى الاصطفاء ﴿ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ اسمها حنة بالنون وهي أم مريم، وعمران هذا هو والد مريم ﴿نَذَرْتُ﴾ أي جعلت نذرا علي أن يكون هذا الولد في بطني حبسا على خدمة بيتك، وهو بيت المقدس ﴿مُحَرَّرًا﴾ أي عتيقا من كل شغل إلا خدمة المسجد.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ الآية كانوا لا يحررون الإناث لخدمة المساجد فقالت ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ تحسرا وتلهفا على ما فاتها من النذر الذي نذرت ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ قرئ[1] وضعت بإسكان التاء وهو من كلام الله تعظيما لوضعها، وقرئ بضم التاء وإسكان العين وهو على هذا من كلامها. ﴿وَلَيْسَ

(١) ﴿بِمَا وَضَعَتْ﴾ قرأ ابن عامر ويعقوب وأبو بكر بإسكان العين وضم التاء وقرأ الباقون بفتح العين وإسكان التاء. النشر: ٢/٢٧٢.

ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ﴾ يحتمل أن يكون من كلام الله، فالمعنى: ليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت لك وأن يكون من كلامها، فالمعنى: ليس الذكر كالأنثى في خدمة المساجد؛ لأن الذكور كانوا يخدمونها دون الإناث ﴿سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ﴾ إنما قالت لربها سميتها مريم لأن مريم في لغتهم بمعنى العابدة، فأرادت بذلك التقرب إلى الله، ويؤخذ من هذا تسمية المولود يوم ولادته، وامتنع مريم من الصرف للتعريف والتأنيث، وفيه أيضا العجمة ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ﴾ ورد في الحديث: «ما من مولود إلا نخسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا إلا مريم وابنها»[1] لقوله: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ﴾ الآية.

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ أي رضيها للمسجد مكان الذكر ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون مصدرا على غير الصدر[2].

والآخر: أن يكون اسما لما يقبل به كالسعوط اسم لما يسعط به.

﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ عبارة عن حسن النشأة ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّآءُ﴾ أي ضمها إلى إنفاقه وحضانته، والكافل هو الحاضن، وكان زكرياء زوج خالتها، وقيل: زوج أختها[3]، وقرئ كفلها[4] بتشديد الفاء ونصب زكرياء أي جعله الله كافلها ﴿ٱلۡمِحۡرَابَ﴾ في اللغة أشرف المجالس، وبذلك سمي موضع الإمام، ويقال إن زكرياء بنى لها غرفة في المسجد، وهي المحراب هنا، وقيل: المحراب موضع العبادة ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا﴾ كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة

---

(١) في رواية إلا ومسه الشيطان. البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٤٥٤٨)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٤٣٦٤)، والمسند الحديث رقم: (٧٣٨٣).

(٢) قال ابن عطية: وقوله ﴿بِقَبُولٍ﴾ مصدر جاء على غير الصدر، وكذلك قوله ﴿نَبَاتًا﴾ بعد أنبت. المحرر الوجيز: ١/٤٣٢، وانظر الكشاف: ١/٣٨٦..

(٣) قوله: (وقيل زوج أختها) ساقط من المطبوع.

(٤) ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ قرأ الكوفيون بتشديد الفاء، وقرأ الباقون بتخفيفها. النشر: ٢/٢٧٢.

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّآءُ رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ • وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ الْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

ثمن

الصيف في الشتاء، ويقال: إنها لم ترضع ثديا قط، وكان الله يرزقها.

﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ إشارة إلى مكان أي كيف ومن أين ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ﴾ يحتمل أن يكون من كلام مريم أو من كلام الله تعالى.

﴿هُنَالِكَ﴾ إشارة إلى مكان، وقد يستعمل في الزمان وهو الأظهر هنا، أي لما رأى زكرياء كرامة الله تعالى لمريم سأل من الله الولد.

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أنث رعيا[1] للجماعة، وقرئ بالألف[2] على التذكير، وقيل: إن الذي ناداه جبريل وحده، وإنما قيل الملائكة، كقولهم: فلان يركب الخيل أي جنس الخيل، وإن ركب[3] فرسا واحدا ﴿يَحْيَىٰ﴾ اسم سماه الله تعالى به قبل أن يولد، وهو اسم بالعبرانية صادف اشتقاقا وبناء في العربية، وهو لا ينصرف فإن كان في الإعراب أعجميا ففيه التعريف والعجمة، وإن كان عربيا فالتعريف ووزن الفعل.

﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي مصدقا بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مؤمنا به، وسمي عيسى كلمة الله لأنه لم يوجد إلا بكلمة الله وحدها، وهي قوله: كن، لا بسبب آخر وهو الوالد كسائر بني آدم ﴿وَسَيِّدًا﴾ السيد الذي يسود قومه أي يفوقهم في الشرف والفضل ﴿وَحَصُورًا﴾ أي لا يأتي النساء، فقيل: خلقه الله كذلك، وقيل: كان

---

(١) في (م): (مراعاة).

(٢) ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿فناداه﴾ بألف على الدال ممالة على أصلهم، وقرأ الباقون بتاء ساكنة بعدها. النشر: ٢/٢٧٣.

(٣) في (م): (كان).

يمسك نفسه، وقيل: الحصور: الذي لا يأتي الذنوب.

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ تعجب واستبعاد أن يكون له ولد مع شيخوخته وعقم امرأته، ويقال كان له تسع وتسعون سنة، ولامرأته ثمان وتسعون سنة، فاستبعد ذلك في العادة مع علمه بقدرة الله تعالى على ذلك، فسأله مع علمه بقدرة الله، واستبعده؛ لأنه نادر في العادة، وقيل: سأله وهو شاب وأجيب وهو شيخ، ولذلك استبعده ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ أي مثل هذه الفعلة العجيبة يفعل الله ما يشاء، فالكاف لتشبيه أفعال الله العجيبة بهذه الفعلة، والإشارة بذلك إلى هبة الولد لزكرياء، واسم الله مرفوع بالابتداء وكذلك خبره، فيجب وصله معه، وقيل: الخبر يفعل ما يشاء، ويحتمل كذلك على هذا وجهين:

أحدهما: أن يكون في موضع الحال من فاعل يفعل.

والآخر: أن يكون في موضع خبر مبتدإ محذوف، تقديره: الأمر كذلك، أو أنتما كذلك، وعلى هذا يوقف على كذلك والأول أرجح لاتصال الكلام وارتباط قوله ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ مع ما قبله، ولأن له نظائر كثيرة في القرآن منها قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾.

﴿ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ أي علامة على حمل المرأة ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ أي علامتك أن لا تقدر على كلام الناس ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ بمنع لسانه عن ذلك مع إبقاء الكلام بذكر الله ولذلك قال: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾ وإنما حبس لسانه عن الكلام تلك المدة ليخلص فيها لذكر الله شكرا على استجابة دعائه، ولا يشغل لسانه بغير الشكر والذكر. ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ إشارة باليد أو بالرأس أو غيرهما فهو استثناء منقطع ﴿بِٱلْعَشِيِّ﴾ من زوال الشمس إلى غروبها، والإبكار من طلوع الفجر إلى الضحى.

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ اختلف هل المراد جبريل أو جمع من الملائكة؟ والعامل في إذ مضمر ﴿ٱصْطَفَىٰكِ﴾ أولا حين تقبلك من أمك ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ من كل

عيب في خلق وخلق ودين ﴿وَاصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يحتمل أن يكون هذا الاصطفاء مخصوصا بأن وهب لها عيسى من غير أب فيكون على نساء العالمين عاما، أو يكون الاصطفاء عاما فيخص من نساء العالمين خديجة وفاطمة، أو يكون المعنى على نساء زمانها، وقد قيل بتفضيلها على الإطلاق، وقيل: إنها كانت نبيئة ؛ لتكليم الملائكة لها.

﴿اقْنُتِي﴾ القنوت هنا بمعنى الطاعة والعبادة، وقيل: طول القيام في الصلاة، وهو قول الأكثرين ﴿وَاسْجُدِي وَارْكَعِي﴾ أمرت بالصلاة فذكر القنوت والسجود لكونها من هيئة الصلاة وأركانها، ثم قيل لها اركعي مع الراكعين بمعنى ولتكن صلاتك مع المصلين، أي في الجماعة فلا يقتضي الكلام على هذا تقديم السجود على الركوع ؛ لأنه لم يرد الركوع والسجود المنضمين في ركعة واحدة، وقيل: أراد ذلك وقدم السجود لأن الواو لا ترتب، ويحتمل أن تكون الصلاة في ملتهم بتقديم السجود على الركوع.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدم من القصص، وهو خطاب للنبي ﷺ، ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ احتجاج على نبوءته ﷺ لكونه أخبر بهذه الأخبار وهو لم يحضر معهم ﴿يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ﴾ أي أزلامهم وهي قداحهم، وقيل: الأقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة اقترعوا بها على كفالة مريم حرصا عليها وتنافسا في كفالتها، وتدل الآية على جواز القرعة، وقد ثبتت أيضا من السنة[1] ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ مبتدأ وخبر في موضع نصب بفعل تقديره: ينظرون أيهم ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ يختلفون فيمن يكفلها منهم.

(١) فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفرا أقرع بين أزواجه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، فأقرع بيننا في غزاة غزاها فخرج سهمي فخرجت معه بعد ما أنزل الحجاب... إلى آخر الحديث، رواه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٢٥٩٣)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٧٧٠)، وأحمد في مسنده: ٦/١٩٥، والنسائي في تفسيره: ١/٩٩، والطبري في جامع البيان: ١٩/١٢٠، وغيرهم.

وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

ربع

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾ إذ بدل من إذ قالت، أو من إذ يختصمون، والعامل فيه مضمر. ﴿اسْمُهُ﴾ أعاد الضمير المذكر على الكلمة لأن المسمى بها ذكر ﴿الْمَسِيحُ﴾ قيل: هو مشتق من ساح في الأرض فوزنه مفعل، وقال الأكثرون من مسح لأنه مسح بالبركة فوزنه فعيل، وإنما قال عيسى ابن مريم والخطاب لمريم لينسبه إليها إعلاما بأنه يولد من غير والد ﴿وَجِيهًا﴾ نصب على الحال، ووجاهته في الدنيا النبوءة والتقديم على الناس، وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة.

﴿فِي الْمَهْدِ﴾ في موضع الحال ﴿وَكَهْلًا﴾ عطف عليه والمعنى أنه يكلم الناس صغيرا آية تدل على براءة أمه مما قذفها به اليهود، وتدل على نبوءته ويكلمهم أيضا كبيرا ففيه إعلام بعيشه إلى أن يبلغ سن الكهولة، وأوله ثلاث وثلاثون سنة، وقيل: أربعون[1].

﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ عطف على يبشرك أو ويكلم ﴿الْكِتَابَ﴾ هنا جنس، وقيل: الخط باليد والحكمة هنا العلوم الدينية أو الإصابة في القول والفعل ﴿وَرَسُولًا﴾ حال معطوف على ويعلمه إذ التقدير ومعلما الكتاب أو يضمر له فعل تقديره: أرسل رسولا أو جاء رسولا ﴿إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي أرسل إليهم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مبينا

(١) مذهب مالك أن الكهولة تبدأ من الأربعين إلى الستين، مواهب الجليل: ٦٦٧/٧، والدسوقي: ٩٤/٤، والتاج والإكليل: ٤٥/٦.

لحكم التوراة ﴿أَنِّي﴾ تقديره بأني ﴿أَخْلُقُ﴾ بفتح الهمزة بدل من أني الأولى أو من آية ويكسرها ابتداء كلام ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ ذكر هنا الضمير لأنه يعود على الطير أو على الكاف من كهيئة وأنث في المائدة لأنه يعود على الهيئة ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ قيل: إنه لم يخلق غير الخفاش، وقرئ: طيرا[1] بياء ساكنة على الجمع وبالألف وهمزة على الإفراد، ذكر ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ رفعا لوهم من توهم في عيسى الربوبية. ﴿وَأُبْرِئُ﴾ روي: أنه كان يجتمع إليه جماعة من العميان والبرصاء فيدعو لهم فيبرؤون ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ روي:[2] أنه كان يضرب بعصاه الميت أو القبر فيقوم الميت ويكلمه، وروي أنه أحيى سام بن نوح ﴿وَأُنَبِّئُكُم﴾ كان يقول: يا فلان أكلت كذا وادخرت في بيتك كذا.

﴿وَمُصَدِّقًا﴾ عطف على رسولا أو على موضع ﴿بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ لأنه في موضع الحال وهو أحسن؛ لأنه من جملة كلام عيسى، فالتقدير: جئتكم بآية من ربكم، وجئتكم مصدقا ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم﴾ عطف على بآية من ربكم، وكانوا قد حرم عليهم الشحم ولحم الإبل وأشياء من الحيتان والطير، فأحل لهم عيسى بعض ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ رد على من نسب الربوبية لعيسى، وانتهى كلام عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى قوله: ﴿صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ وابتداؤه من قوله ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم﴾ وكل ذلك يحتمل أن يكون مما ذكرت الملائكة لمريم حكاية عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه سيقوله، ويحتمل أن يكون خطاب مريم قد انقطع ثم استؤنف الكلام من قوله: ﴿وَرَسُولًا﴾

---

(١) قال الشاطبي:

وَفِـي طَـائِراً طَيْـراً بِهـاَ وَعُقُودِهـاَ (خُصُـ)ـوصاً وَيَاءٌ فِي نُوَفِّيهِمُ (عَـ)ـلاَ

أي قرؤوا طيرا في موضع طائرا هنا وفي المائدة دون غيرهما، وأشار إلى ذلك بقوله: خصوصا وهو مصدر والطائر مفرد والطير اسم جمع ويقع على المفرد وجمعه طيور وأطيار وجمع طائر أيضا أطيار كصاحب وأصحاب. إبراز المعاني من حرز الأماني: ٢/١٨، وانظر النشر: ٢/٢٧٤.

(٢) المحرر الوجيز: ١/٤٥٢.

رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَٰتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾

على تقدير جاء عيسى رسولا بأني قد جئتكم بآية من ربكم، ثم استمر كلامه إلى آخره.

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ﴾ أي علم علما ظاهرا كعلم ما يدرك بالحواس ﴿مَنْ أَنصَارِيَ﴾ طلب للنصرة والأنصار جمع ناصر ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ تقديره: من يضيف أنفسهم في نصرتي إلى الله فلذلك قيل: إلى هنا بمعنى مع، أو يتعلق بمحذوف تقديره: ذاهبا أو ملتجئا إلى الله ﴿الْحَوَارِيُّونَ﴾ حواري الرجل صفوته وخاصته، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «لكل نبيء حواري وإن حواري الزبير»[1]، وقيل: إن الحواريين كانوا قصارين يحورون الثياب أي يبيضونها ولذلك سماهم الحواريين.

﴿بِمَا أَنزَلْتَ﴾ يريدون الإنجيل والرسول هنا عيسى عليه السلام: ﴿مَعَ الشَّٰهِدِينَ﴾ أي مع الذين يشهدون بالحق من الأمم، وقيل: مع أمة محمد ﷺ؛ لأنهم يشهدون على الناس.

﴿وَمَكَرُوا﴾ الضمير لكفار بني إسرائيل، ومكرهم أنهم وكلوا بعيسى من يقتله غيلة ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ أي رفع عيسى إلى السماء وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل عوضا منه، وعبر عن فعل الله بالمكر مشاكلة لقوله: ﴿مَكَرُوا﴾.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْر» الحديث رقم: (٢٨٤٦)، ومسلم الحديث رقم: (٢٤١٥)، وابن ماجه الحديث رقم: (١٢٢)، والبغوي في شرح السنة: ١٤/١٢٢، والمستدرك: ٣/٣٠٧.

﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ أي أقواهم وهو فاعل ذلك بحق، والماكر من البشر فاعل بالباطل.

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ العامل فيه فعل مضمر أو يمكر ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ قيل: وفاة موت، ثم أحياه الله في السماء، وقيل: رفع حيا ووفاة الموت بعد أن ينزل إلى الأرض فيقتل الدجال، وقيل: يعني وفاة نوم، وقيل: المعنى قابضك من الأرض إلى السماء ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ أي إلى السماء ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾ أي من سوء جوارهم ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾ هم المسلمون وعلوهم على الكفرة بالحجة وبالسيف في غالب الأمر، وقيل: الذين اتبعوك النصارى والذين كفروا اليهود فالآية مخبرة عن عزة النصارى على اليهود وإذلالهم لهم.

﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ﴾ إشارة إلى ما تقدم من الأخبار ﴿مِنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾ المتلوات أو المعجزات ﴿وَٱلذِّكْرِ﴾ القرآن ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ الناطق بالحكمة.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ﴾ الآية حجة على النصارى في قولهم كيف يكون ابن دون أب؟ فمثله الله بآدم الذي خلقه الله دون أم ولا أب، وذلك أغرب مما استبعدوه، فهو أقطع لقولهم ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ تفسير لحال آدم فيكون حكاية عن حال ماضية، والأصل لو قال: خلقه من تراب ثم قال له كن فكان، لكنه وضع المضارع موضع الماضي ليصور في نفوس المخاطبين أن الأمر كأنه حاضر دائم.

﴿ٱلْحَقُّ﴾ خبر مبتدأ مضمر.

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ﴾ أي في عيسى وكان الذي حاجه فيه وفد نجران من النصارى، وكان لهم سيدان يقال لأحدهما السيد، والآخر العاقب، ﴿نَبْتَهِلْ﴾ نلتعن، والبهلة اللعنة، أي نقول: لعنة الله على الكاذب منا ومنكم، هذا أصل الابتهال، ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن لعنة، ولما نزلت الآية

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

أرسل رسول الله ﷺ إلى علي وفاطمة والحسن والحسين، ودعا نصارى نجران إلى الملاعنة، فخافوا أن يهلكهم الله، أو يمسخهم الله قردة وخنازير، فأبوا من الملاعنة وأعطوا الجزية[1].

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ خطاب لنصارى نجران، وقيل: لليهود ﴿سَوَاءٍ﴾ أي عدل ونصف ﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾ بدل من كلمة أو رفع على تقدير هي، ودعاهم ﷺ إلى توحيد الله وترك ما عبدوه من دونه كالمسيح والأحبار والرهبان.

﴿لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ قالت اليهود كان إبراهيم يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فنزلت الآية[2] ردا عليهم؛ لأن ملة اليهود والنصارى إنما وقعت بعد موت إبراهيم بمدة طويلة.

﴿هَا أَنتُمْ﴾ ها تنبيه، وقيل: بدل من همزة الاستفهام، وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره، وحاججتم استئناف، أو هؤلاء منصوب على التخصيص وحاججتم الخبر ﴿فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ فيما نطقت به التوراة والإنجيل ﴿فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ ما تقدم على ذلك من حال إبراهيم.

---

(١) صحيح أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٤٣٨٠)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٥٥)، وانظر الدر المنثور للسيوطي: ٢/٢٣٠.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٦/٤٩٠، والبيهقي في دلائل النبوءة: ٥/٣٨٤، وهو بإسناد ضعيف.

يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١) وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢) وَلَا تُؤْمِنُوٓا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (٧٣) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ (٧٤) • وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ (٧٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٧)

ربع

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً﴾ رد على اليهود والنصارى ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ نفي للإشراك الذي هو عبادة الأوثان، ودخل في ذلك الإشراك الذي يتضمن دين اليهود والنصارى.

﴿وَهَـٰذَا النَّبِيءُ﴾ عطف على الذين اتبعوه أي محمد ﷺ، ﴿أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾ لأنه على دينه ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أمة محمد ﷺ.

﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ﴾ هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا إلى اليهودية ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ﴾ أي لا يعود وبال الإضلال إلا عليهم.

﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ أي تعلمون أن محمدا ﷺ نبيء.

﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ﴾ أي تخلطون، والحق نبوءة محمد ﷺ، والباطل الكفر به.

﴿ءَامِنُواْ بِالَّذِيَ أُنزِلَ﴾ كان قوم من اليهود لعنهم الله أظهروا الإسلام أول النهار ثم كفروا آخره ليخدعوا المسلمين، فيقولوا ما رجع هؤلاء إلا عن علم، وقال السهيلي: إن هذه الطائفة هم عبد الله بن الصيف وعدي بن زيد والحارث بن عوف[1].

﴿أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ يحتمل أن يكون من تمام الكلام الذي أمر

---

(١) انظر المحرر الوجيز: ١/٤٦٧.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقوله متصلا بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ وأن يكون من كلام أهل الكتاب فيكون متصلا بقولهم ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ ويكون إن الهدى اعتراض بين الكلامين، فعلى الأول يكون المعنى: كراهة أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم وقلتم ما قلتم ودبرتم ما دبرتم من الخداع، فموضع أن يؤتى مفعول من أجله، أو منصوب بفعل مضمر تقديره: فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الكتاب والنبوءة، وعلى الثاني: فيكون المعنى لا تؤمنوا أي لا تقروا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ﴿إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ واكتموا ذلك على من لم يتبع دينكم لئلا يدعوهم إلى الإسلام فموضع أن يؤتى مفعول بتؤمنوا المضمن معنى تقروا، ويمكن أن يكون في موضع المفعول من أجله، أي لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم كراهية أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾ عطف على أن يؤتى وضمير الفاعل للمسلمين وضمير المفعول لليهود. ﴿إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ رد على اليهود في قولهم: لم يؤت الله أحدا مثل ما أوتي بنو إسرائيل من النبوءة والشرف.

﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية إخبار أن أهل الكتاب على قسمين أمين وخائن وذكر القنطار مثالا للكثير، فمن أداه أدى ما دونه، وذكر الدينار مثالا للقليل، فمن منعه منع ما فوقه بطريق الأولى، ﴿قَآئِمًا﴾ يحتمل أن يكون من القيام الحقيقي بالجسد، أو من القيام بالأمر وهو العزيمة عليه ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ الإشارة إلى خيانتهم والباء للتعليل ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا﴾ زعموا بأن أموال الأميين وهم العرب حلال لهم ﴿ٱلْكَذِبَ﴾ هنا قولهم إن الله أحلها عليهم في التوراة، أو كذبهم على الإطلاق.

﴿بَلَىٰ﴾ عليهم سبيل وتباعة في أموال الأميين ﴿بِعَهْدِهِۦ﴾ الضمير يعود على من أو على الله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ الآية قيل: نزلت[1] في اليهود لأنهم تركوا عهد الله في

---

(١) الطبري في تفسيره: ٥٢٨/٦، والبغوي في معالم التنزيل: ٥٧/٢ بسند منقطع...

وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون (٧٨) ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون (٧٩) ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون (٨٠) وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين (٨١) فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون (٨٢) ۞ أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون (٨٣)

ثمن

التوراة لأجل الدنيا، وقيل: نزلت[1] بسبب خصومة بين الأشعث من قيس وآخر، فأراد خصمه أن يحلف كاذبا.

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ الضمير عائد على أهل الكتاب ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم﴾ أي يحرفون اللفظ أو المعنى ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ الضمير يعود على ما دل عليه قوله يلوون ألسنتهم وهو الكلام المحرف.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ الآية هذا النفي متسلط على ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ﴾ والمعنى: لا يدعي الربوبية من آتاه الله النبوءة، والإشارة إلى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، رد على النصارى الذين قالوا إنه الله، وقيل: إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن اليهود قالوا له يا محمد، تريد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى؟ فقال: معاذ الله ما بذلك أمرت ولا إليه دعوت[2] ﴿رَبَّانِيِّينَ﴾ جمع رباني وهو العالم، وقيل: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره ﴿بِمَا كُنتُمْ﴾ الباء سببية وما مصدرية ﴿تَعْلَمُونَ﴾ بالتخفيف تعرفون وقرئ[3] بالتشديد من التعليم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٢٣٥٦)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٣٨)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٣٢٤٣)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٩٩٦).

(٢) الطبري في جامع البيان: (٥٣٩/٦)، وابن كثير في تفسيره: ٧٦/٢ من طريق ابن إسحاق بسند ضعيف.

(٣) ﴿تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ قرأ ابن عامر والكوفيون بضم التاء وفتح العين وكسر اللام مشددة. وقرأ الباقون بفتح التاء واللام وإسكان العين مخففاً. النشر: ٢٧٤/٢.

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ بالرفع استئناف والفاعل الله أو البشر المذكور وقرئ[1] بالنصب عطف على أن يؤتيه أو على ثم يقول والفاعل على هذا البشر.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ معنى الآية أن الله أخذ العهد والميثاق على كل نبيء أن يؤمن بمحمد ﷺ وينصره إن أدركه وتضمن ذلك أخذ هذا الميثاق على أمم الأنبياء واللام في قوله ﴿لَمَا ءَاتَيْنَاكُم﴾ لام التوطئة لأن أخذ الميثاق في معنى الاستخلاف، واللام في لتؤمنن جواب القسم، وما يحتمل أن تكون شرطية ولتؤمنن سد مسد جواب القسم والشرط، وأن تكون موصولة بمعنى الذي آتيناكموه ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ والضمير في به ولتنصرنه عائد على الرسول ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ﴾ أي اعترفتم ﴿إِصْرِى﴾ عهدي ﴿فَاشْهَدُوا﴾ أي على أنفسكم وعلى أممكم بالتزام هذا العهد ﴿وَأَنَا مَعَكُم﴾ تأكيد للعهد بشهادة رب العزة جل جلاله.

﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي من تولى عن الإيمان بهذا النبي ﷺ بعد هذا الميثاق فهو فاسق مرتد متمرد في كفره.

﴿أَفَغَيْرَ﴾ الهمزة للإنكار والفاء عطفت جملة على جملة، وغير مفعول قدم للاهتمام به أو للحصر ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ﴾ أي انقاد واستسلم ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ مصدر في موضع الحال، والطوع للمؤمنين والكره للكافر إذا عاين الموت، وقيل: عند أخذ الميثاق المتقدم، وقيل: إقرار كل كافر بالصانع هو إسلامه كرها.

﴿قُلْ ءَامَنَّا﴾ أمر النبي ﷺ أن يخبر عن نفسه وعن أمته بالإيمان ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ تعدى هنا بعلى مناسبة لقوله: قل وفي البقرة بإلى لقوله: قولوا لأن على حرف استعلاء يقتضي النزول من علو ونزوله على هذا المعنى مختص بالنبي ﷺ، وإلى حرف غاية وهو موصل إلى جميع الأمة.

---

(١) ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة وخلف ويعقوب بنصب الراء، وقرأ الباقون بالرفع. النشر: ٢/٢٧٤.

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾

﴿وَمَن يَبْتَغِ﴾ الآية إبطال لجميع الأديان غير الإسلام، وقيل: نسخت ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَـٰرَىٰ﴾ الآية.

﴿كَيْفَ﴾ سؤال والمراد به هنا استبعاد الهدى ﴿قَوْماً كَفَرُواْ﴾ نزلت[1] في الحرث بن سويد وغيره، أسلموا ثم ارتدوا ولحقوا بالكفار، ثم كتبوا إلى أهلهم هل لنا من توبة؟ فنزلت الآية إلى قوله ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ﴾ فرجعوا إلى الإسلام، وقيل: نزلت[2] في اليهود والنصارى شهدوا بصفة النبي ﷺ وآمنوا به، ثم كفروا به لما بعث ﴿وَشَهِدُواْ﴾ عطف على إيمانهم؛ لأن معناه بعد أن آمنوا، وقيل: الواو للحال، وقال ابن عطية[3]: عطف على كفروا، والواو لا ترتب.

﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ عموم بمعنى الخصوص في المؤمنين، أو على عمومه وتكون اللعنة في الآخرة.

﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَا﴾ الضمير عائد على اللعنة، وقيل: على النار وإن لم تكن ذكرت؛ لأن المعنى يقتضيها.

---

(١) أخرجه النسائي الحديث رقم: (٨٥)، وابن حبان في صحيحه الحديث رقم: (١٠)، والواحدي في أسباب النزول، ص: ٩٦ قال الحاكم هذا إسناد صحيح وإن لم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان الأثر رقم: (٧٣٦٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم: (٩١٥)، وهو بسند ضعيف.

(٣) المحرر الوجيز: ١/٤٨٦.

لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩١﴾ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٢﴾ فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٣﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ ۗ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٥﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴿٩٦﴾ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾

﴿ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا﴾ قيل: هم اليهود كفروا بعيسى بعد إيمانهم بموسى ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد ﷺ، وقيل: كفروا بمحمد ﷺ بعد أن كانوا مؤمنين قبل مبعثه، ثم ازدادوا كفرا بعداوتهم له وطعنهم عليه، وقيل: هم الذين ارتدوا ﴿لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ﴾ قيل: ذلك عبارة عن موتهم على الكفر، أي ليس لهم توبة فتقبل، وذلك في قوم بأعيانهم ختم الله لهم بالكفر، وقيل: لن تقبل توبتهم مع إقامتهم على الكفر، فذلك عام.

﴿فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ﴾ جزم بالعذاب لكل من مات على الكفر، والواو في قوله ﴿وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ قيل: زائدة، وقيل: للعطف على محذوف، كأنه قال: لن يقبل من أحدهم لو تصدق به ﴿وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ وقيل: نفي أولا القبول جملة على الوجوه كلها، ثم خص الفدية بالنفي كقولك: أنا لا أفعل كذا أصلا ولو رغبت إلي.

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ﴾ أي لن تكونوا من الأبرار أو لن تنالوا البر الكامل ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ من أموالكم ولما نزلت قال أبو طلحة إن أحب أموالي إلي بيرحاء وإنها صدقة[1]، وكان ابن عمر يتصدق بالسكر ويقول: إني لأحبه[2].

---

(١) أخرجه البخاري الحديث رقم: (١٤٦١)، ومسلم الحديث رقم: (٩٩٨)، وأبو داود الحديث رقم: (١٦٨٦)، والترمذي الحديث رقم: (٢٩٩٧).

(٢) المحرر الوجيز: ١٥٨/٣.

﴿كُلُّ الطَّعَامِ﴾ الآية إخبار أن الأطعمة كانت حلالا لبني إسرائيل ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَآءِيلُ﴾ أبوهم ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ وهو لحم الإبل ولبنها، ثم حرمت عليهم أنواع من الأطعمة كالشحوم وغيرها عقوبة لهم على معاصيهم، وفيها رد عليهم في قولهم: إنهم على ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وأن الأشياء التي هي محرمة كانت محرمة على إبراهيم، وفيها دليل على جواز النسخ ووقوعه لأن الله حرم عليهم تلك الأشياء بعد حلها، خلافا لليهود في قولهم: إن النسخ محال على هذه الأشياء، وفيها معجزة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لإخباره بذلك من غير تعلم من أحد، وسبب تحريم إسرائيل لحوم الإبل على نفسه أنه مرض فنذر إن شفاه الله أن يحرم أحب الطعام إليه شكرا لله وتقربا إليه، ويؤخذ من ذلك أنه يجوز للأنبياء أن يحرموا على أنفسهم باجتهادهم ﴿فَأْتُوا بِالتَّوْرَىٰةِ﴾ تعجيزا لليهود وإقامة حجة عليهم، وروي: أنهم لم يجسروا على إخراج التوراة.

﴿فَمَنِ افْتَرَىٰ﴾ أي من زعم بعد هذا البيان أن الشحم وغيره كان محرما على بني إسرائيل قبل نزول التوراة، فهو الظالم المكابر بالباطل.

﴿صَدَقَ اللَّهُ﴾ أي الأمر كما وصف لا كما تكذبون أنتم ففيه تعريض بكذبهم ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ إلزام لهم أن يسلموا كما ثبت أن ملة الإسلام هي ملة إبراهيم التي لم يحرم فيها شيء مما هو محرم عليهم.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ﴾ أي أول مسجد بني في الأرض، وقد سأل أبو ذر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أي مسجد بني أول؟ قال: المسجد الحرام، ثم بيت المقدس[1]، وقال

---

(١) البخاري في صحيحه، ولفظه: قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: (المسجد الحرام). قال قلت: ثم أي؟ قال: (المسجد الأقصى). قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فصله، فإن الفضل فيه. الحديث رقم: (٣٣٦٦)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٥٢٠)، والنسائي في سننه: ٢/٣٢، وابن ماجه في سننه الحديث رقم: (٧٥٣)، وابن حبان في صحيحه الحديث رقم: (١٥٩٨)، وابن خزيمة في صحيحه الحديث رقم: (٧٨٧)، وغيرهم.

علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١]، المعنى: أنه أول بيت وضع مباركا وهدى وقد كانت قبله بيوت ﴿بِبَكَّةَ﴾ قيل: هي مكة، والباء بدل من الميم، وقيل: مكة الحرم كله، وبكة المسجد وما حوله ﴿مُبَارَكًا﴾ نصب على الحال والعامل فيه على قول علي وضع ﴿مُبَارَكًا﴾ على أنه حال من الضمير الذي فيه، وعلى القول الأول: هو حال من الضمير المجرور، والعامل فيه العامل المجرور من معنى الاستقرار.

﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ آيات البيت كثيرة منها: الحجر الذي هو مقام إبراهيم، وهو الذي قام عليه حين رفع القواعد من البيت، فكان كلما طال البناء ارتفع به الحجر في الهواء حتى أكمل البناء، وغرقت قدم إبراهيم في الحجر كأنها في طين وذلك الأثر باق إلى اليوم[٢].

ومنها: أن الطيور لا تعلوه.

ومنها: إهلاك أصحاب الفيل ورد الجبابرة عنه، ونبع زمزم لهاجر أم إسماعيل بهمز جبريل بعقبه، وحفر عبد المطلب لها[٣] بعد دثورها، وأن ماءها ينفع لما شرب له، إلى غير ذلك ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ قيل: إنه بدل من الآيات أو عطف بيان وإنما جاز بدل الواحد من الجمع لأن المقام يحتوي على آيات كثيرة لدلالته على قدرة الله تعالى، وعلى نبوءة إبراهيم، وغير ذلك، وقيل: الآيات مقام إبراهيم، وأمن من دخله، فعلى هذا يكون قوله: ومن دخله عطفا، وعلى الأول استئنافا، وقيل: التقدير منهن مقام إبراهيم، فهو على هذا مبتدأ، والمقام هو الحجر المذكور، وقيل: البيت كله، وقيل: مكة كلها.

﴿كَانَ ءَامِنًا﴾ أي آمنا من العذاب، فإنه كان في الجاهلية إذا فعل أحد

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٩/٧، والحاكم في المستدرك على الصحيحين: ٢٩٢/٢ قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) في (أ): (إلى يوم القيامة).

(٣) قوله: (لها) زيادة من المخطوطات.

جريمة ثم لجأ إلى البيت لا يطلب ولا يعاقب.

فأما في الإسلام: فإن الحرم لا يمنع من الحدود ولا من القصاص، وقال ابن عباس(١) وأبو حنيفة ذلك الحكم باق في الإسلام، إلا أن من وجب عليه حد أو قصاص فدخل الحرم لا يطعم ولا يباع منه حتى يخرج، وقيل: آمنا من النار ﴿حَجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ بيان لوجوب الحج، واختلف هل هو على الفور أو على التراخي؟ وفي الآية رد على اليهود لما زعموا أنهم على ملة إبراهيم، قيل: لهم إن كنتم صادقين فحجوا البيت الذي بناه إبراهيم ودعا الناس إليه.

﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ﴾ بدل من الناس، وقيل: فاعل بالمصدر وهو حج، وقيل: شرط مبتدأ أي من استطاع فعليه الحج، والاستطاعة عند مالك: هي القدرة على الوصول إلى مكة بصحة البدن، إما راجلا وإما راكبا، مع الزاد المبلغ والطريق الآمن، وقيل: الاستطاعة الزاد والراحلة وهو مذهب الشافعي وعبد الملك بن حبيب، وروي في ذلك حديث ضعيف(٢).

﴿وَمَن كَفَرَ﴾ قيل: المعنى من لم يحج، وعبر عنه بالكفر تغليظا، كقوله ﷺ: «من ترك الصلاة فقد كفر»(٣)، وقيل: أراد اليهود؛ لأنهم لا يحجون، وقيل: من زعم أن الحج ليس بواجب.

﴿لِمَ تَكْفُرُونَ﴾ توبيخ لليهود. ﴿لِمَ تَصُدُّونَ﴾ توبيخ أيضا، وكانوا يمنعون

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٣/٧، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٤١٤/٢، وهو أثر صحيح.

(٢) هذا الحديث مروي عن ابن عمر وابن عباس وعائشة وجابر بن عبد الله وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن مسعود أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٩/٧، وغيره قال الألباني في إرواء الغليل: ١٦٦/٤، وخلاصة القول: إن طرق هذا الحديث كلها واهية...

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، الحديث رقم: (٢٦٢١)، وابن ماجه في سننه، الحديث رقم: (١٠٧٩)، وأحمد في المسند: ٣٤٦/٥، وابن أبي شيبة في المصنف: ٣٤/١١، وابن عبد البر في التمهيد: ٢٣٠/٤، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١٧٨/١...

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ
رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾
يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم
مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا
وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ
فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
﴿١٠٣﴾ ۞ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا
تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْبَيِّنَٰتُ
وَأُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ
وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ
فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ
وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ
اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾

الناس من الإسلام ويرومون فتنة المسلمين عن دينهم ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هنا الإسلام ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾ الضمير يعود على السبيل، أي تطلبون لها الاعوجاج ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ أي تشهدون أن الإسلام حق.

﴿إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً﴾ الآية لفظها عام والخطاب للأوس والخزرج إذ كان اليهود يريدون فتنتهم ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ إنكار واستبعاد.

﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ قيل: نسخها فاتقوا الله ما استطعتم، وقيل: لا نسخ إذ لا تعارض فإن العباد أمروا بالتقوى على الكمال فيما استطاعوا تحرزا من الإكراه وشبهه.

﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ أي تمسكوا، والحبل هنا مستعار من الحبل الذي تشد عليه اليد، والمراد هنا القرآن، وقيل: الجماعة ﴿وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ نهي عن التدابر والتقاطع إذ قد كان الأوس هموا بالقتال مع الخزرج لما رام اليهود إيقاع الشر بينهم، ويحتمل أن يكون نهيا عن التفرق في أصول الدين، ولا يدخل في النهي الاختلاف في الفروع ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾ كان بين الأوس والخزرج عداوة وحروب عظيمة إلى أن جمعهم الله بالإسلام ﴿شَفَا حُفْرَةٍ﴾ أي حرف حفرة وذلك تشبيه لما كانوا عليه من الكفر والعداوة التي تقودهم إلى النار.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ الآية دليل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر واجب، وقوله ﴿مِّنكُمْ﴾ دليل على أنه فرض كفاية لأن من للتبعيض، وقيل: إنها لبيان الجنس وأن المعنى: كونوا أمة، وتغيير المنكر يكون باليد واللسان وبالقلب، على حسب الأحوال.

﴿كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟﴾ هم اليهود والنصارى نهى الله المسلمين أن يكونوا مثلهم وورد في الحديث أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل: ومن تلك الواحدة؟ قال: من كان على ما أنا وأصحابي عليه**»[1].

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ العامل فيه محذوف، وقيل: عذاب عظيم ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ أي يقال لهم أكفرتم، والخطاب لمن ارتد عن الإسلام، وقيل: للخوارج، وقيل: لليهود لأنهم آمنوا بصفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المذكورة في التوراة ثم كفروا به لما بعث.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ كان هنا هي التي تقتضي الدوام كقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ وقيل: كنتم في علم الله، وقيل: كنتم فيما وصفتم به في الكتب المتقدمة، وقيل: كنتم بمعنى أنتم والخطاب لجميع المؤمنين، وقيل: للصحابة خاصة.

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ أي بالكلام خاصة، وهو أهون المضرة ﴿يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ إخبار بغيب ظهر في الوجود صدقه ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ إخبار مستأنف غير معطوف على يولوكم وفائدة ذلك أن توليهم الأدبار مقيد بوقت القتال وعدم النصر

(١) الذي في كتب السنن هو «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة» أخرجه أبو داود الحديث رقم: (٤٥٩٦) كتاب السنة، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٦٤٠) كتاب الإيمان، وابن ماجه في سننه، كتاب الفتن الحديث رقم: (٣٩٩٢)، وابن حبان في صحيحه: ١٤/١٤٠، قال الترمذي حديث حسن صحيح، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ اللَّهِ ءَانَآءَ الَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي الْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌۢ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

ربع

على الإطلاق، وعطفت الجملة على جملة الشرط والجزاء وثم لترتيب الأحوال؛ لأن عدم نصرهم على الإطلاق أشد من توليهم الأدبار حين القتال.

﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ الحبل هنا العهد والذمة.

﴿لَيْسُواْ سَوَآءً﴾ أي ليس أهل الكتاب مستوين في دينهم ﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ أي قائمة بالحق، وذلك فيمن أسلم من اليهود كعبد الله بن سلام، وثعلبة بن سعيد، وأخيه أسد، وغيرهم ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ يدل أن تلاوتهم للكتاب في الصلاة ﴿فَلَن تُكْفَرُوهُ﴾ أي لن تحرموا ثوابه.

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾ الآية تشبيه لنفقة الكافرين بزرع أهلكته ريح باردة فلن ينتفع به أصحابه، فكذلك لا ينتفع الكفار بما ينفقون، وفي الكلام حذف، تقديره: مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح، أو مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح، وإنما احتيج لهذا لأن ما ينفقون ليس شبيها بالريح إنما هو شبيه بالزرع الذي أهلكته الريح ﴿صِرٌّ﴾ أي برد ﴿حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ أي عصوا الله فعاقبهم بإهلاك حرثهم ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ الضمير للكفار والمنافقين أو لأصحاب الحرث، والأول أرجح لأن قوله: ﴿أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فعل حال يدل على أنه للحاضرين.

﴿بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ أي أولياء من غيركم، فالمعنى: نهي عن استخلاص الكفار وموالاتهم، وقيل لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن هنا رجلا من النصارى لا أحد أحسن

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم
مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾
مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا
صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا
ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا
وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي
صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾
هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ
وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ
مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ
﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ
يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا
إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ۞ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ
تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

ثمن

خطا منه، أفلا يكتب عنك؟ فقال: إذا أتخذ بطانة من دون المؤمنين[١] ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ أي لا يقصرون في إفسادكم، والخبال الفساد ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ أي تمنوا مضرتكم، وما مصدرية وهذه الجملة والتي قبلها صفة للبطانة أو استئناف.

﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ أي بكل كتاب أنزله الله واليهود لا يؤمنون بقرآنكم ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ عبارة عن شدة الغيظ مع عدم القدرة على إنفاذه، والأنامل جمع أنملة بضم الميم وفتحها ﴿مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ تقريع وإغاظة، وقيل: دعاء.

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ﴾ الحسنة هنا الخيرات من النصر والرزق وغير ذلك والسيئة ضدها. ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ من الضير بمعنى الضر.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ نزلت[٢] في غزوة أحد، وكان غدو رسول الله ﷺ للقتال صبيحة يوم السبت، وخرج من المدينة يوم الجمعة بعد الصلاة، وكان قد شاور أصحابه قبل الصلاة ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تنزلهم وذلك يوم السبت حين حضر القتال، وقيل: ذلك يوم الجمعة بعد الصلاة حين خرج من المدينة

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٥٠٠/٢، وابن أبي شيبة في المصنف: ٦٥٨/٨، وهو أثر صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره بإسناد حسن: ٥١٣/٢، والواحدي في أسباب النزول، ص: ١٠٢، ولباب النقول في أسباب النزول، ص: ٤٥.

﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾

وذلك ضعيف؛ لأنه لا يقال غدوت فيما بعد الزوال إلا على المجاز، وقيل: ذلك يوم الجمعة قبل الصلاة حين شاور الناس وذلك ضعيف؛ لأنه لم يبوئ حينئذ مقاعد للقتال، إلا أن يراد أنه بوأهم بالتدبير حين المشاورة ﴿مَقَاعِدَ﴾ مواضع وهو جمع مقعد.

﴿طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ﴾ هما بنو حارثة من الأوس وبنو سلمة من الخزرج لما رأوا كثرة المشركين وقلة المسلمين هموا بالانصراف فعصمهم الله ونهضوا مع رسول الله ﷺ ﴿أَن تَفْشَلَا﴾ الفشل في البدن هو الإعياء والفشل في الرأي هو العجز والحيرة وفساد العزم ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ أي مثبتهما[1]، وقال جابر بن عبد الله[2]: ما وددنا أنها لم تنزل لقوله ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ تذكير بنصر الله لهم يوم بدر لتقوى قلوبهم ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ الذلة هي قلة عددهم وضعف عددهم، كانوا يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا، ولم يكن لهم إلا فرس واحد، وكان المشركون ما بين التسعمائة والألف، وكان معهم مائة فرس، فقتل من المشركين سبعون، وأسر منهم سبعون، وانهزم سائرهم. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ متعلق بنصركم أو باتقوا، والأول أظهر.

---

(١) في المخطوطات: (أي ثبتهما الله).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في المغازي الحديث رقم: (٤٠٥١)، ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل الحديث رقم: (١٧١)، والطبري في جامع البيان: ٧/١٦٧.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ كان هذا القول يوم بدر، وقيل: يوم أحد، فالعامل في إذ على الأول محذوف، وعلى الثاني بدل من إذ غدوت ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾ تقرير جوابه بلى، وإنما جاوب المتكلم لصحة الأمر وبيانه كقوله: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾.

﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ﴾ الضمير للمشركين، والفور السرعة أي من ساعتهم، وقيل المعنى: من سفرهم ﴿بِخَمْسَةِ ءَالَافٍ﴾ بأكثر من العدد الذي يكفيكم ليزيد ذلك في قوتكم فإن كان هذا يوم بدر فقد قاتلت فيه الملائكة، وإن كان يوم أحد فقد شرط في قوله: ﴿إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ فلما خالفوا الشرط لم تنزل الملائكة ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ بفتح الواو وكسرها أي معلمين أو معلمين أنفسهم أو خيلهم، وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضا، إلا جبريل فإنه كانت عمامته صفراء، وقيل: كانوا بعمائم صفر، وكانت خيلهم مجزوزة الأذناب، وقيل: كانوا على خيل بلق.

﴿وَمَا جَعَلَهُ﴾ الضمير عائد على الإنزال أو الإمداد ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ معطوف على بشرى لأن هذا الفعل بتأويل المصدر، وقيل: يتعلق بفعل مضمر يدل عليه جعله.

﴿لِيَقْطَعَ﴾ يتعلق بقوله ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ﴾ أو بقوله: ﴿وَمَا النَّصْرُ﴾.

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ جملة اعتراضية بين المعطوفين، ونزلت لما دعا رسول الله ﷺ في الصلاة على أحياء من العرب فترك الدعاء عليهم[1] ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ معناه يسلمون.

﴿أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ كانوا يزيدون فيه كل ما حل عاما بعد عام.

---

(١) البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٤٠٦٩)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٠٠٤)، والنسائي في سننه الحديث رقم: (١٠٧٨)، والبيهقي في سننه: ١٩٨/٢، وابن خزيمة في صحيحه الحديث رقم: (٦٢٢).

ربع • سَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَٰوَٰتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾

﴿سَارِعُوا﴾ بغير واو[1] استئناف وبالواو عطف على ما تقدم ﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ﴾ أي إلى الأعمال التي تستحقون بها المغفرة ﴿عَرْضُهَا﴾ قال ابن عباس[2]: تقرن السموات والأرض بعضها إلى بعض كما تبسط الثياب، فذلك عرض الجنة، ولا يعلم طولها إلا الله، وقيل: ليس العرض هنا خلاف الطول، وإنما المعنى سعتها كسعة السموات والأرض.

﴿فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ في العسر واليسر ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ حذف مفعوله، وتقديره: وهم يعلمون أنهم قد أذنبوا.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ خطاب للمؤمنين تأنيسا لهم، وقيل: للكافرين تخويفا لهم ﴿فَانظُرُوا﴾ من نظر العين عند الجمهور، وقيل: هو بالفكر.

﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ تقوية لقلوب المؤمنين ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ إخبار بعلو كلمة الإسلام.

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ الآية معناها: إن مسكم قتل أو جراح في أحد، فقد مس الكفار مثله في بدر، وقيل: قد مس الكفار يوم أحد مثل ما مسكم فيه، فإنهم نالوا منكم ونلتم منهم، وذلك تسلية للمؤمنين بالتأسي ﴿نُدَاوِلُهَا﴾ تسلية أيضا عما جرى

(١) قرأ المدنيان وابن عامر بغير واو، وقرأ الباقون بالواو. النشر: ٢/٢٤٢.

(٢) الطبري في جامع البيان: ٧/٢٠٧ أورده بسند جيد.

وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ • وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

ثمن

يوم أحد ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ متعلق بمحذوف، تقديره: أصابكم ما أصابهم يوم أحد ليعلم، والمعنى: ليعلم ذلك علما ظاهرا لكم تقوم به الحجة ﴿شُهَدَآءَ﴾ من قتل من المسلمين يوم أحد.

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ﴾ أي يظهر، وقيل: يميز وهو معطوف على ما تقدم من التعليلات لقصة أحد، والمعنى: أن إدالة الكفار على المسلمين إنما هي لتمحيص المؤمنين، وأن نصر المؤمنين على الكفار إنما هو ليمحق الله الكافرين أي يهلكهم.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ أم هنا منقطعة مقدرة ببل والهمزة عند سيبويه، وهذه الآية وما بعدها معاتبة لقوم من المؤمنين صدرت منهم أشياء يوم أحد.

﴿تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ خوطب به قوم فاتتهم غزوة بدر فتمنوا حضور قتال الكفار مع النبي صلى الله عليه وسلم ليستدركوا ما فاتهم من الجهاد، فعلى هذا إنما تمنوا الجهاد وهو سبب الموت، وقيل: إنما تمنوا الشهادة في سبيل الله.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ﴾ المعنى: أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول كسائر الرسل، قد بلغ الرسالة كما بلغوا، فيجب عليكم التمسك بدينه في حياته وبعد موته، وسببها:[1] أنه صرخ صارخ يوم أحد إن محمدا قد مات، فتزلزل بعض الناس ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ﴾ دخلت ألف التوبيخ على جملة الشرط والجزاء ودخلت الفاء لتربط

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٧/٢٥٣، والدر المنثور في التفسير بالمأثور: ٢/٣٣٤، والسمعاني في تفسيره: ١/٣٦٣.

الجملة الشرطية بالجملة التي قبلها، والمعنى: أن موت رسول الله ﷺ أو قتله لا يقتضي انقلاب أصحابه على أعقابهم؛ لأن شريعته قد تقررت وبراهينه قد صحت، فعاتبهم على تقدير أن لو صدر منهم انقلاب لو مات ﷺ أو قتل، وقد علم أنه لا يقتل، ولكن ذكر ذلك لما صرخ به صارخ ووقع في نفوسهم. ﴿ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١]: الثابتون على دينهم.

﴿كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗا﴾ نصب على المصدر؛ لأن المعنى كتب الموت كتابا، وقال ابن عطية[٢]: نصب على التمييز ﴿نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا﴾ في ثواب الدنيا مقيد بالمشيئة بدليل قوله: ﴿عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾.

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قُتِلَ﴾ الفعل مسند إلى ضمير النبيء، ومعه ربيون على هذا في موضع الحال، وقيل: إنه مسند إلى الربيين فيكون ربيون على هذا مفعولا لما لم يسم فاعله، فعلى الأول يوقف على قوله: قتل، ويترجح الأول بما صرخ به الصارخ يوم أحد: إن محمدا قد قتل، فضرب لهم المثل بنبيء قتل، ويترجح الثاني بأنه لم يقتل قط نبيء في محاربة[٣]. ﴿رِبِّيُّونَ﴾ علماء مثل ربانيين، وقيل: جموع كثيرة ﴿فَمَا وَهَنُواْ﴾ الضمير لربيون على إسناد القتل للنبيء، وهو لمن بقي منهم على إسناد القتال إليهم. ﴿وَمَا ٱسۡتَكَانُواْ﴾ أي لم يذلوا للكفار، قال بعض النحاة: الاستكان مشتق من السكون، ووزنه افتعلوا مطلت فتحة الكاف فحدث عن مطلها ألف وذلك كالإشباع، وقيل: إنه من كان يكون فوزنه استفعلوا وقوله تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُواْ﴾ وما بعده تعريض بما صدر من بعض الناس يوم أحد.

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢٥٢/٧ بسند ضعيف.

(٢) المحرر الوجيز: ٥٤٦/١.

(٣) قال القرطبي: قال ابن عباس والحسن: لم يقتل نبي قط من الأنبياء إلا من لم يؤمر بقتال، وكل من أمر بقتال نصر. الجامع لأحكام القرآن: ٤٣٢/١، وانظر اللباب: ٥٨٥/٥، والبحر المحيط: ٣٩٩/١.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

ربع

﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ أي في الحرب.

﴿ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ النصر ﴿ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ الجنة.

﴿إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ هم المنافقون الذين قالوا في قضية أحد ما قالوا، وقيل: مشركو قريش، وقيل: اليهود.

﴿ٱلرُّعْبَ﴾ قيل: ألقى الله الرعب في قلوب المشركين بأحد فرجعوا إلى مكة من غير سبب، وقيل: لما كانوا ببعض الطريق هموا بالرجوع ليستأصلوا المسلمين، فألقى الله الرعب في قلوبهم فأمسكوا، والآية تتناول جميع الكفار لقوله ﷺ: «نصرت بالرعب»[(١)].

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾ كان رسول الله ﷺ قد وعد المسلمين عن الله بالنصر فنصرهم الله أولا[(٢)] وانهزم المشركون، وقتل منهم اثنان وعشرون رجلا، وكان رسول الله ﷺ قد أمر الرماة أن يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا، فلما رأوا المشركين قد انهزموا طمعوا في الغنيمة واتبعوهم وخالفوا ما أمروا به من الثبوت في مكانهم، فانقلبت الهزيمة على المسلمين[(٣)] ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾ أي تقتلونهم قتلا

---

(١) رواه البخاري الحديث رقم: (٣٧٤٢)، ومسلم الحديث رقم: (٣٥٢٣)، والنسائي الحديث رقم: (٤٦٧٤)، وأبو داود الحديث رقم: (٣٩٧٩)، وأحمد الحديث رقم: (١١٨٥٤).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢٨١/٧ بسند فيه انقطاع.

(٣) البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٣٠٣٩)، وأحمد في المسند: ٢٣٩/٤، والطبري في جامع البيان: ٢٨٢/٧.

ذريعا، يعني في أول الأمر ﴿وَتَنَازَعْتُمْ﴾ وقع النزاع بين الرماة فثبت بعضهم كما أمروا ولم يثبت بعضهم ﴿وَعَصَيْتُم﴾ أي خالفتم ما أمرتم به من الثبوت، وجاءت المخاطبة في هذا لجميع المؤمنين وإن كان المخالف بعضهم وعظا للجميع وسترا على من فعل ذلك، وجواب إذ محذوف تقديره: لانهزمتم. ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ الذين حرصوا على الغنيمة معه ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ معناه لينزل بكم ما نزل من القتل والتمحيص. ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ إعلام بأن الذنب كان يستحق أكثر مما نزل بهم لولا عفو الله عنهم، فمعناه لقد أبقى عليكم، وقيل: هو عفو عن الذنب.

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ العامل في إذ عفا، فيوصل إذ تصعدون مع ما قبله، ويحتمل أن يكون العامل فيه مضمر ﴿وَلَا تَلْوُونَ﴾ مبالغة في صفة الانهزام ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ كان رسول الله ﷺ يقول: «إلي عباد الله» وهم يفرون[1] ﴿فِي أُخْرَاكُمْ﴾ في ساقتكم، وفيه مدح للنبي ﷺ فإن الأخرى هي موقف الأبطال ﴿فَأَثَابَكُمْ﴾ أي جازاكم ﴿غَمًّا بِغَمٍّ﴾ قيل: أثابكم غما بسبب الغم الذي أدخلتموه على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين إذ عصيتم وتنازعتم، وقيل: أثابكم غما متصلا بغم، وأحد الغمين ما أصابهم من القتل والجراح.

والآخر: ما أرجف به من قتل رسول الله ﷺ. ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من النصر والغنيمة ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ من القتل والجراح والانهزام.

﴿نُّعَاسًا أَمَنَةً﴾ قال ابن مسعود[2]: نعسنا يوم أحد، والنعاس في الحرب أمان من الله. ﴿يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ﴾ هم المؤمنون المخلصون غشيهم النعاس تأمينا لهم ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ هم المنافقون كانوا خائفين من أن يرجع إليهم

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان بسند صحيح. ٣٠٢/٧.

(٢) قال عبد الله بن مسعود: النعاس في القتال أمنة، والنعاس في الصلاة من الشيطان. الطبري في جامع البيان: ٣١٩/٧، والبغوي في معالم التنزيل: ٣٣٤/٣، وابن كثير: ١٤٤/٢.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

أبو سفيان والمشركون ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ معناه يظنون أن الإسلام ليس بحق وأن الله لا ينصرهم و﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ بدل وهو على حذف موصوف، تقديره: ظن المدة الجاهلية، أو الفرقة الجاهلية[1] ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ قالها عبد الله بن أبي ابن سلول، والمعنى: ليس لنا رأي ولا يسمع قولنا، أو لسنا على شيء من الأمر الحق، فيكون قولهم على هذا كفرا ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ يحتمل أن يريد الأقوال التي قالوها أو الكفر.

﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ قاله معتب بن قشير[2]، ويحتمل من المعنى ما احتمل قول عبد الله بن أبي ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ الآية رد عليهم وإعلام بأن أجل كل إنسان إنما هو واحد، وأن من لم يقتل يموت لأجله ولا يؤخر، وأن من

---

(١) قال ابن عطية: ذهب جمهور الناس إلى أن المراد مدة الجاهلية القديمة قبل الإسلام، وهذا كما قال: ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ و ﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ وكما تقول شعر الجاهلية... وذهب بعض المفسرين إلى أنه أراد في هذه الآية ظن الفرقة الجاهلية، والإشارة إلى أبي سفيان ومن معه. المحرر الوجيز: ٢/٢٩..

(٢) قال ابن عبد البر: معتب بن بشير، ويقال: معتب بن قشير بن مليل بن زيد بن العطاف بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف الأنصاري شهد بدراً وأحداً، وكان قد شهد العقبة، يقال: إنه الذي قال: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾. الاستيعاب: ١/٤٤٩، وقال ابن حجر: وقيل إنه كان منافقا وإنه الذي قال يوم أحد لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا، وقيل إنه تاب وقد ذكره بن إسحاق فيمن شهد بدرا. الإصابة: ٦/١٧٥.

كتب عليه القتل لا ينجيه منه شيء ﴿وَلِيَبْتَلِيَ﴾ يتعلق بفعل تقديره: فعل بكم ذلك ليبتلي.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ﴾ الآية، فيمن فر يوم أحد[1] ﴿ٱسْتَزَلَّهُمُ﴾ أي طلب منهم أن يزلوا، ويحتمل أن يكون معناه أزلهم أي أوقعهم في الزلل ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ﴾ أي كانت لهم ذنوب عاقبهم الله عليها بأن مكن الشيطان من استزلالهم ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أي غفر لهم ما وقعوا فيه من الفرار.

﴿لاَ تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي المنافقين ﴿لِإِخْوَانِهِمْ﴾ هي أخوة القرابة لأن المنافقين كانوا من الأوس والخزرج وكان أكثر المقتولين يوم أحد منهم، ولم يقتل من المهاجرين إلا أربعة ﴿إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي سافروا، وإنما قال إذا التي للاستقبال مع قالوا لأنه على حكاية الحال الماضية ﴿أَوْ كَانُواْ غُزًّى﴾ جمع غاز وزنه فعل بضم الفاء وتشديد العين ﴿لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا﴾ اعتقاد منهم فاسد لأنهم ظنوا أن إخوانهن لو كانوا عندهم لم يموتوا ولم يقتلوا، وهذا قول من لا يؤمن بالقدر والأجل المحتوم، ويقرب منه مذهب المعتزلة في القول بالأجلين ﴿لِيَجْعَلَ﴾ متعلق بقالوا أي قالوا ذلك فكان حسرة في قلوبهم، فاللام لام الصيرورة لبيان العاقبة ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى قولهم واعتقادهم الفاسد الذي أوجب لهم الحسرة لأن الذي يتيقن بالقدر والأجل تذهب عنه الحسرة ﴿وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ رد على قولهم واعتقادهم.

﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ﴾ الآية إخبار أن مغفرة الله ورحمته لهم إذا قتلوا وماتوا في سبيل الله خير لهم مما يجمعون من الدنيا.

﴿وَلَئِن مِّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ الآية إخبار أن من مات أو قتل فإنه يحشر إلى الله.

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٢٨/٧.

وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾ ما زائدة للتأكيد ﴿لَانفَضُّوا﴾ أي تفرقوا ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ فيما يختص بك ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فيما يختص بحق الله ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾ المشاورة مأمور بها شرعا، وإنما يشاور النبي ﷺ الناس في الرأي في الحروب وغيرها، لا في الأحكام الشرعية، وقرأ ابن عباس: وشاورهم في بعض الأمر[1] ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ التوكل هو الاعتماد على الله في تحصيل المنافع، أو حفظها بعد حصولها، وفي دفع المضرات، ورفعها بعد وقوعها، وهو من أعلى المقامات لوجهين:

أحدهما: قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

والآخر: الضمان الذي في قوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ وقد يكون واجبا لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فجعله شرطا في الإيمان، ولظاهر قوله جل جلاله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فإن الأمر محمول على الوجوب.

واعلم أن الناس في التوكل على ثلاث مراتب:

الأولى: أن يعتمد العبد على ربه كاعتماد الإنسان على وكيله المأمون عنده الذي لا يشك في نصيحته له وقيامه بمصالحه.

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد: ٣٥٧/١ بسند صحيح كما في صحيح الأدب المفرد للألباني: ١١٤/١، وانظر المحرر الوجيز: ٥٦٥/١..

والثانية: أن يكون العبد مع ربه كالطفل مع أمه، فإنه لا يعرف سواها ولا يلجأ إلا إليها.

والثالثة: أن يكون العبد مع ربه كالميت بين يدي الغاسل، قد أسلم نفسه إليه بالكلية.

فصاحب الدرجة الأولى له حظ من النظر لنفسه، بخلاف صاحب الثانية، وصاحب الثانية له حظ من المراد والاختيار بخلاف صاحب الثالثة.

وهذه الدرجات مبنية على التوحيد الخاص الذي تكلمنا عليه في قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ فهي تقوى بقوته وتضعف بضعفه.

فإن قيل: هل يشترط في التوكل ترك الأسباب أم لا؟ فالجواب: أن الأسباب على ثلاثة أقسام:

أحدها: سبب معلوم قطعا قد أجراه الله تعالى، فهذا لا يجوز تركه كالأكل لدفع الجوع واللباس لدفع البرد.

والثاني: سبب مظنون كالتجارة وطلب المعاش وشبه ذلك، فهذا لا يقدح فعله في التوكل؛ لأن التوكل من أعمال القلب لا من أعمال البدن، ويجوز تركه لمن قوي عليه.

والثالث: سبب موهوم بعيد فهذا يقدح فعله في التوكل، ثم إن فوق التوكل التفويض، وهو الاستسلام لأمر الله تعالى بالكلية، فإن المتوكل له مراد واختيار وهو يطلب مراده باعتماده على ربه، وأما المفوض: فليس له مراد ولا اختيار بل أسند المراد والاختيار إلى الله تعالى، فهو أكمل أدبا مع الله تعالى.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ﴾ هو من الغلول وهو أخذ الشيء خفية من المغانم وغيرها وقرئ بفتح الياء[1] وضم الغين ومعناه تبرئة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الغلول،

(١) ﴿أَن يَغُلَّ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بفتح الياء وضم الغين، وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الغين. النشر: ٢/٢٧٦.

وسببها[١] أنه فقدت من المغانم قطيفة حمراء فقال بعض المنافقين: «لعل رسول الله ﷺ أخذها». وقرئ: بضم الياء وفتح الغين، أي ليس لأحد أن يغل نبيئا أي يخونه في المغانم، وخص النبي بالذكر وإن كان ذلك محظورا مع الأمراء لشنعة الحال مع النبي؛ لأن المعاصي تعظم بحضرته، وقيل: معنى هذه القراءة: أن يوجد غالا، كما تقول: أحمدت الرجل إذا أصبته[٢] محمودا، فعلى هذا القول يرجع معنى هذه القراءة إلى معنى فتح الياء. ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ﴾ وعيد لمن غل بأن يسوق يوم القيامة على رقبته الشيء الذي غل، وقد جاء ذلك مفسرا في الحديث قال رسول الله ﷺ: **«لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير، لا ألفين أحدكم على رقبته فرس، لا ألفين أحدكم على رقبته رقاع، لا ألفين أحدكم على رقبته صامت، لا ألفين أحكم على رقبته إنسان، فيقول: يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك»**[٣].

﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ﴾ الآية، فقيل إن الذي اتبع رضوان الله من لم يغلل والذي باء بالسخط من غل، وقيل: الذي اتبع الرضوان من استشهد بأحد والذي باء بالسخط المنافقون الذين رجعوا عن الغزو.

﴿هُمْ دَرَجَاتٌ﴾ ذووا درجات والمعنى تفاوت ما بين منازل أهل الرضوان وأهل السخط، أو التفاوت بين درجات أهل الرضوان فإن بعضهم فوق بعض فكذلك درجات أهل السخط.

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ﴾ الآية إخبار بفضل الله على المؤمنين ببعث رسول الله ﷺ ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ معناه في الجنس واللسان فكونه من جنسهم يوجب

---

(١) رواه الطبري في جامع البيان: ٣٤٨/٧، وأبو داود الحديث رقم: (٣٩٧٣)، والترمذي في سننه الحديث قم: (٣٠٠٩)، وصححه الألباني.

(٢) أي وجدته.

(٣) البخاري الحديث رقم: (٣٠٧٣)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٣٤١٢)، وأحمد في المسند: ٤٢٦/٢.

وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ • يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

حزب

الأنس به، وقلة الاستيحاش منه، وكونه بلسانهم يوجب حسن الفهم عنه، ولكونه منهم يعرفون حسبه وصدقه وأمانته ﷺ، ويكون هو ﷺ أشفق عليهم وأرحم بهم من الأجنبيين.

﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم﴾ الآية عتاب للمسلمين على كلامهم فيمن أصيب منهم يوم أحد، ودخلت ألف التوبيخ على واو العطف، والجملة معطوفة على ما تقدم من قصة أحد، أو على محذوف ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ قتل يوم أحد من المسلمين سبعون، وكان قد قتل من المشركين يوم بدر سبعون، وأسر سبعون ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ قيل: معناه أنهم عوقبوا بالهزيمة لمخالفتهم رسول الله ﷺ، حين أراد أن يقيم بالمدينة ولا يخرج إلى المشركين، فأبوا إلا الخروج، وقيل: بل ذلك إشارة إلى عصيان الرماة حسبما تقدم.

﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ أي جمع المسلمين والمشركين يوم أحد.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ الآية كان رأي عبد الله بن أبي بن سلول أن لا يخرج المسلمون إلى المشركين فلما طلب الخروج قوم من المسلمين فخرج رسول الله ﷺ غضب عبد الله وقال: أطاعهم وعصانا فرجع ورجع معه ثلاثمائة رجل، فمشى في أثرهم عبد الله بن عمرو بن حزام الأنصاري، وقال لهم: ارجعوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا، فقال له عبد الله بن أبي: ما أرى أن يكون قتال، ولو علمنا

أنه يكون قتال لكنا معكم ﴿أَوِ ٱدْفَعُواْ﴾ أي كثروا السواد وإن لم تقاتلوا[١].

﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ﴾ بدل من الذين نافقوا، و﴿لِإِخْوَانِهِمْ﴾ في النسب لأنهم كانوا من الأوس والخزرج ﴿قُلْ فَٱدْرَءُواْ﴾ أي ادفعوا، والمعنى: رد عليهم.

﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ إعلام بأن حال الشهداء حال الأحياء من التمتع بأرزاق الجنة، بخلاف سائر الأموات من المؤمنين فإنهم لا يتمتعون بالأرزاق حتى يدخلوا الجنة يوم القيامة.

﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم﴾ المعنى أنهم يفرحون بإخوانهم الذين بقوا في الدنيا من بعدهم لأنهم يرجون أن يستشهدوا مثلهم فينالوا مثل ما نالوا من الشهادة ﴿أَلَّا خَوْفٌ﴾ في موضع المفعول أو بدل من الذين.

﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ كرر ليذكر ما تعلق به من النعمة والفضل.

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ﴾ صفة للمؤمنين أو مبتدأ وخبره للذين أحسنوا الآية، ونزلت في الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ في اتباع المشركين بعد غزوة أحد، فبلغ بهم إلى حمراء الأسد وهي على ثمانية أميال من المدينة، وأقام بها ثلاثة أيام، وكانوا قد أصابتهم جراحات وشدائد فتجلدوا وخرجوا فمدحهم الله بذلك[٢].

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ الآية لما خرج رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد بعد أحد بلغ ذلك أبا سفيان فمر عليه ركب من عبد القيس يريدون المدينة بالميرة، فجعل لهم حمل بعير من زبيب على أن يثبطوا المسلمين عن اتباع

---

(١) هذا قول ابن عباس، وطائفة من أهل العلم، وقال الحسن بن صالح: ادفعوا بالدعاء، وقال غيره رابطوا. الطبري في جامع البيان من طريق ابن إسحاق: ٣٧٨/٧، وابن كثير: ١٦٠/٢.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ٢٧٤/١١، وابن كثير: ١٩٣/٢ عن ابن عباس بسند صحيح.

المشركين، فخوفوهم بهم فقالوا: «حسبنا الله ونعم الوكيل» فخرجوا[١]، فالناس الأول ركب عبد القيس، والناس الثاني مشركو قريش، وقيل: نادى أبو سفيان يوم أحد: موعدنا ببدر في العام القابل، فقال رسول الله ﷺ: إن شاء الله، فلما كان العام القابل، خرج رسول الله ﷺ إلى بدر للميعاد، فأرسل أبو سفيان نعيم ابن مسعود[٢] الأشجعي ليثبط المسلمين[٣]، فعلى هذا الناس الأول نعيم، وإنما قيل له: الناس وهو واحد لأنه من جنس الناس، كقولك: ركبت الخيل إذا ركبت فرسا.

﴿فَزَادَهُمْ﴾ الفاعل ضمير المفعول وهو: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، والصحيح أن الإيمان يزيد وينقص، فمعناه هنا قوة يقينهم وثقتهم بالله ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ كلمة يدفع بها ما يخاف ويكره، وهي التي قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، ومعنى حسبنا الله: كافينا وحده فلا نخاف غيره، ومعنى ونعم الوكيل ثناء على الله وأنه خير من يتوكل العبد عليه ويلجأ إليه.

﴿فَانقَلَبُواْ﴾ أي رجعوا بنعمة السلامة وفضل الأجر ﴿وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ ٱللَّهِ﴾ بخروجهم مع رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٤٠٦/٧، والبيهقي في دلائل النبوة: ٣١٥/٣ بسند غير متصل.

(٢) هذا قبل أن يسلم، ونعيم هو: نعيم بن مسعود بن عامر الاشجعي: صحابي من ذوي العقل الراجح، قدم على رسول الله ﷺ سرا أيام الخندق واجتماع الأحزاب، فأسلم، وكتم إسلامه، وعاد إلى الأحزاب المجتمعة لقتال المسلمين، فألقى الفتنة بين قبائل قريظة، وغطفان، وقريش، في حديث طويل، فتفرقوا، فكان نعيم، بعد ذلك، يقول: أنا خذلت بين الأحزاب حتى تفرقوا في كل وجه، وأنا أمين رسول الله ﷺ على سره. سكن المدينة. وكان رسول النبي ﷺ إلى «ابن ذي اللحية» كما في الاستيعاب. ومات في خلافة عثمان. وقيل: قتل يوم «الجمل» قبل قدوم علي إلى البصرة الاستيعاب: ١٩٤/١، والأعلام: ٤١/٨.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٤١١/٧ بإسناد ضعيف...

فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ● مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

ثمن

﴿ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ المراد به هنا أبو سفيان، أو نعيم الذي أرسله أبو سفيان أو إبليس، وذلكم مبتدأ والشيطان خبره وما بعده مستأنف، أو الشيطان نعت وما بعده خبر ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ أي يخوفكم أيها المؤمنون أولياءه وهم الكفار، فالمفعول الأول محذوف ويدل عليه قوله ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ وقرأ ابن مسعود وابن عباس[1] يخوفكم أولياءه، وقيل: المعنى يخوف المنافقين وهم أولياؤه من كفار قريش، فالمفعول الثاني على هذا محذوف.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ﴾ تسلية للنبي ﷺ، وقرئ بفتح الياء وضم الزاي حيث وقع مضارعا من حزن الثلاثي، وهو أشهر في اللغة من أحزن[2] ﴿الَّذِينَ يُسَارِعُونَ

(١) ابن عطية: نسب القراءة لابن عباس، قال: وقرأ ابن عباس فيما حكى أبو عمرو الداني «يخوفكم أولياءه» المعنى يخوفكم قريشا ومن معهم، وذلك بإضلال الشيطان لهم وذلك كله مضمحل، وبذلك قرأ النخعي وحكى أبو الفتح بن جني عن ابن عباس أنه قرأ «يخوفكم أولياءه» فهذه قراءة ظهر فيها المفعولان، وفسرت قراءة الجماعة ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ قراءة أبي بن كعب يخوفكم بأوليائه. المحرر الوجيز: ٥٧٩/١، وأما الزمخشري فنسب القراءة لهما (ابن مسعود وابن عباس). الكشاف: ٤٧١/١.

(٢) قال ابن الجزري: واختلفوا في: ﴿يَحْزُنكَ﴾ و﴿يَحْزُنْهُمْ﴾، و﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ﴾، و﴿لَيَحْزُنُنِيَ﴾ حيث وقع، فقرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي من كله إلا حرف الأنبياء: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ﴾ فقرأ أبو جعفر فيه وحده بضم الياء وكسر الزاي، وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الزاي في الجميع وكذلك أبو جعفر في غير الأنبياء ونافع في الأنبياء. النشر: ٢٧٩/٢.

﴿فِى ٱلْكُفْرِ﴾ أي يبادرون إلى أقواله وأفعاله وهم المنافقون والكفار.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟﴾ الآية هم المذكورون قبل، أو على العموم في جميع الكفار.

﴿أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ﴾ أي نمهلهم، وأن مفعول يحسبن، وما اسم أن فحقها أن تكتب منفصلة وخير الخبر ﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ﴾ ما هنا كافة، والمعنى رد عليهم أي أن الإملاء لهم ليس خيرا لهم إنما هو استدراج ليكتسبوا الآثام.

﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية خطاب للمؤمنين، والمعنى: ما كان الله ليدع المؤمنين مختلطين بالمنافقين، ولكنه ميز هؤلاء من هؤلاء بما ظهر في غزوة أحد، من الأقوال والأفعال التي تدل على الإيمان أو على النفاق ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ أي ما كان الله ليطلعكم على ما في القلوب من الإيمان والنفاق، أو ما كان الله ليطلعكم على أنكم تغلبون أو تغلبون ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى﴾ أي يختار من رسله من يشاء فيطلعهم على ما شاء من غيبه.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ يمنعون الزكاة وغيرها ﴿هُوَ خَيْرًا﴾ هو فصل وخيرا مفعول ثان، والأول محذوف، تقديره: لا يحسبن البخل خيرا لهم ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ أي يلزمون إثم ما بخلوا به، وقيل: يجعل ما بخلوا به حية يطوقها في عنقه يوم القيامة.

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ الآية لما نزلت[1] ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ قال بعض اليهود وهو فنحاص أو حيي بن أخطب أو غيرهما: إنما يستقرض الفقير من الغني فالله فقير ونحن أغنياء فنزلت هذه الآية، وكان ذلك القول منهم اعتراضا على القرآن أوجبه قلة فهمهم أو تحريفهم للمعاني، فإن كانوا قالوه باعتقاد فهو كفر، وإن قالوه بغير اعتقاد فهو استخفاف وعناد ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾ أي تكتبه الملائكة في

---

(١) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار: ٨٧/٥، والطبري في جامع البيان: ٤٤١/٧، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٨٢٨/٣ بإسناد ضعيف.

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُو بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

ربع

الصحف ﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ﴾ أي قتل آبائهم للأنبياء، وأسند إليهم لأنهم راضون به ومتبعون لمن فعله من آبائهم.

﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ صفة للذين وليس صفة للعبيد ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ﴾ كانوا إذا أرادوا أن يعرفوا قبول الله لصدقة أو غيرها جعلوه في مكان فتنزل نار من السماء فتحرقه، وإن لم تنزل فليس بمقبول، فزعموا أن الله جعل لهم ذلك علامة على صدق الرسل ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ﴾ الآية رد عليهم بأن الرسل قد جاءتهم بمعجزات توجب الإيمان بهم وجاؤوهم أيضا بالقربان الذي تأكله النار، ومع ذلك كذبوهم وقتلوهم فذلك يدل على أن كفرهم عناد فإنهم كذبوا في قولهم إن الله عهد إلينا.

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ﴾ الآية تسلية للنبي ﷺ بالتأسي بغيره.

﴿فَمَنْ زُحْزِحَ﴾ أي نحي وأبعد.

﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ الآية خطاب للمسلمين والبلاء في الأنفس بالموت والأمراض وفي الأموال بالمصائب والإنفاق ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ﴾ الآية سببها[1] قول اليهود إن الله فقير، وسبهم للنبي ﷺ وللمسلمين.

﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ قال ابن عباس: هي لليهود أخذ عليهم

---

(١) أخرجه أبو داود الحديث رقم: (٣٠٠٠)، والواحدي في أسباب النزول، ص: ١١٤ بسند صححه الألباني في صحيح أبي داود: ٥٨٢/٢.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾

العهد في أمر محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكتموه، وهي عامة في كل من علمه الله علما

﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا﴾ الآية قال ابن عباس[1]: نزلت في أهل الكتاب سألهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا إليه بذلك وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه، وقال أبو سعيد الخدري[2]: نزلت في المنافقين كانوا إذا خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله، وإذا قدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعتذروا إليه وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا[3] ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ﴾ بالتاء وفتح الباء خطاب

---

(١) صحيح أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٤٥٦٨)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٧٧٨)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٠١٤)، وأحمد في مسنده: ٢٩٨/١، والطبري في جامع البيان (٨٣٤٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٤٥٦٧)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٧٧٧)، والطبري في جامع البيان: ٤٦٥/٧، والواحدي في أسبابه، ص: ١١٦، وانظر فتح الباري: ٨٢/٨ قال العلماء ويمكن أن تكون الآية نزلت في الفريقين.

(٣) قال ابن عطية: وقوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ...﴾ الآية توبيخ لمعاصري النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم هو مع ذلك خبر عام لهم ولغيرهم، والعامل في «إذ» فعل مقدر تقديره: اذكر وأخذ هذا الميثاق وهو على ألسنة الأنبياء أمة بعد أمة، وقال ابن عباس والسدي وابن جريج الآية في اليهود خاصة أخذ الله عليهم الميثاق في أمر محمد فكتموه ونبذوه قال مسلم البطين: سأل الحجاج بن يوسف جلساءه عن تفسير هذه الآية فقام رجل إلى سعيد بن جبير=

للنبي ﷺ وبالياء وضم الباء أسند الفعل للذين يفرحون[1] أي لا يحسبون أنفسهم بمفازة من العذاب، ومن قرأ: لا تحسبن بالتاء فهو خطاب للنبي ﷺ، والذين يفرحون مفعول به وبمفازة المفعول الثاني وكرر فلا تحسبنهم للتأكيد، ومن قرأ لا يحسبن بالياء من أسفل فإنه حذف المفعولين لدلالة مفعولي لا تحسبنهم عليهما.

﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ذكر في البقرة.

﴿قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ أي يذكرون الله على كل حال فكأن هذه الهيآت حصر لحال بني آدم، وقيل: إن ذلك في الصلاة يصلون قياما فإن لم يستطيعوا صلوا قعودا فإن لم يستطيعوا صلوا على جنوبهم. ﴿رَبَّنَا﴾ أي يقولون: ربنا ما خلقت هذا لغير فائدة، بل خلقته وخلقت البشر لينظروا فيه، فيعرفوك فيعبدوك.

﴿سَمِعْنَا مُنَادِياً﴾ هو النبي ﷺ.

﴿مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ أي على ألسنة رسلك.

﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ من لبيان الجنس، وقيل: زائدة لتقدم النفي ﴿بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ النساء والرجال سواء في الأجور والخيرات ﴿وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ﴾ هم المهاجرون آذاهم المشركون بمكة حتى خرجوا منها ﴿ثَوَاباً﴾ منصوبا على المصدرية.

= فسأله فقال له نزلت في يهود أخذ الميثاق عليهم في أمر محمد فكتموه وروي عن ابن عباس أنه قرأ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لتبيننه فيجيء قوله «فنبذوه» عائدا على الناس الذين بين الأنبياء لهم وقال قوم من المفسرين الآية في اليهود والنصارى وقال جمهور من العلماء الآية عامة في كل من علمه الله علما وعلماء. المحرر الوجيز: ١/٥٨٧.

(١) ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالغيب وضم الباء، وقرأ الباقون بالخطاب وفتح الباء. ابن الجزري: ٢/٢٨١.

ثمن

• فَاسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَارِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَا أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

سُورَةُ النِّسَاءِ — ترتيبها ٤ — آياتها ١٧٥

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾ الآية تسلية للنبي ﷺ أي لا تظنوا أن حال الكفار في الدنيا دائمة فتهتموا لذلك وأنزل لا يغرنك منزلة لا يحزنك.

﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾ أي تقلبهم في الدنيا قليل بالنظر إلى ما فاتهم في الآخرة.

﴿نُزُلٗا﴾ منصوب على الحال من جنات أو على المصدرية ﴿لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ جمع بار وبر ومعناه العاملون بالبر وهي غاية التقوى والعمل الصالح قال بعضهم الأبرار هم الذين لا يؤذون أحدا.

﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الآية قيل: نزلت[1] في النجاشي ملك الحبشة، فإنه كان نصرانيا فأسلم، وقيل[2]: في عبد الله بن سلام وغيره ممن أسلم من اليهود ﴿لَا يَشۡتَرُونَ﴾ مدح لهم، وفيه تعريض لذم غيرهم ممن اشترى بآيات الله ثمنا قليلا.

﴿وَصَابِرُواْ﴾ أي صابروا عدوكم في القتال ﴿وَرَابِطُواْ﴾ أقيموا في الثغور مرابطين خيلكم مستعدين للجهاد، وقيل: هو مرابطة العبد فيما بينه وبين الله أي معاهدته على فعل الطاعة وترك المعصية، والأول أظهر وأشهر، قال ﷺ:

---

(١) روي ذلك عن أنس وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن الزبير أخرجه البزار في مسنده الحديث رقم (٨٣٢) والنسائي في تفسيره الحديث رقم: (١٠٨)، والواحدي في أسبابه، ص: ١١٩، وابن كثير في تفسيره: ٢/٢٢٦ بطرق صحيحة.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٧/٤٩٨ بأسانيد غير صحيحة.

«رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه»[١]، وأما قوله: في انتظار الصلاة «فذلكم الرباط»[٢] فهو تشبيه بالرباط في سبيل الله، لعظم أجره. والمرابط عند الفقهاء: هو الذي يسكن الثغور ليرابط فيها وهي غير موطنه، فأما سكانها دائما بأهليهم لمعايشهم فليسوا مرابطين، ولكنهم حماة حكاه ابن عطية[٣].



(١) رواه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٩١٢)، وبلفظ قريب منه أخرجه الترمذي الحديث رقم: (١٦٢١)، وأبو داود الحديث رقم: (٢٥٠٠)، وابن ماجه الحديث رقم: (٢٧٦٧)، والنسائي في سننه: ٦/٣٩، وأحمد: ٥/٤٤٠، وهو من حديث سلمان رضي الله عنه، وتمامه:.. ومن مات فيه وقي من فتنة القبر، ونمي له عمله إلى يوم القيامة...

(٢) حديث صحيح، روي بألفاظ متقاربة، رواه مسلم في كتاب الطهارة، باب إسباغ الوضوء على المكاره، قال صلى الله عليه وسلم: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟، قالوا بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط»، وفي رواية مرتين. الحديث رقم: (٣٦٩)، والموطأ رقم: (٣٤٨)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٥١)، والنسائي الحديث رقم: (١٤٣)..

(٣) لفظه: والمرابط في سبيل الله عند الفقهاء، هو الذي يشخص إلى ثغر من الثغور ليرابط فيه مدة ما قاله ابن المواز ورواه، فأما سكان الثغور دائما بأهليهم الذين يعتمرون ويكتسبون هنالك، فهم وإن كانوا حماة فليسوا بمرابطين. المحرر الوجيز: ١/٥٩٨..

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا (١) وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا (٢) وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ (٣) وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا (٤) وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا (٥) ۞ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا (٦)

ربع

سورة النساء

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ خطاب على العموم وقد تكلمنا على التقوى في أول البقرة ﴿مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ هو آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ﴿زَوۡجَهَا﴾ هي حواء خلقت من ضلع آدم ﴿وَبَثَّ﴾ نشر ﴿تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾ أي يقول بعضكم لبعض أسألك بالله أن تفعل كذا ﴿وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾ بالنصب[(١)] عطف على اسم الله، أي اتقوا الأرحام فلا تقطعوها، أو على موضع الجار والمجرور وهو به لأن موضعه نصب وقرئ بالخفض، عطف على الضمير في به وهو ضعيف عند البصريين[(٢)]؛ لأن

---

(١) ﴿وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾ قرأ حمزة بخفض الميم وقرأ الباقون بنصبها. النشر: ٢٨٢/٢.

(٢) أنكر هذه القراءة وحرم القراءة بها: المبرد، حيث قال: لو صليت خلف إمام يقرأ بالكسر لحملت نعلي ومضيت. الكامل: ٧٤٩/٢، وضعفها الزمخشري بقوله: والجر على عطف الظاهر على المضمر ليس بسديد. الكشاف: ٤٩٣/١، وقال الزجاج: فأما الجر في الأرحام فخطأ في العربية. معاني القرآن وإعرابه: ٦/٢، وأنكرها ابن عطية كذلك، والواقع أن هذه القراءة ثابتة متواترة فلا سبيل إلى ردها وتضعيفها. فقد رد العلماء على من ضعفها. قال ابن مالك في ألفيته مخالفا رأي البصريين، ومؤيدا قراءة حمزة:

وَعَودُ خَافِضٍ لَدَى عَطْفِ عَلَى ... ضَمِيرِ خَفْضٍ لاَزِماً قَدْ جُعِلاَ

وَلَيْسَ عِنْدِي لاَزِماً إِذْ قَدْ أَتَى ... فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ الصَّحِيحِ مُثْبَتَا

وأما أبو حيان فلا يكتفي بالرد على من ضعف هذه القراءة بل يرد عليهم عامة وعلى ابن عطية خاصة فيقول: فما ذهب إليه البصريون وتبعهم فيه الزمخشري وابن عطية من امتناع العطف على الضمير المجهول إلا بإعادة الجار غير صحيح. بل الصحيح مذهب الكوفيين في ذلك وأنه=

الضمير المخفوض لا يعطف عليه إلا بإعادة الخافض.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ إذا تحقق العبد بهذه الآية وأمثالها استفاد مقام المراقبة، وهو مقام شريف، أصله علم وحال، ثم يثمر حالين، أما العلم: فهو معرفة العبد بأن الله مطلع عليه ناظر إليه، يرى جميع أعماله، ويسمع جميع أقواله، ويعلم كل ما يخطر على باله، وأما الحال: فهي ملازمة هذا العلم للقلب بحيث يغلب عليه ولا يغفل عنه، ولا يكفي العلم دون هذه الحال، فإذا حصل العلم والحال كانت ثمرتها عند أصحاب اليمين: الحياء من الله وهو يوجب بالضرورة ترك المعاصي والجد في الطاعات، وكانت ثمرتها عند المقربين: الشهادة التي توجب التعظيم والإجلال لذي الجلال، وإلى هاتين الثمرتين أشار رسول الله ﷺ بقوله: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[1] فقوله: أن تعبد الله كأنك تراه، إشارة إلى الثمرة الثانية وهي المشاهدة الموجبة للتعظيم، كمن يشاهد ملكا عظيما فإنه يعظمه إذ ذاك بالضرورة، وقوله: فإن لم تكن تراه فإنه يراك، إشارة إلى الثمرة الأولى، ومعناه إن لم تكن من أهل المشاهدة التي هي مقام المقربين فاعلم أنه يراك، فكن من أهل الحياء الذي هو مقام أصحاب اليمين، فلما

= يجوز، وأضاف: وأما قول ابن عطية: ويرد عندي هذه القراءة... إلى آخر كلامة فجسارة قبيحة منه لا تليق بحاله ولا بطهارة لسانه إذ عمد إلى قراءة متواتر عن رسول الله ﷺ قرأ بها السلف، واتصلت بأكابر الصحابة. عمد إلى ردها بشيء خطر له في ذهنه، هذه الجسارة لا تليق إلا بالمعتزلة كالزمخشري، فإنه كثيرا ما يطعن في نقل القراء وقراءتهم. البحر المحيط: ٢/١٤٦، وقد شنع ابن حزم على النحاة اللذين يردون بعض القراءات لمخالفتها القياس بزعمهم ثم هم يثبتون اللغة بما هو دون القراءة. فقال: ولا عجب أعجب ممن إن وجد لامرئ القيس أو لزهير أو لجرير أو الحطيئة أو الطرماح أو لأعرابي أسدي أو أسلمي أو تميمي ومن سائر أبناء العرب بوال على عقبيه لفظا في شعر أو نثر جعلها في اللغة وقطع به ولم يعترض فيه ثم إذا وجد لله تعالى خالق اللغات وأهلها كلاما لم يلتفت إليه ولا جعله حجة وجعل يصرفه عن وجهه ويحرفه عن مواضعه، ويتحيل في إحالته عما أوقعه الله عليه، وإذا وجد لرسول الله ﷺ كلاما فعل به مثل ذلك. الفصل في الملل والنحل: ٣/١٩٢.

(١) تقدم تخريجه، وهو حديث معروف.

فسر الإحسان أول مرة بالمقام الأعلى رأى أن كثيرا من الناس قد يعجزون عنه، فنزل عنه إلى المقام الآخر.

واعلم أن المراقبة لا تستقيم حتى تتقدم قبلها المشارطة والمرابطة، وتتأخر عنها المحاسبة والمعاقبة.

فأما المشارطة: فهي اشتراط العبد على نفسه التزام الطاعة وترك المعاصي، وأما المرابطة: فهي معاهدة العبد لربه على ذلك ثم بعد المشارطة والمرابطة أول الأمر تكون: المراقبة إلى آخره، وبعد ذلك: يحاسب العبد نفسه على ما اشترطه وعاهد عليه، فإن وجد نفسه قد أوفى بما عهد عليه الله حمد الله، وإن وجد نفسه قد حل عقد المشارطة ونقض عهد المرابطة عاقب النفس عقابا بزجرها عن العودة إلى مثل ذلك، ثم عاد إلى المشارطة والمرابطة وحافظ على المراقبة، ثم اختبر بالمحاسبة فهكذا يكون حتى يلقى الله تعالى.

﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ خطاب للأوصياء، وقيل: للعرب الذين لا يورثون الصغير مع الكبير أمروا أن يورثوهم، وعلى القول بأن الخطاب للأوصياء فالمراد أن يعطوا اليتامى من أموالهم ما يأكلون ويلبسون في حال صغرهم، فيكون اليتيم على هذا حقيقة، وقيل: المراد دفع أموالهم إليهم إذا بلغوا فيكون اليتيم على هذا مجازا؛ لأن اليتيم قد كبر. ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾ كان بعضهم يبدل الشاة السمينة من مال اليتيم بالمهزولة من ماله، والدرهم الطيب بالزائف فنهوا عن ذلك، وقيل: المعنى لا تأكلوا أموالهم وهو الخبيث وتدعوا مالكم وهو الطيب ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ المعنى نهى أن يأكلوا أموال اليتامى مجموعة إلى أموالهم، وقيل: نهى عن خلط أموالهم بأموال اليتامى، ثم أباح ذلك بقوله: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ وإنما تعدى الفعل بإلى لأنه تضمن معنى الجمع والضم، وقيل: بمعنى مع ﴿حُوبًا﴾ أي ذنبا.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَانكِحُواْ﴾ الآية قالت عائشة: نزلت[١] في أولياء اليتامى الذين يعجبهم جمال أوليائهم فيريدون أن يتزوجوهن ويبخسوهن في الصداق مكان ولايتهم عليهم، فقيل لهم: أقسطوا في مهورهن فمن خاف أن لا يقسط فليتزوج بما طاب له من الأجنبيات اللاتي يوفهين حقوقهن، وقال ابن عباس: إن العرب كانت تتحرج في أموال اليتامى ولا تتحرج في العدل بين النساء، فنزلت الآية في ذلك[٢] أي كما تخافون أن لا تقسطوا في اليتامى، فكذلك خافوا النساء، وقيل: إن الرجل منهم كان يتزوج العشرة أو أكثر، فإذا ضاق ماله أخذ من مال اليتيم، فقيل لهم إن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فاقتصروا في النساء على ما طاب أي ما حل، وإنما قال ما ولم يقل من لأنه أراد الجنس، وقال الزمخشري[٣]: لأن الإناث من العقلاء يجري مجرى غير العقلاء ومنه قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾. ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ لا ينصرف للعدل والوصف وهي حال من ما طاب وقال ابن عطية[٤]: بدل وهي عدوله عن أعداد مكررة، ومعنى التكرار فيها: أن الخطاب لجماعة، فيجوز لكل واحد منهم أن ينكح ما أراد من تلك الأعداد، فتكررت الأعداد بتكرار الناس، والمعنى: أنكحوا اثنتين، أو ثلاثا، أو أربعا، وفي ذلك منع لما كان في الجاهلية من تزوج ما زاد على الأربع، وقال قوم: لا يعبأ بقولهم: إنه يجوز الجمع بين تسع؛ لأن مثنى وثلاث ورباع يتجمع منه تسعة، وهذا خطأ لأن المراد التخيير بين تلك الأعداد لا الجمع، ولو أراد الجمع لقال: تسع ولم يعدل عن ذلك إلى ما هو أطول منه وأقل بيانا، وأيضا قد انعقد الإجماع على

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٢٤٩٤)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٣٠١٨)، وعبد الرزاق في تفسيره: ١/١٤٥، والنسائي في تفسيره الحديث رقم: (٨٤٥٦)..

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٨٥٧/٣ بسند صحيح.

(٣) الكشاف: ٤٩٨/١.

(٤) المحرر الوجيز: ٨/٢، ولفظه: ﴿وَرُبَٰعَ﴾ موضعها من الإعراب نصب على البدل من ﴿مَا طَابَ﴾ وهي نكرات لا تنصرف لأنها معدولة وصفة كذا قاله أبو علي...

تحريم ما زاد على الرابعة ﴿فَوَاحِدَةً﴾ أي إن خفتم أن لا تعدلوا بين الاثنين أو الثلاث أو الأربع فاقتصروا على واحدة أو على ما ملكت أيمانكم من قليل أو كثير رغبة في العدل، وانتصاب واحدة بفعل مضمر تقديره: فانكحوا واحدة ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾ الإشارة إلى الاقتصار على الواحدة، والمعنى أن ذلك أقرب إلى أن لا تعولوا، ومعنى تعولوا تميلوا، وقيل: يكثر عيالكم.

﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ﴾ خطاب للأزواج، وقيل: للأولياء؛ لأن بعضهم كان يأكل صداق وليته، وقيل: هو نهي عن الشغار ﴿نِحْلَةً﴾ أي عطية منكم لهن أو عطية من الله، وقيل: معنى نحلة أي شرعة وديانة، وانتصابه على المصدر من معنى آتوهن أو على الحال من ضمير المخاطبين ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ﴾ الآية إباحة للأزواج والأولياء على ما تقدم من الخلاف أن يأخذوا ما دفعه النساء من صدقاتهن عن طيب أنفسهن، والضمير في منه يعود على الصداق أو على الإيتاء ﴿هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ عبارة عن التحليل ومبالغة في الإباحة، وهما صفتان من قولك: هنؤ الطعام ومرؤ إذا كان سائغا لا تنغيص فيه، وهما وصف للمصدر أي أكلا هنيئا، أو حال من ضمير الفاعل، وقيل: يوقف على فكلوه، ويبدأ هنيئا مريئا على الدعاء.

﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ﴾ قيل: هم أولاد الرجل وامرأته أي لا تؤتوهم أموالكم للتبذير، وقيل: السفهاء المحجورون و﴿أَمْوَٰلَكُمُ﴾ أموال المحجورين وأضافها إلى المخاطبين لأنهم ناظرون عليها وتحت أيديهم ﴿قِيَٰمًا﴾ جمع قيمة، وقيل: بمعنى قياما بألف أي تقوم بها معايشكم ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ قيل: إنها فيمن تلزم الرجل نفقته من زوجته وأولاده، وقيل: في المحجورين يرزقون ويكسون من أموالهم ﴿وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ أي ادعوا لهم بخير، أو عدوهم وعدا جميلا، أي إن شئتم دفعنا لكم أموالكم.

﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ أي اختبروا رشدهم ﴿بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾ بلغوا مبلغ

الرجال ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً﴾ الرشد هو المعرفة بمصالحه وتدبير ماله وإن لم يكن من أهل الدين، واشترط قوم الدين، واعتبر مالك البلوغ والرشد، وحينئذ يدفع المال، واعتبر أبو حنيفة البلوغ وحده ما لم يظهر سفه، وقوله مخالف للقرآن ﴿وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُواْ﴾ ومعناه مبادرة لكبرهم أي أن الوصي يستغنم أكل مال اليتيم قبل أن يكبر، وموضع أن يكبروا نصب على المفعولية ببدارا، أو على المفعول من أجله تقديره: مخافة أن يكبروا ﴿فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ أمر الوصي الغني أن يستعفف عن مال اليتيم ولا يأكل منه شيئا ﴿وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ قال عمر بن الخطاب[1]: المعنى أن يستسلف الوصي الفقير من مال اليتيم فإذا أيسر رده، وقيل: المراد أن يكون له أجرة بقدر عمله وخدمته، ومعنى بالمعروف من غير إسراف، وقيل: نسختها ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْماً﴾. ﴿فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ﴾ أمر بالتحرز والحزم، فهو ندب، وقيل: فرض.

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ الآية سببها:[2] أن بعض العرب كانوا لا يورثون النساء فنزلت الآية ليرث الرجال والنساء. ﴿نَصِيباً مَّفْرُوضاً﴾ منصوب انتصاب المصدر المؤكد لقوله فريضة من الله، وقال الزمخشري[3]: منصوب على التخصيص أعني بمعنى نصيبا.

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ الآية خطاب للوارثين، أمروا أن يتصدقوا من الميراث

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٥٨٢/٧، وابن سعد في الطبقات الكبرى: ٢٠٩/٣ بإسناد صحيح وهو بلفظ: «إنما أنزلت مال الله تعالى مني، منزلة مال اليتيم، إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف، فإذا أيسرت قضيت».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٨٧٢/٣ بسند ضعيف.

(٣) قال الزمخشري: ﴿نَصِيباً مَّفْرُوضاً﴾ نصب على الاختصاص، بمعنى أعني نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا لا بد لهم من أن يحوزوه، ولا يستأثر به، ويجوز أن ينتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ كأنه قيل: قسمة مفروضة. الكشاف: ٥٠٧/١.

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ • يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

على قرابتهم، وعلى اليتامى، وعلى المساكين، فقيل: إن ذلك على الوجوب، وقيل: على الندب وهو الصحيح، وقيل: نسخ بآية المواريث.

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ﴾ الآية معناها الأمر لأولياء اليتامى أن يحسنوا إليهم في نظير أموالهم، فيخافوا الله على أيتامهم كخوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا، ويقدروا ذلك في أنفسهم حتى لا يفعلوا خلاف الشفقة والرحمة، وقيل: الذين يجلسون إلى المريض فيأمروه أن يتصدق بماله حتى يجحف بورثته، فأمروا أن يخشوا على الورثة كما يخشوا على أولادهم، وحذف مفعول وليخش، وخافوا جواب لو ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ على القول الأول ملاطفة الوصي لليتيم بالكلام الحسن، وعلى القول الثاني أن يقول للموروث لا تسرف في وصيتك وأرفق بورثتك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ قيل: نزلت في الذين لا يورثون الإناث، وقيل: في الأوصياء ولفظها عام في كل من أكل مال اليتيم بغير حق ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ أي أكلهم لمال اليتامى يؤول إلى دخولهم النار، وقيل: يأكلون النار في جهنم.

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ هذه الآية نزلت بسبب[1] بنات سعد بن الربيع،

(١) أخرجه أبو داود في سننه الحديث رقم: (٢٨٩١)، والترمذي في سننه (٢٠٩٢)، وابن ماجه=

وقيل: بسبب جابر بن عبد الله[1] إذ عاده رسول الله ﷺ في مرضه، ورفعت ما كان في الجاهلية من ترك توريث النساء والأطفال، وقيل: نسخت الوصية للوالدين والأقربين، وإنما قال ﴿يُوصِيكُمُ﴾ بلفظ الفعل الدائم ولم يقل: أوصاكم تنبيها على ما مضى والشروع في حكم آخر، وإنما قال: يوصيكم الله بالاسم الظاهر، ولم يقل يوصيكم؛ لأنه أراد تعظيم الوصية، فجاء بالاسم الذي هو أعظم الأسماء، وإنما قال: في أولادكم ولم يقل في أبنائكم لأن الابن يقع على الابن من الرضاعة، وعلى ابن البنت وعلى الابن المتبنى، وليسوا من الورثة ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ هذا بيان للوصية المذكورة، فإن قيل: هلا قال للأنثيين مثل حظ الذكر، أو للأنثى نصف حظ الذكر؟ فالجواب: أنه بدأ بالذكر لفضله، ولأن القصد ذكر حظه، ولو قال للأنثيين مثل حظ الذكر لكان فيه تفضيل للإناث ﴿فَإِن كُنَّ نِسَاءً﴾ إنما أنث ضمير الجماعة في كن؛ لأنه قصد الإناث، وأصله أن يعود على الأولاد لأنه يشمل الذكور والإناث، وقيل: يعود على المتروكات، وأجاز الزمخشري[2] أن تكون كان تامة والضمير مبهم، ونساء تفسير ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ ظاهره أكثر من اثنتين، ولذلك أجمع على أن للثلاث فما فوقهن الثلثان، وأما البنتان فاختلف فيهما، فقال ابن عباس[3]: لهما النصف كالبنت الواحدة، وقال الجمهور: الثلثان، وتأولوا فوق اثنتين أن المراد اثنتان فما فوقهما، وقال قوم: إن فوق زائدة

= في سننه (٢٧٢٠)، وأحمد: ٣/٣٥٢، والحاكم في المستدرك: ٤/٣٤٢ قال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وصححه الألباني في الإرواء: ٦/١٢٢.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٤٥٧٧)، ومسلم في صحيحه: ٣/٢٣٥، والنسائي في تفسيره: ١/٣٦٢، والطبري في جامع البيان: ٨/٣٣.

(٢) لفظه: فإن قلت: هل يصح أن يكون الضميران في ﴿كُنَّ﴾ و﴿كَانَتْ﴾ مبهمين ويكون ﴿نِسَاءً﴾ و﴿وَاحِدَةً﴾ تفسيرا لهما على أن كان تامة؟ قلت: لا أبعد ذلك. الكشاف: ١/٥١٢.

(٣) حكاه ابن عطية في المحرر الوجيز: ٢/١٩ بدون ذكر سند وكذا ذكره القرطبي في تفسيره: ٥/٦٨، وأورده الزمخشري في الكشاف: ١/٥١٢.

كقوله: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ وهذا ضعيف، وقال قوم: إنما وجب لهما الثلثان بالسنة[1] لا بالقرآن، وقيل: بالقياس على الأختين ﴿وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً﴾ بالرفع[2] فاعل وكان تامة وبالنصب خبر كان وقوله تعالى: ﴿فَلَهَا النِّصْفُ﴾ نص على أن للبنت النصف إذا انفردت، ودليل على أن للابن جميع المال إذا انفرد؛ لأن للذكر مثل حظ الأنثيين ﴿إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ الولد: يقع على الذكر والأنثى، والواحد والاثنين والجماعة، سواء كان للصلب أو ولد ابن، وكلهم يرد الأبوين إلى السدس ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ لم يجعل الله للأم الثلث إلا بشرطين:

أحدهما: عدم الولد.

والآخر: إحاطة الأبوين بالميراث، ولذلك دخلت الواو لعطف أحد الشرطين على الآخر، وسكت عن حظ الأب استغناء بمفهومه؛ لأنه لا يبقى بعد الثلث إلا الثلثان، ولا وارث إلا الأبوان، فاقتضى ذلك أن الأب يأخذ بقية المال وهو الثلثان ﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ أجمع العلماء على أن ثلاثة من الإخوة يردون الأم إلى السدس، واختلفوا في الاثنين فذهب الجمهور أنهما يردانها إلى السدس، ومذهب ابن عباس[3] أنهما لا يردانها إليه بل هما كالأخ الواحد، وحجته أن لفظ الإخوة لا يقع على الاثنين؛ لأنه جمع لا تثنية، وأقل الجمع ثلاثة، وقال غيره: إن لفظ الجمع قد يقع على الاثنين كقوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾. ﴿تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ واحتجوا بقوله ﷺ: «الاثنان فما فوقهما

(١) في البخاري: باب ميراث الولد من أبيه وأمه. وقال زيد بن ثابت: إذا ترك رجل أو امرأة بنتا فلها النصف، وإن كانتا اثنتين أو أكثر فلهن الثلثان، وإن كان معهن ذكر بدئ بمن شركهم، فيؤتى فريضته فما بقي فللذكر مثل حظ الأنثيين. البخاري الحديث رقم: (٦٣٥١)..

(٢) الرفع قراءة نافع، قال ابن الجزري: ﴿وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً﴾ قرأ المدنيان بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب. النشر: ٢/٢٨٣، والتيسير، ص: ٧٢.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٤/٣٣٥، والبيهقي في السنن الكبرى: ٦/٢٢٧، والطبري في جامع البيان: ٨/٤٠ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

جماعة»[١] وقال مالك: مضت السنة أن الإخوة اثنان فصاعدا، ومذهبه أن أقل الجمع اثنان، فعلى هذا يحجب الأخوان فصاعدا الأم من الثلث إلى السدس، سواء كانا شقيقين أو لأب أو لأم أو مختلفين، وسواء كانا ذكرين أو أنثيين أو ذكرا وأنثى، فإن كان معهما أب ورث بقية المال ولم يكن للإخوة شيء عند الجمهور، فهم يحجبون الأم ولا يرثون، وقال قوم: يأخذون السدس الذي حجبوه عن الأم، وإن لم يكن أب ورثوا. ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾ قوله من بعد يتعلق بالاستقرار المضمر في قوله: فلهن ثلثا ما ترك، أي استقر لهن الثلثان من بعد وصية، ويمتنع أن يتعلق بترك، وفاعل يوصي الميت وإنما قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة، اهتماما بها وتأكيدا للأمر بها، ولئلا يتهاون بها، وأخر الدين لأن صاحبه يتقاضاه فلا يحتاج إلى تأكيد في الأمر بإخراجه، وتخرج الوصية من الثلث والدين من رأس المال بعد الكفن وإنما ذكر الوصية والدين نكرتين ليدل على أنهما قد يكونان وقد لا يكونان فدل ذلك على سقوط وجوب الوصية ﴿أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ﴾ قيل: بالإنفاق إذا احتيج إليه، وقيل: بالشفاعة في الآخرة، ويحتمل أن يريد نفعا بالميراث من ماله، وهو أليق بسياق الكلام.

﴿وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ﴾ الآية خطاب للرجال، وأجمع العلماء على ما تضمنته هذه الآية من ميراث الزوج والزوجة، وأن ميراث الزوجة تنفرد به إن كانت واحدة، ويقسم بينهن إن كن أكثر من واحدة، ولا ينقص عن ميراث الزوج والزوجة وسائر السهام إلا ما نقصه العول على مذهب جمهور العلماء، خلافا لابن عباس[٢]: فإنه لا يقول بالعول، فإن قيل: لم كرر قوله من بعد وصية مع ميراث الزوج وميراث الزوجة، ولم يذكره قبل ذلك إلا مرة واحدة في ميراث الأولاد

(١) أخرجه الدارقطني في سننه: ٢٨١/١، وأحمد في المسند: ٢٥٤/٥، وابن سعد في الطبقات: ٢٩١/٧ بأسانيد ضعيفة...

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٣٤٠/٤، والبيهقي في السنن الكبرى: ٢٦٣/٦ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾

ربع

والأبوين؟ فالجواب: أن الموروث في ميراث الزوج هو الزوجة والموروث في ميراث الزوجة هو الزوج، وكل واحدة قضية على انفرادها، فلذلك ذكر ذلك مع كل واحدة، بخلاف الأولى فإن الموروث فيها واحد ذكر حكم ما يرث منه أولاده وأبواه وهي قضيه واحدة، فلذلك قال فيها من بعد وصية مرة واحدة.

﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾ الكلالة هي انقطاع عمود النسب، وهو خلو الميت عن ولد ووالد، ويحتمل أن تطلق هنا على الميت الموروث، أو على الورثة، أو على القرابة، أو على المال، فإن كانت للميت فإعرابها: خبر كان، ويورث في موضع الصفة، أو يورث خبر كان، وكلالة حال من الضمير في يورث، أو تكون كان تامة ويورث في موضع الصفة، وتكون كلالة حال من الضمير، وإن كانت للورثة فهي خبر كان على حذف مضاف، تقديره: ذا كلالة، أو حال على حذف مضاف أيضا، وإن كانت للورثة فهي مصدر في موضع الحال، وإن كانت للقرابة فهي مفعول من أجله، تقديره: يورث من أجل القربى، وإن كانت للمال فهي مفعول ليورث، وكل وجه من هذه الوجوه على أن تكون كان تامة، ويورث في موضع الصفة، وأن تكون ناقصة ويورث خبرها ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ المراد هنا الأخ للأم والأخت للأم بإجماع، وقرأ سعد بن أبي وقاص وله أخ أو أخت لأمه[1] وذلك تفسير للمعنى

---

(١) المحرر الوجيز: ٢/٢٣..

﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ إذا كان الأخ للأم واحدا فله السدس، وكذلك إذا كانت الأخت للأم واحدة ﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ إذا كان الإخوة للأم اثنين فأكثر: فلهم الثلث بالسواء بين الذكر والأنثى؛ لأن قوله ﴿شُرَكَاءُ﴾ يقتضي التسوية بينهم، ولا خلاف في ذلك ﴿غَيْرَ مُضَارٍّ﴾ منصوب على الحال والعامل فيه يوصي ومضار اسم فاعل، قال ابن عباس: «الضرار في الوصية من الكبائر»[1] ووجوه المضار كثيرة، منها: الوصية لوارث، والوصية بأكثر من الثلث، أو بالثلث فرارا عن وارث محتاج، فإن علم أنه قصد بوصيته الإضرار رد ما زاد على الثلث اتفاقا، واختلف هل يرد الثلث على قولين في المذهب؟ والمشهور أنه ينفذ. ﴿وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لقوله: ﴿وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ﴾ ويجوز أن ينتصب بغير مصدر.

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ إشارة إلى ما تقدم من المواريث وغيرها.

﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية تعلق بها المعتزلة في قولهم: إن العصاة من المؤمنين يخلدون في النار، وتأولها الأشعرية على أنها في الكفار.

﴿يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ﴾ هي هنا الزنا ﴿مِن نِّسَائِكُمْ﴾ أي من المسلمات؛ لأن المسلمة تحد حد الزنا، وأما الكافر أو الكافرة فاختلف: هل يحد أو يعاقب؟ ﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ فَاسْتَشْهِدُواأَرْبَعَةً عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً﴾ قيل: إنما جعل شهداء الزنا أربعة تغليظا على المدعي وسترا على العباد، وقيل: ليكون شاهدان على كل واحد من الزانيين ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ﴾ كانت عقوبة الزنا الإمساك في البيوت، ثم نسخ ذلك بالأذى المذكور بعد هذا، وهو السب والتوبيخ، وقيل: إن الإمساك في البيوت للنساء، والأذى للرجال، فلا نسخ بينهما، ورجحه ابن عطية[2] وابن الفرس بقوله في

---

(١) الطبري في جامع البيان: ٦٥/٨، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٨٨٩/٣، والدر المنثور: ٤٥٢/٢، وعزاه للنسائي وابن أبي شيبة...

(٢) انظر المحرر الوجيز: ٢٦/٢.

﴿وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾

ثمن

الإمساك: ﴿مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ وفي الأذى: ﴿مِنكُمْ﴾ ثم نسخ الإمساك والأذى بالرجم للمحصن وبالجلد لغير المحصن، واستقر الأمر على ذلك. فأما الجلد: فمذكور في سورة النور، وأما الرجم: فقد كان في القرآن ثم نسخ لفظه وبقي حكمه، وقد رجم ﷺ ماعزا الأسلمي وغيره[1] ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ لما أمر بالأذى للزاني أمر بالإعراض عنه إذا تاب وهو ترك الأذى.

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي إنما يقبل الله توبة من كان على هذه الصفة، وإذا تاب العبد توبة صحيحة بشروطها فيقطع بقبول الله لتوبته عند جمهور العلماء وقال أبو المعالي يغلب ذلك على الظن ولا يقطع به ﴿يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ أي بسفاهة وقلة تحصيل أدت إلى المعصية، وليس المعنى أنه يجهل أن يكون ذلك الفعل معصية، قال أبو العالية[2]: أجمع الصحابة على أن كل معصية فهي بجهالة سواء كانت عمدا أو جهلا ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ قيل: قبل المرض والموت، وقيل: قبل السياق ومعاينة الملائكة، وفي هذا قال رسول الله ﷺ: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»[3].

---

(١) رجم ماعز ثابت في الصحيح، رواه البخاري الحديث رقم: (٦٨٢٤)، ومسلم الحديث رقم: (١٦٩٥)، وأبو داود الحديث رقم: (٤٤٤٢)، وأحمد في المسند: ٣٤٧/٥، والبغوي في شرح السنة: ٢٩٢/١٠، وغيرهم...

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٨٩/٨ بسند حسن وانظر الدر المنثور: ٤٥٩/٢.

(٣) الترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٤٦٠)، وابن ماجه الحديث رقم: (٤٢٤٣)، وابن حبان في صحيحه=

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ﴾ الآية في الذين يصرون على الذنوب إلى حين لا تقبل التوبة، وهو معاينة الموت فإن كانوا كفارا فهم مخلدون في النار بإجماع، وإن كانوا مسلمين فهم في مشيئة الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم، فقوله: ﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ ثابت في حق الكفار ومنسوخ في حق العصاة من المسلمين بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَّشَآءُ﴾ فعذابهم مقيد بالمشيئة.

﴿لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَآءَ﴾ قال ابن عباس[1]: كانوا في الجاهلية إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاؤوا تزوجها أحدهم، وإن شاؤوا زوجوها من غيرهم، وإن شاؤوا منعوها التزوج، فنزلت الآية في ذلك، فمعنى الآية على هذا لا يحل لكم أن تجعلوا النساء يورثن عن الرجال كما يورث المال، وقيل: الخطاب للأزواج الذين يمسكون المرأة في العصمة ليرثوا مالها من غير غبطة بها، وقيل: الخطاب للأولياء الذين يمنعون ولياتهم من التزوج ليرثوهن دون الزوج. ﴿وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ﴾ معطوف على أن ترثوا، أو نهي. والعضل المنع، قال ابن عباس[2]: هي أيضا في أولياء الزوج الذين يمنعون زوجته من التزوج بعد موته، إلا أن قوله: ﴿مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ على هذا معناه ما آتاها الرجل الذي مات، وقال ابن عباس[3] أيضا: «هي في الأزواج الذين يمسكون المرأة ويسيئون عشرتها حتى

= الحديث رقم: (٦٢٨)، وصححه أحمد شاكر في حاشية المسند: ١٧/٩، وصححه الألباني في المشكاة رقم: (٢٣٤٣).

(١) البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٤٥٧٩)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٢٠٨٩)، والنسائي في تفسيره الحديث رقم: (١١٤)، والطبري في جامع البيان رقم: (٨٨٦٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٩٠٢/٣، والواحدي في أسباب النزول، ص: ١٢٤.

(٢) صحيح وتخريجه في الأثر قبله.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١١١/٨، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٩٠٣/٣.

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ۝ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ۝ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ الَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝﴾

نفتدي بصداقها» وهو ظاهر اللفظ في قوله ﴿مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ ويقويه قوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ فإن الأظهر فيه أن يكون في الأزواج وقد يكون في غيرهم، وقيل: هي للأولياء ﴿إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ قيل: الفاحشة هنا الزنا، وقيل: نشوز المرأة وبغضها في زوجها فإذا نشزت جاز له أن يأخذ ما آتاها من صداق أو غير ذلك من مالها، وهذا جائز على مذهب مالك في جواز الخلع إذا كان الضرر من المرأة، والزنا أصعب على الزوج من النشوز، فيجوز له أخذ الفدية معه. ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ الآية معناها إن كرهتم النساء لوجه فاصبروا عليه فعسى أن يجعل الله الخير في وجه آخر، وقيل: الخير الكثير الولد، والأحسن العموم، وهو معنى قوله ﷺ: **«لا يفرك مؤمن مؤمنة إن سخط منها خلقا رضي منها آخر»**[1].

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ﴾ الآية معناها المنع من أن يأخذ الرجل من المرأة فدية على الطلاق إن أراد أن يبدلها بأخرى، وعلى هذا جرى مذهب مالك وغيره في المنع من الفدية إذا كان الضرر، وأرادت الفراق من الزوج، وقال قوم: إن هذه الآية منسوخة بقوله في البقرة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِۦ﴾ وقال قوم: هي ناسخة، والصحيح أنها غير ناسخة ولا منسوخة؛ فإن جواز الفدية على وجه ومنعها

(١) حديث صحيح، أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٦٧٢)، وأحمد في المسند الحديث رقم: (٨٠١٣)، والبيهقي في الكبرى: ٧/٢٩٥، ولا يفرك: بفتح الياء أي لا يبغضها...

على وجه، فلا تعارض ولا نسخ ﴿قِنطَاراً﴾ مثال على جهة المبالغة في الكثرة، وقد استدلت به المرأة على جواز المغالاة في المهور حين نهى عمر بن الخطاب عن ذلك فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: امرأة أصابت ورجل أخطأ كل الناس أفقه منك يا عمر[1].

﴿أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ كناية عن الجماع ﴿مِّيثَاقاً غَلِيظاً﴾ قيل: عقدة النكاح، وقيل: قوله: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾، وقيل: الأمر بحسن العشرة.

﴿وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ كان بعض العرب يتزوج امرأة أبيه بعده، فنزلت الآية[2] تحريما لذلك، فكل امرأة تزوجها رجل حرمت على أولاده ما سفلوا، سواء دخل بها أو لم يدخل، فالنكاح في الآية بمعنى العقد و﴿مَا نَكَحَ﴾ يعني النساء، وإنما أطلق عليهن ما وإن كن ممن يعقل؛ لأن المراد الجنس، فإن زنى رجل بامرأة فاختلف: هل يحرم تزوجها على أولاده أم لا؟ فحرمه أبو حنيفة وأجازه الشافعي، وفي المذهب قولان، واحتج من حرمه بهذه الآية، وحمل النكاح فيها على الوطء، وقال من أجازه إن الآية لا تتناوله؛ إذ النكاح فيها بمعنى العقد. ﴿إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ أي إلا ما فعلتم في الجاهلية من ذلك وانقطع بالإسلام، فقد عفي عنه فلا تؤاخذون به، ويدل على هذا قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ بعد قوله: ﴿إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ في المرة الأخرى في الجمع بين

---

(١) روى الحاكم في المستدرك بسنده عن سعيد بن المسيب: أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قام على منبره فحمد الله وأثنى عليه فقال: ألا لا تغالوا في صدقات النساء فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله كان أولاكم بها نبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما زيدت امرأة من نسائه ولا بناته على اثنتي عشرة أوقية، وذلك أربع مائة درهم وثمانين درهما، الأوقية أربعون درهما. فقد تواترت الأسانيد الصحيحة بصحة خطبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا الباب لي مجموع في جزء كبير ولم يخرجاه. المستدرك: ١٩٢/٢، وأخرجه الطبري في جامع البيان: ١٣٢/٨، وانظر تفسير ابن كثير: ٢٨٨/٢.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٣٢/٨ بسند صحيح.

الأختين، قال ابن عباس[١]: كانت العرب تحرم كل ما حرمته الشريعة إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين، وقيل: المعنى إلا ما قد سلف فدعوه، وقال الزمخشري: المعنى إلا ما قد سلف فانكحوه إن أمكنكم وذلك غير ممكن، فالمعنى المبالغة في التحريم. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً﴾ كان في هذه الآية تقتضي الدوام كقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ وشبه ذلك، وقال المبرد: هي زائدة وذلك خطأ لوجود خبرها منصوبا، وزاد هنا المقت على ما وصف به الزنا في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَآءَ سَبِيلاً﴾ دلالة على أن هذا أقبح من الزنا.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾ الآية معناها تحريم نكاح من ذكر من النساء، والنساء المحرمات على التأبيد ثلاثة أصناف: بالنسب، وبالرضاع، وبالمصاهرة. فأما النسب: فيحرم به سبعة أصناف وهي المذكورة في هذه الآية، وضابطها: أنه يحرم على الرجل فصوله ما سفلت، وأصوله ما علت، وفصول أبويه ما سفلت، وأول فصل من كل أصل متقدم على أبويه. ﴿أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ يدخل فيه الوالدة والجدات من قبل[٢] الأم ومن الأب ما علون ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ يدخل فيه البنت وبنت الابن وبنت البنت ما سفلن ﴿وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾ يدخل فيه الأخت الشقيقة والأخت للأب والأخت للأم ﴿وَعَمَّٰتُكُمْ﴾ يدخل فيه أخت الوالد، وأخت الجد ما علا، سواء كانت شقيقة أو لأب أو لأم. ﴿وَخَٰلَٰتُكُمْ﴾ يدخل فيه أخت الأم وأخت الجدة ما علت، سواء كانت شقيقة أو لأب أو لأم ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ﴾ يدخل فيه كل من تناسل من الأخ الشقيق أو لأب أو لأم. ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ يدخل فيه كل من تناسل من الأخت الشقيقة أو لأب أو لأم. ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ ذكر تعالى صنفين من الرضاعة وهما: الأم والأخت، وقال رسول الله ﷺ:

(١) صحيح سبق تخريجه.

(٢) قوله: (قبل) زيادة من (م).

«يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»[١] فاقتضى ذلك تحريم الأصناف السبعة التي تحرم من النسب، وهي: الأم، والبنت، والأخت، والعمة، والخالة، وبنت الأخ، وبنت الأخت، وتفصيل ذلك يطول، وفي الرضاع مسائل لم نذكرها لأنها ليس لها تعلق بألفاظ الآية. ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾ المحرمات بالمصاهرة أربع، وهن: زوجة الأب، وزوجة الابن، وأم الزوجة، وبنت الزوجة.

فأما الثلاث الأول، فتحرم بالعقد دخل بها أم لم يدخل بها، وأما بنت الزوجة فلا تحرم إلا بعد الدخول بأمها، فإن وطئها حرمت عليه بنتها بالإجماع، وإن تلذذ بها بما دون الوطء فحرمها مالك والجمهور، وإن عقد عليها ولم يدخل بها لم تحرم بنتها إجماعا، وتحرم هذه الأربع بالرضاع كما تحرم بالنسب.

﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ الربيبة هي بنت امرأة الرجل من غيره، سميت بذلك لأنه يربيها، فلفظها فعيلة بمعنى مفعولة، وقوله: ﴿ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ على غالب الأمر؛ إذ الأكثر أن تكون الربيبة في حجر زوج أمها، وهي محرمة سواء كانت في حجره أم لا، هذا عند الجمهور من العلماء، إلا ما روي عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أجاز نكاحها إن لم تكن في حجره[٢] ﴿ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ اشترط

---

(١) البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٢٦٤٥)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٤٤٧)، والنسائي الحديث رقم: (٣٢٤٩)، وابن ماجه الحديث رقم: (١٩٣٨)، وأحمد في المسند: ٢٧٥/١..

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف: ٢٧٨/٦ قال ابن كثير: وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرْعة، حدثنا إبراهيم بن موسى، أنبأنا هشام ـ يعني ابن يوسف ـ عن ابن جريج، حدثني إبراهيم بن عبيد بن رفاعة، أخبرني مالك بن أوس بن الحدثان قال: كانت عندي امرأة فتوفيت، وقد ولدت لي، فوجِدْت عليها، فلقيني علي بن أبي طالب فقال: مالك؟ فقلت: توفيت المرأة. فقال علي: لها ابنة؟ قلت: نعم، وهي بالطائف. قال: كانت في حجرك؟ قلت: لا هي بالطائف قال: فانكحها. قلت: فأين قول الله ﷻ : ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ قال: إنها لم تكن في حجرك، إنما ذلك إذا كانت في حجرك. =

الدخول في تحريم بنت الزوجة خاصة ولم يشترط في تحريم[١] غيرها، وعلى ذلك جمهور العلماء إلا ما روي[٢] عن علي بن أبي طالب أنه اشترط الدخول في تحريم الجميع، وقد انعقد الإجماع بعده على خلاف ذلك[٣] ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ﴾ الحلائل جمع حليلة وهي الزوجة ﴿ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ تخصيص ليخرج عنه زوجة الابن الذي يتبناه الرجل وهو أجنبي عنه كتزوج[٤] رسول الله ﷺ زينب بنت جحش امرأة زيد بن حارثة الكلبي الذي كان يقال له: زيد بن محمد[٥] ﷺ ﴿وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾ يقتضي تحريم الجمع بين الأختين، سواء كانتا شقيقتين أو لأب أو لأم وذلك في الزوجتين، وأما الجمع بين الأختين المملوكتين في الوطء

= هذا إسناد قوي ثابت إلى علي بن أبي طالب، على شرط مسلم، وهو قول غريب جدًّا، وإلى هذا ذهب داود بن علي الظاهري وأصحابه. وحكاه أبو القاسم الرافعي عن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ واختاره ابن حزم، وحكى لي شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي أنه عَرَض هذا على الشيخ الإمام تقي الدين ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فاستشكله، وتوقف في ذلك، والله أعلم. ابن كثير: ٢/٢٥٢، وصحح هذا الإسناد السيوطي في الدر المنثور: ٢/٤٧٤.

(١) قوله: (تحريم) زيادة من (أ) و(ف).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٨/١٤٤ بسند ضعيف قال القرطبي: وقالت طائفة من السلف: الأم والربيبة سواء، لا تحرم منهما واحدة إلا بالدخول بالأخرى. قالوا: ومعنى قوله: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾ أي اللاتي دخلتم بهن ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾. وزعموا أن شرط الدخول راجع إلى الأمهات والربائب جميعا؛ رواه خلاس عن علي بن أبي طالب. وروي عن ابن عباس وجابر وزيد بن ثابت، وهو قول ابن الزبير ومجاهد. قال مجاهد: الدخول مراد في النازلتين، وقول الجمهور مخالف لهذا وعليه الحكم والفتيا، وقد شدد أهل العراق فيه حتى قالوا: لو وطئها بزنا أو قبلها أو لمسها بشهوة حرمت عليه ابنتها. وعندنا وعند الشافعي إنما تحرم بالنكاح الصحيح؛ والحرام لا يحرم الحلال على ما يأتي. وحديث خلاس عن علي لا تقوم به حجة، ولا تصح روايته عند أهل العلم بالحديث، والصحيح عنه مثل قول الجماعة. الجامع لأحكام القرآن: ٥/١٠٦.

(٣) في (م): (وقد انعقد الإجماع بعده).

(٤) في (م): (تزويج).

(٥) البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٧٤٢٠)، وله طرق وانظر الدر المنثور: ٢/٢١.

• وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾

فمنعه مالك والشافعي وأبو حنيفة وغيرهم، ورأوا أنه داخل في عموم لفظ الأختين، وأجازه الظاهرية لأنهم قصروا الآية على الجمع بالنكاح، وأما الجمع بين الأختين في الملك دون وطء فجائز باتفاق ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ المعنى: إلا ما فعلتم من ذلك في الجاهلية وانقطع بالإسلام، فقد عفي عنكم فلا تؤاخذون به، وهذا أرجح الأقوال حسبما تقدم في الموضع الأول.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ المراد هنا ذوات الأزواج، وهو معطوف على المحرمات المذكورة قبله، والمعنى: أنه لا يحل نكاح المرأة إذا كانت في عصمة الرجل ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يريد السبايا في أشهر الأقوال، والاستثناء متصل، والمعنى: أن المرأة الكافرة إذا كان لها زوج ثم سبيت جاز لمن ملكها من المسلمين أن يطأها، وسبب ذلك أن رسول الله ﷺ بعث جيشا إلى أوطاس فأصابوا سبايا من العدو لهن أزواج من المشركين، فتأثم المسلمون من غشيانهن فنزلت الآية مبيحة لذلك[1] ومذهب مالك أن السبي يهدم النكاح سواء سبي الزوجان الكافران معا أو سبي أحدهما قبل الآخر، وقال ابن المواز: لا يهدم السبي النكاح. ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ منصوب على المصدرية، أي كتب الله عليكم كتابا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٤٥٦)، وأبو داود في سننه (٢١٥٥)، والترمذي الحديث رقم: (١١٣٢)، والنسائي الحديث رقم: (٣٣٣٣)، والطبري في جامع البيان: ١٥٢/٨، والواحدي في أسباب النزول، ص: ١٢٦.

وهو تحريم ما حرم وهو عند الكوفيين منصوب على الإغراء ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ معناه أحل لكم تزويج من سوى ما حرم من النساء، وعطف أحل على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله والفاعل هو الله، أي كتب الله عليكم تحريم من ذكر وأحل لكم ما وراء ذلكم ﴿أَن تَبْتَغُواْ﴾ مفعول من أجله أو بدل مما وراء ذلكم، وحذف مفعوله وهو النساء. ﴿مُّحْصِنِينَ﴾ هنا أعفة[1] ونصبه على الحال من الفاعل في تبتغوا ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ أي غير زناة والسفاح هو الزنا. ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ قال ابن عباس[2]: وغيره معناها إذا استمتعتم بالزوجة ووقع الوطء فقد وجب إعطاء الأجر وهو الصداق كاملا، وقيل[3]: إنها في نكاح المتعة، وهو النكاح إلى أجل من غير ميراث، وكان جائزا في أول الإسلام فنزلت[4] هذه الآية في وجوب الصداق فيه، ثم حرم عند جمهور العلماء، فالآية على هذا منسوخة بالخبر الثابت في تحريم نكاح المتعة[5] وقيل: نسختها آية الفرائض لأن نكاح المتعة لا ميراث فيه، وقيل: نسختها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾ وروي عن ابن عباس جواز نكاح المتعة، وروي أنه رجع عنه[6]. ﴿وَلَا

---

(١) في (م): (العفة).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٧٥/٨، وابن عبد البر في التمهيد: ١٢٠/١٠، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٩١٩/٣.

(٣) يوجد في هذا المعنى أثر عن مجاهد، أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٧٦/٨، وورد به كذلك أثر عن السدي وهما ضعيفان. وكذلك يروى عن ابن عباس، قال ابن عطية: وروي عن ابن عباس أيضا، ومجاهد، والسدي، وغيرهم أن الآية في نكاح المتعة. المحرر الوجيز: ٤٣/٢.

(٤) سبب النزول لم نجده مسندا.

(٥) صحيح أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٤٨٢٥)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٣٤٨٠)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (١١٢١)، والنسائي: ١٢٥/٦..

(٦) القول برجوعه ضعيف، أخرجه الترمذي في سننه (١١٣٦)، والطبراني في المعجم الكبير: ٣٢٠/١٠، والحازمي في الاعتبار، ص: ٤٢٩ قال الحافظ في الفتح إسناده ضعيف: ١٤٨/٩، وضعفه الألباني في الإرواء: ٣١٦/٦. فالحاصل أن ابن عباس له في المتعة ثلاثة أقوال:=

جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾ من قال إن الآية المتقدمة في مهور النساء، فمعنى هذه جواز ما يتراضون به من حط من الصداق أو تأخيره بعد استقرار الفريضة، ومن قال: إن الآية في نكاح المتعة فمعنى هذا جواز ما يتراضون به من زيادة في مدة المتعة، وزيادة في الأجر.

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ معناها إباحة تزويج الفتيات وهن الإماء للرجل إذا لم يجد طولا للمحصنات، والطول هنا هو السعة في المال، والمحصنات هنا يراد بهن الحرائر غير المملوكات، ومذهب مالك وأكثر أصحابه أنه لا يجوز للحر نكاح أمة إلا بشرطين:

أحدهما: عدم الطول وهو ألا يجد ما يتزوج به حرة.

والآخر: خوف العنت وهو الزنا لقوله: بعد هذا ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ وأجاز ابن القاسم نكاحهن دون الشرطين على القول بأن دليل الخطاب لا يعتبر، واتفقوا على اشتراط الإسلام في الأمة التي تتزوج لقوله تعالى: ﴿مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إلا أهل العراق فلم يشترطوه، وإعراب طولا مفعول بالاستطاعة، وأن ينكح بدل منه وهو في موضع نصب، بتقدير: لأن ينكح، ويحتمل أن يكون طولا منصوبا[1] على المصدر والعامل فيه الاستطاعة لأنها بمعنى يتقارب، وأن ينكح على هذا مفعول بالاستطاعة أو بالمصدر ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم﴾ معناه أنه يعلم بواطن الأمور ولكم ظواهرها، فإذا كانت الأمة ظاهرة الإيمان فنكاحها صحيح وعلم باطنها إلى الله ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ أي إماؤكم منكم وهذا تأنيس

= الأول: إباحتها مطلقا، والثاني: الإباحة عند الضرورة. والثالث: التحريم مطلقا، وهذا لم يثبت عنه بخلاف القولين الأولين فهما ثابتان عنه. انظر الإرواء: ٦/٣١٦...

(١) في (أ) و(ف): (نصب).

بنكاح الإماء لأن بعض العرب كان يأنف من ذلك ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ أي بإذن ساداتهن المالكين لهن ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي صدقاتهن وهذا يقتضي أنهن أحق بصدقاتهن من ساداتهن وهو مذهب مالك ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي بالشرع على ما تقتضيه السنة ﴿مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ أي عفيفات غير زانيات وهو منصوب على الحال والعامل فيه فانكحوهن ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ جمع خدن وهو الخليل، وكان من نساء الجاهلية من تتخذ خدنا تزني معه خاصة، ومنهن من كانت لا ترد يد لامس ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَٰتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ معنى ذلك أن الأمة إذا زنت بعد أن أحصنت فعليها نصف حد الحرة، فإن الحرة تجلد في الزنا مائة جلدة والأمة تجلد خمسين، فإذا أحصن هنا يريد به تزوجن، والفاحشة هنا الزنا والمحصنات هنا الحرائر، والعذاب هنا الحد فاقتضت الآية حد الأمة إذا زنت بعد أن تزوجت، ويؤخذ حد غير المتزوجة من السنة[1] وهو مثل حد المتزوجة، هذا على قراءة أحصن بضم الهمزة[2] وكسر الصاد وقرئ بفتحهما، ومعناه أسلمن، وقيل: تزوجن. ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ الإشارة إلى تزوج الأمة أي إنما يجوز لمن خشي على نفسه الزنا، لا لمن يملك نفسه ﴿وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ المراد الصبر عن نكاح الإماء وهذا ندب إلى تركه، وعلته ما يؤدي إليه من استرقاق الولد.

---

(١) وهو من حديث علي وغيره، روى مسلم بسنده، قَالَ: خَطَبَ عَلِيٌّ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَقِيمُوا عَلَى أَرِقَّائِكُمُ الْحَدَّ مَنْ أَحْصَنَ مِنْهُمْ وَمَنْ لَمْ يُحْصِنْ، فَإِنَّ أَمَةً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ زَنَتْ فَأَمَرَنِي أَنْ أَجْلِدَهَا فَإِذَا هِيَ حَدِيثُ عَهْدٍ بِنِفَاسٍ، فَخَشِيتُ إِنْ أَنَا جَلَدْتُهَا أَنْ أَقْتُلَهَا فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ «أَحْسَنْتَ». الحديث رقم: (٤٥٤٧)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (١٤٤١).

(٢) قال الداني في التيسير: أبو بكر وحمزة والكسائي ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ﴾ بفتح الهمزة والصاد والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد، ص: ٧٢.

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ * إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ قال الزمخشري[1]: أصله يريد الله أن يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لإرادة التبيين، كما زيدت في لا أبا لك[2]، وقال الكوفيون: اللام مصدرية مثل أن. ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي يهديكم مناهج من كان قبلكم من الأنبياء والصالحين لتقتدوا بهم.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ كرر توطئة لفساد إرادة الذين يتبعون الشهوات، وهم هنا الزناة عند مجاهد، وقيل: المجوس لنكاحهم ذوات المحارم، وقيل: عام في كل متبع شهوة وهو أرجح[3].

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ يقتضي سياق الكلام التخفيف الذي وقع في إباحة نكاح الإماء وهو مع ذلك عام في كل ما خفف الله عن عباده، وجعل دينه يسرا ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ قيل: معناه لا يصبر عن النساء، وذلك مقتضى سياق الكلام، واللفظ أعم من ذلك.

﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ يدخل فيه القمار والغصب

(١) الكشاف: ١/٥٣٣.

(٢) في (م) زيادة: (لتأكيد إضافة الأب).

(٣) قال ابن عطية: واختلف المتأولون في متبعي الشهوات، فقال مجاهد: هم الزناة، وقال السدي: هم اليهود والنصارى، وقالت فرقة: هم اليهود خاصة؛ لأنهم أرادوا أن يتبعهم المسلمون في نكاح الأخوات من الأب، وقال ابن زيد: ذلك على العموم في هؤلاء وفي كل متبع شهوة، ورجحه الطبري. المحرر الوجيز: ٢/٤٩.

والسرقة وغير ذلك ﴿إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً﴾ استثناء منقطع والمعنى لكن إن كانت تجارة فكلوها، وفي إباحة التجارة دليل على أنه يجوز للإنسان أن يشتري بدرهم سلعة تساوي مائة، والمشهور إمضاء البيع، وحكي عن ابن وهب أنه يرد إذا كان الغبن أكثر من الثلث، وموضع أن نصب وتجارة بالرفع[١] فاعل تكون وهي تامة وقرئ بالنصب خبر تكون وهي ناقصة ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ أي اتفاق وبهذا استدل المالكية على تمام البيع بالعقد دون التفرق، وقال الشافعي: إنما يتم بالتفرق بالأبدان لقوله ﷺ: «المتبايعان بالخيار ما لم يتفرقا»[٢]. ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ﴾ قال ابن عطية[٣]: أجمع المفسرون: أن المعنى لا يقتل بعضكم بعضا. قلت: ولفظها يتناول قتل الإنسان لنفسه، وقد حملها عمرو بن العاص على ذلك، ولم ينكره رسول الله ﷺ إذ سمعه[٤].

---

(١) ﴿تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾ قرأه عاصم بالنصب فيهما، وقرأ الباقون برفعهما. النشر: ٢/٢٧٠..

(٢) لفظ البخاري: البيعان بالخيار الحديث رقم: (٢١١٤)، وكذلك في مسلم الحديث رقم: (٢٤٢١)، والمتبايعان في كتب السنن أبو داود الحديث رقم: (٢٩٩٧)، والنسائي الحديث رقم: (٤٣٩١)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (١٢٤٥).

(٣) لفظه: وقوله تعالى ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ﴾ قرأ الحسن ولا تقتلوا على التكثير، فأجمع المتأولون: أن المقصود بهذه الآية النهي عن أن يقتل بعض الناس بعضها، ثم لفظها يتناول أن يقتل الرجل نفسه بقصد منه للقتل، أو بأن يحملها على غرر ربما مات منه، فهذا كله يتناوله النهي، وقد احتج عمرو بن العاص بهذه الآية حين امتنع من الاغتسال بالماء البارد خوفا على نفسه منه، فقرر رسول الله ﷺ احتجاجه. المحرر الوجيز: ٢/٥٢.

(٤) عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: احْتَلَمْتُ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ السَّلاَسِلِ، فَأَشْفَقْتُ إِنِ اغْتَسَلْتُ أَنْ أَهْلِكَ، فَتَيَمَّمْتُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ بِأَصْحَابِي الصُّبْحَ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِي ﷺ فَقَالَ: «يَا عَمْرُو صَلَّيْتَ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ». فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي مَنَعَنِي مِنَ الاِغْتِسَالِ، وَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ اللهَ يَقُولُ: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾ فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا. رواه أبو داود الحديث رقم: (٣٣٥)، والحاكم في المستدرك: ١/١٧٧ قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي...

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى القتل لأنه أقرب مذكور، وقيل: إليه وإلى أكل المال بالباطل، وقيل: إلى كل ما تقدم من المنهيات من أول السورة.

﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ اختلف الناس في الكبائر ما هي؟ فقال ابن عباس:[١] الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو لعنة أو غضب، وقال ابن مسعود[٢]: الكبائر هي الذنوب المذكورة من أول هذه السورة إلى أول هذه الآية، وقال بعض العلماء: كل ما عصي الله به فهو كبيرة، وعدها بعضهم سبعة عشر، وفي البخاري عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتقوا السبع الموبقات: الإشراك بالله، والسحر، وقتل النفس، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات»[٣] فلا شك أن هذه من الكبائر للنص عليها في الحديث، وزاد بعضهم عليها أشياء ورد في الأحاديث النص على أنها كبائر، أو ورد في القرآن أو في الحديث وعيد عليها، فمنها: عقوق الوالدين، وشهادة الزور، واليمين الغموس، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، والنهبة، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله، ومنع ابن السبيل الماء، والإلحاد في البيت الحرام، والنميمة، وترك التحرز من البول، والغلول، واستطالة المرء في عرض أخيه، والجور في الحكم. ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ وعد بغفران الذنوب الصغائر إذا اجتنبت الكبائر ﴿مُّدْخَلاً كَرِيماً﴾ اسم مكان وهو هنا الجنة.

﴿وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ﴾ الآية سببها[٤] أن النساء قلن ليتنا استوينا مع الرجال في

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٩٢١٢/٨ بسند حسن.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢٣٣/٨، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٩٣٣/٣.

(٣) أخرجه البخاري في باب الوصايا وأبواب أخرى منه الحديث رقم: (٢٧٦٦)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٢٩)، وأبو داود الحديث رقم: (٢٤٩٠)، والنسائي في سننه: ٢٥٧/٦، والبغوي في معالم التنزيل: ٢٠٢/٢، ولفظ البخاري: اجتنبوا السبع الموبقات... إلخ.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٠٢٢)، والطبري في جامع البيان: ٩٢٣٦/٨)، وعبد الرزاق في مصنفه: ١٥٦/١، وابن كثير في تفسيره: ٣٣٨/٢.

الميراث، وشاركناهم في الغزو، فنزلت نهيا عن ذلك؛ لأن في تمنيهم ردا على حكم الشريعة، فيدخل في النهي تمني مخالفة الأحكام الشرعية كلها. ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا﴾ الآية أي من الأجر والحسنات، وقيل: من الميراث، ويرده لفظ الاكتساب.

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ الآية في معناها وجهان:

أحدهما: لكل شيء من الأموال جعلنا موالي يرثونه، فمما ترك على هذا بيان لكل.

والآخر: لكل أحد جعلنا موالي يرثون مما ترك الوالدان والأقربون، فما ترك على هذا يتعلق بفعل مضمر، والموالي هنا الورثة والعصبة.

﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ اختلف هل هي منسوخة أو محكمة، فالذين قالوا إنها منسوخة قالوا معناها الميراث بالحلف الذي كان في الجاهلية، وقيل:[1] بالمؤاخاة التي آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه، ثم نسخها ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ فصار الميراث للأقارب، والذين قالوا إنها محكمة اختلفوا، فقال ابن عباس[2]: هي في المؤازرة والنصرة بالحلف لا في الميراث به، وقال أبو حنيفة: هي في الميراث وأن الرجلين إذا والى أحدهما الآخر على أن يتوارثا صح ذلك وإن لم تكن بينهما قرابة.

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ قوام بناء مبالغة من القيام على الشيء والاستبداد بالنظر فيه، قال ابن عباس[3]: الرجال أمراء على النساء. ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ﴾ الباء للتعليل وما مصدرية، والتفضيل بالإمامة، والجهاد، وملك الطلاق، وكمال

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٢٢٩٢)، والطبري في جامع البيان رقم: (٩٢٧٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٩٣٧/٣.

(٢) تخريجه في الحديث السابق.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان رقم: (٩٣٠٠) عن ابن عباس.

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (٣٤) وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (٣٥) ۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (٣٧)﴾

ربع

العقل، وغير ذلك. ﴿وَبِمَا أَنفَقُواْ﴾ هو الصداق والنفقة المستمرة على الزوجات. ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ﴾ أي النساء الصالحات في دينهن مطيعات لأزواجهن، أو مطيعات لله في حق أزواجهن ﴿حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ أي تحفظ كلما غاب عن علم زوجها، فيدخل في ذلك صيانة نفسها، وحفظ ماله، وبيته، وحفظ أسراره ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ أي بحفظ الله ورعايته، أو بأمره للنساء أن يطعن الزوج ويحفظنه، فما مصدرية أو بمعنى الذي ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ قيل: الخوف هنا اليقين ﴿فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ هذه أنواع من تأديب المرأة إذا نشزت على زوجها وهي على مراتب: بالوعظ في النشوز الخفيف، والهجران فيما هو أشد منه، والضرب فيما هو أشد. ومهما انتهت عن النشوز بوجه من التأديب لم يتعد إلى ما بعده، والهجران هنا هو ترك مضاجعتها، وقيل: ترك الجماع إذا ضاجعها والضرب غير مبرح. ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾ أي إذا أطاعت المرأة زوجها فليس له أن يؤذيها بهجران ولا ضرب.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ الشقاق الشر والعداوة، وكان الأصل إن خفتم شقاقا بينهما ثم أضيف الظرف إلى الشقاق على طريق الاتساع، لقوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ وأصله مكر بالليل والنهار. ﴿فَابْعَثُواْ حَكَماً﴾ الآية ذكر تعالى الحكم في نشوز المرأة والحكم في طاعتها، ثم ذكر هنا حالة أخرى وهي ما إذا ساء ما بين الزوجين ولم يقدر على الإصلاح بينهما، ولا علم من الظالم منهما،

فيبعث حكمان مسلمان لينظرا في أمرهما وينفذا ما ظهر لهما من تطليق وخلع من غير إذن الزوج، وقال أبو حنيفة: ليس لهما الفراق إلا إن جعل لهما، وإن اختلفا لم يلزم شيء إلا باتفاقهما.

ومشهور مذهب مالك أن الحاكم هو الذي يبعث الحكمين، وقيل: يبعثهما الزوجان، وجرت عادة القضاة أن يبعثوا امرأة أمينة، ولا يبعثوا حكمين، قال بعض العلماء: هذا تغيير لحكم القرآن والسنة الجارية.

﴿مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ يجوز في المذهب أن يكون الحكمان من غير أهل الزوجين، والأكمل أن يكونا من أهلهما كما ذكر الله. ﴿إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ الضمير في يريدا للحكمين وفي بينهما للزوجين على الأظهر، وقيل: الضميران للزوجين، وقيل: للحكمين.

﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ قال ابن عباس[1]: الجار ذي[2] القربى هو القريب النسب، والجار الجنب هو الأجنبي، وقيل: ذو القربى القريب المسكن منك، والجنب البعيد المسكن عنك، وحد الجوار عند بعضهم أربعون ذراعا من كل ناحية. ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ قال ابن عباس[3]: الرفيق في السفر، وقال علي بن أبي طالب[4]: الزوجة. ﴿مُخْتَالًا﴾ اسم فاعل وزنه مفتعل من الخيلاء وهو الكبر وإعجاب المرء بنفسه ﴿فَخُورًا﴾ شديد الفخر.

﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بدل من قوله: مختالا، أو نصب على الذم، أو رفع بخبر

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان رقم: (٩٤٣٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٩٤٩/٣ بإسناد حسن.

(٢) في (أ): (ذو القربى).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان رقم: (٩٤٥٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٩٤٩/٣ بإسناد حسن.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان رقم: (٩٤٧١) بسند ضعيف.

وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَآءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَآءَ قَرِيناً (٣٨) وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً (٣٩) إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةٌ يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً (٤٠) فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيداً (٤١) يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ لَوْ تَسَّوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً (٤٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ الصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُباً إِلَّا عَابِرِے سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَا أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَآئِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً (٤٣) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ

ابتداء مضمر، أو مبتدأ وخبره محذوف، تقديره: يعذبون، والآية في اليهود نزلت[1] في قوم منهم: كردم، وحيي بن أخطب، ورفاعة بن زيد بن التابوت، كانوا يقولون للأنصار: لا تنفقوا أموالكم في الجهاد والصدقات، وهي مع ذلك عامة في من قد فعل هذه الأفعال من المسلمين.

﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ عطف على الذين يبخلون، وقيل: على الكافرين، والآية في المنافقين الذين كانوا ينفقون في الزكاة والجهاد رياء ومصانعة، وقيل: في اليهود، وقيل: في مشركي مكة الذين أنفقوا أموالهم في حرب المسلمين ﴿قَرِيناً﴾ أي ملازما له يغويه.

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ءَالْأخِرِ﴾ الآية استدعاء لهم كملاطفة، أو توبيخ على ترك الإيمان والإنفاق، كأنه يقول: أي مضرة عليهم في ذلك.

﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي وزنها وهي النملة الصغيرة وذلك تمثيل بالقليل تنبيها على الكثير ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةٌ﴾ بالرفع فاعل وتك تامة وبالنصب خبر على أنها ناقصة واسمها مضمر فيها ﴿يُضَاعِفْهَا﴾ أي يكثرها واحدة بعشر إلى سبعمائة أو أكثر. ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ﴾ أي من عنده تفضلا وزيادة على ثواب العمل.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا﴾ تقديره: كيف يكون الحال إذا جئنا ﴿بِشَهِيدٍ﴾ هو نبيئهم

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان رقم: (٩٥٠١) بإسناد ضعيف.

يشهد عليهم بأعمالهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ أي تشهد على قومك ولما قرأ ابن مسعود هذه الآية على رسول الله ﷺ ذرفت عيناه[1].

﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ أي يتمنون أن يدفنوا فيها ثم تسوى بهم كما تسوى بالموتى، وقيل: يتمنون أن يكونوا سواء مع الأرض كقوله: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ وذلك لما يرون من أهوال يوم القيامة. ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ استئناف إخبار أنهم لا يكتمون يوم القيامة عن الله شيئا، فإن قيل: كيف هذا مع قولهم ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾؟ فالجواب: من وجهين:

أحدهما: أن الكتم لا ينفعهم لأنهم إذا كتموا تنطق جوارحهم فكأنهم لم يكتموا.

والآخر: أنهم طوائف مختلفة ولهم أوقات مختلفة، وقيل: إن قوله: ولا يكتمون عطف على تسوى أي يتمنون أن لا يكتموا لأنهم إذا كتموا افتضحوا.

﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾ سببها:[2] أن جماعة من الصحابة شربوا الخمر قبل تحريمها ثم قاموا إلى الصلاة وأمهم أحدهم فخلط في القراءة، فمعناها النهي عن الصلاة في حال السكر، قال بعض الناس: هي منسوخة بتحريم الخمر وذلك لا يلزم؛ لأنها ليس فيها ما يقتضي إباحة الخمر، وإنما هي نهي عن الصلاة في حال السكر، وذلك الحكم ثابت في حين إباحة الخمر وفي حين تحريمها،

---

(١) حديث صحيح من حديث ابن مسعود: قال رسول الله ﷺ لعبد الله: اقرأ، فقال: يا رسول الله، كيف أقرأ عليك، وعليك أنزل؟ قال: إني أحب أن أسمعه من غيري، وافتتح عبد الله سورة النساء، وقرأ حتى بلغ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ ذرفت عيناه، وقال: حسبك. أخرجه البخاري الحديث رقم: (٤٧٦٣)، ومسلم الحديث رقم: (١٩٠٣)، والترمذي الحديث رقم: (٣٠٢٥)، وأبو داود الحديث رقم: (٣٦٦٨).

(٢) أخرجه أبو داود عن علي بن أبي طالب الحديث رقم: (٣٦٧١)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٠٢٦)، والطبري في جامع البيان: ٣٧٦/٨ بسند صحيح...

وقال بعضهم: معناها: لا يكن منكم سكر يمنع قرب الصلاة؛ إذ المرء مأمور بالصلاة فكأنها تقتضي النهي عن السكر وعن سببه وهو الشرب، وهذا بعيد من مقتضى اللفظ. ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ أي حتى تعود إليكم عقولكم فتعلمون ما تقرؤون ويظهر من هذا أن السكران لا يعلم ما يقول، فأخذ بعض الناس من ذلك أن السكران لا يلزم طلاقه ولا إقراره ﴿وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِے سَبِيلٍ﴾ عطف ولا جنبا على موضع وأنتم سكارى إذ هو في موضع الحال، والجنب هنا غير الطاهر بإنزال أو إيلاج وهو واقع على جماعة، بدليل استثناء الجمع منه، واختلف في عابري السبيل، فقيل: إنه المسافر، ومعنى الآية على هذا نهى أن يقرب الصلاة وهو جنب إلا في السفر فيصلي بالتيمم دون اغتسال، فمقتضى الآية إباحة التيمم للجنب في السفر، ويؤخذ إباحة التيمم للجنب في الحضر من الحديث[1]، وقيل: عابر السبيل المار في المسجد، والصلاة هنا يراد بها المسجد لأنها موضع الصلاة، فمعنى الآية على هذا النهي أن يقرب الجنب المسجد إلا خاطرا عليه، وعلى هذا أخذ الشافعي الآية؛ لأنه يجيز للجنب أن يمر في المسجد، ولا يجيز له أن يقعد فيه، ومنع مالك المرور والقعود، وأجازهما داود. ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ الآية سببها[2] عدم اصطحاب الصحابة الماء في غزوة المريسيع، فأبيح لهم التيمم في عدم الماء، ثم إن عدم الماء على ثلاثة أوجه:

أحدها: عدمه في السفر.

والثاني: عدمه في المرض، فيجوز التيمم في هذين الوجهين بإجماع، لأن الآية نص في المرض والسفر إذا عدم الماء فيهما لقوله: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٣٤٤) كتاب التيمم ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٦٨٢)، وأحمد في المسند: ٤/٤٣٤، والدارقطني في سننه: ١/٢٠٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٣٣٤)، ومسلم الحديث رقم: (٣٦٧)، والنسائي في سننه: ١/١٦٣، وهو مشهور من حديث عمران بن حصين.

عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ ثم قال: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾

الوجه الثالث: عدم الماء في الحضر دون مرض، فاختلف الفقهاء فيه، فمذهب أبي حنيفة أنه لا يجوز فيه التيمم؛ لأن ظاهر الآية أن عدم الماء إنما يعتبر مع المرض أو السفر.

ومذهب مالك والشافعي أنه يجوز فيه التيمم، فإن قلنا إن الآية لا تقتضيه فيؤخذ جوازه من السنة[1]، وإن قلنا إن الآية تقتضيه فيؤخذ جوازه منها، وهذا هو الأرجح إن شاء الله، وذلك أنه ذكر في أول الآية المرض والسفر ثم ذكر الإحداث دون مرض ولا سفر، ثم قال بعد ذلك كله ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ فيرجع قوله ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ إلى المرض وإلى السفر وإلى من أحدث في غير مرض ولا سفر، فيجوز التيمم على هذا لمن عدم الماء في غير مرض ولا سفر، فيكون في الآية حجة لمالك والشافعي، ويجوز التيمم أيضا في مذهب مالك للمريض إذا وجد الماء ولم يقدر على استعماله لضرر بدنه، فإن قلنا إن الآية لا تقتضيه فيؤخذ جوازه من السنة[2]، وإن قلنا إن الآية تقتضيه فيؤخذ جوازه منهما، على أن يتناول قوله ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ أن معناه مرضى لا تقدرون على مس الماء. وحد المرض الذي يجوز فيه التيمم عند مالك هو: أن يخاف الموت أو زيادة المرض أو تأخر البرء، وعند الشافعي: خوف الموت لا غير، وحد السفر الغيبة عن الحضر كان مما

---

(١) حديث صحيح تقدم تخريجه.

(٢) يدل عليه حديث جابر، قال: «خرجنا في سفر فأصاب رجلا منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم، فقال لأصحابه: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ قالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات، فلما قدمنا على النبي ﷺ أخبر بذلك، قال: قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذا لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصب على جرحه بخرقة، ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده» أبو داود الحديث رقم: (٣٣٦)، والبيهقي في سننه: ١/٢٢٧، والدارقطني رقم: (١٨١)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود دون: إنما يكفيه. ١/٦٩، وله شواهد...

تقصر فيه الصلاة أم لا. ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ في أو هنا تأويلان:

أحدهما: أن تكون للتفصيل والتنويع على بابها.

والآخر: أنها بمعنى الواو فعلى القول بأنها على بابها يكون قوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ راجعا إلى المريض والمسافر، وإلى من جاء من الغائط، وإلى من لامس سواء كانا مريضين أو مسافرين أم لا حسبما ذكرنا قبل هذا، فيقتضي ذلك جواز التيمم للحاضر الصحيح إذا عدم الماء وهو مذهب مالك والشافعي، فيكون في الآية حجة لهما، وعلى القول بأنها بمعنى الواو يكون قوله ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ راجعا إلى المريض والمسافر فيقتضي ذلك أنه لا يجوز التيمم إلا في المرض والسفر مع عدم الماء، وأنه لا يجوز للحاضر الصحيح إذا عدم الماء، ولكن يؤخذ جواز التيمم له من موضع آخر، والراجح أن تكون أو على بابها لوجهين:

أحدهما: أن جعلها بمعنى الواو إخراج لها عن أصلها وذلك ضعيف

والآخر: إن كانت على بابها كان فيها فائدة إباحة التيمم للحاضر الصحيح إذا عدم الماء على ما ظهر لنا فيها، وإذا كانت بمعنى الواو لم تفد هذه الفائدة، وحجة من جعلها بمعنى الواو أنه لو جعلها على بابها لاقتضى المعنى أن المرض والسفر حدث يوجب الوضوء كالغائط لعطفه عليها، وهذا لا يلزم؛ لأن العطف بأو هنا للتنويع والتفصيل، ومعنى الآية كأنه قال: يجوز لكم التيمم إذا لم تجدوا ماء إن كنتم مرضى أو على سفر وأحدثتم في غير مرض ولا سفر ﴿ٱلْغَآئِطِ﴾ أصله المكان المنخفض، وهو هنا كناية عن الحدث الخارج من المخرجين وهو العذرة والريح والبول لأن من ذهب إلى الغائط تكون منه هذه الأحداث الثلاث، وقيل: إنما هو كناية عن العذرة، وأما البول والريح فيؤخذ وجوب الوضوء لهما من السنة[1]

---

(١) أما الدليل من السنة على أن البول والريح ينقضان الوضوء، فهو الحديث الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ» البخاري=

وكذلك الودي[١] والمذي[٢].

﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَآءَ﴾ اختلف في المراد بالملامسة هنا على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الجماع وما دونه من التقبيل واللمس باليد وغيرها، وهو قول مالك، فعلى هذا ينتقض الوضوء باللمس الذي هو دون الجماع على تفصيل في المذهب، ويجب معه التيمم إذا عدم الماء، ويكون الجنب من أهل التيمم.

والقول الثاني: أنها ما دون الجماع، فعلى هذا ينتقض الوضوء باللمس ولا يجوز التيمم للجنب، وقد قال بذلك عمر بن الخطاب[٣] ويؤخذ جوازه عند من

= الحديث رقم: (٦٩٥٤)، ومسلم الحديث ر قم: (٢٢٥)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٦٠)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٧٦)..

(١) الودي بسكون الدال وبكسرها: البَلَلُ اللَّزِج الذي يَخْرُج من الذَّكر بَعْد البَوْل، والوَديّ بتشديد الياء: صِغَارُ النَّخْل، الواحدة: وَدِيَّة، وفي السنن الكبرى للبيهقي، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الْمَنِيُّ وَالْمَذْيُ وَالْوَدْيِ، فَالْمَنِيُّ: مِنْهُ الْغُسْلُ، وَمِنْ هَذَيْنِ الْوُضُوءُ يَغْسِلُ ذَكَرَهُ وَيَتَوَضَّأُ، وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: الْوَدْيُ: الَّذِي يَكُونُ بَعْدَ الْبَوْلِ فِيهِ الْوُضُوءُ. الحديث رقم: (٥٧٦)..

(٢) وأما المذي فكذلك صحيح، وهو من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت رجلا، مذاء فاستحييت أن أسأل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأمرت المقداد بن الأسود فسأله فقال: (فيه الوضوء) البخاري الحديث رقم: (١٣٢) كتاب العلم باب: من استحيا فأمر غيره بالسؤال. ومسلم الحديث رقم: (٣٠٣، وأبو داود الحديث رقم: (٢٠٦)، والترمذي الحديث رقم: (١١٤)، والنسائي في سننه: ٩٦/١.

(٣) عدم جواز التيمم للجنب ثابت عن عمر البخاري الحديث رقم: (٣٣٨)، ومسلم الحديث رقم: (٣٦٨)، والبغوي في شرح السنة: ١٠٨/٢، ولفظ الحديث: أَنَّ رَجُلاً أَتَى عُمَرَ فَقَالَ: إِنِّي أَجْنَبْتُ فَلَمْ أَجِدْ مَاءً. فَقَالَ: لاَ تُصَلِّ. فَقَالَ عَمَّارٌ: أَمَا تَذْكُرُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ أَنَا وَأَنْتَ فِي سَرِيَّةٍ فَأَجْنَبْنَا، فَلَمْ نَجِدْ مَاءً، فَأَمَّا أَنْتَ فَلَمْ تُصَلِّ، وَأَمَّا أَنَا فَتَمَعَّكْتُ فِي التُّرَابِ وَصَلَّيْتُ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَضْرِبَ بِيَدَيْكَ الأَرْضَ ثُمَّ تَنْفُخَ، ثُمَّ تَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَكَ وَكَفَّيْكَ». فَقَالَ عُمَرُ: اتَّقِ اللهَ يَا عَمَّارُ، قَالَ: إِنْ شِئْتَ لَمْ أُحَدِّثْ بِهِ، وفي رواية: فَقَالَ: عُمَرُ نُوَلِّيكَ مَا تَوَلَّيْتَ. وهذا لفظ مسلم.

أجازه من الحديث[١].

والثالث: أنها الجماع لا غير، فعلى هذا يجوز التيمم للجنب ولا يكون ما دون الجماع ناقضا للوضوء وهو مذهب أبي حنيفة ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ هذا يفيد وجوب طلب الماء وهو مذهب مالك خلافا لأبي حنيفة، فإن وجده بثمن فاختلف هل يجوز له التيمم أم لا؟ وإن وهب له فاختلف هل يلزمه قبوله أم لا؟. ﴿فَتَيَمَّمُواْ﴾ التيمم في اللغة القصد، وفي الفقه: الطهارة بالتراب وهو منقول من المعنى اللغوي ﴿صَعِيداً طَيِّباً﴾ الصعيد عند مالك هو وجه الأرض كان ترابا أو رملا أو حجارة، فأجاز التيمم بذلك كله وهو عند الشافعي التراب لا غير، والطيب هنا الطاهر، واختلف في التيمم بالمعادن كالذهب، وبالملح، وبالتراب المنقول، كالمجعول في طبق، وبالآجر، وبالجص المطبوخ، وبالجدار، وبالنبات الذي على وجه الأرض، وذلك كله على الاختلاف في معنى الصعيد.

﴿فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ لا يكون التيمم إلا في هذين العضوين ويقدم الوجه على اليدين لظاهر الآية، وذلك على الندب عند مالك ويستوعب الوجه بالمسح، وأما اليدان فاختلف: هل يمسحهما إلى الكوعين أو إلى المرفقين؟ ولفظ الآية محتمل لأنه لم يحد، وقد احتج من قال إلى المرفقين بأن هذا مطلق فيحمل على المقيد، وهو تحديدها في الوضوء بالمرفقين.

﴿الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ﴾ هم اليهود هنا[٢] وفي الموضع الثاني، قال السهيلي: في الموضع الأول: نزل في رفاعة بن زيد بن التابوت، وفي الثاني: نزل في كعب بن الأشرف[٣] ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ عبارة عن إيثارهم الكفر على

(١) حديث صحيح تقدم تخريجه، البخاري الحديث رقم: (٣٤٤)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٦٨٢).

(٢) الطبري في جامع البيان: ٤٢٧/٨، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٩٦٣/٣ بإسناد ضعيف.

(٣) روى ابن كثير: عن ابن عباس قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة، قالت قريش: ألا ترى هذا=

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾

الإيمان، فالشراء مجاز كقوله ﴿اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ وفي تكرار قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ﴾ مبالغة ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ من راجعة إلى الذين أوتوا نصيبا، أو إلى أعدائكم، فهي بيان، وقال الفارسي: هي ابتداء كلام، تقديره: من الذين هادوا قوم، وقيل: هي متعلقة بنصيرا، وهو ضعيف، ويتوقف على ﴿نَصِيرًا﴾ على قول الفارسي.

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ يحتمل تحريف اللفظ أو المعنى، وقيل: الكلم هنا التوراة، وقيل: كلام النبي ﷺ ﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ معناه لا سمعت ﴿وَرَاعِنَا﴾ ذكر في البقرة ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ عوض من قولهم سمعنا وعصينا واسمع عوض من قولهم اسمع غير مسمع، وانظرنا عوض من قولهم راعنا وهو من النظر أو الانتظار، فهذه الأشياء الثلاثة في مقابلة الأشياء الثلاثة التي ذمهم على قولها لما فيها من سوء الأدب مع رسول الله ﷺ، وأخبر أنهم لو قالوا هذه الثلاثة الأخر عوضا عن تلك لكان خيرا لهم، فإن هذه ليس فيها سوء أدب.

﴿مُصَدِّقًا﴾ ذكر في البقرة. ﴿أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾ قال ابن عباس(١): طمسها

= الصنبور المنبتر من قومه؟ يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج، وأهل السدانة، وأهل السقاية! قال: أنتم خير. قال فنزل: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣]، ونزل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ إلى ﴿نَصِيرًا﴾ ابن كثير: ٣٣٤/٢، وأخرجه الإمام أحمد: ٤٠٢/٢، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٥٣٤/٣، والطبري في جامع البيان: ٤٦٧/٨..

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٤٤٠/٨، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٩٦٨/٣ بإسناد ضعيف جدا.

أن تزال العيون منها وترد في القفا، فيكون ذلك ردا على الدبر، وقيل: طمسها محو تخطيط صورها من أنف أو عين أو حاجب، حتى تصير كالأدبار في خلوها عن الحواس. ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ أي نمسخهم كما مسخ أصحاب السبت، وقد ذكر في البقرة أو يكون من اللعن المعروف، والضمير يعود على الوجوه والمراد أصحابها، أو يعود على ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ على الالتفات.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ هذه الآية هي الحاكمة في مسألة الوعيد، وهي المبينة لما تعارض فيها من الآيات وهي الحجة لأهل السنة، والقاطعة بالخوارج والمعتزلة والمرجئة، وذلك أن مذهب أهل السنة أن العصاة من المؤمنين في مشيئة الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم، وحجتهم هذه الآية فإنها نص في هذا المعنى، ومذهب الخوارج أن العصاة يعذبون ولا بد، سواء كانت ذنوبهم صغائر أو كبائر، ومذهب المعتزلة أنهم يعذبون على الكبائر ولا بد، ويرد على الطائفتين قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ ومذهب المرجئة أن العصاة كلهم يغفر لهم ولا بد، وأنه لا يضر ذنب مع الإيمان ويرد عليهم قوله ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ فإنه تخصيص لبعض العصاة، وقد تأولت المعتزلة الآية على مذهبهم فقالوا: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ وهو التائب، فإن التائب، لا خلاف أنه لا يعذب، وهذا التأويل بعيد، لأن قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ في غير التائب من الشرك وكذلك قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ في غير التائب من العصيان ليكون أول الآية وآخرها على نسق واحد، وتأولتها المرجئة على مذهبهم فقالوا لمن يشاء معناه: لمن يشاء أن يؤمن، وهذا أيضا بعيد لا يقتضيه اللفظ، وقد ورد في القرآن آيات كثيرة في الوعيد، فحملها المعتزلة على العصاة، وحملها المرجئة على الكفار، وحملها أهل السنة على الكفار وعلى من لا يغفر الله له من العصاة، كما حملوا آية الوعد على المؤمنين الذين لم يذنبوا وعلى المذنبين التائبين، وعلى من يغفر الله له من العصاة غير التائبين، فعلى مذهب أهل السنة لا يبقى تعارض بين آيات الوعد

وآيات الوعيد، بل يجمع بين معانيها، بخلاف قول غيرهم فإن الآيات فيه تتعارض.

وتلخيص المذاهب: أن الكافر إذا تاب من كفره غفر له بإجماع، وإن مات على كفره: لم يغفر له وخلد في النار بإجماع، وأن العاصي من المؤمنين إن تاب غفر له وإن مات دون توبة فهو الذي اختلف الناس فيه.

﴿الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ﴾ هم اليهود لعنهم الله، وتزكيتهم قولهم ﴿نَحْنُ أَبْنَاؤُا اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ وقيل: مدحهم لأنفسهم. ﴿فَتِيلاً﴾ الفتيل: هو الخيط الذي في شق نواة التمرة، وقيل: ما يخرج بين أصبعيك وكفيك إذا فتلتهما؟؟ هو تمثيل، وعبارة عن أقل الأشياء، فيدل على الأكثر بطريق الأولى.

﴿يَفْتَرُونَ﴾ دليل على أن تزكيتهم لأنفسهم بالباطل.

﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ قال ابن عباس[1]: الجبت هنا حيي بن أخطب، والطاغوت كعب بن الأشرف، وقال عمر بن الخطاب[2]: الجبت السحر، والطاغوت الشيطان، وقيل: الجبت الكاهن، والطاغوت الساحر، وبالجملة هما كل ما عبد وأطيع من دون الله. ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية سببها:[3] أن حيي بن أخطب وكعب ابن الأشرف أو غيرهما من اليهود قالوا لكفار قريش: أنتم أهدى سبيلا من محمد وأصحابه.

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ﴾ الهمزة للاستفهام مع الإنكار. ﴿نَقِيراً﴾ النقير هو النقرة في ظهر النواة، وهو تمثيل وعبارة عن أقل الأشياء، والمراد وصف اليهود بالبخل لو كان لهم نصيب من الملك وأنهم حينئذ يبخلون بالنقير الذي هو

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٤٦٤/٨، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٩٧٥/٣ بسند ضعيف.

(٢) الطبري في جامع البيان رقم: (٥٤٣٤)، وفتح الباري: ٢٥٢/٨، قال: وإسناده قوي.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٩٧٩٢/٨ بسند ضعيف.

أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذًا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ● (ربع) إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ذَٰلِكَ خَيۡرٌ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾

أقل الأشياء ويبخلون بما هو أكثر منه من باب أولى.

﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ وصفهم بالحسد مع البخل والناس هنا يراد به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وأمته، والفضل النبوءة، وقيل: النصر والعزة، وقيل: الناس العرب والفضل كون النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ منهم. ﴿فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ المراد بآل إبراهيم ذريته من بني إسرائيل وغيرهم، ممن آتاه الله الكتب التي أنزلها والحكمة التي علمها، والمقصود بالآية الرد على اليهود في حسدهم لسيدنا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، ومعناها: إلزام لهم بما عرفوه من فضل الله تعالى على آل إبراهيم فلأي شيء تخصون محمدا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بالحسد دون غيره ممن أنعم الله عليهم؟ ﴿مُّلۡكًا عَظِيمًا﴾ الملك في آل إبراهيم هو ملك يوسف وداود وسليمان.

﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ الآية قيل: المراد من اليهود من آمن بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أو بالقرآن المذكور في قوله تعالى ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾ أو بما ذكر من حديث إبراهيم، فهذه ثلاثة أوجه في ضمير به، وقيل: منهم أي من آل إبراهيم من آمن بإبراهيم ومنهم من كفر، كقوله تعالى: ﴿فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾.

﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم﴾ الآية، قيل: تبدل لهم جلود بعد جلود أخرى إذ نفوسهم هي المعذبة، وقيل: تبديل الجلود تغيير صفاتها بالنار، وقيل: الجلود

السرابيل وهو بعيد.

﴿أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ ذكر في البقرة ﴿ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ صفة من لفظ الظل للتأكيد أي دائما لا تنسخه الشمس، وقيل: نفي الحر والبرد.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ الآية، قيل: هي خطاب للولاة، وقيل: للنبي ﷺ حين أخذ مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة[1] ولفظها عام، وكذلك حكمها.

﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ هم الولاة، وقيل: العلماء ونزلت[2] في عبد الله بن حذافة[3] بعثه رسول الله ﷺ في سرية. ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الرد إلى الله هو النظر في كتابه، والرد إلى الرسول ﷺ هو سؤاله في حياته والنظر في سنته بعد وفاته ﴿إِن كُنتُمْ﴾ يحتمل أن يكون هذا الشرط راجعا إلى قوله: فردوه، أو إلى قوله: أطيعوا، والأول أظهر؛ لأنه أقرب إليه. ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أي مآلا وعاقبة، وقيل: أحسن نظرا منكم.

﴿الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ الآية نزلت في المنافقين، وقيل: في منافق ويهودي كان بينهما خصومة فتحاكما إلى كعب بن الأشرف اليهودي، وقيل: إلى كاهن.

﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ﴾ وضع الظاهر موضع المضمر ليذمهم بالنفاق، ودل ذلك

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٤٩١/٨، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٥٧٠/٣، وابن كثير في تفسيره: ٤١٠/٢ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس بسند ضعيف.

(٢) البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٤٥٨٤)، ومسلم الحديث رقم: (١٨٤٣)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٢٦٢٤)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (١٦٧٢)، والطبري في جامع البيان: ٤٩٧/٨.

(٣) عبد الله بن حذافة بن قيس السهمي القرشي، أبو حذافة: صحابي أسلم قديما، وبعثه النبي ﷺ إلى كسرى، وهاجر إلى الحبشة، وقيل: شهد بدرا، وأسره الروم في أيام عمر، ثم أطلقوه، وشهد فتح مصر، وتوفي بها في أيام عثمان، وكانت فيه دعابة، وله حديث، وعده الجمحي من شعراء مكة، ت: ٣٣هـ. الاستيعاب: ٢٦٨/١، والأعلام للزركلي: ٧٨/٤.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ • وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾

ثمن

على أن الآية المتقدمة نزلت[1] في المنافقين.

﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ الآية أي كيف يكون حالهم إذا عاقبهم الله بذنوبهم. ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ يحتمل أن يكون هذا معطوفا على ما قبله، أو يكون معطوفا على قوله: ﴿يَصُدُّونَ﴾ ويكون قوله: فكيف إذا أصابتهم اعتراضا.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي عن معاقبتهم وليس المراد بالإعراض القطيعة لقوله: وعظهم.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ الآية، وعد بالمغفرة لمن استغفر، وفيه استدعاء للاستغفار والتوبة، ومعنى جاؤوك أتوك تائبين معتذرين من ذنوبهم يطلبون أن تستغفر لهم الله.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ لا هنا مؤكدة للنفي الذي بعدها. ﴿شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ أي اختلط واختلفوا فيه، ومعنى الآية أنهم لا يؤمنون حتى يرضوا بحكم النبي ﷺ، ونزلت بسبب[2] المنافقين الذين تخاصموا وقيل: بسبب خصام الزبير مع رجل من

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٩٩١/٣، وله طرق يقوي بعضها بعضا.

(٢) قال ابن كثير: قال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى قراءة، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عبد الله بن لَهِيعة، عن أبي الأسود قال: اختصم رجلان إلى رسول الله ﷺ فقضى بينهما، فقال الذي قضى عليه: ردنا إلى عمر بن الخطاب فقال رسول الله ﷺ: «انطلقا إليه» فلما أتيا إليه قال الرجل: يا ابن الخطاب، قضى لي رسول الله ﷺ على هذا، فقال: ردنا إلى عمر. فردنا إليك. فقال: أكذاك؟ فقال: نعم، فقال عمر: مَكَانَكُمَا حتى أخرج إليكما فأقضي=

الأنصار في الماء[1] وحكمها عام.

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ معناها: لو فرض عليهم ما فرض على من كان قبلهم من المشقات لم يفعلوها لقلة انقيادهم إلا القليل منهم الذين هم مؤمنون حقا، وقد روي[2] أن من هؤلاء القليل: أبو بكر، وعمر، وابن مسعود، وعمار بن ياسر، وثابت بن قيس. ﴿إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ بالرفع بدل من المضمر وقرأ ابن عامر وحده بالنصب[3] على أصل الاستثناء، أو على إلا فعلا قليلا. ﴿مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ من

= بينكما. فخرج إليهما مشتملا على سيفه، فضرب الذي قال رُدَّنا إلى عمر فقتله، وأدبر الآخر فارا إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله قتل عُمَر والله صاحبي، ولولا أني أعجزتُه لقتلني، فقال رسول الله ﷺ: «ما كنت أظن أن يجترئ عُمَر على قتل مؤمن» فأنزل الله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ الآية، فهدر دم ذلك الرجل، وبرئ عمر من قتله، فكره الله أن يسن ذلك بعد، فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾. وكذا رواه ابن مَرْدُويه من طريق ابن لَهِيعة، عن أبي الأسود به. وهو أثر غريب، وهو مرسل، وابن لهيعة ضعيف، والله أعلم. تفسير القرآن العظيم: ٢/٣٥١.

(١) صحيح عن عروة عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أنه حدثه: أن رجلا من الأنصار خاصم الزبير عند النبي ﷺ في شراج الحرة التي يسقون بها النخل، فقال الأنصاري: سرح الماء يمر فأبى عليه، فاختصما عند النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ للزبير: (اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك). فغضب الأنصاري، فقال: أن كان ابن عمتك؟ فتلون وجه رسول الله ﷺ، ثم قال: (اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر). فقال الزبير: والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ البخاري رقم: (٢٣٥٩)، ومسلم الحديث رقم: (٢٣٥٧)، والترمذي في سننه رقم: (١٣٦٣)، والطبري في جامع البيان: ٨/٩٩١٢.

توضيح: (شراج) جمع شرج، وهو مسيل الماء من المرتفع إلى السهل، (الحرة): الأرض الصلبة، الغليظة ذات الحجارة السوداء، وفي المدينة حرتان. (سرح) أرسله وسيبه.

(٢) المحرر الوجيز: ٢/٩٠.

(٣) انظر النشر في القراآت العشر لابن الجزري: ٢/٢٥٠.

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

ربع

اتباع النبي ﷺ وطاعته والانقياد له. ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ أي تحقيقا لإيمانهم.

﴿وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم﴾ جواب لسؤال مقدر عن حالهم لو فعلوا ذلك.

﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ ثواب على الطاعة، أي هم معهم في الجنة، وهذه الآية مفسرة لقوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ والصديق فعيل من الصدق ومن التصديق والمراد به المبالغة، والصديقون أرفع الناس درجة بعد الأنبياء. والشهداء: المقتولون في سبيل الله ومن جرى مجراهم من سائر الشهداء، كالغريق، وصاحب الهدم حسبما ورد في الحديث أنهم سبعة[1] ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ الإشارة إلى الأصناف الأربعة المذكورة، والرفيق يقع على الواحد والجماعة كالخليط، وهو مفرد بين به الجنس، ومعنى الكلام إخبار واستدعاء للطاعة التي ينال بها مرافقة هؤلاء.

﴿ذَٰلِكَ الْفَضْلُ﴾ الإشارة إلى الثواب على الطاعة بمرافقة من ذكر في الجنة والفضل صفة أو خبر.

---

(١) روى مالك في الموطإ: الشهداء سبعة سوى القتل في سبيل الله: المطعون شهيد، والغرق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، والحرق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيد، الحديث رقم: (٥٥٤)، وأبو داود الحديث رقم: (٣١١١)، والنسائي في سننه: ٤/١٣، وابن ماجه في سننه رقم: (٢٧٠٣).

﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ أي تحرزوا من عدوكم واستعدوا له ﴿فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ﴾ أي اخرجوا للجهاد جماعات متفرقين، وذلك كناية عن السرايا، وقيل: إن الثبتة ما فوق العشرة، ووزنها فعلة بفتح العين ولامها محذوفة. ﴿أَوِ انفِرُواْ جَمِيعاً﴾ أي مجتمعين في الجيش الكثيف فخيرهم في الخروج إلى الغزو في قلة أو كثرة.

﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ الخطاب للمؤمنين والمراد بمن المنافقين وعبر عنهم بمنكم إذ هم يزعمون أنهم من المؤمنين ويقولون آمنا واللام في ﴿لَمَن﴾ للتأكيد وفي ليبطئن جواب قسم محذوف ومعنى يبطئ غيره يثبطه عن الجهاد ويحمله على التخلف عن الغزو، وقيل: يبطئ يتخلف هو عن الغزو ويتثاقل. ﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ أي قتل وهزيمة، والمعنى: أن المنافق تسره غيبته عن المؤمنين إذا هزموا، وشهيدا معناه حاضرا معهم.

﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي نصر وغنيمة، والمعنى أن المنافق يندم على ترك الغزو معهم إذا غنموا فيتمنى أن يكون معهم. ﴿كَأَن لَّمْ يَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ جملة اعتراض بين العامل ومعموله، فلا يجوز الوقف عليها، وهذه المودة في ظاهر المنافق لا في اعتقاده.

﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ﴾ أي يبيعون. ﴿فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ ذكر الحالتين للمقاتل ووعد بالأجر على كل واحدة منهما.

﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ﴾ تحريض على القتال وما مبتدأ والجار والمجرور خبر، ولا تقاتلون في موضع الحال، والمستضعفين هم الذين حبسهم مشركوا قريش بمكة ليفتنوهم عن الإسلام، وهو عطف على اسم الله أو مفعول معه. ﴿الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ هي مكة حين كانت للمشركين.

﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وما بعده إخبار قصد به تقوية قلوب المسلمين وتحريضهم على القتال.

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٤﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٦﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٧﴾ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٨﴾

﴿الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ الآية، قيل: هي في قوم من الصحابة[1] كانوا قد أمروا بالكف عن القتال قبل أن يفرض الجهاد فتمنوا أن يؤمروا به فلما أمروا به كرهوه لا شكا في دينهم ولكن خوفا من الموت، وقيل: هي في المنافقين وهو أليق في سياق الكلام. ﴿مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ وما بعده تحقير للدنيا فتضمن الرد عليهم في كراهتهم للموت.

﴿فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ أي في حصون منيعة، وقيل: المشيدة المطولة، وقيل: المبنية بالشيد وهو الجص ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ الحسنة هنا النصر والغنيمة وشبه ذلك من المحبوبات، والسيئة الهزيمة والجوع وشبه ذلك، والضمير في ﴿تُصِبْهُمْ﴾ وفي ﴿يَقُولُوا﴾ للذين قيل لهم كفوا أيديكم، وهذا يدل على أنها في المنافقين، لأن المؤمنين لا يقولون للنبي ﷺ: إن السيئات من عنده. ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ رد على من نسب السيئة إلى رسول الله ﷺ، وإعلام أن السيئة والحسنة والخير والشر من عند الله، أي بقضائه وقدره. ﴿فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ﴾ توبيخ لهم على قلة فهمهم.

﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ خطاب

---

(١) النسائي في سننه الحديث رقم: (٣٠٨٦)، والطبري في جامع البيان: ٥٤٩/٨، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٠٠٥/٣، وهو صحيح.

مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾

للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به كل مخاطب على الإطلاق فدخل فيه غيره من الناس وفيه تأويلان:

أحدهما: نسبة الحسنة إلى الله والسيئة إلى العبد تأدبا مع الله في الكلام، وإن كان كل شيء منه في الحقيقة وذلك كقوله عليه الصلاة والسلام: «والخير كله بيديك، والشر ليس إليك»[1] وأيضا فنسبة السيئة إلى العبد لأنها بسبب ذنوبه لقوله ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ فهي من العبد بتسببه فيها، ومن الله بالخلق والاختراع.

والثاني: أن هذا من كلام القوم المذكورين قبل، والتقدير: يقولون كذا فمعناها كمعنى التي قبلها.

﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ هذه الآية من فضائل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما كانت طاعته كطاعة الله لأنه يأمر وينهى عن الله ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ أي من أعرض عن طاعتك فما أنت عليه بحفيظ تحفظ أعماله، بل حسابه وجزاؤه على الله، وفي هذا متاركة وموادعة منسوخة بالقتال.

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾ أي أمرنا وشأننا طاعة لك وهي في المنافقين بإجماع ﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ بيت أي تدبر الأمر بالليل، والضمير في تقول

---

(١) مسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٢٩٠)، وأبو داود الحديث رقم: (٦٤٩)، والترمذي الحديث رقم: (٣٣٤٤)، والنسائي الحديث رقم: (٨٨٧).

للمخاطب وهو النبي ﷺ أو للطائفة ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي لا تعاقبهم.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ﴾ حض على التفكر في معانيه لتظهر أدلته وبراهينه ﴿اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ أي تناقضا كما في كلام البشر، أو تفاوتا في الفصاحة لكن القرآن منزه عن ذلك فدل على أنه كلام الله، وإن عرضت لأحد شبهة وظن اختلافا في شيء من القرآن فالواجب أن يتهم نظره ويسأل أهل العلم ويطالع تآليفهم حتى يعلم أن ذلك ليس باختلاف.

﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِۦ﴾ قيل: هم المنافقون، وقيل: قوم من ضعفاء المسلمين، كانوا إذا بلغهم خبر عن السرايا والجيوش أو غير ذلك أذاعوا به أي تكلموا به وشهروه قبل أن يعلموا صحته، وكان في إذاعتهم له مفسدة على المسلمين مع ما في ذلك من العجلة وقلة التثبت فأنكر الله ذلك عليهم.

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ أي لو ترك هؤلاء القوم الكلام بذلك الأمر الذي بلغهم وردوه إلى رسول الله ﷺ وإلى أولي الأمر وهم كبراء الصحابة وأهل البصائر منهم لعلمه القوم الذين يستنبطونه، أي يستخرجونه من الرسول وأولي الأمر، فالذين يستنبطونه على هذا طائفة من المسلمين يسألون عنه الرسول ﷺ وأولي الأمر.

وحرف الجر في قوله يستبطونه منهم لابتداء الغاية، وهو يتعلق بالفعل، والضمير المجرور يعود على الرسول وأولي الأمر، وقيل: ﴿الَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ هم أولو الأمر كما جاء في الحديث عن عمر رضي الله عنه: أنه سمع أن رسول الله ﷺ طلق نساءه فدخل عليه فقال: «**أطلقت نساءك**»؟ فقال: لا، فقام على باب المسجد فقال: «**إن رسول الله ﷺ لم يطلق نساءه فأنزل الله هذه القصة**» قال: وأنا الذي استنبطته[1]، فعلى هذا يستنبطونه هم أولو الأمر، والضمير المجرور يعود

---

(١) جزء من حديث طويل يرويه ابن عباس أخرجه البخاري في صحيحه: الحديث رقم: (٧٩)،=

عليهم ومنهم لبيان الجنس، واستنباطه على هذا هو سؤالهم عنه النبي ﷺ، أو بالنظر والبحث، واستنباطه على التأويل الأول هو سؤال الذين أذاعوه للرسول عليه الصلاة والسلام ولأولي الأمر. ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ أي هداه وتوفيقه أو بعثه للرسل وإنزاله للكتب، والخطاب في هذه الآية للمؤمنين. ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي إلا اتباعا قليلا فالاستثناء من المصدر، والمعنى لولا فضل الله ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا في أمور قليلة كنتم لا تتبعونه فيها، وقيل: إنه استثناء من الفاعل في اتبعتم أي إلا قليلا منكم، وهو الذي يقتضيه اللفظ، وهم الذين كانوا قبل الإسلام غير متبعين للشيطان، كورقة بن نوفل، والفضل والرحمة على هذا: بعث الرسول وإنزال الكتاب، وقيل: إن الاستثناء من قوله ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾.

﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ لما تثاقل بعض الناس عن القتال قيل هذا للنبي ﷺ، أي إن أفردوك فقاتل وحدك فإنما عليك ذلك. ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي ليس عليك في شأن المؤمنين إلا التحريض ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قيل: عسى من الله واجبة والذين كفروا هنا قريش، وقد كفهم الله بهزيمتهم في بدر وغيرها وبفتح مكة ﴿وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾ أي عقابا وعذابا.

﴿شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾ هي الشفاعة في مسلم لتفرج عنه كربة، أو تدفع مظلمة، أو يجلب إليه. خيرا، والشفاعة السيئة: بخلاف ذلك، وقيل: الشفاعة الحسنة هي الطاعة والشفاعة السيئة هي المعصية، والأول أظهر، والكفل هو النصيب ﴿مُقِيتًا﴾ قيل: قديرا، وقيل: حفيظا، وقيل: الذي يقيت الحيوان أي يرزقهم القوت.

﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ معنى ذلك الأمر برد السلام والتخيير بين أن يرد بمثل ما سلم عليه أو بأحسن منه، والأحسن أفضل مثل أن يقال له: سلام عليك،

= ومسلم الحديث رقم: (١٤٧٩)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٤٦١)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٥٢٠١)، وابن حبان في صحيحه رقم: (٤٢٦٨).

حزب

﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾

فيرد السلام ويزيد الرحمة، أو يزيد الرحمة والبركة، ورد السلام واجب على الكفاية عند مالك والشافعي، وقال بعض الناس: هو فرض عين، واختلف في الرد على الكفار، فقيل: يرد عليهم لعموم الآية، وقيل: لا يرد عليهم، وقيل: يقال لهم عليكم، حسبما جاء في الحديث[١] وهو مذهب مالك ولا يبتدؤون بالسلام.

﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ جواب قسم محذوف وتضمن معنى الحشر ولذلك تعدى بإلى ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ﴾ لفظه استفهام ومعناه لا أحد أصدق من الله.

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ ما استفهامية بمعنى التوبيخ والخطاب للمسلمين، ومعنى فئتين أي طائفتين مختلفتين وهو منصوب على الحال، والمراد بالمنافقين هنا ما قال ابن عباس[٢] إنها نزلت في قوم كانوا بمكة مع المشركين فزعموا أنهم آمنوا ولم يهاجروا ثم سافر قوم منهم إلى الشام بتجارات فاختلف المسلمون: هل يقاتلونهم ليغنموا تجارتهم لأنهم لم يهاجروا أو هل يتركونهم لأنهم مؤمنون؟ وقال زيد بن ثابت[٣]: نزلت في المنافقين الذين رجعوا عن القتال يوم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٦٢٥٨)، ومسلم في صحيحه (٢١٦٣)، وأبو داود في سننه: (٥٢٠٧)، والترمذي في سننه: (٣٣٠١)، وابن ماجه في سننه: (٣٦٩٧)، وابن حبان في صحيحه: (٥٠٣).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٠٥٣/٣ بسند ضعيف.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (١٨٨٤)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٣٨٤)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٠٢٨).

أحد فاختلف الصحابة في أمرهم، ويرد هذا قوله: ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾ ﴿أَرْكَسَهُم﴾ أي أضلهم وأهلكهم.

﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ الضمير للمنافقين أي تمنوا أن تكفروا ﴿فَخُذُوهُمْ﴾ يريد به الأسر ﴿إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ الآية استثناء من قوله: فخذوهم واقتلوهم، ومعناها أن من وصل من الكفار غير المعاهدين إلى الكفار المعاهدين وهم الذين بينهم وبين المسلمين عهد ومهادنة، فحكمه كحكمهم في المسالمة وترك قتاله، وكان ذلك في أول الإسلام ثم نسخ بالقتال في أول سورة براءة، قال السهيلي وغيره:

﴿الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ هم بنو مدلج بن كنانة ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ بنو خزاعة فدخل بنو مدلج في صلح خزاعة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمعنى ﴿الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ ينتهون إليهم ويدخلون فيما دخلوا فيه من المهادنة، وقيل: معنى يصلون أي ينتسبون، وهذا ضعيف جدا بدليل قتال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقريش وهم أقاربه وأقارب المؤمنين، فكيف لا يقاتل أقارب الكفار المعاهدين؟ ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ عطف على يصلون أو على صفة قوم وهي ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ والمعنى يختلف على ذلك، والأول أظهر و﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ في موضع الحال بدليل قراءة يعقوب[1] ﴿حصرة﴾، ومعناه ضاقت عن القتال وكرهته، ونزلت الآية[2] في قوم جاؤوا إلى المسلمين وكرهوا أن يقاتلوا المسلمين، وكرهوا أيضا أن يقاتلوا قومهم وهم أقاربهم الكفار، فأمر الله بالكف عنهم ثم نسخ أيضا ذلك بالقتال ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ﴾ أي إن سالموكم فلا تقاتلوهم، والسلم هنا الانقياد.

---

(١) ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ قرأ يعقوب بنصب التاء منونا ﴿حصرة﴾ وهو على أصله في الوقف عليه بالهاء. النشر: ٢/٢٥١..

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في ابن كثير: ٢/٤٤٨ بسند ضعيف.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ ۞ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

ثمن

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ﴾ الآية نزلت[1] في قوم مخادعين وهم من أسد وغطفان، كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا من المسلمين، فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا ليأمنوا قومهم، والفتنة هنا: الكفر على الأظهر، وقيل: الاختبار.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَـًٔا﴾ نزلت بسبب[2] قتل عياش بن ربيعة للحارث بن زيد، وكان الحارث يعذبه على الإسلام ثم أسلم وهاجر ولم يعلم عياش بإسلامه فقتله، وقيل: إن الاستثناء هنا منقطع والمعنى: لا يحل لمؤمن أن يقتل مؤمنا بوجه، لكن الخطأ قد يقع، والصحيح أنه متصل، والمعنى: لا ينبغي لمؤمن ولا يليق به أن يقتل مؤمنا إلا على وجه الخطإ من غير قصد ولا تعمد؛ إذ هو مغلوب فيه، وانتصاب خطئا على أنه مفعول من أجله أو حال أو صفة لمصدر محذوف ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ﴾ هذا بيان ما يجب على القاتل خطئا، فأوجب الله عليه التحرير والدية، فأما التحرير: ففي مال القاتل، وأما الدية: ففي مال عاقلته، وجاء ذلك عن النبي ﷺ[3] وبيان للآية؛ إذ لفظها يحتمل ذلك

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان رقم: (١٠٠٧٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٠٢٩/٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ١٠٣١/٣، والطبري في جامع البيان رقم: (١٠٠٩١) بأسانيد يقوي بعضها بعضا.

(٣) البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٥٧٥٩)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٦٨١)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٤٥٧٦)، وابن ماجه في سننه رقم: (٢٦٣٩).

أو غيره، وأجمع الفقهاء عليه، واشترط مالك في الرقبة التي تعتق أن تكون مؤمنة، ليس فيها عقد من عقود الحرية، سالمة من العيوب، فأما إيمانها فنص هنا، ولذلك أجمع العلماء عليه هنا، واختلفوا في رقبة الظهار وكفارة اليمين، وأما سلامتها من عقود الحرية فيظهر من قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ لأن ظاهره أنه ابتداء عتق عند التكفير بها، وأما سلامتها من العيب: فزعموا أن إطلاق الرقبة يقتضيه، وفي ذلك نظر، ولم يبين في الآية مقدار الدية، وهي عند مالك: مائة من الإبل على أهل الإبل، وألف دينار شرعية على أهل الذهب، واثنا عشر ألف درهم شرعية على أهل الورق، وروي ذلك عن عمر بن الخطاب[1] ﴿مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ أي مدفوعة إليهم والأهل هنا الورثة، واختلف في مدة تسليمها، فقيل: هي حالة عليهم، وقيل: يؤدونها في ثلاث سنين، وقيل: في أربع، ولفظ التسليم مطلق وهو أظهر في الحلول لولا ما جاء من السنة في ذلك[2] ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ۚ﴾ الضمير يعود على أولياء المقتول، أي إذا أسقطوا الدية سقطت، وإذا أسقطها المقتول سقطت أيضا عند مالك والجمهور، خلافا لأهل الظاهر، وحجتهم عود الضمير على الأولياء، وقال الجمهور: إنما هذا إذا لم يسقطها المقتول.

---

(١) أخرج أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كانت قيمة الدية على عهد رسول الله ﷺ ثمانمائة دينار أو ثمانية آلاف درهم، ودية أهل الكتاب يومئذ النصف من دية المسلمين، وكان ذلك كذلك حتى استخلف عمر، فقام خطيبا فقال: إن الإبل قد غلت ففرضها عمر على أهل الذهب ألف دينار، وعلى أهل الورق اثني عشر ألفا وعلى أهل البقر مائتي بقرة وعلى أهل الشاء ألفي شاة، وعلى أهل الحلل مائتي حلة، وترك دية أهل الذمة لم يرفعها فيما رفع من الدية. رواه أبو داود الحديث رقم: (٤٥٤٢)، والبيهقي في السنن الكبرى: ٧٧/٨، والمحلى لابن حزم: ٧٧/٨، وحسن الألباني إسناده في الإرواء: ٣٠٥/٧.

(٢) لم نعثر على أحاديث في الموضوع، قال الترمذي: وقد أجمع أهل العلم على أن الدية تؤخذ من ثلاث سنين، في كل سنة ثلث الدية الترمذي: ١٠/٤، وقال ابن العربي ما ملخصه: إن الدية على العاقلة في ثلاثة أعوام، على ما قضاه عمر وعلي، وكان النبي ﷺ يعطيها دفعة لأغراض، مِنْهَا: أَنَّهُ كَانَ يُعْطِيهَا صُلْحًا وَتَسْدِيدًا. وَمِنْهَا: أَنَّهُ كَانَ يُعَجِّلُهَا تَأْلِيفًا، فَلَمَّا وُجِدَ الْإِسْلَامُ قَرَّرَتْهَا الصَّحَابَةُ عَلَى هَذَا النِّظَامِ. ٤٤٠/٢.

﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ معنى الآية أن المقتول خطئا إن كان مؤمنا وقومه كفارا أعداء وهم المحاربون، فإنما في قتله التحرير خاصة دون الدية فلا تدفع لهم لئلا يتقووا بها على المسلمين، ورأى ابن عباس[١] أن ذلك إنما هو فيمن آمن وبقي في دار الحرب لم يهاجر، وخالفه غيره، ورأى مالك أن الدية في هذا لبيت المال، فالآية عنده منسوخة ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ الآية معناها أن المقتول خطئا إن كان قومه كفارا معاهدين ففي قتله تحرير رقبة والدية إلى أهله لأجل معاهدتهم، والمقتول على هذا مؤمن، ولذلك قال مالك: لا كفارة في قتل الذمي، وقيل: إن المقتول في هذه الآية كافر فعلى هذا تجب الكفارة في قتل الذمي، وقيل: هي عامة في المؤمن والكافر، ولفظ الآية مطلق إلا أن قيده قوله وهو مؤمن في الآية التي قبلها وقرأ الحسن هنا وهو مؤمن ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾ أي من لم يجد العتق ولم يقدر عليه فصيام الشهرين المتتابعين عوض منه ﴿تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ منصوب على المصدرية ومعناه رحمة منه وتخفيفا.

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ الآية نزلت بسبب مقيس بن صبابة كان قد أخذ دية أخيه هشام المقتول خطئا ثم قتل رجلا من القوم الذين قتلوا أخاه وارتد مشركا، فأمر رسول الله ﷺ بقتله[٢].

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان رقم: (١٠١١٣) عن ابن عباس بإسناد حسن.

(٢) الطبري في جامع البيان رقم: (١٠١٨٦)، وابن أبي حاتم بإسناد ضعيف إلى عكرمة وسعيد بن جبير، وقال الخازن: نزلت في مقيس بن صبابة الكناني وكان قد أسلم هو وأخوه هشام فوجد أخاه هشاماً قتيلاً في بني النجار فأتى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك فأرسل رسول الله ﷺ رجلاً من بني فهر إلى بني النجار أن رسول الله ﷺ يأمركم إن علمتم قاتل هشام بن صبابة أن تدفعوه إلى أخيه مقيس فيقتص منه وإن لم تعلموه ادفعوا إليه ديته، فبلغهم الفهري ذلك فقالوا سمعاً وطاعة لله ولرسوله، ما نعلم له قاتلاً ولكن نؤدي إليه ديته فأعطوه مائة من الإبل، فانصرفا راجعين نحو المدينة، فأتى الشيطان مقيساً فوسوس إليه، فقال له: تقبل دية=

والمتعمد عند الجمهور: هو الذي يقصد القتل بحديدة أو حجر أو عصا أو غير ذلك، وهذه الآية معطلة على مذهب الأشعرية وغيرهم ممن يقول لا يخلد عصاة المؤمنين في النار، واحتج بها المعتزلة وغيرهم ممن يقول بتخليد العصاة في النار لقوله: ﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾ وتأولها الأشعرية بأربعة أوجه:

أحدها: أن قالوا إنها في الكافر إذا قتل مؤمنا

والثاني: قالوا معنى المتعمد هنا المستحل للقتل وذلك يؤول إلى الكفر.

والثالث: قالوا الخلود فيها ليس بمعنى الدوام الأبدي وإنما هو عبارة عن طول المدة.

والرابع: أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

وأما المعتزلة: فحملوها على ظاهرها ورأوا أنها ناسخة لقوله ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ واحتجوا على ذلك بقول زيد بن ثابت(١): نزلت الشديدة بعد الهينة، وبقول ابن عباس(٢): الشرك والقتل من مات عليهما خلد، وبقول رسول الله

= أخيك لتكون عليك سبة، أقتل الفهري الذي معك فتكون نفس (مكان أخيك) وأفضل الدية فتغفل الفهري فرماه بصخرة فقتله ثم ركب بعيراً من الإبل وساق بقيتها راجعاً إلى مكة كافراً، وقال في ذلك:

قتلت به فهراً وحملت عقله ... سراة بني النجار أرباب قارع
وأدركت ثاري واضطجعت موسداً ... وكنت إلى الأصنام أول راجع

فنزلت فيه ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ يعني قاصداً لقتله ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ يعني بكفره وارتداده، وهو الذي استثناه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم فتح مكة عمن أمنه من أهلها، فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة. ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ يعني لأجل كفره وقتله المؤمن متعمداً ﴿وَلَعَنَهُۥ﴾ يعني طرده عن رحمته. لباب التأويل: ٥٧٦/١، وانظر زاد المسير: ١٦٦/٢.

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ١٦٥/٥، وأبو عبيد في الناسخ والمنسوخ، ص: ٢٦٧، والبخاري في التاريخ: ٥٨/٧، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٠٣٧/٣ بسند صحيح بشواهده.

(٢) معناه صحيح عن ابن عباس أخرجه الطبري في جامع البيان: ٩٧/٩، وقد جاءت آثار كثيرة عن ابن عباس تفيد أن قاتل المؤمن عمدا لا توبة له. انظر الدر المنثور: ٦٢٣/٢.

صلى الله عليه وسلم: «كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرا، أو الرجل يقتل المؤمن متعمدا»[١] وتقتضي الآية وهذه الآثار أن للقتل حكما يخصه من بين سائر المعاصي، واختلف الناس في القاتل عمدا إذا تاب هل تقبل توبته أم لا؟ وكذلك حكى ابن رشد الخلاف في القاتل إذا اقتص منه هل يسقط عنه العقاب في الآخرة أم لا؟ والصحيح أنه يسقط عنه لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أصاب ذنبا فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة»[٢] وبذاك قال جمهور العلماء.

﴿ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي سافرتم في الجهاد ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ من البيان وقرئ[٣] بالثاء المثلثة من الثبات، والتفعل فيها بمعنى الاستفعال، أي اطلبوا بيان الأمر وثبوته ﴿أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ﴾ بغير ألف[٤] أي انقاد وألقى بيده، وقرئ السلام بمعنى التحية ونزلت[٥] في سرية لقيت رجلا فسلم عليهم وقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فحمل عليه أحدهم فقتله فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان القاتل محلم بن جثامة[٦] والمقتول ....

(١) أبو داود الحديث رقم: (٣٧٢٤)، والنسائي في سننه الحديث رقم: (٣٩١٩)، وأحمد: ٩٩/٤، والحاكم: ٣٥١/٤ قال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم: (٥١١)..

(٢) البخاري الحديث رقم: (١٨) كتاب الإيمان ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٧٠٩)، والترمذي في سننه: ١٤٣٩)، والنسائي في سننه: ١٤١/٧..

(٣) ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ الموضعين هنا وفي الحجرات فقرأ حمزة والكسائي وخلف في الثلاثة ﴿فتثبتوا﴾ من التثبت وقرأ الباقون في الثلاثة من التبين. النشر: ٢٨٤/٢..

(٤) ﴿أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ﴾ قرأ المدنيان وابن عامر حمزة وخلف بحذف ألف ﴿السلام﴾ وقرأ الباقون بإثباتها. النشر: ٢٨٤/٢.

(٥) أخرجه أحمد: ١١/٦، والطبري في جامع البيان رقم: (١٠٢١٢)، والواحدي في أسباب النزول، ص: ١٤٧، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٠٤٠/٣ بسند حسن.

(٦) واسمه يزيد بن قيس، بن ربيعة، بن عبد الله، بن يعمر الشداخ،... الكناني الليثي أخو الصعب بن جثامة، وذكر الطبري: أن محلم بن جثامة توفي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فدفنوه فلفظته الأرض مرة بعد أخرى فأمر به فألقي بين جبلين وجعل عليه حجارة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:=

عامر بن الأضبط[1]، وقيل: القاتل أسامة بن زيد[2] والمقتول مرداس بن نهيك[3] ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني الغنيمة، وكان للرجل المقتول غنم ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ وعد وتزهيد في غنيمة من أظهر الإسلام ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ قيل: معناه كنتم كفارا فهداكم الله للإسلام، وقيل: كنتم تخفون إيمانكم من قومكم ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالعزة والنصر حتى أظهرتموه.

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية معناها تفضيل المجاهدين على

= إن الأرض لتقبل من هو شر منه ولكن الله أراد أن يريكم آية في قتل المؤمن، قال أبو عمر: وقد قيل: إن هذا ليس محلم بن جثامة فإن محلما نزل حمص ومات بها في أيام ابن الزبير، أسد الغابة: ٩٧٨/١، والإصابة: ٧٨٥/٥.

(١) عامر بن الأضبط الأشجعي.. هو الذي قتلته سرية رسول الله ﷺ يظنونه متعوذاً يقول لا إله إلا الله فوداه رسول الله ﷺ وقال لقاتله قولاً عظيماً وقال: «فهلا شققت عن قلبه» الاستيعاب: ٢٣٧/١..

(٢) أسامة بن زيد بن حارثة، من كنانة عوف، أبو محمد: صحابي جليل. ولد بمكة، ونشأ على الإسلام (لأن أباه كان من أول الناس إسلاما) وكان رسول الله ﷺ يحبه حبا جما، وينظر إليه نظره إلى سبطيه الحسن والحسين. وهاجر مع النبي ﷺ إلى المدينة، وأمره رسول الله، قبل أن يبلغ العشرين من عمره، فكان مظفرا موفقا. ولما توفي رسول الله رحل أسامة إلى وادي القرى فسكنه، ثم انتقل إلى دمشق في أيام معاوية، فسكن، المزة، وعاد إلى المدينة فأقام بها إلى أن مات بالجرف، في آخر خلافة معاوية. سنة: ٥٤هـ. الاستيعاب: ٢٤/١، والأعلام: ٢٩١/١.

(٣) مرداس بن نهيك الفزاري، فيه نزلت: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ الآية كان يرعى غنماً له فهجمت عليه سرية رسول الله ﷺ وفيها أسامة ابن زيد وأميرها سلمة بن الأكوع، فلقيه أسامة وألقى إليه السلام وقال: السلام عليكم أنا مؤمن فحسب أسامة أنه ألقى إليه السلام متعوذاً فقتله فأنزل الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟﴾ الآية... فرفع رسول الله ﷺ رأسه إلى أسامة فقال له: «كيف أنت ولا إله إلا الله» فقال: يا رسول الله، إنما قالها متعوذاً. فقال رسول الله ﷺ: «هلا شققت عن قلبه، فنظرت إليه» الاستيعاب: ٤٣٣/١.

لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٩٦) إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (٩٩) ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٠٠) وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا (١٠١)

ربع

من لم يجاهد وهم القاعدون

﴿غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ﴾ لما نزلت الآية[١] قام ابن أم مكتوم الأعمى فقال يا رسول الله هل من رخصة فإني ضرير البصر؟ فنزل ﴿غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ﴾ وقرئ[٢] غير بالحركات الثلاث بالرفع صفة للقاعدين وبالنصب على الاستثناء أو الحال وبالخفض صفة للمؤمنين ﴿دَرَجَةً﴾ قيل: هي تفضيل على القاعدين من أهل العذر والدرجات على القاعدين بغير عذر، وقيل: إن الدرجات مبالغة وتأكيد الدرجة ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ الجنة ﴿أَجْراً﴾ منصوب على الحال من درجات أو المصدرية من معنى فضل، وانتصب درجات على البدل من الأجر أو بفعل مضمر، وانتصب مغفرة ورحمة بإضمار فعل، أي غفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ الآية نزلت[٣] في قوم أسلموا بمكة ولم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٣٩٥٤)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٠٣٢)، والنسائي في تفسيره: ٣٩٩/١، والطبري في جامع البيان رقم: (١٠٢٤١)، والطحاوي في مشكل الآثار: ١٤٩٦/٤.

(٢) ﴿غَيْرُ أُوْلِي﴾ قرأ المدنيان وابن عامر والكسائي وخلف بنصب الراء، وقرأ الباقون برفعها. النشر: ٢٨٤/٢، وقال ابن عطية: وقرأ الأعمش وأبو حيوة غير بكسر الراء. المحرر الوجيز: ١١٥/٢..

(٣) البخاري في صحيحه رقم: (٤٥٩٦)، والنسائي في تفسيره: ٤٠١/١، والطبري في جامع البيان رقم: (١٠٢٥٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٠٤٥/٣)، والطبراني في المعجم الكبير رقم: (١١٥٠٥).

يهاجروا، فلما كان يوم بدر خرجوا مع الكفار فقتلوا، منهم: قيس بن الفاكه، والحارث بن زمعة، وقيس بن الوليد بن المغيرة، وعلي بن أمية بن خلف، ويحتمل أن يكون توفاهم ماضيا أو مضارعا، وانتصب ظالمي على الحال ﴿قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْۖ﴾ أي في أي شيء كنتم من أمر دينكم؟.

﴿قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾ اعتذار عن التوبيخ الذي وبخهم به الملائكة، أي لا نقدر على الهجرة، وكان اعتذارا بالباطل ﴿قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً﴾ رد عليهم وتكذيب لهم في اعتذارهم.

﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ أي الذين كان استضعافهم حقا، قال ابن عباس[١]: كنت أنا وأبي وأمي ممن عنى الله بهذه الآية:

﴿مُرَٰغَمًا﴾ أي متحولا وموضعا يرغم عدوه بالذهاب إليه ﴿وَسَعَةًۚ﴾ أي اتساع في الأرض، وقيل: في الرزق ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ﴾ أي ثبت وصح ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ﴾ الآية حكمها على العموم، ونزلت في ضمرة بن القيس[٢] وكان من المستضعفين بمكة، وكان مريضا فلما سمع ما أنزل الله في الهجرة، قال: أخرجوني، فهيئ له فراش فوضع عليه وخرج فمات في الطريق، وقيل: نزلت في خالد بن حزام[٣] فإنه هاجر إلى أرض الحبشة فنهشته حية في الطريق فمات قبل أن يصل إلى أرض الحبشة.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ

---

(١) صحيح دون قوله: وأبي، أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤٥٨٨)، وعبد الرزاق في تفسيره: ١٧٢/١، والطبري في جامع البيان، رقم: (١٠٢٧٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٠٤٧/٣).

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده: ٨١/٥، والطبراني في الكبير رقم: (١١٧٠٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٠٥/٣ بإسناد حسن بطرقه.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ١٠٥٠/٣) قال ابن كثير في تفسيره: ٤٧٤/٢، وهذا الأثر غريب جدا، فإن هذه القصة مكية، والآية مدنية.

خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ اختلف العلماء في تأوليها على خمسة أقوال:

أولها: أنها في قصر الصلاة الرباعية إلى ركعتين في السفر ولذلك لا يجوز إلا في حال الخوف على ظاهر الآية، وهو قول عائشة(١) وعثمان(٢) رضي الله عنهما.

الثاني: أن الآية تقتضي ذلك ولكن يؤخذ القصر في السفر دون الخوف من السنة، ويؤيد هذا حديث يعلى بن أمية قال: قلت لعمر بن الخطاب إن الله يقول: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ وقد أمن الناس فقال: عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال: صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته(٣) وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قصر في السفر وهو آمن(٤).

الثالث: أن قوله ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ راجع إلى قوله ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ الآية التي بعد ذلك، والواو زائدة، وهذا بعيد.

الرابع: أنها في صلاة الخوف على قول من يرى أن تصلي كل طائفة ركعة خاصة، قال ابن عباس(٥): فرضت الصلاة في الحضر أربعا، وفي السفر ركعتين، وفي الخوف ركعة.

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان رقم: (١٠٣١٧)... سمعت عائشة تقول في السفر: أتموا صلاتكم... إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في حرب، وكان يخاف، هل تخافون أنتم. وسنده ضعيف.

(٢) أخرجه الطحاوي في المعاني: ٤٢٦/١، ومن طريقه ابن حزم في المحلى: ٢/٥، والبيهقي في الكبرى بإسناد حسن، أما السند إلى عثمان فصحيح بمنع الصلاة في غير حال الخوف. المحلى: ٣/٥.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (٦٨٦)، وأبو داود الحديث رقم: (١١٩٩)، والترمذي في سننه رقم: (٣٠٣٤)، والنسائي في سننه: ١١٦/٣، وابن ماجه في سننه الحديث رقم: (١٠٦٥)، والمسند: ٢٥/١.

(٤) رواه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (١٠٨٣)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٦٩٦، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (١٩٦٥)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٨٨٢).

(٥) رواه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (٦٨٧)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (١٢٤٧)، والنسائي في سننه: ٢٢٦/١، وابن ماجه الحديث رقم: (١٠٦٨).

الخامس: أنها في صلاة المسايفة فالقصر على هذا هو من هيأة الصلاة كقوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ وإذا قلنا إنها في القصر في السفر فظاهرها أن القصر رخصة والإتمام أفضل وهو مذهب الشافعي، وقال مالك: القصر أفضل وقيل: إنهما سواء، وأوجب أبو حنيفة القصر.

وليس في لفظ الآية ما يدل على مقدار المسافة التي يقصر فيها؛ لأن قوله ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ معناه السفر مطلقا، ولذلك أجاز الظاهرية القصر في كل سفر طويل أو قصير، ومذهب مالك والشافعي أن مسافة القصر ثمانية وأربعون ميلا، واحتجوا بآثار عن ابن عمر[١] وابن عباس[٢].

وكذلك ليس في الآية ما يدل على تخصيص القصر بسفر القربة أو السفر المباح دون سفر المعصية، فإن لفظها مطلق في السفر ولذلك أجاز أبو حنيفة القصر في سفر القربة وفي المباح وفي سفر المعصية، ومنعه مالك في سفر المعصية ومنعه ابن حنبل في المعصية وفي المباح، وللقصر أحكام لا تتعلق بالآية فأضربنا عن ذكرها، والمراد بالفتنة في هذه الآية القتال أو التعرض بما يكره.

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ الآية في صلاة الخوف وظاهرها يقتضي أنها لا تصلى بعد رسول الله ﷺ لأنه شرط كونه فيهم وبذلك قال أبو يوسف وأجازها الجمهور بعده ﷺ لأنهم رأوا أن الخطاب له يتناول أمته وقد فعلها الصحابة بعده ﷺ، واختلف الناس في صلاة الخوف على عشرة أقوال لاختلاف الأحاديث فيها، ولسنا نضطر إلى ذكرها فإن تفسيرها لا يتوقف على ذلك، وكانت صلاة رسول الله ﷺ لصلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع[٣] ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ

---

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف: ٢/٥٢٥، وهو صحيح، والاستذكار: ٢/٢٣٥.

(٢) ابن أبي شيبة في المصنف: ٢/٥٢٨، ومن طريقه أخرجه ابن حزم بسند صحيح: ٥/٥.

(٣) أبو داود في سننه الحديث رقم: (١٢٣٦)، وأحمد: ٤/٥٩، وعبد الرزاق في المصنف: ٢/٥٠٥، والحاكم: ١/٣٣٧ بأسانيد صحيحة، والطبري في جامع البيان: ٩/١٣١.

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ
مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ
مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ
مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ
كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ
عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ
أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ
وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾
فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ
جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ
كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُواْ
فِي ابْتِغَآءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا
تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ ۞ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ
بَيْنَ النَّاسِ بِمَآ أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾

ثمن

مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ يقسم الإمام المسلمين على طائفتين فيصلي بالأولى نصف الصلاة وتقف الأخرى تحرس ثم يصلي بالثانية بقية الصلاة وتقف الأولى تحرس، واختلف هل تتم كل طائفة صلاتها وهو مذهب الجمهور أم لا؟ وعلى القول بالإتمام اختلف هل يتمونها في أثر صلاتهم مع الإمام أو بعد ذلك؟ ﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ اختلفوا في المأمور بأخذ الأسلحة فقيل: الطائفة المصلية، وقيل: الحارسة، والأول أرجح؛ لأنه قد قال بعد ذلك في الطائفة الأخرى وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم، ويدل ذلك على أنهم إن قوتلوا وهم في الصلاة جاز لهم أن يقاتلوا من قاتلهم وإلا لم يكن لأخذ الأسلحة معنى إذا لم يدفعوا بها من قاتلهم ﴿فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ﴾ الضمير في قوله فإذا سجدوا للمصلين والمعنى إذا سجدوا معك في الركعة الأولى، وقيل: إذا سجدوا في ركعة القضاء والضمير في قوله:

﴿فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ﴾ يحتمل أن يكون للذين سجدوا: أي إذا سجدوا فليقوموا وليرجعوا وراءكم، وعلى هذا إن كان السجود الركعة الأولى فيقتضي ذلك أنهم يقومون للحرابة بعد انقضاء الركعة الأولى، ثم يحتمل بعد ذلك أن يقضوا بقية صلاتهم أو لا يقضونها، وإن كان السجود ركعة القضاء فيقتضي ذلك أنهم لا يقومون للحراسة إلا بعد القضاء، وهو مذهب مالك والشافعي، ويحتمل أن يكون الضمير في قوله: ﴿فَلْيَكُونُواْ﴾ للطائفة الأخرى، أي يقفوا وراء المصلين

يحرسونهم ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ﴾ يعني الطائفة الحارسة ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية إخبار عما جرى في غزوة ذات الرقاع من عزم الكفار على الإيقاع بالمسلمين إذا اشتغلوا بصلاتهم، فنزل جبريل على النبي ﷺ وأخبره بذلك وشرعت صلاة الخوف[1] حذرا من الكفار، وفي قوله ﴿مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ مبالغة، أي مستأصلة لا يحتاج معها إلى ثانية.

﴿وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذىً مِّن مَّطَرٍ﴾ الآية نزلت بسبب عبد الرحمن ابن عوف[2] كان مريضا فوضع سلاحه فعنفه بعض الناس، فرخص الله في وضع السلاح في حال المرض والمطر، ويقاس عليهما كل عذر يحدث في ذلك الوقت.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً﴾ إن قيل: كيف طابق الأمر بالحذر للعذاب المهين؟ فالجواب: أن الأمر بالحذر من العدو يقتضي توهم قوتهم وعزتهم فنفى ذلك الوهم بالإخبار أن الله يهينهم ولا ينصرهم لتقوى قلوب المؤمنين، قال ذلك الزمخشري، وإنما يصح ذلك إذا كان العذاب المهين في الدنيا، والأظهر أنه في الآخرة.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ الآية أي إذا فرغتم من الصلاة فاذكروا الله بألسنتكم، وذكر القيام والقعود على الجنوب ليعم جميع أحوال الإنسان، وقيل: المعنى إذا تلبستم بالصلاة فافعلوها قياما فإن لم تقدروا فقعودا فإن لم تقدروا فعلى جنوبكم.

﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي إذا اطمأننتم من الخوف فأقيموا الصلاة على هيئتها المعهودة ﴿كِتَاباً مَّوْقُوتاً﴾ أي محدودا بالأوقات، وقال

---

(١) سبق تخريجه في الذي قبله.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٤٥٩٩)، والنسائي في تفسيره: ١/٤٠٤، والحاكم في المستدرك: ٢/٣٠٨، والطبري رقم: (١٠٣٧٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٤/١٠٥٨.

ابن عباس[١]: فرضا مفروضا.

﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ﴾ أي لا تضعفوا في طلب الكفار ﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ﴾ الآية معناها إن أصابكم ألم من القتال فكذلك يصيب الكفار ألم مثله، ومع ذلك فإنكم ترجون إذا قاتلتموهم النصر في الدنيا والأجر في الآخرة، وذلك تشجيع للمسلمين.

﴿لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾ يحتمل أن يريد بالوحي، أو بالاجتهاد، أو بهما، وإذا تضمنت الاجتهاد ففيها دليل على إثبات النظر والقياس، خلافا لمن منع ذلك من الظاهرية وغيرهم.

﴿وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا﴾ نزلت هذه الآية[٢] وما بعدها في قصة طعمة ابن الأبيرق، إذ سرق طعاما وسلاحا لبعض الأنصار، وجاء قومه إلى النبي ﷺ وقالوا: إنه بريء ونسبوا السرقة إلى غيره، وظن رسول الله ﷺ أنهم صادقون، فجادل عنهم ليدفع ما نسب إليهم حتى نزل القرآن فافتضحوا، فالخائنون في الآية هم السراق بنو الأبيرق، وقال السهيلي: هم بشر وبشير ومبشر وأسيد، ومعناها لا تكن لأجل الخائنين مخاصما لغيرهم.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ١٠٥٧/٤، والطبري في جامع البيان رقم: (١٠٣٩٥) بسند حسن.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه رقم: (٣٠٣٦)، والطبري في جامع البيان رقم: (١٠٤١١)، وابن كثير: ٤٩٣/٢، والحاكم في المستدرك: كان بشير: رجلا منافقا يقول الشعر يهجو به أصحاب النبي ﷺ، ثم ينحله بعض العرب ثم يقول: قال فلان كذا وكذا، فإذا سمع أصحاب النبي ﷺ قالوا: والله ما يقول هذا الشعر إلا هذا الخبيث... فلما نزل القرآن لحق بشير بالمشركين، فنزل على سلافة بنت سعد بن سمية فأنزل الله ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ۝ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ وهذا الحديث حسنه الألباني في صحيح الترمذي: ٤٢/٣.

وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴿١٠٥﴾ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً ﴿١٠٦﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً ﴿١٠٧﴾ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ﴿١٠٨﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً ﴿١١١﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴿١١٣﴾

﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ أي من خصامك عن الخائنين على أنه ﷺ إنما تكلم على الظاهر، وهو يعتقد براءتهم.

﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ أي يدبرون ليلا وإنما سمى التدبير قولا لأنه كلام النفس، وربما كان معه كلام باللسان.

﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً﴾ قيل: إن الخطيئة تكون عن عمد وعن غير عمد، والإثم لا يكون إلا عن عمد، وقيل: هما بمعنى، وكرر لاختلاف اللفظ ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً﴾ كان القوم قد نسبوا السرقة إلى لبيد بن سهل.

﴿لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾ هم الذين جاؤوا إلى النبي ﷺ وأبرؤوا ابن الأبيرق من السرقة، وهذه الآية وإن كانت إنما نزلت بسبب هذه القصة فهي أيضا تتضمن أحكام غيرها، وبقية الآية تشريف للنبي ﷺ وتقرير لنعم الله عليه.

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ إن كانت النجوى هنا بمعنى الكلام الخفي فالاستثناء الذي بعد هذا منقطع، وقد يكون متصلا على حذف مضاف تقديره: إلا نجوى من أمر، وإن كانت النجوى بمعنى الجماعة فالاستثناء متصل.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ أي يعاديه والشقاق هو العداوة، ونزلت الآية[1] بسبب ابن الأبيرق؛ لأنه ارتد وسار إلى المشركين ومات على الكفر، وهي عامة

(١) سبق تخريجه قريبا.

ربع

• لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَالِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴿١١٣﴾ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴿١١٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَالِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً ﴿١١٥﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثاً وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَاناً مَّرِيداً ﴿١١٦﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً ﴿١١٧﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً ﴿١١٨﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً ﴿١١٩﴾ أُوْلَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً ﴿١٢٠﴾

فيه وفي غيره ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ استدل الأصوليون بهذا على صحة إجماع المسلمين وأنه لا يجوز مخالفته لأن من خالفه اتبع غير سبيل المؤمنين، وفي ذلك نظر ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾ أي نتركه مع اختياره الفاسد.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ قد تقدم الكلام على نظيرتها.

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثاً﴾ الضمير في يدعون للكفار ومعنى يدعون يعبدون، واختلف في الإناث هنا، فقيل: هي الأصنام لأن العرب كانت تسمي الأصنام بأسماء مؤنثة: كاللات والعزى، وقيل: المراد الملائكة لقول الكفار إنهم إناث وكانوا يعبدونهم فذكر ذلك على وجه إقامة الحجة عليهم بقولهم الفاسد، وقيل: المراد الأصنام لأنها لا تعقل، فيخبر عنها كما يخبر عن المؤنث.

﴿إِلَّا شَيْطَاناً مَّرِيداً﴾ يعنى إبليس، وإنما قال: إنهم يعبدونه لأنهم يطيعونه في الكفر والضلال، والمريد: هو الشديد العتو والإضلال.

﴿لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾ صفة للشيطان ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً﴾ الضمير في قال للشيطان، أي فرضته لنفسي، من قولك: فرض للجند وغيرهم، والمراد بهم أهل الضلال.

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ أي أعدهم الأماني الكاذبة ﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ الْأَنْعَامِ﴾ أي يقطعونها والإشارة بذلك إلى البحيرة وشبهها ﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ التغيير هو الخصاء وشبهه، وقد رخص جماعة من العلماء في خصاء البهائم إذا كان فيه

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ * لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

منفعة، ومنعه بعضهم لظاهر الآية، وقيل، التغيير هو الوشم وشبهه، ويدل على هذا الحديث الذي «لعن فيه الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله»[1].

﴿مَحِيصاً﴾ أي معدلا ومهربا.

﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً﴾ مصدران:

الأول: مؤكد للوعد الذي يقتضيه قوله ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ﴾.

والثاني: مؤكد لوعد الله.

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ الآية، اسم ليس مضمر، تقديره: الأمر وشبهه، والخطاب للمسلمين، وقيل: للمشركين، أي لا يكون ما تتمنون ولا ما يتمنى أهل الكتاب، بل يحكم الله بين عباده ويجازيهم بأعمالهم ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوٓءاً يُجْزَ بِهِۦ﴾ وعيد حتم في الكفار، ومقيد بمشيئة الله في المسلمين.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ دخلت من للتبعيض رفقا بالعباد؛ لأن الصالحات على الكمال لا يطيقها البشر ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ تقييد باشتراط الإيمان فإنه لا يقبل عمل إلا به.

﴿نَقِيراً﴾ هو النقرة التي في ظهر نواة التمرة، والمعنى: تمثيل بأقل الأشياء.

﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي دين الإسلام.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٤٨٨٦) كتاب التفسير، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢١٢٥)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٢٧٨٢)، والنسائي: ١٤٦/٨، وابن ماجه الحديث رقم: (١٩٨٩)، وأحمد: ٤٣٣/١.

﴿حَنِيفاً﴾ حال من المتبع، أو من إبراهيم.

﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ أي صفيا، وهو مشتق من الخلة بمعنى المودة، وفي ذلك تشريف لإبراهيم وترغيب في اتباعه.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ أي يسئلونك عما يجب عليهم في أمر النساء ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ عطف على اسم الله أي يفتيكم الله، والمتلو في الكتاب يعني القرآن ﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ الَّتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ كان الرجل من العرب يتزوج اليتيمة من أقاربه بدون ما تستحقه من الصداق، فقوله: ﴿مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ يعني ما تستحقه المرأة من الصداق وقوله: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ يعني لجمالهن، وما لهن، من غير توفيه حقوقهن، فنهاهم الله ﷻ عن ذلك أول السورة في قوله ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَىٰ﴾ الآية، وهذه الآية هي التي تليت عليهم في يتامى النساء، ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ عطف على يتامى النساء، والذي يتلى في المستضعفين من الولدان، وهو قوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ﴾ لأن العرب كانت لا تورث البنت، ولا الابن الصغير، فأمر الله أن يأخذوا نصيبهم من الميراث ﴿وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ﴾ عطف على المستضعفين، أي والذي يتلى عليكم في أن تقوموا لليتامى بالقسط، ويجوز أن يكون منصوبا، تقديره: ويأمركم أن تقوموا، أو الخطاب في ذلك للأولياء والأوصياء، أو للقضاة، وشبههم، والذي يتلي عليهم في ذلك هو قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْماً﴾ الآية، وقوله ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ إلى غير ذلك.

﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَصَّالَحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً﴾ معنى الآية: إباحة الصلح بين الزوجين إذا خافت النشوز، أو الإعراض، وكما يجوز الصلح مع الخوف كذلك يجوز بعد وقوع النشوز أو الإعراض، وقد تقدم معنى النشوز.

﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصَالِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٢٨) وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (١٢٩) ۞ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا (١٣٠) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا (١٣١) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (١٣٢) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا (١٣٣) مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (١٣٤)﴾

ربع

وأما الإعراض: فهو أخف منه، ووجوه الصلح كثيرة منها: أن يعطيها الزوج شيئا، أو تعطيه هي، أو تسقط حقها من النفقة أو الاستمتاع أو غير ذلك، وسبب الآية[(١)] أن سودة بنت زمعة لما كبرت خافت أن يطلقها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالت له: «أمسكني في نسائك ولا تقسم لي، وقد وهبت يومي لعائشة»[(٢)].

﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ لفظ عام يدخل فيه صلح الزوجين وغيرهما، وقيل: معناه صلح الزوجين خير من فراقهما، فخير على هذا للتفضيل واللام في الصلح للعهد

﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ معناه أن الشح جعل حاضرا مع النفوس لا يغيب عنها؛ لأنها جبلت عليه، والشح هو أن لا يسمح الإنسان لغيره بشيء من حظوظ نفسه، وشح المرأة من هذا هو طلبها لحقها من النفقة والاستمتاع، وشح الزوج هو منع الصداق، والتضييق في النفقة، وزهده في المرأة لكبر سنها، أو قبح صورتها.

---

(١) سبب النزول أخرجه أبو داود في سننه الحديث رقم: (٢١٣٥)، والحاكم: ١٨٦/٢، والطبري في جامع البيان: ٢٧٢/٩، والبيهقي في السنن الكبرى: ٧٤/٧، وابن كثير: ٥١٩/٢ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وحسنه الألباني في الإرواء: ٨٨/٧ هذا عن سبب النزول، [أما حديث أن سودة وهبت يومها لعائشة فهو في الصحيحين البخاري الحديث رقم: (٥٢١٢)، ومسلم الحديث رقم: (١٠٨٥)، وغيرهما].

(٢) حديث أن سودة وهبت يومها لعائشة فهو في الصحيحين البخاري الحديث رقم: (٥٢١٢)، ومسلم الحديث رقم: (١٠٨٥)، وغيرهما.

﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ معناه العدل التام الكامل في الأقوال والأفعال والمحبة وغير ذلك، فرفع الله ذلك عن عباده فإنهم لا يستطيعون وقد كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه، ثم يقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني بما لا أملك»[١] يعني ميله بقلبه، وقيل: إن الآية نزلت[٢] في ميله ﷺ بقلبه إلى عائشة، ومعناها اعتذار من الله تعالى عن عباده.

﴿فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِ﴾ أي لا ذات زوج ولا مطلقة.

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾ الآية، معناها إن تفرق الزوجان بطلاق أغنى الله كل واحد منهما من فضله عن صاحبه، وهذا وعد بخير وتأنيس.

﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا﴾ الآية إخبار أن الله وصى الأولين والآخرين بأن يتقوه.

﴿وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾ أي بقوم غيركم، وروي: أن النبي ﷺ لما نزلت ضرب بيده على كتف سلمان الفارسي وقال هم قوم هذا[٣].

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا﴾ الآية تقتضي الترغيب في طلب ثواب الآخرة لأنه خير من ثواب الدنيا، وتقتضي أيضا أن يطلب ثواب الدنيا والآخرة من الله وحده؛

---

(١) أخرجه أبو داود الحديث رقم: (٢١٣٤)، والنسائي في سننه الحديث رقم: (١٩٧١)، وأحمد في مسنده: ٦/١٤٤ قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم وضعفه بعضهم...

(٢) ابن كثير: قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرْعة، حدثنا ابن أبي شيبة، حدثنا حسين الجُعْفِي، عن زائدة، عن عبد العزيز بن رُفَيع، عن ابن أبي مُلَيكة قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡ﴾ في عائشة. يعني: أن النبي ﷺ كان يحبها أكثر من غيرها، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأهل السنن، من حديث حمَّاد بن سلمة، عن أيوب، عن أبي قِلابة، عن عبد الله بن يزيد، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل، ثم يقول: «اللهم هذا قَسْمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك» يعني: القلب. اللفظ لأبي داود، وهذا إسناد صحيح، تفسير القرآن العظيم: ٢/٤٣٠.

(٣) الطبري في جامع البيان: ٩/٢٩٩ قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف: ١/٣٦٤ فيه انقطاع فإن الطبري لم يسمع من شيخه...

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ ۞ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

ثمن

فإن ذلك بيده لا بيد غيره، وعلى أحد هذين الوجهين يرتبط الشرط بجوابه، فالتقدير على الأول: من كان يريد ثواب الدنيا فلا يقتصر عليه خاصة، فعند الله ثواب الدنيا والآخرة، وعلى الثاني: من كان يريد ثواب الدنيا فليطلبه من الله فعنده ثواب الدنيا والآخرة.

﴿كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ أي مجتهدين في إقامة العدل.

﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ معناه لوجه الله ولمرضاته ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ يتعلق بشهداء وشهادة الإنسان على نفسه هي إقراره بالحق ثم ذكر الوالدين والأقربين إذ هم مظنة للتعصب والميل، فإقامة الشهادة على الأجنبيين من باب أولى وأحرى ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً﴾ جواب إن محذوف على الأظهر أي إن يكن المشهود عليه غنيا فلا تمتنع من الشهادة تعظيما له، وإن كان فقيرا فلا تمتنع من الشهادة عليه إشفاقا عليه، فإن الله أولى بالغني والفقير أي بالنظر إليهما ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ الْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوٓاْ﴾ أن مفعول من أجله، ويحتمل أن يكون المعنى من العدل فالتقدير إرادة أن تعدلوا بين الناس، أو من العدل؟ فالتقدير كراهة أن تعدلوا عن الحق.

﴿وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ﴾ قيل: إن الخطاب للحكام، وقيل: للشهود، واللفظ عام في الوجهين، واللي: هو تحريف الكلام، أي تلووا عن الحكم بالعدل، أو عن الشهادة بالحق، أو تعرضوا عن صاحب الحق، أو عن المشهود له بالحق، فإن الله يجازيكم فإنه خبير بما تعملون، وقرئ إن تلوا بضم اللام[1] من الولاية أي إن

---

(١) قرأ حمزة وابن عامر: تلوا بواو واحدة من الولاية، يعني أقيموا الشهادة إذا وليتم، وقرأ الباقون:=

وليتم إقامة الشهادة أو أعرضتم عنها.

﴿ءَامِنُواْ بِاللَّهِ﴾ الآية، خطاب للمسلمين معناه الأمر بأن يكون إيمانهم على الكمال بكل ما ذكر، أو يكون أمرا بالدوام على الإيمان، وقيل: خطاب لأهل الكتاب الذين آمنوا بالأنبياء المتقدمين، معناه الأمر بأن يؤمنوا مع ذلك بمحمد ﷺ، وقيل: خطاب للمنافقين، معناه: الأمر بأن يؤمنوا بألسنتهم وقلوبهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ الآية، قيل: هي في المنافقين لترددهم بين الإيمان والكفر، وقيل: في اليهود والنصارى؛ لأنهم آمنوا بأنبيائهم وكفروا بمحمد ﷺ، والأول أرجح؛ لأن الكلام هنا فيهم، والأظهر أنها فيمن آمن بمحمد ﷺ ثم ارتد، ثم عاد إلى الإيمان، ثم ارتد وازداد كفرا.

﴿لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ ذلك فيمن علم الله أنه يموت على كفره، وقد يكون إضلالهم عقابا لهم بسوء أفعالهم.

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ الآية، إشارة إلى قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ وغيرها، وفي الآية دليل على وجوب تجنب أهل المعاصي، والضمير في قوله ﴿مَعَهُمْ﴾ يعود على ما يدل عليه سياق الكلام من الكافرين والمنافقين.

﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ صفة للمنافقين أي ينتظرون بكم دوائر الزمان ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ أي نغلب على أمركم بالنصرة لكم والحمية ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ قال علي بن أبي طالب[1] وغيره: ذلك في الآخرة، وقيل: السبيل هنا الحجة البالغة.

= بواوين من التحريف، انظر النشر لابن الجزري: ٢/٢٥٢، وحجة القراآت، ص: ٢١٥، ٢١٦...

(١) قال ابن كثير: جاء رجل إلى علي بن أبي طالب، فقال: كيف هذه الآية: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾؟ فقال علي رضي الله عنه: ادْنُه ادنه، ثم قال: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ وكذا روى ابن جريج عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ قال: ذاك يوم القيامة. ابن كثير: ٢/٤٢٦.

الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤٠﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤١﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٤٣﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٥﴾ مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٦﴾

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ ذكر في البقرة ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ تسمية للعقوبة باسم الذنب ؛ لأن وبال خداعهم راجع عليهم.

﴿مُّذَبْذَبِينَ﴾ أي مضطربين مترددين لا إلى المسلمين ولا إلى الكفار.

﴿سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ أي حجة ظاهرة.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ﴾ أي في الطبقة السفلى من جهنم، وهي سبع طبقات، وفي ذلك دليل على أنهم شر من الكفار.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ استثناء من المنافقين، والتوبة هنا الإيمان الصادق في الظاهر والباطن.

﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ المعنى أي حاجة ومنفعة لله بعذابكم وهو الغني عنكم، وقدم الشكر على الإيمان ؛ لأن العبد ينظر إلى النعم فيشكر عليها، ثم يؤمن بالمنعم فكأن الشكر سبب للإيمان متقدم عليه، ويحتمل أن يكون الشكر يتضمن الإيمان، ثم ذكر الإيمان بعده توكيدا واهتماما به، والشاكر: اسم الله، ذكر في اللغات.

﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ أي إلا جهر المظلوم فيجوز له من الجهر أن يدعو على من ظلمه، وقيل: أن يذكر ما فعل به من الظلم، وقيل: أن يرد عليه بمثل مظلمته إن كان شتمه.

حزب

• لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوٓءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً ﴿١٤٧﴾ إِن تُبْدُواْ خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً ﴿١٤٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴿١٤٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْكَٰفِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً ﴿١٥٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ نُؤْتِيهِمُ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴿١٥١﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰباً مِّنَ السَّمَآءِ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰناً مُّبِيناً ﴿١٥٢﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعَدُّواْ فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقاً غَلِيظاً ﴿١٥٣﴾

﴿إِن تُبْدُواْ خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ﴾ الآية ترغيب في فعل الخير سرا وعلانية، وفي العفو عن الظلم بعد أن أباح الله الانتصار؛ لأن العفو أحب إلى الله من الانتصار، وأكد ذلك بوصفه تعالى نفسه بالعفو مع القدرة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ الآية[1] في اليهود لأنهم آمنوا بأنبيائهم وكفروا بمحمد ﷺ وغيره، ومعنى التفريق بين الله ورسله الإيمان به والكفر برسله، وكذلك التفريق بين الرسل هو الكفر ببعضهم والإيمان ببعضهم، فحكم الله على من كان كذلك بحكم الكفر الحقيقي الكامل.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية في أمة محمد ﷺ؛ لأنهم آمنوا بالله وجميع رسله.

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ﴾ الآية روي[2] أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: لن نؤمن بك حتى تأتينا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة، وقيل: كتاب إلى فلان وكتاب إلى فلان بأنك رسول الله، وإنما طلبوا ذلك على وجه التعنت، فذكر الله سؤالهم من موسى وسوء أدبهم معه تسلية للنبي ﷺ بالتأسي بغيره، ثم ذكر أفعالهم القبيحة ليبين أن كفرهم إنما هو عناد، وقد تقدم في البقرة ذكر

---

(١) ذكره القاضي ابن عطية في المحرر الوجيز: ١٥٢/٢.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٠٧٦٩/٩، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١١٠٣/٤ بأسانيد ضعيفة.

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥٥) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) • وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (١٥٩) فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦١) لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (١٦٢)

طلبهم للرؤيا، واتخاذهم العجل، ورفع الطور فوقهم، واعتدائهم في السبت، وغير ذلك مما أشير إليه هنا.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ﴾ ما زائدة للتأكيد والباء تتعلق بمحذوف، تقديره: بسبب نقضهم فعلنا بهم ما فعلنا، أو تتعلق بقوله ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ﴾ ويكون ﴿فَبِظُلْمٍ﴾ على هذا بدلا من قوله ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ﴾

﴿بُهْتَاناً عَظِيماً﴾ هو أن رموا مريم بالزنا مع رؤيتهم الآية في كلام عيسى في المهد.

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ عدد الله في جملة قبائحهم قولهم: إنا قتلنا المسيح؛ لأنهم قالوها افتخارا وجرأة مع أنهم كذبوا في ذلك ولزمهم الذنب وهم لم يقتلوه لأنهم صلبوا الشخص الذي ألقي شبهه عليه، وهم يعتقدون أنه عيسى، وروي: أن عيسى قال للحواريين أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل ويكون رفيقي في الجنة؟ فقال أحدهم: أنا، فألقى عليه شبه عيسى فقتل على أنه عيسى، وقيل: بل دل على عيسى يهودي فألقى الله شبه عيسى على اليهودي فقتل اليهودي[1]، ورفع عيسى إلى السماء حيا، حتى ينزل إلى الأرض فيقتل الدجال ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾ إن قيل: كيف قالوا فيه رسول الله وهم يكفرون به ويسبونه؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

---

(١) كل هذه الروايات أشار إليها ابن عطية بدون الإسناد، المحرر الوجيز: ١/٤٥٧.

أحدها: أنهم قالوا ذلك على وجه التهكم والاستهزاء.

والثاني: أنهم قالوه على حسب اعتقاد المسلمين فيه، كأنهم قالوا: رسول الله عندكم أو بزعمكم.

والثالث: أنه من قول الله لا من قولهم فيوقف قبله، وفائدته: تعظيم ذنبهم وتقبيح قولهم: إنا قتلناه.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ رد عليهم وتكذيب لهم وللنصارى أيضا في قولهم: إنه صلب حتى عبدوا الصليب من أجل ذلك، والعجب كل العجب من تناقضهم في قولهم: إنه الله أو ابن الله، ثم يقولون إنه صلب.

﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: ما ذكرناه من إلقاء شبهه على الحواري أو على اليهودي

والآخر: أن معناه شبه لهم الأمر، أي خلط لهم القوم الذين حاولوا قتله فإنهم قتلوا رجلا آخر وصلبوه ومنعوا الناس أن يقربوا منه حتى تغير بحيث لا يعرف، وقالوا للناس هذا عيسى ولم يكن عيسى، فاعتقد الناس صدقهم، وكانوا متعمدين للكذب.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ روي[١]: أنه لما رفع عيسى وألقي شبهه على غيره فقتلوه قالوا: إن كان هذا المقتول عيسى، فأين صاحبنا؟ وإن كان هذا صاحبنا، فأين عيسى؟ فاختلفوا، فقال بعضهم: هو هو، وقال بعضهم: ليس هو، فأجمعوا أن شخصا قتل، واختلفوا من كان.

﴿إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ استثناء منقطع لأن العلم تحقيق والظن تردد، وقال ابن عطية: هو متصل إذ الظن والعلم يجمعهما جنس المعتقدات، فإن قيل: كيف

---

(١) لم أقف عليه مسندا.

وصفهم بالشك وهو تردد بين احتمالين على السواء ثم وصفهم بالظن وهو ترجيح أحد الاحتمالين؟ فالجواب: أنهم كانوا على الشك ثم لاحت لهم أمارات فظنوا قاله الزمخشري، وقد يقال الظن بمعنى الشك وبمعنى الوهم الذي هو أضعف من الشك.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ أي ما قتلوه قتلا يقينا فإعراب يقينا على هذا صفة لمصدر محذوف، وقيل: هو مصدر في موضع الحال، أي ما قتلوه متيقنين، وقيل: هو تأكيد للنفي الذي في قوله ﴿ما قتلوه﴾ أي يتيقن نفي قتله، وهو على هذا منصوب على المصدرية.

﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ أي إلى سمائه وقد ورد في حديث الإسراء أنه في السماء الثانية[١].

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ فيها تأويلان:

أحدهما: أن الضمير في موته لعيسى، والمعنى: أن كل أحد من أهل الكتاب يؤمن بعيسى حين ينزل إلى الأرض قبل أن يموت عيسى وتصير الأديان كلها حينئذ دينا واحدا وهو دين الإسلام.

والثاني: أن الضمير في موته للكتاب الذي تضمنه قوله: وإن من أهل الكتاب، التقدير: وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن بعيسى ويعلم أنه نبيء قبل أن يموت هذا الإنسان، وذلك حين معاينة الموت وهو إيمان لا ينفعه، وقد روي هذا المعنى عن ابن عباس[٢] وغيره، وفي مصحف أبي بن كعب: «قبل موتهم»[٣]

(١) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٣٢٠٧)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٦٤)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٣٤٦)، والنسائي في سننه: ٢١٧/١، والطبراني في الكبير: ٥٩٩/١٩.

(٢) صحيح أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٨٣/٩ الأثر رقم: (١٠٨١٥).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٨٣/٩ رقم: (١٠٨١٤) بسند ضعيف.

وفي هذه القراءة تقوية للقول الثاني، والضمير في به لعيسى على الوجهين، وقيل: هو لمحمد ﷺ.

﴿وَبِصَدِّهِمْ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى الإعراض فيكون كثيرا صفة لمصدر محذوف تقديره: صدا كثيرا، أو بمعنى صدهم لغيرهم فيكون كثيرا مفعولا بالصد أي صدوا كثيرا من الناس عن سبيل الله.

﴿لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ هو عبد الله ابن سلام ومخيرق(١) ومن جرى مجراهم.

﴿وَالْمُقِيمِينَ﴾ منصوب على المدح بإضمار فعل وهو جائز كثيرا في الكلام، وقالت عائشة: هو من لحن كتاب المصحف(٢)، وفي مصحف ابن مسعود(٣)

---

(١) هو مخيرق النضري الإسرائيلي، أسلم واستشهد بأحد، يقال: إنه من بني قينقاع، ويقال من بني الفطيون. انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر الترجمة رقم: (٧٨٥٦).

(٢) هذا الكلام صحيح عن بعض السلف، ولكنه لا يقدح في القراءة المتواترة، يقول محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ) في رده على بعض الشبه التي يوردها أعداء الإسلام، على بعض القراآت القرآنية، الشبهة الثانية:

يقولون: روي عن سعيد بن جبير أنه كان يقرأ ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَوٰةَ﴾ ويقول هو من لحن الكتاب.

والجواب: على غرار ما سبق أن ابن جبير لا يريد بكلمة لحن: الخطأ. إنما يريد بها اللغة والوجه في القراءة، على حد قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾. والدليل على هذا التوجيه أن سعيد بن جبير نفسه كان يقرأ: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَوٰةَ﴾ فلو كان يريد باللحن الخطأ ما رضي لنفسه هذه القراءة. وكيف يرضى ما يعتقد أنه خطأ؟

وهذه الكلمة في آية من سورة النساء ونصها: ﴿لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَوٰةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فكلمة ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَوٰةَ﴾ قرأها الجمهور بالياء منصوبا كما ترى. وقرأها جماعة بالواو منهم أبو عمرو في رواية يونس وهارون عنه. ولكل من القراءتين وجه صحيح فصيح في اللغة العربية فالنصب مخرج على المدح، والتقدير: وأمدح المقيمين الصلاة. والرفع مخرج على العطف والمعطوف عليه مرفوع كما ترى. مناهل العرفان في علوم القرآن: ٣٨٨/١ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. الطبعة الثالثة.

(٣) المحرر الوجيز: ١٥٩/٢، والكشاف: ٦٢٣/١، وانظر مناهل العرفان. ٣٨٨/١.

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ۞ لَٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾

ربع

والمقيمون على الأصل.

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ الآية رد على اليهود الذين سألوا النبي ﷺ أن ينزل عليهم كتابا من السماء، واحتجاج عليهم بأن الذي أتى به وحي، كما أتى من تقدم من الأنبياء بالوحي من غير إنزال الكتاب من السماء، ولذلك أكثر من ذكر الأنبياء الذين كان شأنهم هذا لتقوم بهم الحجة.

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ﴾ منصوب بفعل مضمر، أي أرسلنا رسلا ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ تصريح بالكلام مؤكد بالمصدر، وذلك دليل على بطلان قول المعتزلة إن الشجرة هي التي كلمت موسى.

﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ﴾ منصوب بفعل مضمر أو على البدل ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ أي بعثهم الله ليقطع حجة من يقول لو أرسل إلي رسولا لآمنت.

﴿لَٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ﴾ الآية معناها: أن الله يشهد بأن القرآن من عنده، وكذلك تشهد الملائكة بذلك، وسبب[1] الآية إنكار اليهود للوحي فجاء الاستدراك على تقدير أنهم قالوا لن نشهد بما أنزل إليك، فقيل: لكن الله يشهد بذلك، وفي الآية من أدوات البيان الترديد وهو ذكر الشهادة أولا ثم ذكرها في آخر الآية ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ في هذا دليل لأهل السنة على إثبات علم الله خلافا للمعتزلة في قولهم:

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٩/٤٠٩ من طريق ابن إسحاق بسند ضعيف.

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧٠﴾ ۞ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧١﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٣﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٤﴾

ثمن

إنه عالم بلا علم، وقد تأولوا الآية بتأويل بعيد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ خطاب عام؛ لأن النبي ﷺ بعث إلى جميع الناس ﴿فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡ﴾ انتصب ﴿خَيۡرٗا﴾ هنا وفي قوله ﴿ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡ﴾ بفعل مضمر لا يظهر، تقديره: ائتوا خيرا لكم، هذا مذهب سيبويه، وقال الخليل: انتصب بقوله: آمنوا وانتهوا على المعنى، وقال الفراء: فآمنوا إيمانا خيرا لكم، فنصبه على النعت لمصدر محذوف، وقال الكوفيون: هو خبر كان المحذوفة تقديره: يكن الإيمان خيرا لكم.

﴿وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي هو غني عنكم لا يضره كفركم.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ هذا خطاب للنصارى لأنهم غلوا في عيسى حتى كفروا، فلفظ أهل الكتاب عموم يراد به الخصوص في النصارى، بدليل ما بعد ذلك، والغلو هو الإفراط وتجاوز الحد ﴿وَكَلِمَتُهُۥ﴾ أي مكون عن كلمته التي هي كن من غير وساطة أب ولا نطفة ﴿وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾ أي ذو روح من الله، فمن هنا لابتداء الغاية، والمعنى من عند الله وجعله من عند الله لأن الله أرسل به جبريل عليه السلام إلى مريم.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾

سُورَةُ المَائِدَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾

﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾ نهي عن التثليث وهو مذهب النصارى، وإعراب ثلاثة خبر لمبتدإ مضمر.

﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ برهان على تنزيهه تعالى عن الولد لأنه مالك كل شيء.

﴿لَّن يَسْتَنكِفَ﴾ لن يأنف وكذلك معناه حيث وقع.

﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ﴾ فيه دليل لمن قال: إن الملائكة أفضل من الأنبياء؛ لأن المعنى لن يستنكف عيسى ولا من فوقه.

﴿قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ﴾ هو القرآن وهو أيضا النور المبين، ويحتمل أن يريد بالبرهان الدلائل والحجج، وبالنور النبي ﷺ؛ لأنه سماه سراجا.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ أي يطلبون منك الفتيا، ويحتمل أن يكون هذا الفعل طالبا للكلالة، ويفتيكم أيضا طالبا لها، فيكون من باب الإعمال، وأعمل العامل الثاني على اختيار البصريين، أو يكون يستفتونك مقطوعا عن ذلك فيوقف عليه، والأول أظهر، وقد تقدم معنى الكلالة في أول السورة والمراد بالأخت والأخ هنا الشقائق والذين للأب إذا عدم الشقائق، وقد تقدم حكم الإخوة للأم في قوله ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾ الآية ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ﴾ ارتفع بفعل مضمر عند البصريين ولا إشكال فيما ذكر هنا من أحكام المواريث ﴿أَن تَضِلُّوا﴾ مفعول من أجله، تقديره: كراهة أن تضلوا.

سورة المائدة

﴿أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾ قيل: إن العقود هنا عقدة الإنسان مع غيره من بيع ونكاح وعتق وشبه ذلك، وقيل: ما عقده مع ربه من الطاعات كالحج والصيام وشبه ذلك، وقيل: ما عقده الله عليهم من التحليل والتحريم في دينه، ذكر مجملا ثم فصل بعد ذلك في قوله:

﴿أُحِلَّتْ لَكُم﴾ وما بعده ﴿بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ هي الإبل والبقر والغنم، وإضافة البهيمة إليها من باب إضافة الشيء إلى ما هو أخص منه؛ لأن البهيمة تقع على الأنعام وغيرها، قال الزمخشري[1]: هي الإضافة التي بمعنى من كخاتم من حديد، أي البهيمة من الأنعام، وقيل: هي الوحش كالظباء وبقر الوحش، والمعروف من كلام العرب أن الأنعام لا تقع إلا على الإبل والبقر والغنم، وأن البهيمة تقع على كل حيوان ما عدا الإنسان ﴿إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ يريد الميتة وأخواتها ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾ نصب على الحال من الضمير في لكم ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ حال من محلي الصيد، وحرم جمع حرام وهو المحرم بالحج، فالاستثناء بإلا من البهائم المحللة، والاستثناء بغير من القوم المخاطبين.

﴿لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللَّهِ﴾ قيل: هي مناسك الحج، كان المشركون يحجون ويعتمرون فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم، فقيل لهم: لا تحلوا شعائر الله أي لا تغيروا عليهم ولا تصدوهم، وقيل: هي الحرم وإحلاله الصيد فيه، وقيل: هي ما يحرم على الحاج من النساء والطيب والصيد وغير ذلك، وإحلاله فعله. ﴿وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ قيل: هو جنس الأشهر الحرم الأربعة، وهي: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم. وقيل: أشهر الحج وهي: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة. وإحلالها: هو القتال فيها، وتغيير حالها.

---

(١) الكشاف: ٦٣٥/١.

﴿وَلاَ ٱلْهَدْىَ﴾ هو ما يهدى إلى البيت الحرام من الأنعام ويذبح تقربا إلى الله، فنهى الله أن يستحل بأن يغار عليه أو يصد عن البيت.

﴿وَلاَ ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ قيل: هي التي تعلق في أعناق الهدي فنهى عن التعرض لها، وقيل: أراد ذوات القلائد من الهدي وهي البدن وجددها بالذكر بعد دخولها في الهدي اهتماما بها وتأكيدا لأمرها.

﴿وَلاَ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ أي القاصدين إلى البيت لحج أو عمرة، ونهى الله عن الإغارة عليهم أو صدهم عن البيت، ونزلت الآية على ما قال السهيلي بسبب الحطم البكري، واسمه شريح بن ضبيعة[1] أخذته خيل رسول الله ﷺ وهو يقصد إلى الكعبة ليعتمر، وهذا النهي عن إحلال هذه الأشياء عام في المسلمين والمشركين ثم نسخ النهي عن قتال المشركين بقوله: ﴿فَاقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ وبقوله: ﴿فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ وبقوله:

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان رقم: (١٠٩٥٩) بإسناد ضعيف عن عكرمة والسدي، وملخص ما روي في كتب التفسير: أن هذه الآية نزلت بسبب الحطم بن هند البكري أخي بني ضبيعة بن ثعلبة وذلك أنه قال رسول الله ﷺ يوما لأصحابه (يدخل اليوم عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان) فجاء الحطم فخلف خيله خارجة من المدينة ودخل على رسول الله ﷺ، فلما عرض رسول الله ﷺ ودعاه إلى الله قال: أنظر، ولعلي أسلم، وأرى في أمرك غلظة، ولي من أشاوره، فخرج فقال النبي ﷺ (لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقب غادر) فمر بسرح من سرح المدينة فساقه وانطلق به وهو يقول:

هــذا أَوَانُ الشَّــدِّ فاشْــتَدِّي زِيَــمْ	قــد لَفَّهــا الليــلُ بسَــوَّاق حُطَــم
لــيسَ براعِــي إِبِــلٍ ولا غَنَــم	ولا بَجَــزَّار علــى ظَهْــر وَضَــم
بَــاتوا نِيَامــاً وابــنُ هِنْــد لــم ينَــمْ	بــاتَ يُقَاسِــيها غُــلام كــالزَّلَم
خَــدَلَّجُ الســاقَيْنِ خَفَّــاقُ القَــدَم	.... إلخ

ثم أقبل الحطم من عام قابل حاجا، وساق هديا، فأراد رسول الله ﷺ أن يبعث إليه، وخف إليه ناس من أصحاب النبي ﷺ فنزلت هذه الآية... المحرر الوجيز: ٢/١٧١، والتحرير والتنوير: ٦/٨٤.

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَـٰجِدَ اللَّهِ﴾.

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ الفضل الربح في التجارة، والرضوان الرحمة في الدنيا والآخرة.

﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ أي إذا حللتم من إحرامكم بالحج فاصطادوا إن شئتم، فالأمر هنا إباحة بإجماع.

﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ معنى لا يجرمنكم لا يكسبنكم، يقال جرم فلان فلانا هذا الأمر إذا أكسبه إياه وحمله عليه، والشنآن هو البغض والحقد، ويقال بفتح النون[1] وإسكانها، و﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾ مفعول من أجله و﴿أَن تَعْتَدُوا﴾ مفعول ثان ليجرمنكم، ومعنى الآية لا تحملنكم عداوة قوم على أن تعتدوا عليهم من أجل أن صدوكم عن المسجد الحرام، ونزلت عام الفتح[2] حين ظفر المسلمون بأهل مكة، فأرادوا أن يستأصلوهم بالقتل؛ لأنهم كانوا قد صدوهم عن المسجد الحرام عام الحديبية، فنهاهم الله عن قتلهم لأن الله علم أنهم يؤمنون.

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ وصية عامة والفرق بين البر والتقوى أن البر عام في فعل الواجبات والمندوبات وترك المحرمات وفي كل ما يقرب إلى الله، والتقوى في الواجبات وترك المحرمات دون فعل المندوبات، فالبر أعم من التقوى.

﴿وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ الفرق بينهما أن الإثم كل ذنب بين العبد وبين الله، أو بينه وبين الناس، والعدوان على الناس.

---

(١) قال الداني: قرأ أبو عمرو وابن عامر ﴿شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾ في الموضعين... بإسكان النون، والباقون بفتحها. التيسير، ص: ٧٤، والحجة في القراآت، ص: ٢١٩.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير: ١٩/٣ بسند ضعيف.

ربع

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ تقدم الكلام عليها في البقرة. ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ هي التي تخنق بحبل وشبهه ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ هي المضروبة بعصا أو حجر وشبهه.

﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ هي التي تسقط من جبل أو شبه ذلك.

﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ هي التي نطحتها بهيمة أخرى.

﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ أي أكل بعضه، والسبع كل حيوان مفترس كالذئب والأسد والنمر والثعلب والعقاب والنسر.

﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ قيل: إنه استثناء منقطع وذلك إذا أريد بالمنخنقة وأخواتها ما مات من الاختناق والوقذ والتردية والنطح وأكل السبع، والمعنى: حرمت عليكم هذه الأشياء، لكن ما ذكيتم من غيرها فهو حلال، وهذا قول ضعيف؛ لأنها إن ماتت بهذه الأسباب فهي ميتة فقد دخلت في عموم الميتة فلا فائدة لذكرها بعدها، وقيل: إنه استثناء متصل وذلك إن أريد بالمنخنقة وأخواتها ما أصابته تلك الأسباب وأدركت ذكاته، والمعنى على هذا: إلا ما أدركتم ذكاته من هذه الأشياء فهو حلال، ثم اختلف أهل هذا القول هل يشترط أن تكون لم تنفذ مقاتلها أم لا؟ وأما إذا لم تشرف على الموت من هذه الأسباب، فذكاتها جائزة باتفاق.

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ عطف على المحرمات المذكورة، والنصب حجارة كان أهل الجاهلية يعظمونها ويذبحون عليها، وليست بالأصنام لأن الأصنام مصورة

والنصب غير مصورة، وهي الأنصاب والمفرد نصاب، وقد قيل: إن النصب بضمتين مفرد وجمعه أنصاب.

﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالْأَزْلَامِ﴾ عطف على المحرمات أيضا والاستقسام هو طلب ما قسم له، والأزلام هي السهام واحدها زلم بضم الزاي وفتحها، وكانت ثلاثة قد كتب على أحدها: افعل، وعلى الآخر: لا تفعل، والثالث: مهمل، فإذا أراد الإنسان أن يعمل أمرا جعلها في خريطة وأدخل يده وأخرج أحدها، فإن خرج له الذي فيه افعل فعل ما أراد، وإن خرج له الذي فيه لا تفعل تركه، وإن خرج المهمل أعاد الضرب.

﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ الإشارة إلى تناول المحرمات المذكورة كلها، أو إلى الاستقسام بالأزلام، وإنما حرمه الله وجعله فسقا لأنه دخول في علم الغيب الذي انفرد الله به، فهو كالكهانة وغيرها، مما يرام به الاطلاع على الغيوب.

﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ﴾ أي يئسوا أن يغلبوه ويطلبوه ونزلت[١] بعد العصر من يوم الجمعة يوم عرفة في حجة الوداع، فذلك هو اليوم المذكور لظهور الإسلام فيه وكثرة المسلمين، ويحتمل أن يكون المراد باليوم الزمان الحاضر لا اليوم بعينه.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ هذا الإكمال يحتمل أن يكون بالنصر والظهور، أو بتعليم الشرائع وبيان الحلال والحرام.

﴿فَمَنُ اضْطُرَّ﴾ راجع إلى المحرمات المذكورة قبل هذا أباحها الله عند الاضطرار.

﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾ في مجاعة ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ هو بمعنى ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ وقد تقدم في البقرة. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قام مقام فلا جناح عليه

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان رقم: (١١٠٧٧) بسند ضعيف.

وتضمن زيادة الوعد.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ﴾ سببها[١] أن المسلمين سألوا رسول الله ﷺ عما يحل لهم من المأكل، وقيل: لما أمر رسول الله ﷺ بقتل الكلاب سألوه ماذا يحل لنا من الكلاب فنزلت مبينة للصيد بالكلاب[٢].

﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ هي عند مالك الحلال وذلك مما لم يرد تحريمه في كتاب ولا سنة، وعند الشافعي الحلال المستلذ فحرم كل مستقذر كالخنافس وشبهها لأنها من الخبائث.

﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ عطف على الطيبات على حذف مضاف، تقديره: وصيد ما علمتم أو مبتدأ وخبره ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ وهذا أحسن لأنه لا خلاف فيه، والجوارح هي الكلاب ونحوها مما يصطاد به وسميت جوارح لأنها كواسب لأهلها فهو من الجرح بمعنى الكسب، ولا خلاف في جواز الصيد بالكلاب، واختلف فيما سواها، ومذهب الجمهور الجواز للأحاديث[٣] الواردة في

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٤٣/٣ بسند ضعيف...

(٢) ولفظه عن أبي رافع قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ يستأذن عليه، فأذن له فقال: قد أذنًا لك يا رسول الله! قال: أجل، ولكنا لا ندخل بيتًا فيه كلب! قال أبو رافع: فأمرني أن أقتل كل كلب بالمدينة، فقتلت حتى انتهيت إلى امرأة عندها كلب ينبح عليها، فتركته رحمة لها، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فأمرني فرجعت إلى الكلب فقتلته. فجاؤوا فقالوا: يا رسول الله، ما يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ قال: فسكت رسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ الطبري: ٥٤٥/٩، وابن كثير: ٤٤/٣، والواحدي في أسبابه ص: ١٦٠ قال الحاكم: هذا إسناد صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبي: ٣١١/٢.

(٣) هو حديث عدي بن حاتم قال: سألت رسول الله ﷺ عن صيد البازي فقال: ما أمسك عليك فكل، أخرجه الترمذي في سننه الحديث رقم: (١٤٦٧)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٢٨٥١)، وأحمد: ٢٥٧/٤، والبيهقي في الكبرى: ٢٣٨/٩، وصصحه الألباني في صحيح الجامع الصغير الحديث رقم: (١٠٤٩٠)، وفي غيره.

البازات وغيرها، ومنع بعض ذلك لقوله ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ فإنه مشتق من الكلب، ونزلت الآية[١] بسبب عدي بن حاتم[٢]، فإنه كان له كلاب يصطاد بها فسأل رسول الله ﷺ عما يحل من الصيد.

﴿مُكَلِّبِينَ﴾ أي معلمين للكلاب الاصطياد، وقيل: معناه أصحاب كلاب وهو منصوب على الحال من ضمير الفاعل في علمتم، ويقتضي قوله: علمتم، ومكلبين أنه لا يجوز الصيد إلا بجارح معلم، لقوله: وما علمتم وقوله: مكلبين على القول الأول لتأكيده ذلك بقوله ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ وحد التعليم عند ابن القاسم أن يعلم الجارح الإشلاء والزجر، وقيل: الإشلاء خاصة، وقيل: الزجر خاصة، وقيل: أن يجيب إذا دعي.

﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ أي تعلمونهن من الحيلة في الاصطياد، وتأتي تحصيل الصيد، وهذا جزء مما علمه الله الإنسان فمن للتبعيض، ويحتمل أن تكون لابتداء الغاية، والجملة في موضع الحال أو استئناف ﴿فَكُلُواْ مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ الأمر هنا للإباحة، ويحتمل أن يريد مما أمسكن سواء أكلت الجوارح منه أو لم تأكل، وهو ظاهر إطلاق اللفظ وبذلك أخذ مالك، ويحتمل أن يريد مما أمسكن ولم يأكل، منه وبذلك فسره رسول الله ﷺ بقوله: «**فإن أكل منه فلا**

(١) السيوطي في الدر المنثور: ٣/٢٢، والذي في الطبري أن عدي بن حاتم الطائي قال: أتى رجل رسول الله ﷺ يسأله عن صيد الكلاب، فلم يدر ما يقول له، حتى نزلت هذه الآية: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ ٩/٥٥٣، وهو بسند ضعيف..

(٢) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي، أبو وهب وأبو طريف: أمير، صحابي، من الأجواد العقلاء، كان رئيس طيئ في الجاهلية والإسلام، وقال ابن الأثير: خير مولود في أرض طيئ وأعظمه بركة عليهم. وكان إسلامه سنة: ٩ هـ، وشهد فتح العراق، ثم سكن الكوفة وشهد الجمل وصفين والنهروان مع علي وفقئت عينه. عاش أكثر من مائة سنة. وهو ابن حاتم الطائي الذي يضرب بجوده المثل ت: ٦٨هـ. الاستيعاب: ١/٣٢٥، والإصابة: ٤/٤٦٩، والأعلام: ٤/٢٢٠.

تأكل»[١] فإنه إنما أمسك على نفسه، وقد أخذ بهذا بعض العلماء، وقد ورد في حديث آخر: «**إذا أكل فكل**»[٢] وهو حجة لمالك ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ هذا أمر بالتسمية على الصيد ويجري الذبح مجراه، وقد اختلف الناس في حكم التسمية، فقال الظاهرية: إنها واجبة حملا للأمر على الوجوب، فإن تركت التسمية عمدا أو نسيانا لم تؤكل عندهم، وقال الشافعي: إنها مستحبة حملا للأمر على الندب، وتؤكل عنده سواء تركت التسمية عمدا أو نسيانا، وجعل بعضهم الضمير في عليه عائدا على الأكل فليس فيها على هذا أمر بالتسمية على الصيد، ومذهب مالك: أنه إن تركت التسمية عمدا لم تؤكل، وإن تركت نسيانا أكلت، فهي عنده واجبة مع الذكر، ساقطة مع النسيان.

﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ معنى حل: حلال، والذين أتوا الكتاب: هم اليهود والنصارى، واختلف في نصارى بني تغلب[٣] من العرب، وفيمن كان مسلما ثم ارتد إلى اليهودية أو النصرانية، هل يحل لنا طعامهم أم لا؟

---

(١) صحيح أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (١٧٥)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٩٢٩)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٢٨٤٨)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (١٤٦٧)، وأحمد: ٢٥٦/٤، والطبري في جامع البيان: ١١٢٠٩/٩.

(٢) منكر أخرجه أبو داود في سننه: ١٢٢/٢ الحديث رقم: (٢٧٥٢) قال ابن حزم: وهو حديث ساقط لا يثبت. المحلى: ٤٧٠/٧ قال الغماري: في تخريج أحاديث البداية: ٢٦١/٦ (لا شك في بطلان الحديث إما عن تعمد وإما عن وهم من الراوي، وانتقال ذهنه من قوله: ﷺ: «وإن قتل» إلى قوله هو (وإن أكله) وهذا كثيرا ما يصدر من الرواة، وإلا فمن الباطل المحقق أن يروي الثقات في حديث عدي بن حاتم: «وإن أكل فلا تأكل؛ فإني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه» وهذا هو الموافق للقرآن في قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ ثم يروي الثقات حديث أبي ثعلبة ولا يتعرضون فيه لهذه الزيادة المنافية للقرآن والمحتاج إليها لكثرة وقوعها، ثم يتفرد واحد تكلم فيه بها وتكون صحيحة، بل هذا مما يقطع العقل ببطلانه إن شاء الله...

(٣) أخرج الطبري عن ابن عباس: لا تأكلوا ذبائح نصارى العرب، وذبائح نصارى أرمينية: ١١٢٣٥/٩، وهو ضعيف جدا.

ولفظ الآية يقتضي الجواز؛ لأنهم من أهل الكتاب، واختلف في المجوس والصابئين هل هم أهل كتاب أم لا ؟ وأما الطعام فهو على ثلاثة أقسام:

أحدها: الذبائح وقد اتفق العلماء على أنها مرادة في الآية فأجازوا أكل ذبائح اليهود والنصارى، واختلفوا فيما هو محرم عليهم في دينهم هل يحل لنا أم لا ؟ على ثلاثة أقوال: الجواز، والمنع، والكراهة، وهذا الاختلاف مبني على هل هو من طعامهم أم لا ؟ فإن أريد بطعامهم: ما ذبحوه جاز وإن أريد به ما يحل لهم منع، والكراهة توسط بين القولين.

القسم الثاني: ما لا محاولة لهم فيه كالقمح والفاكهة فهو جائز لنا باتفاق.

والثالث: ما فيه محاولة كالخبز وتعصير الزيت وعقد الجبن وشبه ذلك مما يمكن استعمال النجاسة فيه، فمنعه ابن عباس[1] لأنه رأى أن طعامهم هو الذبائح خاصة[2] ولأنه يمكن أن يكون نجسا، وأجازه الجمهور لأنه رأوه داخلا في طعامهم، وهذا إذا كان استعمال النجاسة فيه محتملا، فأما إذا تحققنا استعمال النجاسة فيه كالخمر والخنزير والميتة فلا يجوز أصلا، وقد صنف الطرطوشي في تحريم جبن النصارى، وقال: إنه ينجس البائع والمشتري والآلة؛ لأنهم يعقدونه بأنفحة الميتة، ويجري مجرى ذلك الزيت إذا علمنا أنهم يجعلونه في ظروف الميتة ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ هذه إباحة للمسلمين أن يطعموا أهل الكتاب من طعامهم ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ عطف على الطعام المحلل، وقد تقدم أن الإحصان له أربعة معان: الإسلام، والتزوج، والعفة، والحرية، فأما الإسلام فلا يصح هنا لقوله ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ وأما التزوج فلا يصح أيضا؛ لأن ذات الزوج لا تحل لغيره، ويحتمل هنا العفة والحرية، فمن حمله على العفة أجاز نكاح المرأة الكتابية سواء كانت حرة أو

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١١٢٣٥/٩ بسند ضعيف جدا.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١١٢٤٨/٩، والبيهقي في الكبرى: ٢٨٢/٩، وابن الجوزي في ناسخ القرآن ومنسوخه، ص: ٣٦٥، والأثر في الدر المنثور للسيوطي: ٢٤/٣.

• يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾

أمة، ومن حمله على الحرية أجاز نكاح الكتابية الحرة ومنع الأمة، وهو مذهب مالك ولا تعارض بين هذه الآية وبين قوله ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ لأن هذه في الكتابيات والأخرى في المشركات من العرب، وقد جعل بعض الناس هذه ناسخة لتلك، وقيل: بالعكس وقد تقدم معنى ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ ومعنى الأخدان.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ الآية نزلت[1] في غزوة المريسيع حين انقطع عقد عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فأقام الناس على التماسه وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فنزلت الرخصة في التيمم، فقال أسيد بن حضير: ما هذه بأول بركاتكم يا آل أبي بكر[2] ولذلك سميت الآية آية التيمم، وقد كان الوضوء مشروعا قبلها ثابتا بالسنة، وقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ معناه: إذا أردتم القيام إلى الصلاة فتوضؤوا، ويقتضي ظاهرها وجوب تجديد الوضوء لكل صلاة وهو مذهب ابن سيرين وعكرمة، ومذهب الجمهور أنه لا يجب، واختلفوا في تأويل الآية على أربعة أقوال:

الأول: أن وجوب تجديد الوضوء لكل صلاة منسوخ بفعل رسول الله

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٣٣٤)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٣٦٧)، والنسائي في سننه: ٢٢٣/١، والشافعي في المسند: ٤٣/١، والطبري في جامع البيان: ٩٦٤١/٨.

(٢) لفظ البخاري: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر. الحديث رقم: (٣٤٦٩)، وفي لفظ له: «لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر، ما أنتم إلا بركة لهم» الحديث (٤٣٣٢).

ﷺ، إذ صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد[1].

والثاني: أن ما تقتضيه الآية من التجديد يحمل على الندب.

والثالث: أن تقديرها إذا قمتم محدثين فإنما يجب على من أحدث.

والرابع: أن تقديرها: إذا قمتم من النوم.

﴿فَاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ ذكر في هذه الآية أربعة أعضاء، اثنين محدودين، وهما: اليدان والرجلان، واثنين غير محدودين، وهما: الوجه والرأس.

أما المحدودان: فتغسل اليدان إلى المرفقين، والرجلان إلى الكعبين، وجوبا بإجماع فإن ذلك هو الحد الذي جعل الله لهما، واختلف: هل يجب غسل المرفقين مع اليدين وغسل الكعبين مع الرجلين أم لا؟ وذلك مبني على معنى إلى، فمن جعل إلى بمعنى مع في قوله ﴿إِلَى الْمَرَافِقِ﴾، و﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ أوجب غسلهما، ومن جعلها بمعنى الغاية لم يوجب غسلهما، واختلف في الكعبين هل هما اللذان عند معقد الشراك، أو العظمان الناتئان في طرف الساق، وهو أظهر؛ لأنه ذكرهما بلفظ التثنية ولو كان اللذان عند معقد الشراك لذكرهما بلفظ الجمع كما ذكر المرافق لأنه على ذلك في كل رجل كعب واحد، وأما غير المحدودين: فاتفق على وجوب إيعاب الوجه، وحده طولا: من أول منابت الشعر إلى آخر الذقن أو اللحية، وحده

---

(١) في صحيح مسلم: باب جَوَازِ الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبِى حدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ ح وَحَدَّثَنِى مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ ـ وَاللَّفْظُ لَهُ ـ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ سُفْيَانَ قَالَ حَدَّثَنِى عَلْقَمَةُ بْنُ مَرْثَد عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ صَلَّى الصَّلَوَاتِ يَوْمَ الْفَتْحِ بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ وَمَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ لَقَدْ صَنَعْتَ الْيَوْمَ شَيْئًا لَمْ تَكُنْ تَصْنَعُهُ. قَالَ «عَمْدًا صَنَعْتُهُ يَا عُمَرُ». الحديث رقم: (٦٦٤) والترمذي الحديث رقم: (٦٠) ورواه أبو داود الحديث رقم: (١٧٢) والترمذي في سننه الحديث رقم: (٦١) والنسائي ٨٦/١ وأحمد في المسند ٣٥٠/٥.

عرضا: من الأذن إلى الأذن، وقيل: من العذار إلى العذار. وأما الرأس: فمذهب مالك وجوب إيعابه كالوجه، ومذهب كثير من العلماء جواز الاقتصار على بعضه، لما ورد في الحديث: «أن رسول الله ﷺ مسح على ناصيته»[(١)] ولكنهم اختلفوا في القدر الذي يجزئ على أقوال كثيرة.

﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ اختلف في هذه الباء فقال قوم: إنها للتبعيض وبنوا على ذلك جواز مسح بعض الرأس، وهذا القول غير صحيح عند أهل العربية.

وقال القرافي: إنها باء الاستعانة التي تدخل على الآلات، وأن المعنى امسحوا أيديكم برؤوسكم وهذا ضعيف؛ لأن الرأس على هذا ماسح لا ممسوح، وذلك خلاف المقصود، وقيل: إنها زائدة وهو ضعيف؛ لأن هذا ليس موضع زيادتها، والصحيح عندي أنها باء الإلصاق التي توصل الفعل إلى مفعوله؛ لأن المسح تارة يتعدى بنفسه وتارة بحرف الجر كقوله: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ﴾ وكقوله ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾.

﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ قرئ وأرجلكم بالنصب[(٢)] عطفا على الوجوه والأيدي، فيقتضي ذلك وجوب غسل الرجلين، وقرئ بالخفض فحمله بعضهم على أنه عطف على قوله برؤوسكم فأجاز مسح الرجلين، روي ذلك عن ابن عباس[(٣)] وقال

---

(١) حديث صحيح، فعن المغيرة بن شعبة: قَالَ: تَخَلَّفَ رَسُولُ الله ﷺ فَتَخَلَّفْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا قَضَى حَاجَتَهُ، قَالَ: أَمَعَكَ مَاءٌ؟ فَأَتَيْتُهُ بِمِطْهَرَةٍ فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَغَسَلَ وَجْهَهُ، ثُمَّ ذَهَبَ يَحْسُرُ عَنْ ذِرَاعَيْهِ فَضَاقَ كُمُّ الْجُبَّةِ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ فَغَسَلَ ذِرَاعَيْهِ وَمَسَحَ بِنَاصِيَتِهِ، وَعَلَى الْعِمَامَةِ وَعَلَى خُفَّيْهِ. سنن النسائي بشرح السيوطي: ٨١/١، وأحمد في المسند: ٢٤/٤، وابن خزيمة في صحيحه رقم: (١٠٦٤)، والطحاوي في المعاني: ٣٠/١، والدارقطني: ١٩٢/١ أما المسح على الناصية دون العمامة فلم أجده مسندا.

(٢) ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ قرأ نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب وحفص بنصب اللام، وقرأ الباقون بالخفض. النشر: ٢٨٧/٢..

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في ابن كثير: ٦٩/٣ عن ابن عباس، ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ قال: هو المسح وهو بإسناد ضعيف...

الجمهور: لا يجوز مسحهما بل يجب غسلهما، وتأولوا قراءة الخفض بثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه خفض على الجوار، لا على العطف.

والآخر: أنه يراد به المسح على الخفين.

والثالث: أن ذلك منسوخ بالسنة.

والفرق بين الغسل والمسح أن المسح إمرار اليدين بالبلل الذي يبقى من الماء، والغسل عند مالك إمرار اليد بالماء، وعند الشافعي إمرار الماء وإن لم يدلك باليد.

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ تقدم الكلام على نظيرتها في النساء ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ أي من ضيق ولا مشقة كقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دين الله يسر»[1] وباقي الآية تفضل من الله على عباده ورحمة، وفي ضمن ذلك ترغيب في الطهارة وتنشيط عليها.

﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ﴾ هو ما وقع في بيعة العقبة وبيعة الرضوان، وكل موطن قال المسلمون فيه سمعنا وأطعنا.

﴿كُونُوا قَوَّامِينَ﴾ تقدم الكلام على نظيرتها في النساء ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ أي لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم.

﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ في سببها أربعة أقوال:

---

(١) مجمع الزوائد: ٧٤/١، وهو في الموطإ بلاغا: ٢٤٩/٤، وانظر القرطبي: ٣٠١/٢، والمحفوظ في كتب السنة هذا اللفظ: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة» البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٣٩)، والنسائي في سننه: ١٢١/٨، وابن حبان في صحيحه: ٦٣/٢، والبيهقي في السنن الكبرى: ١٨/٣..

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ● وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

ربع

الأول: أن النبي ﷺ ذهب إلى بني النضير من اليهود فهموا أن يصبوا عليه صخرة يقتلونه بها، فأخبره جبريل بذلك فقام من المكان[1] ويقوي هذا القول ما ورد في الآيات بعد هذا في غدر اليهود.

والثاني: أنها نزلت في شأن الأعرابي الذي سل السيف على رسول الله ﷺ، حين وجده في سفر وهو وحده، وقال له: من يمنعك مني؟ قال: الله، فأغمد السيف وجلس[2] واسمه غورث بن الحارث[3] الغطفاني.

والثالث: أنها فيما هم به الكفار[4] من الإيقاع بالمسلمين حين نزلت صلاة الخوف.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الدلائل، ص: ٤٢٢، وهو حديث ضعيف...

(٢) أخرجه أبو نعيم في الدلائل كما في الدر المنثور: ٣٦/٣، وقصة الأعرابي ثابتة في الصحيحين وقد أشار إلى هذا ابن كثير في تفسيره: ٨٣/٣.

(٣) قال ابن حجر في الإصابة: الترجمة رقم: (٦٩٢٨) ـ غورث بن الحارث، الذي قال من يمنعك مني؟ قال: الله، فوضع السيف من يده وأسلم، قاله البخاري من حديث جابر، هكذا استدركه الذهبي في التجريد على من تقدمه ونقلته من خطه، وليس في البخاري تعرض لإسلامه، قال: البخاري أخرجه من ثلاث طرق إحداها موصولة والأخرى معلقة، والأخرى مختصرة جدا، ثم يقول: وقد رويناه في المسند الكبير لمسدد بتمامه وفيه ما يصرح بعدم إسلام غورث... الإصابة: ٣٢٨/٥.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٠٥/١٠، وهو حديث مرسل عن قتادة.

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴿١٥﴾ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

ثمن

والرابع: أنها على الإطلاق في دفع الله الكفار عن المسلمين.

﴿اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ النقيب هو كبير القوم القائم بأمورهم.

﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ أي بنصري والخطاب لبني إسرائيل، وقيل: للنقباء.

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ اختلف هل أريد تحريف الألفاظ أو المعاني؟

﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ أي على خيانة فهو مصدر كالعاقبة، وقيل: على طائفة خائنة، وهو إخبار بأمر مستقبل.

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ منسوخ بالسيف والجزية.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾ أي ادعوا أنهم أنصار الله، وسموا أنفسهم بذلك ثم كفروا بالله، ووصفوه بما لا يليق به، وتتعلق ﴿من الذين﴾ بـ ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ والضمير عائد على النصارى.

﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ أي أثبتنا وألصقنا وهو مأخوذ من الإغراء.

﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ في الموضعين يعم اليهود والنصارى، وقيل: إنها نزلت[١] بسبب اليهود الذين كانوا بالمدينة فإنهم كانوا يذكرون رسول الله ﷺ ويصفونه بصفته فلما حل بالمدينة كفروا به ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ يعني محمدا ﷺ، وفي

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٠/١٥٥ بإسناد ضعيف.

وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير ﴿١٨﴾ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير ﴿١٩﴾ وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين ﴿٢٠﴾ يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين ﴿٢١﴾ قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون ﴿٢٢﴾ ۞ قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴿٢٣﴾

حزب

الآية دلالة على صحة نبوءته لأنه بين لهم ما أخفوه مما في كتبهم وهو أمي لم يقرأ كتبهم ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ أي يتركه ولا يفضحكم به.

﴿نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ محمد ﷺ، والقرآن.

﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ الآية رد على الذين قالوا إن الله هو عيسى، وهم فرقة من النصارى. ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ إشارة إلى خلقه عيسى من غير والد.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ أي قالت كل فرقة عن نفسها إنهم أبناء الله وأحباؤه، والبنوة هنا بنوة الحنان والرأفة، وقال الزمخشري[1]: المعنى نحن أشياع أبناء الله عندهم، وهما: المسيح وعزير، كما يقول حشم الملوك: نحن الملوك ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم﴾ رد عليهم لأنهم قد اعترفوا أنهم يدخلون النار أياما معدودات، وقد أخذ الصوفية من الآية أن المحب لا يعذب حبيبه، ففي ذلك بشارة لمن أحبه الله.

﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ قيل: جعل منكم ملوكا أي أمراء، وقيل: الملك من له

---

(١) الكشاف: ٦٥٢/١، ولفظه: وقالت اليهود والنصارى... ﴿أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ﴾ أشياع ابني الله عزير والمسيح، كما قيل لأشياع أبي خبيب وهو عبد الله بن الزبير (الخبيبيون) وكما كان يقول رهط مسيلمة: نحن أنبياء الله، ويقول أقرباء الملك وذووه وحشمه: نحن الملوك، ولذلك قال مؤمن آل فرعون: لكم الملك اليوم.

مسكن وامرأة وخادم.

﴿مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قيل: يعني المن والسلوى والغمام وغير ذلك من الآيات، وعلى هذا يكون العالمين خاصا بأهل زمانهم لأن أمة محمد ﷺ قد أوتيت من آياته مثل ذلك وأعظم، وقيل: المراد كثرة الأنبياء فعلى هذا يكون عاما لأن الأنبياء في بني إسرائيل أكثر منهم في سائر الأمم.

﴿ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ أرض بيت المقدس، وقيل: الطور، وقيل: دمشق.

﴿ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أي قضى أن تكون لكم.

﴿وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾ يحتمل أن يريد الارتداد عن الدين والطاعة والرجوع إلى الطريق الذي جاءوا منه، فإنه روي[1] أنه لما أمرهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بدخول الأرض المقدسة خافوا من الجبارين الذين فيها وهموا أن يقدموا على أنفسهم رئيسا ويرجعوا إلى مصر.

﴿قَوْماً جَبَّارِينَ﴾ هم العمالقة.

﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ هما يوشع وكالب ﴿يَخَافُونَ﴾ أي يخافون الله، وقيل: يخافون الجبارين، ولكن الله ﴿أنعم عليهما﴾ بالصبر والثبوت لصدق إيمانهما.

﴿ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ﴾ أي باب المدينة.

﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾ إفراط في العصيان وسوء الأدب بعبارة تقتضي الكفر والاستهانة بالله ورسوله، وأين هؤلاء من الذين قالوا لرسول الله ﷺ: «لسنا

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل: ٣/٣١ الذي في الصحيح، روى البخاري بسنده، قال سمعت ابن مسعود يقول: شهدت من المقداد بن الأسود مشهدا لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به، أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين، فقال: لا نقول كما قال قوم موسى ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ ولكنا نقاتل عن يمينك، وعن شمالك، وبين يديك، وخلفك. فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره. يعني قوله. البخاري الحديث رقم: (٣٩٥٢)، وغيره.

قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَىْ ءَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا الظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى الْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ النَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾

نقول لك كما قالت بنو إسرائيل، ولكن نقول لك اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون»[١].

﴿لاَ أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي﴾ قاله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ليتبرأ إلى الله من قول بني إسرائيل، ويبذل جهده في طاعة الله، ويعتذر إلى الله، وإعراب أخي عطف على نفسي لأن أخاه هارون كان يطيعه، وقيل: عطف على الضمير في لا أملك أي لا أملك أنا إلا نفسي ولا يملك أخي إلا نفسه، وقيل: مبتدأ وخبره محذوف، أي أخي لا يملك إلا نفسه. ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا﴾ أي فارق بيننا وبينهم فهو من الفرقة، وقيل: افصل بيننا وبينهم بحكم.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ الضمير في قال لله تعالى، وحرم الله على جميع بني إسرائيل دخول تلك المدينة أربعين سنة، وتركهم في هذه المدة يتيهون في الأرض، أي في أرض التيه وهو ما بين مصر والشام حتى مات كل من قال: ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا﴾ ولم يدخلها أحد من ذلك الجيل إلا يوشع وكالب، ومات هرون في التيه ومات موسى بعده في التيه أيضا، وقيل: إن موسى وهارون لم يكونا في التيه لقوله: ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ وخرج يوشع ببني إسرائيل بعد الأربعين سنة، وقاتل الجبارين وفتح المدينة، والعامل في ﴿أَرْبَعِينَ﴾ ﴿مُحَرَّمَةٌ﴾ على الأصح، فيجب وصله معه، وقيل: العامل فيه ﴿يَتِيهُونَ﴾ فعلى هذا يجوز الوقف على قوله ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ وهذا ضعيف؛ لأنه لا حامل على تقديم

(١) انظر المحرر الوجيز: ٢/١٧٦، ومعالم التنزيل: ٢/٢٥.

المعمول هنا مع أن القول الأول أكمل معنى؛ لأنه بيان لمدة التحريم والتيه معا.

﴿يَتِيهُونَ﴾ أي يتحيرون، وروي: أنهم كانوا يسيرون الليل كله فإذا أصبحوا وجدوا أنفسهم في الموضع الذي كانوا فيه.

﴿فَلَا تَأْسَ﴾ أي لا تحزن والخطاب لموسى، وقيل: لمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويراد بالفاسقين من كان في عصره من اليهود.

﴿نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ﴾ هما قابيل وهابيل ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ روي أن قابيل كان صاحب زرع فقرب أرذل زرعه، وكان هابيل صاحب غنم فقرب أحسن كبش عنده، وكانت العادة حينئذ أن يقرب الإنسان قربانه إلى الله ويقوم يصلي فإذا نزلت نار من السماء وأكلت القربان فذلك دليل على القبول وإلا فلا قبول فنزلت النار فأخذت كبش هابيل ورفعته وتركت زرع قابيل فحسده قابيل فقتله ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ استدل بها المعتزلة وغيرهم على أن صاحب المعاصي لا يتقبل عمله وتأولها الأشعرية بأن التقوى هنا يراد بها تقوى الشرك.

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ﴾ الآية قيل معناها لئن بدأتني بالقتال لم أبدأك به، وقيل: إن بدأتني بالقتال لم أدافعك، ثم اختلف على هذا القول: هل تركه لدفاعه عن نفسه تورعا وفضيلة وهو الأظهر والأشهر؟ وكان واجبا عندهم أن لا يدافع أحد عن نفسه وهو قول مجاهد[1]، وأما في شرعنا فيجوز دفع الإنسان عن نفسه بل يجب.

﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ الإرادة هنا ليست بإرادة محبة وشهوة وإنما هو تخير في أهون الشرين، كأنه قال: إن قتلتني فذلك أحب إلي من أن أقتلك كما ورد في الأثر: «كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل»[2] وأما قوله

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢١٤/١٠ بسند ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: ٢٩٢/٥، وهو ضعيف، وأخرج الترمذي بسنده: «أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: إنها ستكون فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي،=

﴿بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ فمعناه بإثم قتلي لك لو قتلتك، وبإثم قتلك لي، وإنما تحمل القاتل الإثمين لأنه ظالم، فذلك مثل قوله ﷺ: «المتسابان ما قالا فهو على البادئ»[١] وقيل: بإثمي أي تحمل عني سائر ذنوبي؛ لأن الظالم تجعل عليه في القيامة ذنوب المظلوم، وبإثمك أي في قتلك لي وفي غير ذلك من ذنوبك. ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يحتمل أن يكون من كلام هابيل أو استئنافا من كلام الله تعالى.

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا﴾ الآية روي: أن غرابين اقتتلا حتى قتل أحدهما الآخر، ثم جعل القاتل يبحث عن التراب ويواري الميت، وقيل: بل كان غرابا واحدا يبحث ويلقي التراب على هابيل ﴿سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ أي عورته وخصت بالذكر لأنها أحق بالستر من سائر الجسد، والضمير في أخيه عائد على ابن آدم ويظهر من هذه القصة أن هابيل كان أول من دفن من بني آدم ﴿قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ أصله يا ويلتي ثم أبدل من الياء ألف، وفتحت التاء وكذلك يا أسفي ويا حسرتي ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ على ما وقع فيه من قتل أخيه، واختلف في قابيل هل كان كافرا أو عاصيا؟ والصحيح أنه لم يكن كافرا؛ لأنه قصد التقرب إلى الله بالقربان، ولأنه لم يكن في تلك المدة كافر، وأصبح هنا وفي الموضع الأول عبارة عن جميع الأوقات لا مختصة بالصباح.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ يتعلق بكتبنا، وقيل: بالنادمين وهو ضعيف.

= والماشي خير من الساعي، قال: أفرأيت إن دخل علي بيتي وبسط يده إلي ليقتلني؟ قال: كن كابن آدم» الحديث رقم: (٢١٩٤)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٤٢٥٧)..

(١) أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٥٨٧)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٤٨٤٩)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (١٩٨١)، وأحمد في مسنده: ٢/٢٣٥، والبخاري في الأدب المفرد رقم: (٥٢٣)، وابن حبان في صحيحه: ١/٧٢٨، وتمامه: «ما لم يعتد المظلوم»..

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

ثمن

﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي فرضنا عليهم أو كتبناه في كتبهم.

﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ معناه من غير أن يقتل نفسا يجب عليه به القصاص.

﴿أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني الفساد الذي يجب به القتل كالحرابة

﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ تمثيل قاتل الواحد بقاتل الجميع يتصور من ثلاث جهات:

إحداها: القصاص فإن القصاص في قاتل الواحد والجميع سواء.

الثانية: انتهاك الحرمة والإقدام على العصيان.

والثالثة: الإثم والعذاب الأخروي قال مجاهد[1]: وعد الله قاتل النفس بجهنم، والخلود فيها، والغضب، واللعنة، والعذاب العظيم، فلو قتل جميع الناس لم يزد على ذلك وهذا الوجه هو الأظهر؛ لأن القصد بالآية تعظيم قتل النفس والتشديد فيه لينزجر الناس عنه، وكذلك الثواب في إحيائها كثواب إحياء الجميع لتعظيم الأمر والترغيب فيه، وإحياؤها هو إنقاذها من الموت كإنقاذ الحريق أو الغريق وشبه ذلك، وقيل: بترك قتلها، وقيل: بالعفو إذا وجب القصاص.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ﴾ الضمير لبني إسرائيل والمعنى تقبيح أفعالهم وفي ذلك إشارة إلى ما هموا به من قتل رسول الله ﷺ

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان بسند فيه مجهول.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآية سببها عند ابن عباس[1]: أن قوما من اليهود كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل، وقال جماعة: نزلت[2] في نفر من عكل وعرينة أسلموا، ثم إنهم قتلوا راعي النبي ﷺ، وأخذوا إبله، ثم حكمها بعد ذلك في كل محارب.

والمحاربة عند مالك: هي حمل السلاح على الناس في بلد أو في خارج بلد، وقال أبو حنيفة: لا يكون المحارب إلى خارج البلد.

وقوله: ﴿يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ﴾ تغليظ ومبالغة، وقال بعضهم: تقديره: يحاربون رسول الله ﷺ، وذلك ضعيف؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام قد ذكر بعد ذلك، وقيل: يحاربون عباد الله وهو أحسن.

﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ بيان للحرابة وهي على درجات، أدناها: إخافة الطريق، ثم أخذ المال، ثم قتل النفس.

﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ﴾ الصلب مضاف إلى القتل، وقيل: يقتل ثم يصلب ليراه أهل الفساد فينزجروا، وهو قول أشهب، وقيل: يصلب حيا ويقتل على الخشبة وهو قول ابن القاسم ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ معناه أن تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى، ثم إن عاد قطعت يده اليسرى ورجله اليمنى.

وقطع اليد عند مالك والجمهور من الرسغ، وقطع الرجل من المفصل، وذلك في الحرابة وفي السرقة.

﴿أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ مشهور مذهب مالك أن ينفى من بلد إلى بلد آخر ويسجن فيه إلى أن تظهر توبته، وروي عنه مطرف أنه يسجن في البلد بعينه، وبذلك

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١١٨٠٣/١٠ بسند جيد.

(٢) صحيح أخرجه أبو داود في سننه، الحديث رقم: (٤٣٦٦)، والنسائي في سننه: ٩٤/٧، وأحمد في مسنده: ١٦٣/٣، والطبري: ١١٨٠٨/١٠، وابن كثير في تفسيره: ١٢٣/٣.

قال أبو حنيفة، وقيل: ينفى إلى بلد آخر دون أن يسجن فيه، ومذهب مالك: أن الإمام مخير في المحارب بين أن يقتله ويصلبه، أو يقتله ولا يصلبه، أو يقطع يده ورجله، أو ينفيه، إلا أنه قال: إن كان قتل فلا بد من قتله، وإن لم يقتل فالأحسن أن يأخذ فيه بأيسر العقاب، وقال الشافعي وغيره: هذه العقوبات مرتبة: فمن قتل وأخذ المال قتل وصلب، ومن قتل ولم يأخذ المال قتل ولم يصلب، ومن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله، ومن أخاف السبيل ولم يقتل ولم يأخذ مالا نفي. وحجة مالك عطف هذه العقوبات بأو التي تقتضي التخيير.

﴿خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾ هو العقوبة، وعذاب الآخرة النار، وظاهر هذا أن العقوبة في الدنيا لا تكون كفارة للمحارب بخلاف سائر الحدود، ويحتمل أن يكون الخزي في الدنيا لمن عوقب فيها، والعذاب في الآخرة لمن لم يعاقب.

﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ﴾ قيل: هي في المشركين وهو ضعيف؛ لأن المشرك لا يختلف حكم توبته قبل القدرة عليه وبعدها، وقيل: هي في المحاربين من المسلمين وهو الصحيح، وهم الذين جاءت فيهم العقوبات المذكورة، فمن تاب منهم قبل أن يقدر عليه فقد سقط عنه حكم الحرابة لقوله: ﴿فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ واختلف: هل يطالب بما عليه من حقوق الناس في الدماء والأموال أم لا؟ فوجه المطالبة بها أنها زائدة على حد الحرابة التي سقطت عنه بالتوبة، ووجه إسقاطها إطلاق قوله ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَابْتَغُواْ إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ أي ما يتوسل به ويتقرب به إليه من الأعمال الصالحة والدعاء وغير ذلك.

﴿لِيَفْتَدُواْ بِهِ﴾ إن قيل: لم وحد الضمير وقد ذكر شيئين وهما ما في الأرض ومثله؟ فالجواب: أنه وضع المفرد في موضع الاثنين وأجرى الضمير مجرى اسم الإشارة، كأنه قال: ليفتدوا بذلك، أو تكون الواو بمعنى مع.

يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم ﴿٣٧﴾ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم ﴿٣٨﴾ فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم ﴿٣٩﴾ ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير ﴿٤٠﴾ • يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴿٤١﴾

ربع

﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ أي دائم وكذلك نعيم مقيم.

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ عموم الآية يقتضي قطع كل سارق، إلا أن الفقهاء اشترطوا في القطع شروطا خصصوا بها العموم، فمن ذلك: من اضطره الجوع إلى السرقة لم يقطع عند مالك لتحليل الميتة له، وكذلك من سرق مال ولده أو سيده، أو من سرق من غير حرز، أو سرق أقل من النصاب، وهو عند مالك ربع دينار من الذهب، أو ثلاثة دراهم من الفضة، أو ما يساوي أحدهما، وأدلة التخصيص بهذه الأشياء في غير هذه الآية، وقد قيل: إن الحرز مأخوذ من هذه الآية؛ لأن ما أهمل بغير حرز أو ائتمن عليه فليس أخذه سرقة، وإنما هو اختلاس أو خيانة، وإعراب السارق عند سيبويه مبتدأ وخبره محذوف، كأنه قال: فيما يتلى عليكم السارق والسارقة، والخبر عند المبرد وغيره ﴿فَاقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾، ودخلت الفاء لتضمنها معنى الشرط.

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ﴾ الآية، توبة السارق هو أن يندم على ما مضى ويقلع فيما يستقبل ويرد ما سرق إلى من يستحقه، واختلف إذا تاب قبل أن يصل إلى الحاكم: هل يسقط عنه القطع؟ وهو مذهب الشافعي لظاهر الآية، أو لا يسقط عنه وهو مذهب مالك؛ لأن الحدود عنده لا تسقط بالتوبة إلا عن المحارب للنص عليه.

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ قدم العذاب على المغفرة لأنه قوبل بذلك تقدم السرقة على التوبة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ الآية خطاب للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، على وجه التسلية.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ هم المنافقون ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ يحتمل أن يكون عطفا على الذين قالوا آمنا ثم يكون ﴿سَمَّٰعُونَ﴾ استئناف إخبار عن الصنفين المنافقين واليهود، ويحتمل أن يكون من الذين هادوا استئنافا منقطعا مما قبله، وسماعون راجع إليهم خاصة.

﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ أي سماعون كلام قوم آخرين من اليهود الذين لا يأتون النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لإفراط البغضة والمجاهرة بالعداوة، فقوله: ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ صفة لقوم آخرين، والمراد بالقوم الآخرين يهود خيبر، والسماعون للكذب بنو قريظة.

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ أي يبدلونه من بعد أن يوضع في موضعه وقصدت به وجوهه القويمة، وذلك من صفة اليهود.

﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾ نزلت بسبب أن يهوديا زنى بيهودية فسأل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اليهود عن حد الزاني عندهم، فقالوا: نجلدهما ونحمم وجوههما، فقال لهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن في التوراة الرجم، فأنكروا ذلك، فأمرهم أن يأتوا بالتوراة فقرؤوها فجعل أحدهم يده على آية الرجم، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك فرفع فإذا آية الرجم، فأمر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باليهودي واليهودية فرجما**»[1] فمعنى قولهم: ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ﴾ إن أوتيتم الذي ذكرتم

---

(١) رجم اليهوديين ثابت في الصحيحين وغيرهما، فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا فقال لهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ما تجدون في التوراة في شأن الرجم). فقالوا نفضحهم ويجلدون فقال عبد الله بن سلام كذبتم إن فيها الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن=

سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ • وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾

من الجلد والتحميم فخذوه واعملوا به، وإن لم تؤتوه وأفتاكم محمد ﷺ بغيره فاحذروا.

﴿فِتْنَتَهُ﴾ أي ضلالته في الدنيا، أو عذابه في الآخرة.

﴿فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ الذلة والمسكنة والجزية.

﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ إن كان الأول في اليهود فكررها هنا تأكيدا وإن كان الأول في المنافقين واليهود فهذا في اليهود خاصة. ﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ أي للحرام من الرشوة والربا وشبه ذلك. ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ هذا تخيير للنبي ﷺ في أن يحكم بين اليهود أو يتركهم، وهو أيضا يتناول الحاكم، وقيل: إنه منسوخ بقوله: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾.

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ﴾ الآية استبعاد لتحكيمهم النبي ﷺ وهم لا يؤمنون به، مع أنهم يخالفون حكم التوراة التي يدعون الإيمان بها، فمعنى ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي يتولون عن اتباع حكم الله في التوراة من بعد كون حكم الله فيها موجودا عندهم ومعلوما في قضية الرجم وغيرها.

﴿وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني أنهم لا يؤمنون بالتوراة وبموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذا إلزام لهم؛ لأن من خالف كتاب الله وبدله فدعواه الإيمان به باطلة.

= سلام ارفع يدك فرفع يده فإذا فيها آية الرجم فقالوا صدق يا محمد فيها آية الرجم فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما، قال عبد الله: فرأيت الرجل يجنأ على المرأة يقيها الحجارة. البخاري الحديث رقم: (٣٤٣٦)، ومسلم الحديث رقم: (٤٥٣٣).

﴿النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ هم الأنبياء الذين بين موسى ومحمد ﷺ، ومعنى أسلموا هنا أخلصوا لله وهو صفة مدح أريد به التعريض باليهود؛ لأنهم بخلاف هذه الصفة، وليس المراد هنا الإسلام الذي هو ضد الكفر لأن الأنبياء لا يقال فيهم أسلموا على هذا المعنى لأنهم لم يكفروا قط، وإنما هو كقول إبراهيم عليه السلام: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾.

﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ متعلق بيحكم أي يحكم الأنبياء بالتوراة للذين هادوا، ويحملونهم عليها، وقيل: يتعلق بقوله: ﴿فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا﴾ أي كلفوا حفظه والباء هنا سببية قاله الزمخشري، ويحتمل أن تكون بدلا من المجرور في قوله ﴿يَحْكُمُ بِهَا﴾، ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ﴾ وما بعده خطاب لليهود، ويحتمل أن تكون وصية للمسلمين يراد بها التعريض باليهود؛ لأن ذلك من أفعالهم.

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ قال ابن عباس[1]: نزلت الثلاثة في اليهود: الكافرون، والظالمون، والفاسقون، وقد روي[2] في هذا أحاديث عن النبي ﷺ، وقال جماعة: هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من اليهود والمسلمين وغيرهم إلا أن الكفر في حق المسلمين كفر معصية لا يخرجهم عن الإيمان، وقال الشافعي: الكافرون في المسلمين، والظالمون في اليهود، والفاسقون في النصارى.

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾ كتبنا بمعنى الكتابة في الألواح، أو بمعنى الفرض والإلزام والضمير في عليهم لبني إسرائيل، وفي قوله ﴿فِيهَا﴾ للتوراة.

﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ أي تقتل النفس إذا قتلت نفسا، وهذا إخبار عما في

(١) أخرجه أبو داود الحديث رقم: (٣٥٧٦)، وأحمد: ٢٤٦/١، والطبراني في المعجم الكبير رقم: (١٠٧٣٢) بإسناد حسن.

(٢) منها حديث مسلم في صحيحه رقم: (١٧٠٠)، وابن ماجه في سننه الحديث رقم: (٢٣٢٧)، والطبري في جامع البيان: ٣٤٦/١٠.

التوراة وهو حكم الله في شريعتنا بإجماع إلا أن هذا اللفظ عام، وقد خصص العلماء منه أشياء، فقال مالك: لا يقتل مؤمن بكافر للحديث الوارد في ذلك[1] ولا يقتل حر بعبد لقوله: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ﴾ وقد تقدم الكلام على ذلك في البقرة.

﴿وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾ وما بعده حكم القصاص في الأعضاء، والقراءة بنصب النون وما بعده عطف على النفس، وقرئ بالرفع[2] ولها ثلاثة أوجه:

أحدها: العطف على موضع النفس؛ لأن المعنى قلنا لهم النفس بالنفس.

والثاني: العطف على الضمير الذي في الخبر وهو بالنفس.

والثالث: أن يكون مستأنفا مرفوعا بالابتداء.

﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ بالنصب[3] عطف على المنصوبات قبله، وبالرفع على الأوجه الثلاثة التي في رفع العين، وهذا اللفظ عام يراد به الخصوص في الجراح التي لا يخاف على النفس منها.

﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ فيه تأويلان:

---

(١) صحيح أخرجه أبو داود في سننه الحديث رقم: (٢٧٥١)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (١٤١٣)، وابن ماجه في سننه الحديث رقم: (٢٦٨٥)، وأحمد في مسنده: ٢/٢١١، والبيهقي في السنن الكبرى: ٨/٢٩، وفي الصحيح عن أبي جحيفة، قال: قلت لعلي، هل عندكم كتاب؟ قال: لا، إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة، قال: قلت فما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر. البخاري الحديث رقم: (١١١)، و(٢٨٨٢)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (١٤١٢)، والنسائي: ٨/٢٣.

(٢) قال الإمام الداني في التيسير: الكسائي: ﴿وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾ وما بعده بالرفع، ورفع ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ﴿وَٱلْجُرُوحَ﴾ فقط، والباقون كل ذلك بالنصب. التيسير، ص: ٧٤، وانظر إتحاف فضلاء البشر في القراآت الأربعة عشر للدمياطي: ١/٢٥٣، والمحرر الوجيز: ٢/٢٢٨.

(٣) المصادر السابقة.

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ • وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

ربع

أحدهما: من تصدق من أصحاب الحق بالقصاص وعفا عنه فذلك كفارة له يكفر الله ذنوبه لعفوه وإسقاطه حقه.

والثاني: من تصدق وعفا فهو كفارة للقاتل والجارح بعفو الله عنه في ذلك لأن صاحب الحق قد عفا عنه فالضمير في له على التأويل الأول: يعود على (من) التي هي كناية عن المقتول أو المجروح أو الولي.

وعلى الثاني: يعود على القاتل أو الجارح وإن لم يجر له ذكر، ولكن سياق الكلام يقتضيه، والأول أرجح، لعود الضمير على مذكور، وهو ﴿من﴾ ومعناها واحد على التأويلين، والصدقة بمعنى العفو على التأويلين، إلا أن التأويل الأول بيان لأجر من عفا وترغيب في العفو، والتأويل الثاني بيان لسقوط الإثم عن القاتل أو الجارح إذا عفي عنه.

﴿مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قد تقدم معنى مصدقا في البقرة. و﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني التوراة لأنها قبله، والقرآن مصدق للتوراة والإنجيل لأنهما قبله،

﴿وَمُصَدِّقاً﴾ عطف على موضع قوله فيه هدى ونور؛ لأنه في موضع الحال.
﴿وَمُهَيْمِناً﴾ ابن عباس[1] شاهدا، وقيل: مؤتمنا. ﴿عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ تضمن الكلام معنى لا تنصرف أو لا تنحرف، ولذلك تعدى بعن. ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾ ابن عباس[2]: سبيلا وسنة، والخطاب للأنبياء عليهم الصلاة والسلام

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٠/٣٧٧، وأورده السيوطي في الدر المنثور: ٣/٩٥، وهو بسند حسن.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٠/٣٨٥، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٤/١١٥١، وهو بسند صحيح.

أو الأمم، والمعنى: أن الله جعل لكل أمة شريعة يتبعونها، وقد استدل بها من قال: إن شرع من قبلنا ليس بشرع لنا، وذلك في الأحكام والفروع، وأما الاعتقاد فالدين فيها واحد لجميع العالم، وهو الإيمان بالله، وتوحيده، وتصديق رسله، والإيمان بالدار الآخرة. ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ استدل بها قوم على أن تقديم الواجبات أفضل من تأخيرها، وهذا متفق عليه في العبادات كلها إلا الصلاة ففيها خلاف، فمذهب الشافعي أن تقديمها في أول وقتها أفضل، وعكس أبو حنيفة وفي مذهب مالك خلاف وتفصيل، واتفقوا أن تقديم المغرب أفضل.

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم﴾ عطف على الكتاب في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ أو على الحق في قوله ﴿بِالْحَقِّ﴾ وقال قوم: إن هذا وقوله قبله: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ﴾ ناسخ لقوله: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي ناسخ للتخيير الذي في الآية، وقيل: إنه ناسخ للحكم بالتوراة، ونزلت الآية[1] بسبب قوم من اليهود طلبوا من رسول الله ﷺ أن يحكم بينهم فأبى من ذلك ونزلت الآية تقتضي أن يحكم بينهم.

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ توبيخ لليهود، وقرئ بالياء[2] إخبارا عنهم وبالتاء خطابا لهم. ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ قال الزمخشري: اللام للبيان أي هذا الخطاب لقوم يوقنون فإنهم الذين يتبين لهم أنه لا أحسن من الله حكما.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ سببها[3] موالاة عبد الله بن أبي ابن سلول ليهود بني قينقاع، وخلع عبادة بن الصامت الحلف الذي

---

(١) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار: ٤٥٤٠/١١، والحاكم في المستدرك: ٣١٢/٢، والبيهقي: ٢٤٨/٨، والنسائي في الكبرى رقم: (٦٣٦٩)، وأبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ: ٢٩٤/٢.

(٢) قال ابن الجزري: ﴿يَبْغُونَ﴾ فقرأ ابن عامر بالخطاب، وقرأ الباقون بالغيب. النشر: ٢٨٧/٢.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان بسند مرسل: ١٢١٥٧/١٠، وابن هشام في السيرة: ٤٢٨/١.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

كان بينه وبينهم، ولفظها عام وحكمها باق، ولا يدخل فيه معاملتهم في البيع والشراء وشبهه. ﴿فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ تغليظ في الوعيد، فمن كان يعتقد معتقدهم فهو منهم من كل وجه، ومن خالفهم في اعتقادهم وأحبهم فهو منهم في المقت عند الله واستحقاق العقوبة.

﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ هم المنافقون والمراد هنا عبد الله بن أبي ابن سلول، ومن كان معه ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ كان عبد الله بن أبي يوالي اليهود ويستكثرهم، ويقول: إني رجل أخشى الدوائر. ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ الفتح هنا هو ظهور النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمين، والأمر من عنده هو هلاك الأعداء بأمراض عنده لا يكون فيه تسبب لمخلوق، أو أمر من الله لرسوله عليه الصلاة والسلام بقتل اليهود. ﴿فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ الضمير في فيصبحوا للمنافقين، والذين أسروه هو قصدهم الاستعانة باليهود على المسلمين، وإضمار العداوة للمسلمين.

﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ قرئ يقول بغير واو[1] استئناف وإخبار، وقرئ بالواو والرفع وهو عطف جملة على جملة، وبالواو والنصب عطف على ﴿يَأْتِىَ ٱللَّهُ﴾ أو

(١) قال ابن الجزري: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ﴾ قرأ المدنيان وابن كثير وابن عامر ﴿يَقُولُ﴾ بغير واو كما هو في مصاحفهم وقرأ الباقون ﴿وَيَقُولُ﴾ بالواو وكذا هو في مصاحفهم وقرأ منهم البصريان بنصب اللام. وقرأ الباقون من القراء بالرفع. النشر: ٢/٢٨٨.

عطف على ﴿فَيُصْبِحُواْ﴾. ﴿أَهَٰؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ﴾ الإشارة إلى المنافقين لأنهم كانوا يحلفون أنهم مع المؤمنين، وانتصب ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ على المصدر المؤكد. ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ يحتمل أن يكون من كلام المؤمنين أو من كلام الله، ويحتمل أن يكون دعاء أو خبرا.

﴿مَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ خطاب على وجه التحذير والوعيد، وفيه إعلام بارتداد بعض المسلمين، فهو إخبار بالغيب قبل وقوعه، ثم وقع، فارتد في حياة رسول الله ﷺ: بنو حنيفة، قوم مسيلمة الكذاب، وبنو مدلج، قوم الأسود العنسي الذي ادعى النبوءة، وقتل في حياة رسول الله ﷺ، وبنو أسد، قوم طليحة بن خويلد الذي ادعى النبوءة ثم أسلم وجاهد، ثم كثر المرتدون، وفشا أمرهم بعد موت رسول الله ﷺ، حتى كفى الله أمرهم على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكانت القبائل التي ارتدت بعد وفاة رسول الله ﷺ سبع قبائل: بنو فزارة، وغطفان، وبنو سليم، وبنو يربوع، وكندة، وبنو بكر بن وائل، وبعض بني تميم، ثم ارتدت غسان في زمان عمر بن الخطاب، وهم قوم جبلة بن الأيهم الذي تنصر من أجل اللطمة[1] ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾

---

(١) هو جبلة بن الأيهم الذي وفد مسلما على عمر رضي الله عنه في خلافته بخمس مائة فارس عليهم الديباج والذهب وعلى رأسه التاج وقرطا مارية المشهوران، ثم وطئ الفزاري إزاره في الطواف فلطمه، فقال له عمر رضي الله عنه: إما أن ترضيه أو تقيده، فلم يرض الفزاري إلا أن يقيده بلطمة مثلها، فقال: أتقيد مني وأنا ملك؟، فقال عمر رضي الله عنه: أنتما في حكم الإسلام سواء، فقال: أمهلني ثلاثة أيام، فأمهله فخرج ليلا إلى قيصر فملكه في بلاده وتنصر، ثم إن عمر رضي الله عنه أرسل صحابيا إلى قيصر فاجتمع بجبلة فرأى عنده من الخدم والحشم والجواهر وأواني الذهب والفضة ما أذهله، فسأل عن عمر وعن تلك الديار ثم تأوه وأنشد:

تنصرت الأشراف من أجل لطمة ... وما كان فيها لو صبرت لها ضرر

تكنفني فيها لجاج ونخوة ... وبعت بها العين الصحيحة بالعور

فيا ليت أمي لم تلدني وليتني ... رجعت إلى القول الذي قاله عمر

توفي جبلة سنة: ٢٠هـ وهذه القصة شهيرة في التاريخ. البداية والنهاية: ٨/٧٠. وانظر إكمال الإكمال: ٢/٥١٥، والأعلام للزركلي: ٢/١١١، وغيرها.

روي[1]: أن رسول الله ﷺ قرأها، وقال: هم قوم هذا يعني أبا موسى الأشعري، والإشارة بذلك والله أعلم إلى أهل اليمن؛ لأن الأشعريين من أهل اليمن، وقيل: المراد أبو بكر الصديق[2] وأصحابه، الذين قاتلوا أهل الردة، ويقوي ذلك ما ظهر من أبي بكر الصديق رضي الله عنه من الجد في قتالهم والعزم عليه حين خالفه في ذلك بعض الناس، فاشتد عزمه حتى وافقوه وأجمعوا معه فنصرهم الله على أهل الردة، ويقوي ذلك أيضا أن الصفات التي وصف بها هؤلاء القوم هي أوصاف أبي بكر ألا ترى قوله ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ وكان أبو بكر ضعيفا في نفسه قويا في الله، وكذلك قوله ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ إشارة إلى من خالف أبا بكر ولامه في قتال أهل الردة فلم يرجع عن عزمه. ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ كقوله: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ وإنما تعدى أذلة بعلى لأنه تضمن معنى العطف والحنو، فإن قيل: أين الراجع من الجزاء إلى الشرط؟ فالجواب: أنه محذوف، تقديره: من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم مكانهم، أو بقوم يقاتلونهم.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾ ذكر الولي بلفظ المفرد إفرادا لله تعالى بها، ثم عطف على اسمه تعالى الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين على سبيل التبع، ولو قال: إنما أولياؤكم، لم يكن في الكلام أصل وتبع. ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ قيل: نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه[3] فإنه سأله سائل وهو راكع في الصلاة فأعطاه

(١) الطبري في جامع البيان: ١٠/١٢١٨٩، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٤/١١٦٠ بسند ظاهره الحسن.

(٢) قال ابن عطية: وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ الآية، قال فيها الحسن بن أبي الحسن ومحمد بن كعب القرظي والضحاك وقتادة: نزلت الآية خطابا للمؤمنين عامة إلى يوم القيامة، والإشارة بالقوم الذين يأتي الله بهم إلى أبي بكر الصديق وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة، وقال هذا القول ابن جريج وغيره. المحرر الوجيز: ٢/٢٤١.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٤/١١٦٢، وابن منده: ٧/٨٠، وأخرجه الطبري: ٤/٦٢٨، وانظر المحرر الوجيز: ٢/٢٠٨، والدر المنثور: ٢/٢٥٠ قال ابن كثير: ٣/١٧٤، وليس يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها وجهالة رجالها...

ثمن

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ • قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّٰغُوتَ أُوْلَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِۦ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ الرَّبَّٰنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَٰوَةَ وَالْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

خاتمه، وقيل: هي عامة، وذكر الركوع بعد الصلاة لأنه من أشرف أعمالها، فالواو على القول الأول واو الحال وعلى الثاني للعطف.

﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ﴾ هذا من إقامة الظاهر مقام المضمر معناه: فإنهم هم الغالبون.

﴿وَالْكُفَّارَ﴾ بالنصب[1] عطف على الذين اتخذوا وقرئ بالخفض، عطف على الذين أوتوا الكتاب، ويعضده قراءة ابن مسعود[2]: «ومن الكفار»، ويراد بهم المشركون من العرب».

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ﴾ الآية روي[3] أن رجلا من النصارى كان بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله قال حرق الله الكاذب فوقعت النار في بيته فاحترق هو وأهله واستدل بعضهم بهذه الآية على ثبوت الأذان من القرآن ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ جعل قلة عقولهم علة لاستهزائهم بالدين.

﴿هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا﴾ أي هل تعيبون علينا وتنكرون منا إلا إيماننا بالله، وبجميع كتبه ورسله وذلك أمر لا ينكر ولا يعاب، ونظير هذا في الاستثناء العجيب

(١) ﴿وَالْكُفَّارَ﴾ قرأ البصريان والكسائي بخفض الراء، وقرأ الباقون بنصبها، ومن خفض فهو على أصله في الإمالة والفتح وقفاً ووصلاً. النشر: ٢/٢٨٨.

(٢) قال ابن عطية: وقرأ أبي بن كعب: و«من الكفار» بزيادة من، فهذه تؤيد قراءة الخفض وكذلك في قراءة ابن مسعود: «من قبلكم من الذي أشركوا» المحرر الوجيز: ٢/٢٤٣.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٠/١٢٢١٩، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٤/١١٦٣ بإسناد ضعيف.

قول النابغة:[1]

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

ونزلت الآية[2] بسبب أبي ياسر بن أخطب ونافع بن أبي نافع وجماعة من اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن الرسل الذين يؤمن بهم فتلا ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ إلى آخر الآية، فلما ذكر عيسى قالوا: لا نؤمن بعيسى ولا بمن آمن به. ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ قيل: إنه معطوف على آمنا، وقيل: على ما أنزل وقيل: هو تعليل معطوف على تعليل محذوف تقديره: هل تنقمون منا إلا لقلة إنصافكم، ولأن أكثركم فاسقون، ويحتمل أن يكون وأن أكثركم مبتدأ وخبره محذوف، تقديره: فسقكم معلوم أو ثابت.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ لما ذكر أن أهل الكتاب يعيبون المسلمين بالإيمان بالله ورسله، ذكر عيوب أهل الكتاب في مقابلة ذلك ردا عليهم، فالخطاب في أنبئكم لليهود والإشارة بذلك إلى ما تقدم من حال المؤمنين.

﴿مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ﴾ هي من الثواب ووضع الثواب موضع العقاب تهكما بهم نحو قوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾ يعني اليهود، ومن في موضع رفع خبر مبتدإ مضمر، تقديره: هو من لعنه الله، أو في موضع خفض على البدل من شر، ولا بد في الكلام من حذف مضاف، تقديره: بشر من أهل ذلك، أو تقديره: دين من لعنه الله ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ مسخ قوم من اليهود قرودا حين اعتدوا في السبت، ومسخ قوم منهم خنازير حين كذبوا عيسى ابن مريم ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾

---

(١) ديوان النابغة الذبياني، ص: ٨٥.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٠/١٢٢١٩، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٤/١١٦٤ بإسناد ضعيف.

القراءة بفتح الباء[1] فعل معطوف على لعنه الله، وقرئ بضم الباء وخفض الطاغوت على أن يكون عبد اسما على وجه المبالغة أضيف إلى الطاغوت، وقرئ[2] وعابد وعباد وهو في هذه الوجوه عطف على القردة والخنازير.

﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ أي منزلة ونسب الشر للمكان وهو في الحقيقة لأهله، وذلك مبالغة في الذم.

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ نزلت[3] في منافقين من اليهود ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ﴾ تقديره: متلبسين بالكفر، والمعنى: دخلوا كفارا وخرجوا كفارا. ودخلت قد على دخلوا وخرجوا تقريبا للماضي من الحال، أي ذلك حالهم في دخولهم وخروجهم على الدوام.

﴿فِى ٱلْإِثْمِ﴾ الكذب وسائر المعاصي ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ الظلم ﴿ٱلسُّحْتَ﴾ الحرام.

﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ﴾ عرض وتحضيض وتقريع

﴿لَبِئْسَ﴾ اللام في الموضعين للقسم.

---

(١) ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ قرأ حمزة بضم الباء من ﴿عبد﴾ وخفض ﴿الطاغوت﴾ وقرأ الباقون بالفتح والنصب. النشر: ٢/٢٨٨.

(٢) قال ابن عطية: وروى عكرمة عن ابن عباس وعابدوا الطاغوت بضمير جمع، وقد قال بعض الرواة في هذه الأخيرة إنها تجويز لا قراءة، وقرأ ابن بريدة: وعابد الطاغوت بفتح العين والدال وكسر الباء والتاء وقرأ بعض البصريين: وعباد الطاغوت بكسر العين وفتح الباء والدال وألف بينهما وكسر التاء، قال أبو الفتح: فيحتمل أن يكون ذلك جمع عابد كقائم وقيام وصائم وصيام، وقد يجوز أن يكون جمع عبد، وقل ما يأتي عباد مضافا إلى غير الله وأنشد سيبويه:

أتوعـدني بقومـك يـا ابـن حجـل ... أشـابات يخـالون العبـادا

المحرر الوجيز: ٢/٢٤٨.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٠/١٢٢٣٠ بسند صحيح إلى قتادة وهو أثر مرسل.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ غل اليد كناية عن البخل، وبسطها كناية عن الجود، ومنه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾ أي لا تبخل كل البخل ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ أي لا تجد كل الجود، وروي[1]: أن اليهود أصابتهم سنة جهد فقالوا هذه المقالة الشنيعة، وكان الذي قالها فنحاص[2] ونسبت إلى جملة اليهود؛ لأنهم رضوا بقوله.

﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يحتمل أن يكون دعاء أو خبرا، ويحتمل أن يكون في الدنيا أو في الآخرة، فإن كان في الدنيا فيحتمل أن يراد به البخل أو غل أيديهم في الأسر، وإن كان في الآخرة فهو جعل الأغلال في جهنم.

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ عبارة عن إنعامه وجوده، وإنما ثنيت اليدان هنا وأفردت في قول اليهود يد الله مغلولة ليكون ردا عليهم ومبالغة في وصفه تعالى بالجود، كقول العرب: فلان يعطي بكلتا يديه إذا كان عظيم السخاء.

﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ إيقاد النار عبارة عن محاولة الحرب، وإطفاؤها عبارة عن خذلانهم وعدم نصرهم، ويحتمل أن يراد بذلك أسلافهم أو يراد من كان معاصرا للنبي ﷺ منهم، ومن يأت بعدهم فيكون على هذا إخبارا بغيب وبشارة للمسلمين.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا﴾ الآية يحتمل أن يراد أسلافهم أو المعاصرون للنبي ﷺ، فيكون على هذا ترغيبا لهم في الإيمان والتقوى.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ إقامتها بالعلم والعمل، وذكر الإنجيل دليل على دخول النصارى في لفظ أهل الكتاب ﴿لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ قيل: من فوقهم عبارة عن المطر، ومن تحت أرجلهم عبارة عن النبات

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٠/٤٥٢ بسند ضعيف.

(٢) فنحاص حبر من أحبار اليهود. المحرر الوجيز: ١/٥٨٣.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَاتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَالَّذِينَ هَادُوا۟ وَالصَّٰبِـُٔونَ وَالنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾

ربع

والزرع، وقيل: ذلك استعارة في توسعة الرزق من كل وجه.

﴿أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ أي معتدلة ويراد به من أسلم منهم كعبد الله بن سلام، وقيل: من لم يعاد الأنبياء المتقدمين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أمر بتبليغ جميع ما أوحي إليه على الاستيفاء والكمال؛ لأنه كان قد بلغ وإنما أمر هنا ألا يتوقف عن شيء مخافة أحد ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ هذا وعيد على تقدير عدم التبليغ، وفي ارتباط هذا الشرط مع جوابه قولان:

أحدهما: أن المعنى إن تركت منه شيئا فكأنك لم تبلغ شيئا، وصار ما بلغت لا يعتد به، فمعنى إن لم تفعل: إن لم تستوف التبليغ على الكمال.

والآخر: أن المعنى إن لم تبلغ الرسالة وجب عليك عقاب من كتمها، ووضع السبب موضع المسبب.

﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ وعد وضمان للعصمة، وكان رسول الله ﷺ يخاف أعداءه ويحترس منهم في غزواته وغيرها، فلما نزلت هذه الآية قال: «**يا أيها الناس انصرفوا فإن الله قد عصمني وترك الاحتراس**»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير الحديث رقم: (٢٩٧٢)، والطبري في جامع البيان: ١٢٢٧٦/١٠، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١١٧٣/٤، والحاكم في المستدرك: ٣١٣/٢، وابن منصور في سننه: ١٥٠٤/٤، والبيهقي في سننه: ٨/٩ قال الحاكم: هذا صحيح الإسناد=

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ الآية أي لستم على دين يعتد به فيسمى شيئا ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ ومن إقامتها الإيمان بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾ قال ابن عباس[١] يعني القرآن ونزلت الآية[٢] بسبب رافع بن حارثة، وسلام بن مشكم، ورافع بن خزيمة، وغيرهم من اليهود، جاؤوا إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: إنا نتبع التوراة ولا نتبع غيرها، ولا نؤمن بك ولا نتبعك.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ تقدم الكلام على نظيرتها في البقرة ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ قراءة السبعة بالواو وهي مشكلة، حتى قالت: عائشة هي من لحن كُتّاب المصحف[٣] وإعرابها عند أهل البصرة: مبتدأ وخبره محذوف، تقديره: والصابون كذلك، وهو مقدم في نية التأخير، وأجاز بعض الكوفيين أن يكون معطوفا على موضع اسم إن، وقيل: (إن) هنا بمعنى (نعم)، وما بعدها مرفوع بالابتداء، وهو ضعيف.

﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي بلاء واختبار وقرئ[٤] تكون بالرفع على أن تكون أن مخففة من الثقيلة، وبالنصب على أنها مصدرية ﴿فَعَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ عبارة عن تماديهم على المخالفة والعصيان ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ قيل: إن هذه التوبة رد ملكهم ورجوعهم إلى بيت المقدس بعد خروجهم منه ثم أخرجوا المرة الثانية فلم ينجبر حالهم

= ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وحسنه ابن حجر في الفتح: ٨٢/٦، والألباني في صحيح الترمذي: ٤٦/٣..

(١) لم نجده مسندا، وانظر المحرر الوجيز: ٢٥٥/٢.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٢٢٨٤/١٠ من طريق محمد بن إسحاق بسند ضعيف.

(٣) تقدم الكلام على هذا الموضوع، وتقدم أيضا أن القراءة المتواترة لا يمكن الطعن فيها من أي شخص كائنا من كان.

(٤) ﴿أَلَّا تَكُونَ﴾ قرأ البصريان وحمزة الكسائي وخلف برفع النون، وقرأ الباقون بنصبها. النشر: ٢٨٨/٢.

﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ۞ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾

لمن

أبدا، وقيل: التوبة بعث عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيل: بعث محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ بدل من الضمير أو فاعل على لغة: أكلوني البراغيث، والبدل أرجح وأفصح.

﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ﴾ الآية رد على النصارى وتكذيب لهم.

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ يحتمل أن يكون من كلام المسيح أو من كلام الله.

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ﴾ الآية رد على من جعله إلها ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ بناء مبالغة من الصدق أو من التصديق، ووصفها بهذه الصفة دون النبوءة يدفع قول من قال إنها نبيئة.

﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ استدلال على أنهما ليسا بإلهين لاحتياجهما إلى الغذاء الذي لا يحتاج إليه إلا محدث مفتقر، ومن كان كذلك فليس بإله؛ لأن الإله منزه عن صفات الحدوث، وعن كل ما يلحق البشر، وقيل: إن قوله ﴿يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ عبارة عن الاحتياج إلى الغائط ولا ضرورة تدعو إلى إخراج اللفظ عن ظاهره لأن الحجة قائمة بالوجهين. ﴿ثُمَّ ٱنظُرْ﴾ دخلت ثم لتفاوت الأمرين ولقصد التعجيب من كفرهم بعد بيان الأدلة.

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية إقامة حجة على من عبد عيسى وأمه وهما لا يملكان ضرا ولا نفعا.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ﴾ خطاب للنصارى والغلو

قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَآءِ السَّبِيلِ ﴿٧٨﴾ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٩﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٨٠﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ • لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٣﴾

حزب

الإفراط وسبب ذلك كفر النصارى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا أَهْوَآءَ قَوْمٍ﴾ قيل: هم أئمتهم في دين النصرانية، كانوا على ضلال في عيسى وأضلوا كثيرا من الناس، ثم ضلوا بكفرهم بمحمد ﷺ، وقيل: هم اليهود والأول أرجح لوجهين:

أحدهما: أن الضلال وصف لازم للنصارى ألا ترى قوله تعالى: ﴿وَلَا الضَّآلِّينَ﴾.

والآخر: أنه يبعد نهي النصارى عن اتباع اليهود مع ما بينهم من الخلاف والشقاق.

﴿عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ أي في الزبور والإنجيل.

﴿لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾ أي لا ينهى بعضهم بعضا ﴿عَن مُّنكَرٍ﴾ فإن قيل: لم وصف المنكر بقوله ﴿فَعَلُوهُ﴾ والنهي لا يكون بعد الفعل؟ فالجواب: أن المعنى لا يتناهون عن مثل منكر فعلوه، أو عن منكر إن أرادوا فعله.

﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ إن أراد أسلافهم فالرؤية بالقلب، وإن أراد المعاصرين للنبي ﷺ وهو الأظهر، فهي رؤية عين.

﴿وَالنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾ يعني محمدا ﷺ: ﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ يعني ما اتخذوا الكفار أولياء.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَٰوَةً﴾ الآية إخبار عن شدة عداوة اليهود وعبدة

وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَالِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُواْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَالِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ كَذَالِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

الأوثان للمسلمين ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً﴾ الآية إخبار أن النصارى أقرب إلى مودة المسلمين، وهذا الأمر باق إلى آخر الدهر، فكل يهودي شديد العداوة للإسلام والكيد لأهله.

﴿ذَالِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾ تعليل لقرب مودتهم، والقسيس: العالم، والراهب: العابد.

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ الآية هي في النجاشي[(١)] وفي الوفد الذين بعثهم إلى رسول الله ﷺ، وهم سبعون رجلا، فقرأ عليهم رسول الله ﷺ القرآن فبكوا، كما بكى النجاشي حين قرأ عليه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه سورة مريم، وقال السهيلي: نزلت في وفد نجران[(٢)] وكانوا نصارى عشرين رجلا فلما سمعوا القرآن بكوا ﴿مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ﴾ من الأولى سببية، والثانية بيان للجنس. ﴿ءَامَنَّا﴾ أي بالقرآن من عند الله ﴿مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي مع المسلمين وكذلك مع القوم الصالحين.

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ توقيف لأنفسهم أو محاجة لغيرهم ﴿وَنَطْمَعُ﴾ قال الزمخشري: الواو للحال، وقال ابن عطية: لعطف جملة على جملة لا لعطف فعل على فعل.

---

(١) أخرجه النسائي: ١/٤٤٣، والبزار في مسنده: ٦/١٤٢، والطبري في جامع البيان: ١٠/١٢٣١٧، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٤/١١٨٤ بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن إسحاق في السيرة: ١/٤١٨ بسند منقطع.

﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ سببها: أن قوما من الصحابة غلب عليهم خوف الله إلى أن حرم بعضهم النساء، وبعضهم النوم بالليل، وبعضهم أكل اللحم، وهم بعضهم أن يختصوا أو يسيحوا في الأرض، فقال رسول الله ﷺ: «أما أنا فأقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وآتي النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[1] ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ أي لا تفرطوا في التشديد على أنفسكم أكثر مما شرع لكم.

﴿وَكُلُوا﴾ أي تمتعوا بالمآكل الحلال وبالنساء وغير ذلك، وإنما خص الأكل بالذكر لأنه أعظم حاجات الإنسان.

﴿بِاللَّغْوِ﴾ تقدم في البقرة ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾ أي بما قصدتم عقده بالنية، وقرئ[2] عقدتم بالتخفيف وعاقدتم بالألف ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾ اشتراط المسكنة دليل على أنه لا يجزئ في الكفارة إطعام غني، فإن أطعمه جهلا لم يجزه على المشهور من المذهب، واشترط مالك أيضا أن يكونوا أحرارا مسلمين، وليس في الآية ما يدل على ذلك.

﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ اختلف في هذا التوسط هل هو في القدر أو في الصنف؟ واللفظ يحتمل الوجهين، فأما القدر: فقال مالك: يطعم بالمدينة مد بمد النبي ﷺ، وبغيرها وسط من الشبع، وقال الشافعي وابن القاسم: يجزئ المد في كل مكان، وقال أبو حنيفة: إن غداهم وعشاهم أجزأه.

وأما الصنف: فاختلف هل يطعم من عيش نفسه أو من عيش أهل بلده؟ فمعنى الآية على التأويل الثاني من أوسط ما تطعمون أيها الناس أهليكم على

---

(١) أخرجه البخاري بلفظ: «أما والله أني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» الحديث رقم: (٤٧٧٦)، ومسلم الحديث رقم: (١٤٠٤)، والنسائي رقم: (١٧٠)، وأخرجه الطبري في جامع البيان: ١٠/٥١٥.

(٢) ﴿عَقَّدتُّمْ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر ﴿عَقَدتُّمْ﴾ بالقصر والتخفيف، ورواه ابن ذكوان كذلك إلا أنه بالألف، وقرأ الباقون بالتشديد من غير ألف. النشر: ٢/٢٨٨..

الجملة، وعلى الأول يختص الخطاب بالمكفر.

﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ قال كثير من العلماء: يجزئ ثوب واحد لمسكين لأنه يقال فيه كسوة، وقال مالك: إنما يجزئ ما تصح به الصلاة، فللرجل ثوب واحد وللمرأة قميص وخمار.

﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ اشترط مالك فيها أن تكون مؤمنة لتقييدها بذلك في كفارة القتل، فحمل هذا المطلق على ذلك المقيد، وأجاز أبو حنيفة هنا عتق الكافرة لإطلاق اللفظ هنا، واشترط مالك أيضا أن تكون سليمة من العيوب، وليس في اللفظ ما يدل على ذلك ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ أي من لم يملك ما يعتق، ولا ما يطعم، ولا ما يكسو: فعليه صيام ثلاثة أيام، فالخصال الثلاث على التخيير، والصيام مرتب بعدها لمن عدمها، وهو عند مالك من لم يفضل عن قوته وقوت عياله في يومه زيادة.

﴿ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ معناه إذا حلفتم وحنثتم أو أردتم الحنث. واختلف: هل يجوز تقديم الكفارة على الحنث أم لا؟

﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ أي احفظوها فبروا فيها ولا تحنثوا، وقيل: احفظوها بأن تكفروها إن حنثتم، وقيل: احفظوها أي لا تنسوها تهاونا بها.

﴿الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ ذكر في البقرة ﴿وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ﴾ مذكوران في أول هذه السورة ﴿رِجْسٌ﴾ هو في اللغة كل مكروه مذموم، وقد يطلق بمعنى النجس وبمعنى الحرام، وقال ابن عباس هنا: رجس سخط[1].

﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ نص في التحريم، والضمير يعود على الرجس الذي هو خبر عن جميع الأشياء المذكورة.

---

(١) المحرر الوجيز: ٢/٢٧٢.

ثمن

• يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ﴾ تقبيح للخمر والميسر وذكر لبعض عيوبها وتعليل لتحريمها، وقد وقعت في زمان الصحابة عداوة بين أقوام بسبب شربهم لها قبل تحريمها، ويقال إن ذلك كان سبب نزول الآية(١) ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ توقيف يتضمن الزجر والوعيد، ولذلك قال عمر لما نزلت: انتهينا انتهينا(٢).

﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾ فيها تأويلان: أحدهما: أنه لما نزل تحريم الخمر قال قوم من الصحابة: كيف بمن مات منا وهو يشربها؟ فنزلت الآية(٣) معلمة أنه لا جناح على من شربها قبل التحريم؛ لأنه لم يعص الله بشربها حينئذ.

والآخر: أن المعنى رفع الجناح عن المؤمنين فيما طعموا من المطاعم إذا اجتنبوا الحرام منها، وعلى هذا أخذها عمر رضي الله عنه حين قال لقدامة(٤): «إنك إذا

---

(١) الطبري في جامع البيان: ١٠/١٢٥٢٢، والحاكم في المستدرك: ٤/١٤٢، والبيهقي في سننه: ٨/٢٨٥ قال الذهبي صحيح على شرط مسلم.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه الحديث رقم: (٣٦٧٠)، والترمذي في سننه رقم: (٣٠٤٩)، والنسائي: ٨/٢٨٦، والطبري في جامع البيان: ١٠/١٢٥١٢..

(٣) معناه في البخاري الحديث رقم: (٤٣٤٤)، ومسلم الحديث رقم: (١٩٨٠)، والترمذي الحديث رقم: (٣٠٥١)، والطبري في جامع البيان: ١٠/١٢٥٢٩، والواحدي في أسبابه، ص: ١٧٧.

(٤) هو قدامة بن مظعون بن حبيب الجمحي القرشي: صحابي، وال، من مهاجرة الحبشة. =

اتقيت الله اجتنبت ما حرم عليك، وكان قدامة قد شربها، واحتج بهذه الآية على رفع الجناح عنه، فقال عمر: أخطأت التأويل»[١].

﴿إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ﴾ الآية، قيل: كرر التقوى مبالغة، وقيل: الرتبة الأولى اتقاء الشرك، والثانية اتقاء المعاصي، والثالثة اتقاء ما لا بأس به حذرا مما به البأس، وقيل: الأولى للزمان الماضي والثانية للحال والثالثة للمستقبل ﴿وَّأَحْسَنُواْ﴾ يحتمل أن يريد الإحسان إلى الناس أو الإحسان في طاعة الله وهو المراقبة، وهذا أرجح؛ لأنه درجة فوق التقوى، ولذلك ذكره في المرة الثالثة وهي الغاية، ولذلك قالت الصوفية: المقامات ثلاثة: مقام الإسلام ثم مقام الإيمان، ثم مقام الإحسان.

﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾ أي يختبر طاعتكم من معصيتكم بما يظهر لكم من الصيد مع الإحرام وفي الحرم، وكان الصيد من معاش العرب ومستعملا عندهم فاختبروا بتركه كما اختبر بنو إسرائيل بالحوت في السبت، وإنما قلله في قوله بشيء من الصيد إشعارا بأنه ليس من الفتن العظام، وإنما هو من الأمور التي يمكن الصبر عنها ﴿تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ قال مجاهد[٢]: الذي تناله الأيدي الفراخ والبيض وما لا يستطيع أن يفر، والذي تناله الرماح كبار الصيد، والظاهر عدم هذا التخصيص ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ أي يعلمه علما تقوم به الحجة، وذلك إذا ظهر في الوجود ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾ أي بقتل الصيد وهو محرم والعذاب الأليم هنا في الآخرة.

﴿لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ معنى حرم داخلين في الإحرام أو في

= شهد بدرا وأحدا والخندق، وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، واستعمله عمر على البحرين، ثم عزله لشربه الخمر، وأقام عليه الحد في المدينة، ولم يحد في الخمر أحد من أهل بدر إلا قدامة. توفي سنة: ٣٦هـ وهو ابن ثمان وستين سنة. الاستيعاب: ٣٩٥/١، والأعلام: ١٩١/٥..

(١) صحيح، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ١٢٠٢/٤، وابن عطية في المحرر الوجيز: ٢٧٥/٢.

(٢) الطبري في جامع البيان: ١٢٥٤٠/١٠، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٢٠٣/٤بإسناد صحيح.

الحرم، والصيد هنا عام خصص منه الحديث: «الغراب، والحدأة، والفأرة، والعقرب، والكلب العقور»[١]، وأدخل مالك في الكلب العقور كل ما يؤذي الناس من السباع وغيرها، وقاس الشافعي على هذه الخمسة كل ما لا يؤكل لحمه، ولفظ الصيد يدخل فيه ما صيد وما لم يصد مما شأنه أن يصاد، وورد النهي هنا عن القتل قبل أن يصاد وبعد أن يصاد، وأما النهي عن الاصطياد فيؤخذ من قوله: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾.

﴿وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾ مفهوم الآية يقتضي أن جزاء الصيد على المتعمد لا على الناسي وبذلك قال أهل الظاهر، وقال جمهور الفقهاء: المتعمد والناسي سواء في وجوب الجزاء، ثم اختلفوا في تأويل قوله ﴿مُّتَعَمِّدًا﴾ على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المتعمد إنما ذكر ليناط به الوعيد الذي في قوله: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ إذ لا وعيد على الناسي.

والثاني: أن الجزاء على الناسي بالقياس على المتعمد.

والثالث: أن الجزاء على المتعمد ثبت بالقرآن، وأن الجزاء على الناسي ثبت بالسنة[٢].

﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ المعنى فعليه جزاء، وقرئ[٣] بإضافة جزاء

---

(١) خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن بالحرم، البخاري الحديث رقم: (١٨٢٩)، ومسلم الحديث رقم: (١١٩٨)، والموطأ الحديث رقم: (٧٨٩)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٨٣٧)، وغيرهم.

(٢) أورده ابن عطية في المحرر الوجيز: ٥/١٩١ قائلا، قال الزهري: نزل القرآن بالعمد، وجرت السنة في قتله خطئا أنهما يكفران، وقال بعض الناس: لا يلزم القاتل خطئا كفارة. وانظر المحلى: ٧/٢١٤.

(٣) ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ﴾ قرأ الكوفيون ويعقوب ﴿فجزاء﴾ بالتنوين ﴿مثل﴾ برفع اللام، وقرأ الباقون بغير تنوين وخفض اللام. النشر: ٢/٢٨٨.

إلى مثل، وهو من إضافة المصدر إلى المفعول به، وقيل: مثل زائدة كقولك: أنا أكرم مثلك أي أكرمك، وقرئ فجزاء بالتنوين ومثل بالرفع على البدل أو الصفة، والنعم: الإبل والبقر والغنم خاصة، ومعنى الآية عند مالك والشافعي أن من قتل صيدا وهو محرم أن عليه في الفدية ما يشبه ذلك الصيد في الخلقة والمنظر، ففي النعامة بدنة، وفي حمار الوحش بقرة، وفي الغزالة شاة، فالمثلية على هذا هي في الصورة والمقدار، فإن لم يكن له مثل أطعم أو صام، ومذهب أبي حنيفة أن المثل القيمة، يقوم الصيد المقتول ويخير القاتل بين أن يتصدق بالقيمة أو يشتري بالقيمة من النعم ما يهديه.

﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ﴾ هذه الآية تقتضي أن التحكيم شرط في إخراج الجزاء ولا خلاف في ذلك، فإن أخرج أحد الجزاء قبل الحكم عليه فعليه إعادته بالحكم إلا حمام مكة، فإنه لا يحتاج إلى حكمين قاله مالك، ويجب عند مالك التحكيم فيما حكمت فيه الصحابة وفيما لم يحكموا به لعموم لفظ الآية، وقال الشافعي: يكتفى في ذلك بما حكمت به الصحابة.

﴿هَدْيًۢا﴾ يقتضي ظاهره أن ما يخرج من النعم جزاء عن الصيد يجب أن يكون مما يجوز أن يهدى، وهو الجذع من الضأن والثني مما سواه، وقال الشافعي: يخرج المثل في اللحم ولا يشترط السن ﴿بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ لم يرد الكعبة بعينها وإنما أراد الحرم، ويقتضي أن يصنع بالجزاء ما يصنع بالهدي من سوقه من الحل إلى الحرم، وقال الشافعي وأبو حنيفة: إن اشتراه في الحرم أجزأه.

﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ عدد تعالى ما يجب في قتل المحرم للصيد، فذكر أولا الجزاء من النعم، ثم الطعام، ثم الصيام، ومذهب مالك والجمهور أنها على التخيير وهو الذي يقتضيه العطف بأو، ومذهب ابن عباس[١] أنها

(١) عن ابن عباس في قوله: ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ قال: «إذا أصاب المحرم الصيد وجب=

على الترتيب، ولم يبين الله هنا مقدار الطعام، فرأى العلماء أن يقدر الجزاء من النعم، إلا أنهم اختلفوا في كيفية التقدير، فقال مالك: يقدر الصيد المقتول نفسه بالطعام أو الدراهم، ثم تقوم الدراهم بالطعام فينظر كم يساوي من طعام أو من دراهم وهو حي، وقال بعض أصحاب مالك: يقدر الصيد بالطعام، أي يقال كم كان يشبع الصيد من نفس؟ ثم يخرج قدر شبعهم طعاما، وقال الشافعي: لا يقدر الصيد نفسه وإنما يقدر مثله، وهو الجزاء الواجب على القاتل له.

﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ تحتمل الإشارة بذلك أن تكون إلى الطعام وهو أحسن لأنه أقرب، أو إلى الصيد، واختلف في صفة تعديل الصيام بالطعام، فقال مالك: يصوم مكان كل مد يوما، وقال أبو حنيفة: مكان كل مدين يوما، وقيل: مكان كل صاع يوما، ولا يجب الجزاء ولا الإطعام ولا الصيام إلا بقتل الصيد لا بأخذه دون قتل، لقوله ﴿مَن قَتَلَهُۥ﴾ وفي كل وجه يشترط حكم الحكمين، وإنما لم يذكره الله في الصيام والطعام استغناء بذكره في الجزاء، ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾ الذوق هنا مستعار؛ لأن حقيقته بحاسة اللسان، والوبال سوء العاقبة وهو هنا ما لزمه من التكفير.

﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ أي عما فعلتم في الجاهلية من قتل الصيد في الحرم ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ أي من عاد إلى قتل الصيد وهو محرم بعد النهي عن ذلك فينتقم الله منه بوجوب الكفارة عليه، أو بعذابه في الآخرة.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ أحل الله بهذه الآية صيد البحر للحلال والمحرم، والصيد هنا المصيد، والبحر هو الماء الكثير سواء كان مالحا أو عذبا،

= عليه جزاؤه، فإن كان عنده جزاؤه ذبحه، وتصدق بلحمه، وإن لم يكن عنده جزاؤه قوم جزاؤه دراهم، ثم قومت الدراهم طعاما، فصام مكان كل نصف صاع يوما، وإنما أريد بالطعام الصيام، وأنه إذا وجد الطعام، وجد جزاؤه» ابن منصور في سننه: ٤/١٦٢٢، والطبري في جامع البيان: ١١/١٢٥٦٩، والمحلى لابن حزم بسند حسن.

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩٦) ● جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْيَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٩٧) ٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩٨) مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٩٩) قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ يَٰٓأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠٠) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْـَٔلُوا عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَٰفِرِينَ (١٠٢) مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٣)

ربع

كالبرك ونحوها، وطعامه هو ما يطفو على الماء وما قذف به البحر؛ لأن ذلك طعام وليس بصيد، قاله أبو بكر الصديق[١] وعمر بن الخطاب[٢]، وقال ابن عباس: طعامه ما ملح منه وبقي[٣] ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ الخطاب بلكم للحاضرين في البحر والسيارة المسافرون أي هو متاع تأتدمون به.

﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ الصيد هنا يحتمل أن يراد به المصدر أو الشيء المصيد أو كلاهما، فنشأ من هذا أن ما صاده المحرم فلا يحل له أكله بوجه، ونشأ الخلاف فيما صاد غيره، فإذا اصطاد حلال فقيل: يجوز للمحرم أكله، وقيل: لا يجوز، وقيل: لا يجوز إن اصطاده لمحرم، والأقوال الثلاثة مروية عن مالك، وإن اصطاد حرام لم يجز لغيره أكله عند مالك خلافا للشافعي.

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ أي أمرا يقوم للناس بالأمن والمنافع، وقيل: موضع قيام بالمناسك، ولفظ الناس هنا عام، وقيل: أراد العرب خاصة لأنهم الذين كانوا يعظمون الكعبة ﴿وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ يريد جنس الأشهر الحرم الأربعة؛ لأنهم كانوا يكفون فيها عن القتال ﴿وَٱلْهَدْيَ﴾ يريد أنه أمان لمن

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١١/١٢٦٨٦عن ابن عباس بسند ضعيف جدا.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه الحديث رقم: (١٦٢٨)، والطبري في جامع البيان: ١١/١٢٦٦٧ عن أبي هريرة بسند حسن.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١١/١٢٧٠٩ بسند ضعيف.

يسوقه؛ لأنه يعلم أنه في عبادة لم يأت لحرب.

﴿وَالْقَلَآئِدَ﴾ كان الرجل إذا خرج يريد الحج تقلد شيئا من السمر، وإذا رجع تقلد شيئا من أشجار الحرم ليعلم أنه كان في عبادة فلا يتعرض له أحد بشيء، فالقلائد هنا هو ما تقلده المحرم من الشجر، وقيل: أراد قلائد الهدي، قال سعيد ابن جبير[1]: جعل الله هذه الأمور للناس في الجاهلية وشددها في الإسلام.

﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا﴾ الإشارة إلى جعل هذه الأمور قياما للناس، والمعنى: جعل الله ذلك لتعلموا أن الله يعلم تفاصيل الأمور.

﴿لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ لفظ عام في جميع الأمور من المكاسب والأعمال والناس وغير ذلك.

﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ قيل: سببها[2] سؤال عبد الله بن حذافة من أبي؟ فقال له النبي ﷺ: أبوك حذافة، وقال آخر: أين أبي؟ قال: في النار[3] وقيل: سببها أن النبي ﷺ قال: «إن الله كتب عليكم الحج فحجوا، فقالوا يا رسول الله أفي كل عام؟ فسكت، فأعادوا، قال: لا، ولو قلت نعم لوجبت»[4] فعلى الأول تسؤكم بالإخبار بما لا يعجبكم، وعلى الثاني تسؤكم

---

(١) الطبري في جامع البيان: ١١/٩٢ بسند حسن.

(٢) صحيح من حديث أبي هريرة أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار: ٤/١١٢، والطبري في جامع البيان: ١١/١٢٨٠٢ قال ابن كثير في تفسيره: ٣/٢٥٦ عنه، إسناده حسن، وله شاهد من حديث أنس خرجه البخاري (٩٣)، ومسلم (٢٣٥٩)..

(٣) روى الطبري بسنده عن أبي هريرة، قال: خرج رسول الله ﷺ وهو غضبان محمارٌّ وجهه! حتى جلس على المنبر، فقام إليه رجل فقال: أين أبي؟ قال: في النار، فقام آخر فقال: من أبي؟ قال: أبوك حذافة! فقام عمر بن الخطاب فقال: رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا، وبالقرآن إمامًا، إنا يا رسول الله حديثو عهد بجاهلية وشِرْك، والله يعلمُ من آباؤنا! قال: فسكن غضبه، ونزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ (١٢٨٠٢)..

(٤) الترمذي الحديث رقم: (٨١٤)، وابن ماجه في سننه الحديث رقم: (٢٨٨٤)، والمسند الحديث رقم:=

بتكليف ما يشق عليكم، ويقوي هذا قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾ أي سكت عن ذكرها ولم يطالبكم بها، كقوله ﷺ: «**عفا الله عن الزكاة في الخيل**»[1] وقيل: إن معنى عفا الله عنها عفا عنكم فيما تقدم من سؤالكم فلا تعودوا إليه.

﴿وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ فيه معنى الوعيد على السؤال كأنه قال: لا تسألوا وإن سألتم أبدى لكم ما يسوؤكم، والمراد بحين ينزل القرآن زمان الوحي.

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ الضمير في سألها راجع إلى المسألة التي دل عليها ﴿لَا تَسْـَٔلُواْ﴾ وهي مصدر، ولذلك لم يتعدى بعن كما تعدى قوله ﴿وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا﴾ وذلك أن بني إسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم عن أشياء فإذا أمروا بها تركوها فهلكوا، فالكفر هنا عبارة عن ترك ما أمروا به.

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ لما سأل قوم عن هذه الأمور التي كانت في الجاهلية، هل تعظم لتعظيم الكعبة والهدي؟ أخبرهم الله أنه لم يجعل شيئا من ذلك لعباده، أي لم يشرعه لهم وإنما الكفار جعلوا ذلك.

فأما البحيرة: فهي فعيلة بمعنى مفعولة من بحر إذا شق، وذلك أن الناقة إذا أنتجت عشرة أبطن شقوا آذانها وتركوها ترعى ولا ينتفع بها.

وأما السائبة: فكان الرجل يقول إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة، وجعلها كالبحيرة في عدم الانتفاع بها.

= (٨٦٢)، والدارقطني: ٢٨٠/٨، والحاكم في المستدرك: ٢٩٣/٢، وجملة القول أن سبب النزول صحيح.

(١) لفظه عن علي مرفوعا «قد عفوت عن صدقة الخيل والرقيق، فهاتوا صدقة الرقة، من كل أربعين درهما درهم، وليس في تسعين ومائة شيء فإذا بلغت مائتين ففيها خمسة دراهم» الترمذي الحديث رقم: (٦٢٠)، وأبو داود الحديث رقم: (١٥٧٤)، وأحمد: ٩٢/١، وشرح السنة للبغوي: ٣٩٢/١، وهو حديث حسن...

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

ثمن

وأما الوصيلة: فكانوا إذا ولدت الناقة ذكرا وأنثى في بطن واحد، قالوا وصلت الناقة أخاها فلم يذبحوها.

وأما الحامي: فكانوا إذا نتج من صلب الجمل عشرة بطون قالوا: قد حمى ظهره، فلا يركب ولا يحمل عليه شيء.

﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ أي يكذبون عليه بتحريمهم ما لم يحرم الله ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الذين يفترون على الله الكذب هم الذين اخترعوا تحريم تلك الأشياء، والذين لا يعقلون: هم أتباعهم المقلدون لهم.

﴿قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ أي يكفينا دين آبائنا ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ قال الزمخشري: الواو واو الحال دخلت عليها همزة الإنكار، كأنه قيل: أحسبهم هذا وآباؤهم لا يعقلون، قال ابن عطية: ألف التوقيف دخلت على واو العطف، وقول الزمخشري أحسن في المعنى.

﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ قيل: إنها منسوخة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقيل: إنها خطاب للمسلمين من ذرية الذين حرموا البحيرة وأخواتها، كأنه يقول: لا يضركم ضلال أسلافكم إذا اهتديتم والقول الصحيح فيها ما ورد عن أبي ثعلبة الخشني أنه قال: «سألت عنها رسول الله ﷺ، فقال: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فإذا رأيتم شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك وذر

عوامهم»[١] ومثل ذلك قول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ليس هذا بزمان هذه الآية، قولوا الحق ما قبل منكم، فإذا رد عليكم فعليكم أنفسكم»[٢].

﴿شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ﴾ قال مكي: هذه الآية أشكل آية في القرآن: إعرابا، ومعنى، وحكما. ونحن نبين معناها على الجملة، ثم نبين أحكامها وإعرابها على التفصيل، وسببها[٣]: أن رجلين خرجا إلى الشام، وخرج معهما رجل آخر لتجارة، فمرض في الطريق فكتب كتابا قيد فيه كل ما معه وجعله في متاعه، وأوصى الرجلين أن يؤديا رحله إلى ورثته فمات فقدم الرجلان المدينة ودفعا رحله إلى ورثته فوجدوا فيه كتابه وفقدوا منه أشياء قد كتبها، فسألوهما فقالا لا ندري هذا الذي قبضناه، فرفعوهما إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاستحلفهما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبقي الأمر مدة، ثم عثر على إناء عظيم من فضة، فقيل: لمن وجد عنده من أين لك هذا؟ فقال: اشتريته من فلان وفلان يعني الرجلين، فارتفع الأمر في ذلك إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلين من أولياء الميت أن يحلفا فحلفا واستحقا، فمعنى الآية: إذا حضر الموت أحد في السفر فليشهد عدلين بما معه، فإن وقعت ريبة في شهادتهما حلفا أنهما ما كذبا ولا بدلا، فإن عثر بعد ذلك على أنهما كذبا أو خانا حلف رجلان من أولياء الميت، وغرم الشاهدان ما ظهر عليهما.

و﴿شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾ مرفوع بالابتداء وخبره اثنان، التقدير: شهادة بينكم شهادة اثنين أو مقيم شهادة بينكم اثنان، ﴿إِذَا حَضَرَ﴾ أي قارب الحضور، والعامل

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٠٥٨)، وأبو داود الحديث رقم: (٤٣٤١)، وابن ماجه الحديث رقم: (٤٠٤١)، وهو حديث ضعيف وله شواهد.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ١/١٩٩، والطبري في جامع البيان: ١١/١٢٨٤٨ بإسناد حسن.

(٣) وهو من حديث ابن عباس وتميم الداري، أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٢٧٨٠)، وأبو داود الحديث رقم: (٣٦٠٥)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٠٦٠)، والطبري في جامع البيان: ١١/١٢٩٦٦.

في إذ المصدر الذي هو شهادة، وهذا على أن يكون إذا بمنزلة حين لا تحتاج جوابا، ويجوز أن تكون شرطية وجوابها محذوف يدل عليه ما تقدم قبلها، فإن المعنى: إذا حضر أحدكم الموت فينبغي أن يشهد. ﴿حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ﴾ ظرف العامل فيه حضر، أو يكون بدلا من إذا. ﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾ صفة للشاهدين ﴿مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ قيل: معنى منكم: من عشيرتكم وأقاربكم، ومن غيركم: أي من غير العشيرة والقرابة، وقال الجمهور: منكم أي من المسلمين، ومن غيركم من الكفار إن لم يوجد مسلم، ثم اختلف على هذا: هل هي منسوخة بقوله: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ فلا تجوز شهادة الكفار أصلا؟ وهو قول مالك والشافعي والجمهور، أو هي محكمة، وأن شهادة الكفار جائزة على الوصية في السفر، وهو قول ابن عباس[1]. ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي سافرتم، وجواب إن محذوف يدل عليه ما تقدم قبلها، والمعنى: إن ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت فشهادة بينكم شهادة اثنين ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾ قال أبو علي الفارسي: هو صفة لآخران واعترض بين الصفة والموصوف بقوله ﴿إِنْ أَنتُمْ﴾ إلى قوله ﴿ٱلْمَوْتِ﴾ ليفيد أن العدول إلى آخرين من غير الملة إنما يجوز لضرورة الضرب في الأرض، وحلول الموت في السفر، وقال الزمخشري: تحبسونهما استئناف كلام.

﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ قال الجمهور: هي صلاة العصر فاللام للعهد لأنها وقت اجتماع الناس، وبعدها أمر النبي ﷺ بالأيمان، وقال: «من حلف على سلعة بعد صلاة العصر...»[2] وكان التحليف بعدها معروفا عندهم[3]، وقال ابن

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١١/١٨١.

(٢) لفظ الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم، رجل حلف على سلعة لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال رجل مسلم، ورجل منع فضل ماء، فيقول الله: اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك» البخاري الحديث رقم: (٢٣٦٩)، ومسلم الحديث رقم: (١٨)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٣٤٧٤)، وابن حبان: ١١/٢٧٣.

(٣) انظر المحرر الوجيز: ٢/٣٥٣.

عباس[١]: هي صلاة الكافرين في دينهما لأنهما لا يعظمان صلاة العصر.

﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ أي يحلفان، ومذهب الجمهور أن تحليف الشاهدين[٢] منسوخ، وقد استحلفهما علي بن أبي طالب وأبو موسى الأشعري[٣] ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ أي شككتم في صدقهما أو أمانتهما وهذه الكلمة اعتراض بين القسم والمقسوم عليه، وجواب إن محذوف يدل عليه يقسمان ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا﴾ هذا هو المقسوم عليه، والضمير في به للقسم وفي ﴿كَانَ﴾ للمقسم له أي لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا، أي لا نحلف بالله كاذبين لأجل المال ولو كان من نقسم له قريبا لنا، وهذا لأن عادة الناس الميل إلى أقاربهم. ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ أي الشهادة التي أمر الله بحفظها وأدائها وإضافتها إلى الله تعظيما لها.

﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ أي إن اطلع بعد ذلك على أنهما فعلا ما أوجب إثما، والإثم الكذب والخيانة، واستحقاقه الأهلية للوصف به ﴿فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ أي اثنان من أولياء الميت يقومان مقام الشاهدين في اليمين ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ أي من الذين استحق عليهم الإثم، أو المال، ومعناه: من الذين جني عليهم وهم أولياء الميت ﴿الْأَوْلَيَانِ﴾ تثنية أولى بمعنى أحق، أي الأحقان بالشهادة لمعرفتهما، أو الأحقان بالمال لقرابتهما، وهو مرفوع على أنه خبر ابتداء، تقديره: هما الأوليان، أو مبتدأ مؤخر تقديره: الأوليان آخران يقومان، أو بدل من الضمير في يقومان، ومنع الفارسي أن يسند استحق إلى الأوليان،

(١) الطبري في جامع البيان: ١١/١٧٥ بسند صحيح.

(٢) قال ابن حجر في الكافي الشافي: ١/٦٨٨ أما تحليف الشاهد فلم أجده، ولم يخرجه الزيلعي في تخريجه على الكشاف: ١/٤٢٩.

(٣) أبو داود الحديث رقم: (٣٦٠٥) قال الزيلعي: وهذا إسناد صحيح، وقال الألباني: في صحيح أبي داود صحيح الإسناد: ١/٦٨٧ إن كان الشعبي سمع من أبي موسى.

وأجازه ابن عطية[١]، وأما على قراءة استحق بفتح التاء والحاء على البناء للفاعل، فالأوليان فاعل باستحق، ومعنى استحق على هذا أخذ المال وجعل يده عليه، والأوليان على هذا هما الشاهدان اللذان ظهرت خيانتهما أي الأوليان بالتحليف والتعنيف والفضيحة، وقرئ[٢] الأولين جمع أول وهو مخفوض على الصفة للذين استحق عليهم، أو منصوب بإضمار فعل، ووصفهم بالأولية لتقدمهم على الأجانب في استحقاق المال، وفي صدق الشهادة. ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا﴾ أي يحلف هذان الآخران أن شهادتهما أحق أي أصح من شهادة الشاهدين الذين ظهرت خيانتهما ﴿إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي إن اعتدينا فإنا من الظالمين وذلك على وجه التبرئة، ومثله قول الأولين: ﴿إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا﴾ الإشارة بذلك إلى الحكم الذي وقع في هذه القضية، ومعنى أدنى أقرب، وعلى وجهها: أي كما وقعت من غير تغيير ولا تبديل، ﴿أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي يخافوا أن يحلف غيرهم بعدهم فيفتضحوا.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ هو يوم القيامة، وانتصب الظرف بفعل مضمر: أي ماذا أجابكم به الأمم من إيمان وكفر وطاعة ومعصية؟ والمقصود بهذا السؤال توبيخ من كفر من الأمم، وإقامة الحجة عليهم، وانتصب ﴿مَاذَا﴾ بأجبتم انتصاب مصدره، ولو أريد الجواب لقيل: بماذا أجبتم ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ إنما قالوا ذلك تأدبا مع الله، فوكلوا العلم إليه، قال ابن عباس[٣]: المعنى: لا علم لنا إلا ما

(١) المحرر الوجيز: ٢/٣٠٠.

(٢) ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ قرأ حمزة وخلف ويعقوب وأبو بكر الأولين بتشديد الواو وكسر اللام بعدها وفتح النون على الجمع، وقرأ الباقون بإسكان الواو وفتح اللام وكسر النون على التثنية. النشر: ٢/٢٨٩.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١١/٢١١، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٤/١٢٣٦ بإسناد حسن.

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٠﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١١﴾ • وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١٢﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٤﴾

ربع

علمتنا، وقيل: معناه علمنا ساقط في جنب علمك، ويقوي ذلك قولهم: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾؛ لأن من علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر، وقيل: ذهلوا عن الجواب لهول ذلك اليوم، وهذا بعيد؛ لأن الأنبياء في ذلك اليوم آمنون، وقيل: أرادوا بذلك توبيخ الكفار.

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ يحتمل أن يكون إذ بدل من ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ﴾ ويكون هذا القول يوم القيامة، أو يكون العامل في إذ مضمرا، ويحتمل على هذا أن يكون القول في الدنيا أو يوم القيامة، وإذا جعلناه يوم القيامة فقوله ﴿قَالَ﴾ بمعنى يقول وقد تقدم تفسير ألفاظ هذه الآية في آل عمران.

﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ الضمير المؤنث عائد على الكاف، لأنها صفة للهيئة، وكذلك الضمير في تكون، وكذلك الضمير المذكور في قوله في آل عمران ﴿فينفخ فيه﴾ عائد على الكاف أيضا لأنها بمعنى مثل، وإن شئت قلت هو في الموضعين عائد على الموصوف المحذوف الذي وصف بقوله ﴿كَهَيْئَةِ﴾ فتقديره في التأنيث صورة، وفي التذكير شخصا أو خلقا وشبه ذلك، وقيل: المؤنث يعود على الهيئة والمذكر يعود على الطير والطين، وهو بعيد في المعنى. ﴿بِإِذْنِي﴾ كرره مع كل معجزة ردا على من نسب الربوبية إلى عيسى. ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَآءِيلَ عَنكَ﴾ يعني اليهود، حين هموا بقتله فرفعه الله إليه.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ﴾ معطوف على ما قبله، فهو من جملة نعم الله على عيسى

والوحي هنا يحتمل أن يكون وحي إلهام أو وحي كلام. ﴿وَاشْهَدْ﴾ يحتمل أن يكون خطابا لله تعالى أو لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ نداؤهم له باسمه دليل على أنهم لم يكونوا يعظمونه كتعظيم المسلمين لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنهم كانوا لا ينادونه باسمه، وإنما يقولون يا رسول الله يا نبي الله، وقولهم ابن مريم دليل على أنهم كانوا يعتقدون فيه الاعتقاد الصحيح من نسبته إلى أم دون والد، بخلاف ما اعتقده النصارى. ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ ظاهر هذا اللفظ أنهم شكوا في قدرة الله تعالى على إنزال المائدة، وعلى هذا أخذه الزمخشري[١]، وقال: ما وصفهم الله بالإيمان ولكن حكى دعواهم في قولهم آمنا، وقال ابن عطية[٢] وغيره: ليس كذلك لأنهم شكوا في قدرة الله لكنه بمعنى هل يفعل ربك هذا؟ وهل يقع منه إجابة إليه؟ وهذا

(١) قال الزمخشري: فإن قلت: كيف قالوا: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ بعد إيمانهم وإخلاصهم؟ قلت: ما وصفهم الله بالإيمان والإخلاص، وإنما حكى ادعاءهم لهما ثم اتبعه قوله: ﴿إِذْ قَالَ﴾ فآذن أن دعواهم كانت باطلة، وأنهم كانوا شاكين، وقوله: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم، وكذلك قول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لهم، معناه: اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته، ولا تقترحوا عليه، ولا تتحكموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا إذا عصيتموه بعدها ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ إن كانت دعواكم للإيمان صحيحة. الكشاف: ١/٧٢٤.

(٢) قال ابن عطية: وقرأ جمهور الناس: هل يستطيع ربك، بالياء ورفع الباء من ربك، وهي قراءة السبعة حاشا الكسائي وهذا ليس لأنهم شكوا في قدرة الله على هذا الأمر كامنة بمعنى هل يفعل تعالى هذه وهل تقع منه إجابة إليه وهذا كما قال لعبد الله بن زيد هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتوضأ، فالمعنى: هل يخف عليك؟ وهل تفعله؟، أما إن في اللفظة بشاعة بسببها قال عيسى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ وبسببها مال فريق من الصحابة وغيرهم إلى غير هذه القراءة، فقرأ علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وابن عباس وعائشة وسعيد بن جبير: هل تستطيع ربك بالتاء ونصب الباء من ربك، المعنى: هل تستطيع أن تسأل ربك؟ قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كان الحواريون أعرف بالله من أن يقولوا: هل يستطيع ربك، قال القاضي أبو محمد: نزهتهم عائشة عن بشاعة اللفظ، وإلا فليس يلزمهم منه جهل بالله تعالى على ما قد تبين آنفا...) المحرر الوجيز: ٢/٣٠٦.

أرجح؟ لأن الله أثنى على الحواريين في مواضع من كتابه مع أن في اللفظ بشاعة تنكر، وقرئ تستطيع[1] بتاء الخطاب ربك بالنصب، أي هل تستطيع سؤال ربك، وهذه القراءة لا تقتضي أنهم شكوا وبها قرأت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقالت: كان الحواريون أعرف بربهم من أن يقولوا: هل يستطيع ربك[2]. ﴿أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ موضع أن مفعول بقوله يستطيع على القراءة بالياء، ومفعول بالمصدر وهو السؤال المقدر على القراءة بالتاء، والمائدة هي التي عليها طعام، فإن لم يكن عليها طعام فهي خوان ﴿قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فقوله لهم ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ يحتمل أن يكون زجرا عن طلب المائدة واقتراح الآيات، ويحتمل أن يكون زجرا عن الشك الذي يقتضيه قولهم: هل يستطيع ربك على مذهب الزمخشري، أو عن البشاعة التي في اللفظ وإن لم يكن فيه شك، وقوله ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ هو على ظاهره على مذهب الزمخشري، وأما على مذهب ابن عطية وغيره، فهو تقرير لهم كما تقول: افعل كذا إن كنت رجلا، ومعلوم أنه رجل، وقيل: إن هذه المقالة صدرت منهم في أول الأمر قبل أن يروا معجزات عيسى.

﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾ أي أكلا نتشرف به بين الناس، وليس مرادهم شهوة البطن. ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ أي نعاين الآية فيصير إيماننا بالضرورة والمشاهدة، فلا تعرض لنا الشكوك التي تعرض في الاستدلال. ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ ظاهره يقوي قول من قال إنهم إنما قالوا ذلك قبل تمكن إيمانهم، ويحتمل أن يكون المعنى نعلم علما ضروريا لا يحتمل الشك. ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ أي نشهد بها عند من لم يحضرها من الناس.

---

(١) ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ قرأ الكسائي ﴿تَسْتَطِيعُ﴾ بالخطاب ﴿رَبَّكَ﴾ بالنصب وهو على أصله في إدغام اللام في التاء، وقرأ الباقون بالغيب وبالرفع. النشر: ٢/٢٨٩..

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١١/٢١٩ من طريق أبي مليكة ومن طريق القاسم بن محمد وهو صحيح عن عائشة.

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيَ أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِّنَ الْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَآءِ﴾ أجابهم عيسى إلى سؤال المائدة من الله، وروي[1] أنه لبس جبة شعر، ورداء شعر، وقام يصلي ويدعو ويبكي. ﴿تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ قيل: نتخذ يوم نزولها عيدا يدور كل عام لأول الأمة ثم لمن بعدهم، وقال ابن عباس[2]: المعنى تكون مجتمعا لجميعنا أولنا وآخرنا في يوم نزولها خاصة لا عيدا يدور. ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾ أي علامة على صدقي.

﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ أجابهم الله إلى ما طلبوا ونزلت المائدة عليها سمك وخبز، وقيل: زيتون وتمر ورمان، وقال ابن عباس[3]: كان طعام المائدة ينزل عليهم حيثما نزلوا، وفي قصة المائدة قصص كثيرة غير صحيحة. ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيَ أُعَذِّبُهُ عَذَاباً﴾ عادة الله ﷻ عقاب من كفر بعد اقتراح آية فأعطيته، ولما كفر بعض هؤلاء مسخهم الله خنازير، قال عبد الله بن عمر: «أشد الناس عذابا يوم القيامة من كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون والمنافقون»[4].

---

(١) مروي عن سلمان أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ١٢٤٤/٤ بسند ضعيف. والسيوطي في الدر المنثور: ٢٣٢/٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره رقم: (٧٠٠٤)، وابن كثير في تفسيره: ٢٨٢/٣ بسند ضعيف.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢٢٩/١١، وضعفه أحمد شاكر في تعليقه على الطبري.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢٣٣/١١ بسند صحيح.

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس[1] والجمهور: هذا القول يكون من الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق ليرى الكفار تبرئة عيسى مما نسبوه إليه، ويعلمون أنهم كانوا على باطل، وقال السدي[2]: لما رفع الله عيسى إليه قالت النصارى ما قالت وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك فسأل الله حينئذ عن ذلك، فقال: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ الآية فعلى هذا يكون إذ قال ماضيا في معناه كما هو في لفظه، وعلى قول ابن عباس يكون بمعنى المستقبل. ﴿مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ نفي يعضده دليل العقل لأن المحدث لا يكون إلها. ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ اعتذار وبراءة من ذلك القول، ووكل العلم إلى الله لتظهر براءته لأن الله علم أنه لم يقل ذلك. ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ أي تعلم معلومي ولا أعلم معلومك ولكنه سلك باللفظ مسلك المشاكلة، فقال: ﴿فِي نَفْسِكَ﴾ مقابلة لقوله ﴿فِي نَفْسِي﴾ وبقية قوله تعظيم لله وإخبار بما قال للناس في الدنيا.

﴿أَنِ اعْبُدُوا﴾ أن حرف عبارة وتفسير أو مصدرية بدل من الضمير في به.

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فيها سؤالان:

الأول: كيف قال وإن تغفر لهم وهم كفار، والكفار لا يغفر لهم؟ والجواب: أن المعنى تسليم الأمر إلى الله وأنه إن عذب أو غفر فلا اعتراض عليه؛ لأن الخلق عباده والمالك يفعل في ملكه ما يشاء، ولا يلزم من هذا وقوع المغفرة للكفار، وإنما يقتضي جوازها في حكمة الله تعالى وعزته، وفرق بين الجواز والوقوع، وأما

(١) لم نجده مسندا من قول ابن عباس وإنما هو من قول قتادة أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ٢٠١/١، والطبري في جامع البيان: ٢٣٤/١١، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٢٥٣/٤، وهو بإسناد صحيح إلى قتادة.

(٢) الطبري: ٣٣٤/١١، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٢٥٣/٤، وهو بإسناد ضعيف.

على قول من قال إن هذا الخطاب لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين رفعه الله إلى السماء فلا إشكال؛ لأن المعنى إن تغفر لهم بالتوبة وكانوا حينئذ أحياء، وكل حي معرض للتوبة.

السؤال الثاني: ما مناسبة قوله: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ لقوله ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ والأليق مع ذكر المغفرة أن لو قيل فإنك أنت الغفور الرحيم؟ **والجواب** من ثلاثة أوجه:

الأول: يظهر لي أنه لما قصد التسليم لله والتعظيم له كان قوله ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أليق فإن الحكمة تقتضي التسليم له، والعزة تقتضي التعظيم له، فإن العزيز هو الذي يفعل ما يريد، ولا يغلبه غيره ولا يمتنع عليه شيء أراده، فاقتضى الكلام تفويض الأمر إلى الله في المغفرة لهم أو عدم المغفرة؛ لأنه قادر على كلا الأمرين لعزته وأيهما فعل فهو جميل لحكمته.

الجواب الثاني: قاله شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: إنما لم يقل الغفور الرحيم لئلا يكون في ذلك تعريض في طلب المغفرة لهم، فاقتصر على التسليم والتفويض دون الطلب، إذ لا تطلب المغفرة للكفار وهذا قريب من قولنا.

الثالث: حكى شيخنا الخطيب أبو عبد الله بن رشيد عن شيخه إمام البلغاء في وقته، حازم بن حازم أنه كان يقف على قوله: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾، ويجعل: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ..﴾ استئنافا، وجواب إن في قوله ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ كأنه قال: إن تعذبهم وإن تغفر لهم فإنهم عبادك على كل حال.

﴿هَٰذَا يَوْمَ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ عموم في جميع الصادقين وخصوصا في عيسى ابن مريم، فإن في ذلك إشارة إلى صدقه في الكلام الذي حكاه الله عنه، وقرأ غير نافع هذا يوم بالرفع[1] على الابتداء أو الخبر، وقرأ نافع بالنصب وفيه وجهان:

---

(١) ﴿هَٰذَا يَوْمَ﴾ قرأ نافع بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع. النشر: ٢/٢٨٩.

أحدهما: أن يكون يوم ظرف لقال، فعلى هذا لا تكون الجملة معمول القول وإنما معموله هذا خاصة، والمعنى: قال الله هذا القصص أو الخبر في يوم وهذا بعيد مزيل لرونق الكلام.

والآخر: أن يكون هذا مبتدأ ويوم في موضع خبره، والعامل فيه محذوف تقديره: هذا واقع يوم ينفع الصادقين صدقهم، ولا يجوز أن يكون يوم مبنيا على قراءة نافع لأنه أضيف إلى معرف، قاله الفارسي والزمخشري[١].

*** *** ***

(١) الكشاف: ١/٧٢٩.

سورة الأنعام آياتها ١٦٥ ترتيبها ٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۖ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾

سورة الأنعام

قال كعب[1]: أول الأنعام هو أول التوراة ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ جعل هنا بمعنى خلق، والظلمات: الليل، والنور النهار، والضوء الذي في الشمس والقمر وغيرهما، وإنما أفرد النور لأنه أراد الجنس، وفي الآية رد على المجوس في عبادتهم للنار وغيرها من الأنوار، وقولهم: إن الخير من النور والشر من الظلمة؛ فإن المخلوق لا يكون إلهاً ولا فاعلاً لشيء من الحوادث.

﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ أي يسوون ويمثلون من قولك: عدلت فلاناً بفلان، إذا جعلته نظيره وقرينه، ودخلت ثم لتدل على استبعاد أن يعدلوا بربهم بعد وضوح آياته في خلق السموات والأرض، والظلمات والنور وكذلك قوله: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ استبعاد لأن يمتروا فيه بعد ما ثبت أنه أحياهم وأماتهم، وفي ضمن ذلك تعجيب من فعلهم وتوبيخ لهم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هنا عام في كل مشرك. وقد يختص بالمجوس بدليل الظلمات والنور، وبعبدة الأصنام، لأنهم المجاورون للنبي ﷺ، وعليهم يقع الردّ في أكثر القرآن.

﴿خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ أي خلق أباكم آدم من طين ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ﴾ الأجل الأول الموت، والثاني يوم القيامة وجعله عنده: لأنه استأثر بعلمه، وقيل: الأوّل النوم، والثاني: الموت، ودخلت ثم هنا لترتيب الأخبار، لا لترتيب

(١) صحيح أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢٥٢/١١ عن كعب، بلفظ: فاتحة التوراة فاتحة الأنعام.

الوقوع لأن القضاء متقدم على الخلق.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ يتعلق في السموات بمعنى اسم الله فالمعنى كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ كما يقال: أمير المؤمنين الخليفة في المشرق والمغرب، ويحتمل أن يكون المجرور في موضع الخبر فيتعلق باسم فاعل محذوف، والمعنى على هذا قريب من الأول، وقيل: المعنى أنه في السموات والأرض بعلمه كقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ والأول أرجح وأفصح؛ لأن اسم الله جامع للصفات كلها من العلم، والقدرة، والحكمة، وغير ذلك فقد جمعها مع الإيجاز، ويترجح الثاني بأن سياق الكلام في اطلاع الله تعالى وعلمه لقوله بعدها: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ وقيل: يتعلق بمحذوف، تقديره: المعبود في السموات وفي الأرض، وهذا المحذوف صفة لله واسم الله على هذا القول وعلى الأول هو خبر المبتدإ، وأما إذا كان المجرور الخبر فاسم الله بدل من الضمير.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ من الأولى زائدة، والثانية للتبعيض، أو لبيان الجنس.

﴿بِالْحَقِّ﴾ يعني ما جاء به محمد ﷺ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ﴾ الآية وعيد بالعذاب والعقاب على استهزائهم.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ حض للكفار على الاعتبار بغيرهم، والقرن مائة سنة، وقيل: سبعون، وقيل: أربعون. ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الضمير عائد على القرن؛ لأنه في معنى الجماعة. ﴿مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ الخطاب لجميع أهل ذلك العصر من المؤمنين والكافرين. ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾ السماء هنا المطر والسحاب أو السماء حقيقة، ومدرارا بناء مبالغة وتكثير، من قولك: در المطر إذا غزر. ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ التقدير: فكفروا وعصوا فأهلكناهم وهذا

تهديد للكفار أن يصيبهم مثل ما أصاب هؤلاء على حال قوتهم وتمكينهم.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ﴾ الآية إخبار أنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم أوضح الآيات والمراد بقوله: ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ لو بالغوا في تمييزه وتقليبه ليرتفع الشك لعاندوا بذلك، يشبه أن يكون سبب هذه الآية، قول بعضهم للنبي ﷺ: لا أومن بك حتى تأتي بكتاب من السماء يأمرني بتصديقك، وما أراني مع هذا أصدقك[١].

﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ حكاية عن طلب بعض العرب، وروي[٢]: أن العاصي بن وائل والنضر بن الحارث وزمعة بن الأسود والأسود بن عبد يغوث قالوا للنبي ﷺ: يا محمد لو كان معك ملك.

﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ قال ابن عباس[٣]: المعنى لو أنزلنا ملكا فكفروا بعد ذلك لعجل لهم العذاب، ففي الكلام على هذا حذف، وقضي الأمر على هذا تعجيل أخذهم، وقيل: المعنى: لو أنزلنا ملكا لماتوا من هول رؤيته، فقضي الأمر على هذا: موتهم.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ أي لو جعلنا الرسول ملكا لكان في صورة رجل؛ لأنهم لا طاقة لهم على رؤية الملك في صورته. ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ أي لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم وعلى ضعفائهم؛ فإنهم إذا رأوا الملك في صورة إنسان قالوا هذا إنسان وليس بملك.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ الآية إخبار قصد به تسلية النبي ﷺ عما كان يلقى من قومه. ﴿فَحَاقَ﴾ أي أحاط بهم وفي هذا الإخبار تهديد للكفار.

---

(١) ضعيف ذكره الواحدي في أسباب النزول، ص: ١٨٠ عن الكلبي غير مسند.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٤/١٢٦٥ برواية فيها انقطاع.

(٣) الطبري في جامع البيان بلفظ قريب من هذا: ١١/٢٦٨ بسند ضعيف.

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

ربع

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية حض على الاعتبار بغيرهم إذا رأوا منازل الكفار الذين هلكوا قبلهم. ﴿ثُمَّ ٱنظُرُوا۟﴾ قال الزمخشري[1]: إن قلت أي فرق بين قوله: فانظروا وبين قوله: ثم انظروا؟ قلت: جعل النظر سببا عن السير في قوله: ﴿فَٱنظُرُوا۟﴾، كأنه قال: سيروا لأجل النظر، وأما قوله: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟﴾ فمعناه إباحة السير للتجارة وغيرها من المنافع، وإيجاب النظر في الهالكين رتبه على ذلك بثم، لتباعد ما بين الواجب والمباح.

﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ﴾ القصد بالآية إقامة البرهان على صحة التوحيد، وإبطال الشرك، وجاء ذلك بصفة الاستفهام لإقامة الحجة على الكفار، فسأل أولا لمن ما في السموات والأرض؟ ثم أجاب عن السؤال بقوله: قل لله؛ لأن الكفار يوافقون على ذلك بالضرورة، فيثبت بذلك أن الإله الحق هو الله الذي له ما في السموات والأرض، وإنما يحسن أن يكون السائل مجيبا عن سؤاله إذا علم أن خصمه لا يخالفه في الجواب الذي يقيم به الحجة عليه. ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ أي قضاها وتفسير ذلك بقول النبي ﷺ: «**إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق السموات والأرض، وفيه: إن رحمتي سبقت غضبي**»[2]، وفي رواية:

---

(١) الكشاف: ٢/١٠.

(٢) البخاري الحديث رقم: (٦٩٨٦)، وهو في مسلم بلفظ: إن رحمتي تغلب غضبي الحديث رقم: (٢٧٥١)، وابن حبان الحديث رقم: (٦١٤٣)، والمسند الحديث رقم: (٩١٤٨)، وابن ماجه الحديث رقم: (١٨٩).

«تغلب غضبي».

﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ مقطوع مما قبله وهو جواب لقسم محذوف، وقيل: هو تفسير الرحمة المذكورة، تقديره: أن يجمعكم وهذا ضعيف لدخول النون الثقيلة في غير موضعها، فإنها لا تدخل إلا في القسم، أو في غير الواجب. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ قيل: إلى هنا بمعنى في وهو ضعيف، والصحيح أنها للغاية على بابها. ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الذين مبتدأ وخبره فهم لا يؤمنون، ودخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط قاله الزجاج وهو حسن، وقال الزمخشري[1]: الذين نصب على الذم أو رفع بخبر ابتداء مضمر، وقيل: هو بدل من الضمير في ليجمعنكم وهو ضعيف، وقيل منادى وهو باطل.

﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ عطف على قوله: قل لله ومعنى سكن حل فهو من السكنى، وقيل: هو من السكون وهو ضعيف؛ لأن الأشياء منها ساكنة ومتحركة فلا يعم، والمقصود عموم ملكه تعالى لكل شيء.

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ إقامة حجة على الكفار ورد عليهم بصفات الله الكريم التي لا يشاركه غيره فيها. ﴿أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ أي من هذه الأمة؛ لأن النبي ﷺ سابق أمته إلى الإسلام. ﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾ في الكلام حذف تقديره: وقيل لي: ولا تكونن من المشركين، أو يكون معطوفا على معنى أمرت فلا حذف، وتقديره: أمرت بالإسلام ونهيت عن الإشراك.

﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ أي من يصرف عنه العذاب يوم القيامة فقد رحمه الله، وقرئ[2] يصرف بفتح الياء وفاعله الله. ﴿وَذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى صرف

---

(١) الكشاف: ١/٥٤٢.

(٢) ﴿مَّن يُصْرَفْ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب وأبو بكر ﴿يَصْرِفْ﴾ بفتح الياء وكسر الراء، وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الراء. النشر: ٢/٢٩٠.

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾

العذاب أو إلى الرحمة.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ معنى يمسسك يصبك، والضر مرض وغيره على العموم في جميع المضرات، والخير: العافية وغيرها على العموم أيضا، والآية برهان على الوحدانية لانفراد الله تعالى بالضر والخير، وكذلك ما بعد هذا من الأوصاف براهين ورد على المشركين.

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ سؤال يقتضي جوابا ينبني عليه المقصود، وفيه دليل على أن الله يقال عليه شيء ولكن ليس كمثله شيء.

﴿قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون الله مبتدءا وشهيد خبره.

والآخر: أن يكون تمام الجواب عند قوله: قل الله، بمعنى: أن الله أكبر شهادة، ثم يبتدئ على تقدير: هو شهيد بيني وبينكم، والأول أرجح؛ لعدم الإضمار، والثاني أرجح لمطابقة السؤال، فإن السؤال بمنزلة من يقول: من أكبر الناس؟ فيقال في الجواب: فلان، وتقديره: فلان أكبر الناس، والمقصود بالكلام استشهاد بالله الذي هو أكبر شهادة، على صدق رسول الله ﷺ، وشهادة الله بهذا هي علمه بصحة نبوءة سيدنا محمد ﷺ وإظهار معجزته الدالة على نبوءته.

﴿وَمَن بَلَغَ﴾ عطف على ضمير المفعول في لأنذركم والفاعل يبلغ ضمير

القرآن والمفعول محذوف يعود على من تقديره: ومن بلغه والمعنى أوحي إلي هذا القرآن لأنذر به المخاطبين وهم أهل مكة وأنذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم إلى يوم القيامة، قال سعيد ابن جبير[١]: من بلغه القرآن فكأنما رأى سيدنا محمدا ﷺ، وقيل المعنى: ومن بلغ الحلم وهو بعيد.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ﴾ الآية تقرير للمشركين على شركهم ثم تبرأ من ذلك بقوله: ﴿لَّآ أَشْهَدُ﴾ ثم شهد لله بالوحدانية، وروي[٢]: أنها نزلت بسبب قوم من الكفار أتوا رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد: ما تعلم مع الله إلها آخر.

﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾ تقدم في البقرة. ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الذين مبتدأ، وخبره فهم لا يؤمنون، وقيل: الذين نعت للذين آتيناهم الكتاب وهو فاسد؛ لأن الذين أوتوا الكتاب استشهد بهم هنا ليقيم الحجة على الكفار.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ لفظه استفهام، ومعناه: لا أحد أظلم. ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وذلك تنصل من الكذب على الله وإظهار لبراءة رسول الله ﷺ مما نسبوه إليه من الكذب، ويحتمل أن يريد بالافتراء على الله ما نسب إليه الكفار من الشركاء والأولاد. ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ أي علاماته وبراهينه.

﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ﴾ يقال لهم ذلك على وجه التوبيخ. ﴿تَزْعُمُونَ﴾ أي تزعمون أنهم آلهة فحذفه لدلالة المعنى عليه، والعامل في ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ محذوف.

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ الفتنة هنا تحتمل أن تكون بمعنى الكفر أي لم تكن عاقبة كفرهم إلا جحوده والتبرؤ منه، وقيل: فتنتهم معذرتهم وقيل: كلامهم،

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان عن محمد بن كعب القرظي: ١١/١٣١٢٠.

(٢) أخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام: ٢/٢١٧، والطبري في جامع البيان: ١١/٢٩٣، وهو ضعيف.

وقرئ[١] فتنتهم بالنصب على خبر كان واسمها أن قالوا، وقرئ: بالرفع على اسم كان وخبرها أن قالوا. ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ جحود لشركهم فإن قيل: كيف يجحدونه، وقد قال الله ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾؟ فالجواب: أن ذلك يختلف باختلاف طوائف الناس واختلاف المواطن، فيكتم قوم ويقر آخرون، ويكتمون في موطن ويقرون في موطن آخر؛ لأن يوم القيامة طويل، وقد قال ابن عباس[٢] لما سئل عن هذا السؤال: إنهم جحدوا طمعا في النجاة، فختم الله على أفواههم وتكلمت جوارحهم، فلا يكتمون الله حديثا.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ يَّسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ الضمير عائد على الكفار، وأفرد يستمع وهو فعل جماعة حملا على لفظ من. ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَّفْقَهُوهُ﴾ أكنة جمع كنان وهو الغطاء، وأن يفقهوه في موضع مفعول من أجله، تقديره: كراهة أن يفقهوه، ومعنى الآية: أن الله حال بينهم وبين فهم القرآن إذا استمعوه، وعبر بالأكنة والوقر مبالغة، وهي استعارة. ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي قصصهم وأخبارهم وهو جمع أسطار وأسطورة، قال السهيلي[٣]: حيثما ورد في القرآن أساطير الأولين فإن قائلها هو النضر بن الحارث، وكان قد دخل بلاد فارس وتعلم أخبار ملوكهم، فكان يقول: حديثي أحسن من حديث محمد.

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ هم عائد على الكفار، والضمير في عنه يعود على القرآن، والمعنى: وهم ينهون الناس عن الإيمان به وينأون هم عنه أي يبعدون، والنأي هو البعد، وقيل: الضمير في عنه يعود على النبي ﷺ، ومعنى ينهون عنه: ينهون الناس عن إذايته، وهم مع ذلك يبعدون عنه، والمراد بالآية على هذا أبو طالب ومن كان معه يحمي النبي ﷺ ولا يسلم، وفي

---

(١) ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر وحفص برفع التاء، وقرأ الباقون بالنصب. النشر: ٢/٢٩٠.

(٢) المحرر الوجيز: ٢/٣٢٧.

(٣) انظر البحر المديد لابن عجيبة: ٢/٣٤٤.

بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

قوله: ﴿يَنْهَوْنَ﴾ ﴿وَيَنْـَٔوْنَ﴾ ضرب من ضروب التجنيس.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ جواب لو محذوف هنا، وفي قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ وإنما حذف ليكون أبلغ مما يقدره السامع أي لو ترى لرأيت أمرا شنيعا هائلا، ومعنى وقفوا حبسوا قاله ابن عطية، ويحتمل أن يريد بذلك إذا دخلوا النار وإذا عاينوها وأشرفوا عليها، ووضع إذ موضع إذا لتحقق وقوع الفعل حتى كأنه ماض. ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ﴾ قرئ[1] برفع نكذب ونكون على الاستئناف والقطع على التمني، ومثله سيبويه بقولك: دعني ولا أعود، أي وأنا لا أعود، ويحتمل أن يكون حالا تقديره: نرد غير مكذبين، أو عطف على نرد وقرئ: بالنصب بإضمار أن بعد الواو في جواب التمني.

﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ المعنى: ظهر لهم يوم القيامة في صحائفهم ما كانوا يخفون في الدنيا من عيوبهم وقبائحهم، وقيل: هي في أهل الكتاب أي بدا لهم ما كانوا يخفون من أمر محمد ﷺ، وقيل: هي في المنافقين أي بدا لهم ما كانوا يخفون من الكفر، وهذان القولان بعيدان، فإن الكلام من أوله ليس في حق المنافقين ولا أهل الكتاب، وقيل: إن الكفار كانوا إذا وعظهم النبي ﷺ خافوا، وأخفوا ذلك الخوف لئلا يشعر بها أتباعهم فظهر لهم ذلك

(١) ﴿وَلَا نُكَذِّبَ، وَنَكُونَ﴾ قرأ حمزة ويعقوب وحفص بنصب الباء والنون فيهما، وافقهم ابن عامر في ﴿وَنَكُونَ﴾ وقرأ الباقون بالرفع فيهما. النشر: ٢/٢٩٠.

يوم القيامة. ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ﴾ إخبار بأمر لا يكون لو كان كيف كان يكون، وذلك مما انفرد الله بعلمه ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ يعني في قولهم ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ولا يصح أن يرجع إلى قولهم: يا ليتنا نرد؛ لأن التمني لا يحتمل الصدق ولا الكذب.

﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ حكاية عن قولهم في إنكار البعث الأخروي.

﴿قَالَ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾ تقرير لهم وتوبيخ.

﴿قَالُواْ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ الضمير فيها للحياة الدنيا لأن المعنى يقتضي ذلك وإن لم يجر لها ذكر، وقيل: الساعة أي فرطنا في شأنها والاستعداد لها والأول أظهر. ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ كناية عن تحمل الذنوب وقال على ظهورهم؛ لأن العادة حمل الأثقال على الظهور، وقيل: إنهم يحملونها على ظهورهم حقيقة، وروي[1] في ذلك أن الكافر يركبه عمله، بعد أن يتمثل له في أقبح صورة، وأن المؤمن يركب عمله، بعد أن يتصور له في أحسن صورة. ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ إخبار عن سوء ما يفعلون من الأوزار.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ قرأ نافع[2] يحزن حيث وقع بضم الياء من أحزن إلى قوله لا يحزنهم الفزع الأكبر، وقرأ الباقون بفتح الياء من حزن الثلاثي وهو أشهر في اللغة، والذي يقولون قولهم: إنه ساحر، شاعر، كاهن.

---

(١) روي عن السدي وعمرو بن قيس بإسناد حسن، أخرجه الطبري في جامع البيان: ١١/٣٢٨، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم: (٧٢٢٩).

(٢) قال محمد بن الجزري: واختلفوا في: ﴿يُحْزِنكَ﴾، و﴿يَحْزُنُهُمْ﴾، و﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ﴾، و﴿لَيَحْزُنُنِىٓ﴾ حيث وقع فقرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي من كله إلا حرف الأنبياء ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ﴾ فقرأ أبو جعفر فيه وحده بضم الياء وكسر الزاي وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الزاي في الجميع وكذلك أبو جعفر في غير الأنبياء ونافع في الأنبياء. النشر: ٢/٢٧٩.

﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ من قرأ بالتشديد[١]، فالمعنى لا يكذبونك معتقدين لكذبك، وإنما هم يجحدون بالحق مع علمهم به، ومن قرأ بالتخفيف، فقيل: معناه لا يجدونك كاذبا، يقال أكذبت فلانا إذا وجدته كاذبا، كما يقال أحمدته إذا وجدته محمودا، وقيل: هي بمعنى التشديد، يقال كذب فلان فلانا وأكذبه بمعنى واحد وهو الأظهر لقوله بعد هذا يجحدون، ويؤيد هذا ما روي أنها نزلت[٢] في أبي جهل، فإنه قال لرسول الله ﷺ: إنا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به، وأنه قال للأخنس بن شريق: والله إن محمدا لصادق ولكني أحسده على الشرف[٣].

﴿وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ أي ولكنهم ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أنهم ظلموا في جحودهم.

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ الآية تسلية للنبي ﷺ وحض له على الصبر ووعد له بالنصر. ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ أي لمواعيده لرسله، كقوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ﴾ وفي هذا تقوية للوعد. ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ أي من أخبارهم ويعني بذلك صبرهم ثم نصرهم، وهذا أيضا تقوية للوعد والحض على الصبر، وفاعل جاءك محذوف تقديره: نبأ أو خبر، وقيل: هو المجرور.

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ الآية مقصودها حمل النبي ﷺ على الصبر، والتسليم لما أراد الله بعباده من إيمان أو كفر، فإنه ﷺ كان شديد الحرص على إيمانهم فقيل له: إن استطعت أن تدخل في الأرض أو تصعد إلى السماء فتأتيهم بآية يؤمنون بسببها: فافعل، وأنت لا تقدر على ذلك، فاستسلم

---

(١) ﴿يُكَذِّبُونَكَ﴾ قرأ نافع والكسائي بالتخفيف، وقرأ الباقون التشديد. النشر: ٢/٢٩١.

(٢) أخرجه الترمذي الحديث رقم: (٣٠٦٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٤/١٢٨٢ بسند ضعيف.

(٣) حسن من أثر السدي أخرجه الطبري في جامع البيان: ١١/١٣١٩٣، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٤/١٢٨٣، والدر المنثور: ٣/٢٦٤.

حزب

• إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾

لأمر الله، والنفق في الأرض معناه: منفذ تنفذ فيه إلى ما تحت الأرض، وحذف جواب إن لفهم المعنى.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ حجة لأهل السنة على القدرية. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ أي من الذين يجهلون أن الله لو شاء لجمعهم على الهدى.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ المعنى: إنما يستجيب لك الذين يسمعون فيفهمون ويعقلون. ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ فيه ثلاث تأويلات:

أحدها: أن الموتى عبارة عن الكفار بموت قلوبهم، والبعث يراد به الحشر يوم القيامة، فالمعنى: أن الكفار في الدنيا كالموتى في قلة سمعهم وعدم فهمهم، فيبعثهم الله في الآخرة، وحينئذ يسمعون. والآخر: أن الموتى عبارة عن الكفار والبعث عبارة عن هدايتهم للفهم والسماع.

والثالث: أن الموتى على حقيقته والبعث على حقيقته فهو إخبار عن بعث الموتى يوم القيامة.

﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ الضمير في قالوا للكفار، ولولا عرض، والمعنى: أنهم طلبوا أن يأتي النبي ﷺ بآية على نبوءته.

فإن قيل: فقد أتى بآية ومعجزات كثيرة فلم طلبوا آية؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنهم لم يعتدوا بما أتى به فكأنه لم يأت بشيء عندهم؛ لعنادهم وجحدهم.

والآخر: أنهم إنما طلبوا آية تضطرهم إلى الإيمان من غير نظر ولا تفكر.

﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ جواب على قولهم وقد حكي هذا القول عنهم في مواضع من القرآن وأجابوا عنه بأجوبة مختلفة.

منها: ما يقتضي الرد عليهم في طلبهم الآيات فإنه قد أتاهم بآيات وتحصيل الحاصل لا ينبغي كقوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ﴾ وكقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾.

ومنها: ما يقتضي الإعراض عنهم لأن الخصم إذا تبين عناده سقطت مكالمته، ويحتمل أن يكون من هذا قوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ ويحتمل أيضا أن يكون معناه قادر على أن ينزل آية تضطرهم إلى الإيمان. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حذف مفعول يعلمون وهو يحتمل وجهين:

أحدهما: لا يعلمون أن الله قادر

والآخر: لا يعلمون أن الله إنما منع الآيات التي تضطر إلى الإيمان لمصالح العباد؛ فإنهم لو رأوها ولم يؤمنوا لعوجلوا بالعذاب.

﴿بِجَنَاحَيْهِ﴾ تأكيد وبيان وإزالة للاستعارة المتعاهدة في هذه اللفظة، فقد يقال: طائر السعد والنحس. ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ أي في الخلق والرزق والحياة والموت وغير ذلك، ومناسبة ذكر هذا لما قبله من وجهين:

أحدهما: أنه تنبيه على مخلوقات الله تعالى، فكأنه يقول: تفكروا في آياته أي مخلوقاته، ولا تطلبوا غير ذلك من الآيات.

والآخر: تنبيه على البعث، كأنه يقول: جميع الدواب والطير يحشر يوم القيامة كما تحشرون أنتم، وهو أظهر لقوله بعده: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾. ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ أي ما أغفلنا، والكتاب هنا: اللوح المحفوظ، والكلام

على هذا عام، وقيل: هو القرآن، والكلام على هذا خاص، أي ما فرطنا فيه من شيء فيه هدايتكم والبيان لكم. ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ أي تبعث الدواب والطيور يوم القيامة للجزاء والفصل بينها.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ الآية، لما ذكر قدرته على بعث الخلق كلهم أتبعه بأن وصف من كذب بذلك بالصمم والبكم وقوله: ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ يقوم مقام الوصف بالعمى.

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ﴾ معناه أخبروني والضمير الثاني للخطاب ولا محل له من الإعراب، وجواب الشرط محذوف تقديره: إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة من تدعون؟ ثم وقفهم على أنهم لا يدعون حينئذ إلا الله، ولا يدعون آلهتهم والآية احتجاج عليهم، وإثبات للتوحيد، وإبطال للشرك.

﴿إِن شَاءَ﴾ استثناء، أي يكشف ما نزل بكم إن أراد، ويصيبكم به إن أراد. ﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ يحتمل أن يكون من النسيان أو الترك.

﴿فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ كان ذلك على وجه التخفيف والتأديب.

﴿فَلَوْلَا﴾ هنا عرض وتحضيض، وفيه دليل على نفع التضرع حين الشدائد.

﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ الآية، أي لما تركوا الاتعاظ بما ذكروا به من الشدائد فتح عليهم أبواب الرزق والنعم ليشكروا عليها فلم يشكروا، فأخذهم الله. ﴿مُّبْلِسُونَ﴾ آيسون من الخير.

﴿دَابِرُ الْقَوْمِ﴾ أي آخرهم، وذلك عبارة عن استئصالهم بالكلية. ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ شكر على هلاك الكفار، فإنه نعمة على المؤمنين، وقيل: إنه على ما تقدم من ملاطفة في أخذه لهم بالشر ليزدجروا، أو بالخير ليشكروا حتى وجب عليهم العذاب بعد الإنذار والإعذار.

فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ ۞ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾

ثمن

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ الآية احتجاج على الكفار أيضا. ﴿يَأْتِيكُم بِهِ﴾ الضمير عائد على المأخوذ. ﴿يَصْدِفُونَ﴾ أي يعرضون.

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ﴾ الآية وعيد وتهديد، والبغتة ما لم يتقدم لهم شعور به، والجهرة: ما بدت لهم مخايله، وقيل: بغتة بالليل، وجهرة بالنهار.

﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللَّهِ﴾ الآية أي لا أدعي شيئا ينكر، ولا يستبعد، إنما أنا نبيء رسول، كما كان غيري من الرسل. ﴿الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ مثال للضال والمهتدي.

﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ الضمير في به يعود على ما يوحى، والإنذار عام لجميع الناس، وإنما خصص هنا بالذين يخافون لأنه قد تقدم في الكلام ما يقتضي اليأس من إيمان غيرهم فكأنه يقول: أنذر الخائفين لأنه ينفعهم الإنذار، وأعرض عمن تقدم ذكره من الذين لا يسمعون ولا يعقلون. ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ﴾ في موضع الحال من الضمير في يحشروا، أو استئناف إخبار. ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يتعلق بأنذر.

﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ الآية نزلت[1] في ضعفاء المؤمنين: كبلال،

---

(١) في صحيح مسلم: عَنْ سَعْدٍ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ اطْرُدْ هَؤُلاَءِ لاَ يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا، قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ، وَبِلاَلٌ، وَرَجُلاَنِ، لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقَعَ،=

وعمار ابن ياسر، وعبد الله بن مسعود، وخباب، وصهيب، وأمثالهم، وكان بعض المشركين من قريش قد قالوا للنبي ﷺ: لا يمكننا أن نختلط مع هؤلاء لشرفنا، فلو طردتهم لاتبعناك فنزلت هذه الآية. ﴿بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ﴾ قيل: هي الصلاة بمكة قبل فرض الخمس، وكانت غدوة وعشية، وقيل: هي عبارة عن دوام الفعل، ويدعون هنا من الدعاء وذكر الله، أو بمعنى العبادة. ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ إخبار عن إخلاصهم لله، وفيه تزكية لهم. ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ الآية قيل: الضمير في حسابهم للذين يدعون، وقيل: للمشركين، والمعنى على هذا: لا تحاسب عنهم، ولا يحاسبون عنك، فلا تهتم بأمرهم حتى تطرد هؤلاء من أجلهم، والأول أرجح لقوله: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وقوله: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾ والمعنى على هذا: أن الله هو الذي يحاسبهم فلأي شيء تطردهم؟. ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ هذا جواب النفي في قوله: ما عليك. ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ هذا جواب النهي في قوله: ولا تطرد، أو عطف على فتطردهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي ابتلينا الكفار بالمؤمنين، وذلك أن الكفار كانوا يقولون: أهؤلاء العبيد والفقراء من الله عليهم بالتوفيق للحق والسعادة دوننا، ونحن أشراف أغنياء، وكان هذا الكلام منهم على جهة الاستبعاد لذلك. ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ رد على الكفار في قولهم المتقدم.

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ هم الذين نهي النبي ﷺ عن طردهم أمر بأن يسلم عليهم إكراما لهم[(١)] وأن يؤنسهم بما بعد هذا. ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ أي حتمها، وفي الصحيح إن الله كتب كتابا

= فَحَدَّثَ نَفْسَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ : ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ مسلم الحديث رقم: (٢٤١٣)، والنسائي في تفسيره (١٨٣)، وابن ماجه في سننه الحديث رقم: (٤١٢٨)، والطبري في جامع البيان: ١١/١٣٢٦٣، والمستدرك: ٣/٣١٩.

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول، ص: ١٨٤ مرسلا من قول عكرمة بدون إسناد.

وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾

ربع

۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

فهو عنده فوق العرش «إن رحمتي سبقت غضبي»[١]. ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًا﴾ الآية وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وأصلح وهو خطاب للقوم المذكورين قبل وحكمه عام فيهم وفي غيرهم، والجهالة قد ذكرت في النساء، وقيل: نزلت بسبب أن عمر بن الخطاب[٢] أشار على رسول الله ﷺ أن يطرد الضعفاء عسى أن يسلم الكفار، فلما نزلت لا تطرد ندم عمر على قوله وتاب منه، فنزلت الآية، وقرئ[٣] أنه بالفتح على البدل من الرحمة، وبالكسر على الاستئناف، وكذلك فإنه غفور رحيم بالكسر على الاستئناف، وبالفتح خبر ابتداء مضمر، تقديره: فأمره أنه غفور رحيم، وقيل: تكرار للأولى لطول الكلام.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ﴾ الإشارة إلى ما تقدم من النهي عن الطرد وغير ذلك، وتفصيل الآيات شرحها وبيانها. ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ بتاء الخطاب ونصب السبيل على أنه مفعول به، وقرئ بتاء التأنيث[٤] ورفع السبيل على أنه فاعل

(١) صحيح، تقدم تخريجه.

(٢) ضعيف وهو أثر عن عكرمة أخرجه الطبري في جامع البيان: ١١/١٣٢٦٤.

(٣) واختلفوا في ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ﴾، ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب بفتح الهمزة فيهما، ووافقهم المدنيان في الأولى، وقرأ الباقون بالكسر فيهما. النشر: ٢/٢٩١.

(٤) قال ابن الجزري: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر بالياء على التذكير، وقرأ الباقون بالتاء على التأنيث، أو الخطاب. و﴿سَبِيلَ﴾ قرأ المدنيان بنصب اللام، وقرأ الباقون بالرفع. المصدر السابق.

مؤنث بالياء، والرفع على تذكير السبيل لأنه يجوز فيه التذكير والتأنيث.

﴿ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ﴾ أي تعبدون. ﴿قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا﴾ أي إن اتبعت أهواءكم ضللت.

﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٖ﴾ أي على أمر بين من معرفة ربي، والهاء في بينة للمبالغة أو للتأنيث. ﴿وَكَذَّبۡتُم بِهِۦ﴾ الضمير عائد على الرب أو على البينة. ﴿مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ أي العذاب الذي طلبوه في قولهم: ﴿فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ وقيل: الآيات التي اقترحوها، والأول أظهر. ﴿يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ﴾ من القصص، وقرئ[1] يقضي بالضاد المعجمة من القضاء وهو أرجح، لقوله: ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ﴾ أي الحاكمين.

﴿قُل لَّوۡ أَنَّ عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ أي لو كان عندي العذاب على التأويل الأول، والآيات المقترحة على التأويل الآخر، لوقع الانفصال وزال النزاع لنزول العذاب، أو لظهور الآيات.

﴿مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ استعارة وعبارة عن التوصل إلى الغيب كما يتوصل بالمفاتح إلى ما في الخزائن، وهو جمع مفتح بكسر الميم بمعنى مفتاح، ويحتمل أن يكون جمع مفتح بالفتح وهو المخزون. ﴿وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ﴾ تنبيه بها على غيرها، لأنها أشد تغييبا من كل شيء. ﴿فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ اللوح المحفوظ، وقيل: علم الله.

﴿يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ أي إذا نمتم وفي ذلك اعتبار واستدلال على البعث الأخروي. ﴿مَا جَرَحۡتُم﴾ أي ما كسبتم من الأعمال. ﴿يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ﴾ أي يوقظكم

---

(١) قال ابن الجزري: واختلفوا في ﴿يقض الحق﴾ فقرأ المدنيان وابن كثير وعاصم ﴿يقص﴾ بالصاد مهملة مشددة من القصص وقرأ الباقون بإسكان القاف وكسر الضاد معجمة من القضاء، ويعقوب على أصله في الوقف بالياء كما تقدم في بابه. النشر: ٢/٢٩٢.

وهو الذي يتوفىكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون ﴿٦٠﴾ وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جا أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴿٦١﴾ ثم ردوا إلى الله مولىهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين ﴿٦٢﴾ قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لين أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ﴿٦٣﴾ قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون ﴿٦٤﴾ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون ﴿٦٥﴾ وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل ﴿٦٦﴾ لكل نبإ مستقر وسوف تعلمون ﴿٦٧﴾ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴿٦٨﴾

من النوم، والضمير عائد على النهار؛ لأن غالب اليقظة فيه، وغالب النوم بالليل. ﴿أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أجل الموت.

﴿حَفَظَةً﴾ جمع حافظ وهم الملائكة الكاتبون. ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ أي الملائكة الذين مع ملك الموت.

﴿ثُمَّ رُدُّوا﴾ خروج من الخطاب إلى الغيبة والضمير لجميع الخلق.

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُم﴾ الآية إقامة حجة، وظلمات البر والبحر عبارة عن شدائدهما وأهوالهما كما يقال لليوم الشديد مظلم.

﴿عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قيل: الذي من فوق إمطار الحجارة، ومن تحت الخسف، وقيل: من فوقكم تسليط أكابركم، ومن تحت أرجلكم تسليط سفلتكم، وهذا بعيد. ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً﴾ أي يخلطكم فرقا مختلفين. ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ بالقتال، واختلف: هل الخطاب بهذه الآية للكفار، أو للمؤمنين؟ وروي: أنه لما نزلت ﴿أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**أعوذ بوجهك**» فلما نزلت ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: «**أعوذ بوجهك**»، فلما نزلت ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً﴾ قال النبي ﷺ: «**هذا أهون، فقضى الله على هذه الأمة بالفتن والقتال، إلى يوم القيامة**»[1]

---

(١) البخاري في صحيحه كتاب الاعتصام، باب قوله تعالى: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً﴾ الحديث رقم:=

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ • وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ﴿٧٣﴾ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٤﴾

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ﴾ الضمير عائد على القرآن، أو على الوعيد المتقدم، وقومك هم قريش ﴿لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ أي بحفيظ ومتسلط، وفي ذلك متاركة نسخها القتال. ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ أي في غاية يعرف عندها صدق من كذبه.

﴿يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ في الاستهزاء بها والطعن فيها. ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي قم ولا تجالسهم. ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ إما مركبة من إن الشرطية وما الزائدة، والمعنى: إن أنساك الشيطان النهي عن مجالستهم فلا تقعد بعد أن تذكر النهي.

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ الذين يتقون هم المؤمنون، والضمير في حسابهم للكفار والمستهزئين، والمعنى: ليس على المؤمنين شيء من حساب الكفار على استهزائهم وضلالهم، وقيل: إن ذلك يقتضي إباحة جلوس المؤمنين مع الكافرين؛ لأنهم شق عليهم النهي عن ذلك، إذ كانوا لا بد لهم من مخالطتهم في طلب المعاش، وفي الطواف بالبيت، وغير ذلك، ثم نسخت بآية النساء، وهي: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ الآية، وقيل: إنها لا تقتضي إباحة القعود. ﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ فيه وجهان:

= (٤٣٢٥)، وفي رواية: هاتان أهون أو أيسر، والترمذي الحديث رقم: (٣٠٦٥)، والمسند الحديث رقم: (١٤٦٦)، وصحيح ابن حبان الحديث رقم: (٧٢٢٠)، والطبري في جامع البيان: ١١/١٣٣٦٥.

أحدهما: أن المعنى ليس على المؤمنين حساب الكفار ولكن عليهم تذكير لهم ووعظ، وإعراب ذكرى على هذا نصب على المصدر تقديره: يذكرونهم ذكرى، أو رفع على المبتدإ تقديره: عليهم ذكرى، والضمير في لعلهم عائد على الكفار، أي يذكرونهم رجاء أن يتقوا، أو عائد على المؤمنين أي يذكرونهم ليكون تذكيرهم ووعظهم تقوى الله.

الوجه الثاني: أن المعنى ليس نهى المؤمنين عن القعود مع الكافرين بسبب أن عليهم من حسابهم شيء، وإنما هو ذكرى للمؤمنين، وإعراب ذكرى على هذا خبر ابتداء مضمر، تقديره: ولكن نهيهم ذكرى أو مفعول من أجله، تقديره: إنما نهوا ذكرى والضمير في لعلهم على هذا للمؤمنين لا غير.

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ﴾ قيل: إنها متاركة منسوخة بالسيف، وقيل: بل هي تهديد فلا متاركة ولا نسخ فيها. ﴿ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً﴾ أي اتخذوا الدين الذي كان ينبغي لهم لعبا ولهوا؛ لأنهم سخروا منه، واتخذوا الدين الذي يعتقدونه لعبا ولهوا؛ لأنهم لا يؤمنون بالبعث، فهم يلعبون ويلهون. ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦ﴾ الضمير عائد على الدين أو على القرآن. ﴿أَن تُبْسَلَ﴾ قيل: معناه أن تحبس، وقيل: تفضح، وقيل: تهلك، وهو في موضع مفعول من أجله أي ذكر به كراهة أن تبسل نفس. ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ أي وإن تعط كل فدية لا يؤخذ منها.

﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية إقامة حجة وتوبيخ للكفار. ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾ أي نرجع من الهدى إلى الضلال، وأصل الرجوع على العقب في المشي ثم استعير في المعاني وهذه جملة معطوفة على أندعوا والهمزة فيه للإنكار والتوبيخ. ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ الكاف في موضع نصب على الحال من الضمير في نرد، أي كيف نرجع مشبهين من استهوته الشياطين؟ أو نعت لمصدر محذوف، تقديره: ردا كرد الذي، ومعنى استهوته الشياطين ذهبت به في مهامه

الأرض، وأخرجته عن الطريق، فهو استفعال من هوى يهوي في الأرض إذا ذهب فيها، وقال الفارسي: استهوى بمعنى أهوى، مثل استزل بمعنى أزل. ﴿حَيْرَانَ﴾ أي ضال عن الطريق وهو نصب على الحال من المفعول في استهوته. ﴿لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا﴾ أي لهذا المستهوى أصحاب وهم رفقة يدعونه إلى الهدى، أي إلى أن يهدوه إلى الطريق يقولون له: ائتنا، وهو قد تاه وبعد عنهم فلا يجيبهم، وهذا كله تمثيل لمن ضل في الدين عن الهدى، وهو يدعى إلى الإسلام فلا يجيب، وقيل: نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق[1] حين كان أبواه يدعوانه إلى الإسلام، ويبطل هذا قول عائشة[2] ما نزل في آل أبي بكر شيء من القرآن إلا براءتي.

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟﴾ عطف على لنسلم، أو على مفعول أمرنا.

﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ مرفوع بالابتداء، وخبره يوم يقول، وهو مقدم عليه، والعامل فيه معنى الاستقرار، كقولك: يوم الجمعة القتال، واليوم بمعنى الحين وفاعل يكون مضمر، وهو فاعل كن أي حين يقول لشيء كن فيكون ذلك الشيء. ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ ظرف لقوله: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾، كقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾، وقيل: في إعراب الآية غير هذا، مما هو ضعيف، أو تخليط. ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ خبر ابتداء مضمر.

---

(١) قال ابن عطية في المحرر الوجيز: ٨/٦ حكى مكي وغيره أن المراد بالذي في هذه الآية عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وبالأصحاب أبوه وأمه، ولكن لم يذكر لذلك سندا. ويعارض هذا أثر عائشة الصحيح كما سيأتي قريبا.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٤٨٢٧) كتاب التفسير... قال: «كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئا فقال خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا فقال مروان إن هذا الذي أنزل الله فيه ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ﴾. فقالت عائشة من وراء الحجاب ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن إلا أن الله أنزل عذري».

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيَ أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيَ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّيَ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ۞ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

ربع

﴿لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ هو اسم أبي إبراهيم فإعرابه عطف بيان أو بدل، ومنع من الصرف للعجمة والعلمية لا للوزن، فإن وزنه فاعل نحو عابر وشالح، وقرئ[1] بالرفع على النداء، وقيل: إنه اسم صنم، لأنه ثبت أن اسم أبي إبراهيم تارح[2]، فعلى هذا يحتمل أن يكون لقب به لملازمته، له أو أريد عابد آزر فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وذلك بعيد، ولا يبعد أن يكون له اسمان.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيَ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قيل: إنه فرج الله السموات والأرض حتى رأى ببصره الملك الأعلى والأسفل، وهذا يحتاج إلى صحة نقل، وقيل: رأى ما يراه الناس من الملكوت ولكنه وقع له بها من الاعتبار والاستدلال ما لم يقع لأحد من أهل زمانه. ﴿وَلِيَكُونَ﴾ متعلق بمحذوف تقديره وليكون من الموقنين بفعلنا به ذلك.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ أي ستره يقال: جن عليه الليل وأجنه. ﴿رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ يحتمل أن يكون هذا الذي جرى لإبراهيم في الكوكب والقمر والشمس أن يكون قبل البلوغ والتكليف، وقد روي: أن أمه ولدته في غار خوفا من نمرود؛ إذ كان يقتل الأطفال لأن المنجمين أخبروه أن هلاكه على يد صبي، ويحتمل أن يكون جرى له ذلك بعد بلوغه وتكليفه وأنه قال ذلك لقومه على

(١) ﴿ءَازَرُ﴾ قرأ يعقوب برفع الراء وقرأ الباقون بنصبها. النشر: ٢/٢٩٣.

(٢) في المطبوع تارخ بالخاء وهو خطأ.

وجه الرد عليهم والتوبيخ لهم وهذا أرجح لقوله بعد ذلك: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ ولا يتصور أن يقول ذلك وهو منفرد في الغار لأن ذلك يقتضي محاجة وردا على قومه، وذلك أنهم كانوا يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب، فأراد أن يبين لهم الخطأ في دينهم وأن يرشدهم إلى أن هذه الأشياء لا يصح أن يكون واحد منها إلها لقيام الدليل على حدوثها، وأن الذي أحدثها ودبر طلوعها وغروبها وأفولها وانتقالها هو الإله الحق وحده، فقوله: هذا ربي قول من ينصف خصمه مع علمه أنه مبطل؛ لأن ذلك أدعى إلى الحق وأقرب إلى رجوع الخصم، ثم أقام عليهم الحجة بقوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ أي لا أحب عبادة المتغيرين؛ لأن التغير دليل على الحدوث والحدوث ليس من صفة الإله، ثم استمر على ذلك المنهاج في القمر وفي الشمس فلما أوضح البرهان وأقام عليهم الحجة جاهرهم بالبراءة من باطلهم فقال: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ ثم أعلن عبادته لله وتوحيده له فقال: ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ ووصف الله تعالى بوصف يقتضي توحيده وانفراده بالملك.

فإن قيل: لم احتج بالأفول دون الطلوع، وكلاهما دليل على الحدوث؛ لأنهما انتقال من حال إلى حال؟ فالجواب: أن الأفول أظهر في الدلالة؛ لأنه انتقال مع اختفاء واحتجاب.

﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ﴾ أي في الإيمان بالله وفي توحيده، والأصل أتحاجونني بنونين وقرئ[1] بالتشديد على إدغام أحدهما في الآخر، وبالتخفيف على حذف أحدهما، واختلف هل حذفت الأولى أو الثانية؟ ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ﴾ ما هنا بمعنى الذي ويريد بها الأصنام، وكانوا قد خوفوه أن تصيبه أصنامهم بضر، فقال: لا أخاف منهم؛ لأنهم لا يقدرون على شيء. ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ﴾

---

(١) قال الإمام الداني في التيسير: «نافع وابن عامر بخلاف عن هشام ﴿أَتُحَٰٓجُّونِي﴾ بتخفيف النون، والباقون بتشديدها». ص: ٧٧.

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾

استثناء منقطع بمعنى لكن أي إنما أخاف من ربي إن أراد بي شيئًا.

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ أي كيف أخاف شركاءكم الذين لا يقدرون على شيء وأنتم لا تخافون ما فيه كل خوف وهو إشراككم بالله؟ فأنتم تنكرون علي الأمن في موضع الأمن، ولا تنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف، ثم أوقفهم على ذلك بقوله: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾: يعني فريق المؤمنين وفريق الكافرين، ثم أجاب عن السؤال بقوله:

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية، وقيل: إن الذين آمنوا استئناف وليس من كلام إبراهيم. ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ لما نزلت هذه الآية أشفق منها أصحاب النبي ﷺ وقالوا: وأينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنما ذلك كما قال لقمان لابنه ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾»[1].

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا﴾ إشارة إلى ما تقدم من استدلاله واحتجاجه.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ الضمير لإبراهيم أو لنوح عليهما السلام، والأول هو الصحيح لذكر لوط وليس من ذرية إبراهيم، ﴿دَاوُۥدَ﴾ عطف على نوحا أي وهدينا داود.

﴿وَعِيسَىٰ﴾ فيه دليل على أن أولاد البنات يقال لهم: ذرية؛ لأن عيسى ليس

(١) البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٣٢)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٢٤)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٥٠٦٢)، والنسائي في تفسيره رقم: (١٨٦٣)، وابن حبان في صحيحه رقم: (٢٥٣).

• وَمَا قَدَرُواْ اُ۬للَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ اَ۬للَّهُ عَلَيٰ بَشَرٖ مِّن شَےْءٖۖ قُلْ مَنْ أَنزَلَ اَ۬لْكِتَٰبَ اَ۬لذِے جَآءَ بِهِۦ مُوس۪يٰ نُوراٗ وَهُديٗ لِّلنَّاسِۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراٗۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ قُلِ اِ۬للَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِے خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٢﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ اَنزَلْنَٰهُ مُبَٰرَكٞ مُّصَدِّقُ اُ۬لذِے بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ اَ۬لْقُر۪يٰ وَمَنْ حَوْلَهَاۖ وَالذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمْ عَلَيٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ اِ۪فْتَر۪يٰ عَلَى اَ۬للَّهِ كَذِباً اَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَےْءٞ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ اَ۬للَّهُۖ وَلَوْ تَر۪يٰٓ إِذِ اِ۬لظَّٰلِمُونَ فِے غَمَرَٰتِ اِ۬لْمَوْتِ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ اُ۬لْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ اَ۬لْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اَ۬للَّهِ غَيْرَ اَ۬لْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٤﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰد۪يٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمُۥٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْۖ وَمَا نَر۪يٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ اُ۬لذِينَ زَعَمْتُمُۥٓ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْۖ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٥﴾

له أب فهو ابن ابنة نوح.

﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾ في موضع نصب عطف على ﴿كُلًّا﴾ أي وهدينا بعض آبائهم.

﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي أهل مكة. ﴿وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً﴾ هم الأنبياء المذكورون، وقيل: الصحابة، وقيل: كل مؤمن، والأول أرجح لدلالة ما بعده على ذلك، ومعنى توكيلهم بها توفيقهم للإيمان بها والقيام بحقوقها.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ اَ۬لذِينَ هَدَى اَ۬للَّهُ﴾ إشارة إلى الأنبياء المذكورين. ﴿فَبِهُدَٰهُمُ اُ۪قْتَدِهْ﴾ استدل به من قال إن شرع من قبلنا شرع لنا، فأما أصول الدين من التوحيد والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فاتفقت فيه جميع الشرائع. وأما الفروع ففيها وقع الاختلاف بين الشرائع، والخلاف هل يقتدي النبي ﷺ فيها بمن قبله أم لا؟ والهاء في اقتده للوقف فينبغي أن تسقط في الوصل، ولكن من أثبتها فيه[1] راعى ثبوتها في خط المصحف.

﴿وَمَا قَدَرُواْ اُ۬للَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ أي ما عرفوه حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة لهم إذ أنكروا بعثه للرسل وإنزاله للكتب والقائلون هم اليهود بدليل ما بعده، وإنما قالوا ذلك مبالغة في إنكار نبوءة محمد ﷺ، وروي: أن الذي قالها منهم مالك بن الصيف[2] فرد الله عليهم بأن ألزمهم ما لا بد لهم من الإقرار به

(١) ﴿اُ۪قْتَدِهْ﴾ حذف الهاء منها لفظاً في الوصل وأثبتها في الوقف للرسم حمزة والكسائي ويعقوب وخلف، وأثبتها الباقون في الحالين وكسر الهاء منها وصلا ابن عامر... النشر: ٢/١٦١.

(٢) انظر المحرر الوجيز: ٢/٣٧٨.

وهو إنزال التوراة على موسى، وقيل: القائلون قريش وألزموا ذلك؛ لأنهم كانوا مقرين بالتوراة. ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ﴾ الخطاب لليهود أو لقريش على وجه إقامة الحجة والرد عليهم في قولهم: ما أنزل الله على بشر من شيء فإن كان لليهود فالذي علموه التوراة، وإن كان لقريش فالذي علموه ما جاء به محمد ﷺ.
﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ جواب من أنزل واسم الله مرفوع بفعل مضمر تقديره: أنزله الله أو مرفوع بالابتداء.

﴿وَلِتُنذِرَ﴾ عطف على صفة الكتاب. ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ مكة، وسميت أم القرى لأنها مكان أول بيت وضع للناس، ولأنه جاء أن الأرض دحيت منها[1]، ولأنها يحج إليها أهل القرى من كل فج عميق.

﴿أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ هو مسيلمة وغيره من الكذابين الذين ادعوا النبوءة.
﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ هو النضر بن الحرث لأنه عارض القرآن، واللفظ عام فيه وفي غيره من المستهزئين. ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ جوابه محذوف، تقديره: لرأيت أمرا عظيما، والظالمون من تقدم ذكره من اليهود والكذابين والمستهزئين فتكون اللام للعهد،؟ وأعم من ذلك فتكون للجنس. ﴿بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي تبسط الملائكة أيديهم إلى الكفار يقولون لهم أخرجوا أنفسكم، وهذه عبارة عن التعنيف في السياق والشدة في قبض الأرواح. ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾ يحتمل أن يريد ذلك الوقت بعينه، أو الوقت الممتد من حينئذ إلى الأبد. ﴿ٱلْهُونِ﴾ الذلة.

﴿فُرَٰدَىٰ﴾ منفردين عن أموالكم وأولادكم أو عن شركائكم، والأول يترجح لقوله ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ﴾ أي ما أعطيناكم من الأموال والأولاد، ويترجح الثاني بقوله: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ﴾. ﴿تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ تفرق شملكم،

(١) الطبري في جامع البيان: ١٠٨/١، وابن كثير في تفسير القرآن: ١٠٢/١، وأخبار مكة للفاكهاني: ١٩١/٤.

• إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون ۝ فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم ۝ وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ۝ وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ۝ وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ۝ • وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون ۝ بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ۝

ومن قرأه بالرفع[1] أسند الفعل إلى الظرف واستعمله استعمال الأسماء، ويكون البين بمعنى الفرقة، أو بمعنى الوصل، ومن قرأه بالنصب فالفاعل مصدر الفعل أو محذوف، تقديره: تقطع الاتصال بينكم.

﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾ أي يفلق الحب تحت الأرض لخروج النبات منها، ويفلق النوى لخروج الشجر منها، وقيل: أراد الشقين الذين في النواة والحنطة، والأول أرجح لعمومه في أصناف الحبوب. ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ﴾ تقدم في آل عمران. ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ معطوف على فالق.

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ أي الصبح فهو مصدر سمي به الصبح، ومعنى فلقه إخراجه من الظلمة، وقيل: إن الظلمة: هي التي تنفلق عن الصبح، فالتقدير: فالق ظلمة الإصباح. ﴿سَكَنًا﴾ أي يسكن فيه عن الحركات ويستراح. ﴿حُسْبَانًا﴾ أي يعلم بهما حساب الأزمان والليل والنهار. ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ما أحسن ذكر هذين الاسمين هنا؛ لأن العزيز: يغلب كل شيء ويقهره، وهو قد قهر الشمس والقمر وسخرهما كيف شاء، والعليم: لما في تقدير الشمس، والقمر، والليل، والنهار، من العلوم والحكمة العظيمة وإتقان الصنعة.

﴿فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ أي في ظلمات الليل في البر والبحر، وأضاف

---

(١) ﴿تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ قرأ المدنيان والكسائي وحفص بنصب النون، وقرأ الباقون برفعها. النشر: ٢/٢٩٤.

الظلمات إليهما لملابستها لهما، أو شبه الطرق المشتبهة بالظلمات.

﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ من كسر القاف من مستقر[1] فهو اسم فاعل، ومستودع اسم مفعول، والتقدير: فمنكم مستقر ومستودع ومن فتحها فهو اسم مكان أو مصدر ومستودع مثله، والتقدير على هذا: لكم مستقر ومستودع، والاستقرار في الرحم والاستيداع في الصلب، وقيل: الاستقرار فوق الأرض، والاستيداع تحتها.

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ الضمير يعود على الماء. ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ الضمير عائد على النبات. ﴿خَضِرًا﴾ أي أخضر غضا، وهو ما يتولد من أصل النبات من الفراخ. ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾ الضمير عائد على الخضر. ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ يعني السنبل؛ لأن حبه بعضه على بعض، وكذلك الرمان وشبهها. ﴿قِنْوَانٌ﴾ جمع قنو، وهو العنقود من التمر، وهو مرفوع بالابتداء وخبره من النخل، ومن طلعها بدل، والطلع: أول ما يخرج من التمر في أكمامه. ﴿دَانِيَةٌ﴾ أي قريبة سهلة للتناول، وقيل: قريب بعضها من بعض. ﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ بالنصب عطف على نبات كل شيء، وقرئ[2] في غير السبع بالرفع عطف على قنوان. ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ نصب على الحال من الزيتون والرمان، أو من كل ما تقدم من النبات، والمشتبه والمتشابه بمعنى واحد، أي من النبات ما يشبه بعضه بعضا في اللون والطعم والصورة، ومنه ما لا يشبه بعضه بعضا، وفي ذلك دليل قاطع على الصانع المختار القدير العليم المريد. ﴿انظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ﴾ أي انظروا إلى ثمره أول ما يخرج ضعيفا لا منفعة فيه، ثم ينقل من حال إلى حال حتى يينع: أي ينضج ويطيب.

﴿شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ نصب الجن على أنه مفعول أول لجعلوا وشركاء مفعول

---

(١) ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وروح بكسر القاف، وقرأ الباقون بفتحها. النشر المصدر السابق.

(٢) قال ابن عطية:.. وقرأ الأعمش ومحمد بن أبي ليلى ورويت عن أبي بكر عن عاصم: وجنات بالرفع، على تقدير: ولكم جنات، أو نحو هذا وقال الطبري: وهو عطف على قنوان قال القاضي أبو محمد: وقوله ضعيف. المحرر الوجيز: ٢/٣٨٧.

ثان، وقدم لاستعظام الإشراك، أو شركاء مفعول أول والله في موضع المفعول الثاني والجن بدل من شركاء والمراد بهم هنا الملائكة، وذلك رد على من عبدهم، وقيل: المراد الجن، والإشراك بهم طاعتهم. ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ الواو للحال، والمعنى الرد عليهم أي جعلوا لله شركاء وهو خلقهم، والضمير عائد على الجن أو على الجاعلين، والحجة قائمة على الوجهين. ﴿وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ﴾ أي اختلقوا وزوروا والبنين قول النصارى في المسيح، وقول اليهود في عزير، والبنات: قول العرب في الملائكة. ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي قالوا ذلك بغير دليل، بل مجرد افتراء.

﴿بَدِيعُ﴾ ذكر معناه في البقرة، ورفعه على أنه خبر ابتداء مضمر، أو مبتدأ وخبره ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ﴾ أو فاعل تعالى، والقصد به الرد على من نسب لله البنين والبنات، وذلك من وجهين:

أحدها: أن الولد لا يكون إلا من جنس والده، والله تعالى متعال عن الأجناس لأنه مبدعها فلا يصح أن يكون له ولد.

والآخر: أن الله خلق السموات والأرض، ومن كان هكذا فهو غني عن الولد وعن كل شيء.

﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ مسبب عن مضمون الجملة، أي: من كان هكذا فهو المستحق للعبادة وحده.

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ يعني في الدنيا، وأما في الآخرة فالحق: أن المؤمنين يرون ربهم بدليل قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وقد جاءت في ذلك أحاديث صحيحة[1] صريحة المعنى لا تحتمل التأويل، وقال الأشعرية: إن رؤية الله تعالى في الدنيا

---

(١) البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٤٥٨١)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٨٣)، وابن خزيمة في صحيحه: ٤٢١/٢، وأحمد في مسنده: ١٦/٣، والبيهقي في الشعب: ٢١٥/١، والبغوي في معالم التنزيل: ٢٥٠/٥.

ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٣﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٥﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٦﴾ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٩﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١٠﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١١﴾

جائزة عقلا لأن موسى سألها من الله ولا يسأل موسى ما هو محال، وقد اختلف الناس: هل رأى رسول الله ﷺ ربه ليلة الإسراء، أم لا؟. ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ قال بعضهم: الفرق بين الرؤية وبين الإدراك أن الإدراك يتضمن الإحاطة بالشيء والوصول إلى غايته فلذلك نفى أن تدرك أبصار الخلق ربهم، ولا يقتضي ذلك نفي الرؤية وحسن على هذا قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ لإحاطة علمه تعالى بالخفيات. ﴿اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ أي لطيف عن أن تدركه الأبصار، وهو الخبير بكل شيء، وهو يدرك الأبصار.

﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ﴾ جمع بصيرة وهو نور القلب والبصر نور العين، وهذا الكلام على لسان النبي ﷺ لقوله: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾.

﴿وَلِيَقُولُوا﴾ متعلق بمحذوف تقديره: ليقولوا صرفنا الآيات. ﴿دَرَسْتَ﴾ بإسكان السين وفتح التاء[1] أي درست العلم وقرأته ودارست بالألف أو دارست العلماء وتعلمت منهم ودرست بفتح السين وإسكان التاء بمعنى قدمت هذه الآيات ودبرت. ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ﴾ الضمير للآيات وجاء مذكرا لأن المراد بها القرآن.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ إن كان معناه أعرض عما يدعونك إليه أو عن

---

(١) قال ابن الجزري: واختلفوا في ﴿دَرَسْتَ﴾ فقرأ ابن كثير وأبو عمرو بألف بعد الدال وإسكان السين وفتح التاء، وقرأ ابن عامر ويعقوب بغير ألف وفتح السين وإسكان التاء، وقرأ الباقون بغير ألف وإسكان السين وفتح التاء. النشر: ٢/٢٩٤.

مجادلتهم فهو محكم وإن كان: أعرض عن قتالهم وعقابهم فهو منسوخ، وكذلك ما أنا عليكم بحفيظ، وبوكيل.

﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي لا تسبوا آلهتهم فيكون ذلك سببا لأن يسبوا الله واستدل المالكية بهذا على: سد الذرائع.

﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي هي بيد الله لا بيدي. ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ أي ما يدريكم وهو من الشعور بالشيء، وما نافية أو استفهامية. ﴿أَنَّهَا إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ من قرأ بفتح أنها[1] فهو معمول يشعركم أي ما يدريكم أن الآيات إذا جاءتهم لا يؤمنون بها، نحن نعلم ذلك وأنتم لا تعلمونه، وقيل: لا زائدة، والمعنى: ما يشعركم أنهم يؤمنون، وقيل: أن هنا بمعنى لعل فمن قرأ بالكسر فهي استئناف إخبار وتم الكلام في قوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾، أي ما يشعركم ما يكون منهم فعلى القراءة بالكسر يوقف على ما يشعركم، وأما على القراءة بالفتح فإن كانت أن مصدرية لم يوقف عليه لأنه عامل فيها وإن كانت بمعنى لعل فأجاز بعض الناس الوقف، ومنعه شيخنا أبو جعفر بن الزبير لما في لعل من معنى التعليل.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ﴾ أي نطبع عليها ونصدها عن الفهم فلا يفهمون. ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ﴾ الكاف للتعليل أي نطبع على أفئدتهم وأبصارهم عقوبة لهم على أنهم لم يؤمنوا به أول مرة، ويحتمل أن تكون للتشبيه أي نطبع عليها إذا رأوا الآيات مثل ما إذا طبعنا عليها أول مرة.

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ الآية رد عليهم في قسمهم أنهم لو جاءتهم آية لآمنوا بها أي لو أعطيناهم هذه الآيات التي اقترحوها وكل آية لم يؤمنوا إلا أن يشاء الله. ﴿قِبَلًا﴾ بكسر القاف وفتح الباء، أي: معاينة فنصبه على الحال،

(١) ﴿أَنَّهَا إِذَا جَآءَتْ﴾ قرأ ابن كثير والبصريان وخلف بكسر الهمزة من أنها. المصدر السابق.

● وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قِبَلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٥﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٦﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٩﴾

حزب

وقرئ[1] بضمتين ومعناه: مواجهة، كقوله: ﴿قُدَّ مِن قُبُلٍ﴾ وقيل: هو جمع قبيل بمعنى كفيل، أي كفلا بتصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بالتأسي لغيره. ﴿شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ أي المتمردين من الصنفين، ونصب شياطين على البدل من عدوا؛ إذ هو بمعنى الجمع، أو مفعول أول و﴿عَدُوًّا﴾ مفعول ثان. ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي يوسوس ويلقي الشر. ﴿زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ ما يزينه من القول. ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ الضمير عائد على وحيهم أو على عداوة الكفار. ﴿فَذَرْهُمْ﴾ وعيد. ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ ما في موضع نصب على أنها مفعول معه أو عطف على الضمير.

﴿وَلِتَصْغَىٰ﴾ أي تميل، وهو متعلق بمحذوف، واللام لام الصيرورة. ﴿إِلَيْهِ﴾ الضمير لوحيهم. ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا﴾ يكتسبوا.

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ﴾ معمول لقول محذوف، أي قل لهم.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي صحت، والكلمات: ما نزل على عباده من كتبه. ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ أي صدقا فيما أخبر، وعدلا فيما حكم.

---

(١) قال ابن الجزري: ﴿قِبَلًا مَّا﴾ قرأ المدنيان وابن عامر بكسر القاف وفتح الباء، وقرأ الباقون بضمهما. النشر: ٢/٢٩٥.

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١٢٠﴾ • وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢١﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢٢﴾ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٥﴾

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ القصد بهذا الأمر إباحة ما ذكر اسم الله عليه، والنهي عما ذبح للنصب وغيرها، وعن الميتة وهذا النهي يقتضيه دليل الخطاب من الأمر ثم صرح به في قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ وقد استدل بذلك من أوجب التسمية على الذبيحة، وإنما جاء الكلام في سياق تحريم الميتة وغيرها، فإن حملناه على ذلك لم يكن فيه دليل على وجوب التسمية في ذبائح المسلمين، وإن حملناه على عمومه كان فيه دليل على ذلك، وقال عطاء[1]: وهذه الآية أمر بذكر الله على الذبح والأكل والشرب.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا﴾ المعنى: أي غرض لكم في ترك الأكل مما ذكر اسم الله عليه؟ وقد بين لكم الحلال من الحرام. ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ استثناء مما حرم.

﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ لفظ يعم أنواع المعاصي لأن جميعها إما باطن وإما ظاهر، وقيل: الظاهر الأعمال، والباطن الاعتقاد.

﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ الضمير لمصدر لا تأكلوا. ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ سببها: أن قوما من الكفار قالوا إنا نأكل ما قتلناه ولا نأكل

(١) صحيح أخرجه الطبري في جامع البيان: ١١/١٣٧٩٠.

ما قتل الله يعنون الميتة.

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَـٰهُ﴾ الموت هنا عبارة عن الكفر والإحياء عبارة عن الإيمان، والنور نور الإيمان والظلمات الكفر، فهي استعارات وفي قوله ميتا فأحييناه مطابقة وهي من أدوات البيان، ونزلت الآية[1] في عمار بن ياسر، وقيل: في عمر بن الخطاب[2] والذي في الظلمات أبو جهل، ولفظها أعم من ذلك. ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ﴾ مثل هنا بمعنى صفة، وقيل: زائدة، والمعنى كمن هو.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَـٰبِرَ﴾ أي كما جعلنا في مكة أكابرها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية، وإنما ذكر الأكابر لأن غيرهم تبع لهم، والمقصود تسلية النبي ﷺ. ﴿مُجْرِمِيهَا﴾ إعرابه مضاف إليه عند الفارسي وغيره، وقال ابن عطية وغيره: إنه مفعول أول بجعلنا وأكابر مفعول ثان مقدم وهذا جيد في المعنى ضعيف في العربية؛ لأن أكابر جمع أكبر وهو من أفعل، فلا يستعمل إلا بمن أو بالإضافة.

﴿قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ﴾ الآية قائل هذه المقالة أبو جهل، وقيل: الوليد بن المغيرة، لأنه قال: أنا أولى بالنبوءة من محمد. ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ رد عليهم فيما طلبوه، والمعنى: أن الله علم أن محمدا ﷺ أهل للرسالة فخصه بها، وعلم أنهم ليسوا بأهل لها فحرمهم إياها، وفي الآية من أدوات البيان: الترديد لكونه ختم كلامهم باسم الله، ثم رده في أول كلامه. ﴿صَغَارٌ﴾ أي ذلة.

﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ﴾ شرح الصدر وضيقه وحرجه ألفاظ مستعارة، ومن قرأ حرجا بفتح الراء[3] فهو مصدر وصف به. ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَآءِ﴾ أي

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٢/١٣٨٣٧، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٤/١٣٨١ بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٤/١٣٨١، وهو بسند حسن لكنه مرسل.

(٣) نافع وأبو بكر ﴿حَرِجاً﴾ بكسر الراء والباقون بفتحها. التيسير، ص: ٧٨.

فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقاً حَرِجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَالِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَاذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَالِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَاذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَالِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾

ربع

كأنما يحاول الصعود إلى السماء وذلك غير ممكن، فكذلك يصعب عليه الإيمان، وأصل يصعد المشدد يتصعد، وقرئ[1] بالتخفيف.

﴿دَارُ السَّلَامِ﴾ الجنة، والسلام هنا يحتمل أن يكون اسم الله فأضافها إليه لأنها ملكه وخلقه، أو بمعنى السلامة أو التحية.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ العامل في يوم محذوف، تقديره: اذكروا، أو تقديره: قلنا ويكون على هذا عاملا في يوم وفي ﴿يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ﴾ أي أضللتم منهم كثيرا وجعلتموهم أتباعكم، كما تقول: استكثر الأمير من الجيش. ﴿اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ استمتاع الجن بالإنس طاعتهم لهم، واستمتاع الإنس بالجن كقوله: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ فإن الرجل كان إذا نزل واديا قال: أعوذ بصاحب هذا الوادي، يعني كبير الجن. ﴿وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا﴾ هو الموت، وقيل: الحشر. ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ قيل: الاستثناء من الكاف والميم في مثواكم، فما بمعنى من لأنها وقعت على صنف من الجن والإنس، والمستثنى على هذا: من آمن منهم، وقيل: الاستثناء من مدة الخلود وهو الزمان الذي بين حشرهم إلى دخول النار، وقيل: الاستثناء من النار وهو دخولهم الزمهرير، وقيل: ليس المراد هنا بالاستثناء

---

(١) ﴿يَصَّعَّدُ﴾ قرأ ابن كثير بإسكان الصاد وتخفيف العين من غير ألف، وروى أبو بكر بفتح الياء والصاد مشددة وألف وتخفيف العين، وقرأ الباقون بتشديد الصاد والعين من غير ألف. النشر: ٢/٢٩٦.

الإخراج، وإنما هو على وجه الأدب مع الله، وإسناد الأمور إليه.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾ أي نجعل بعضهم وليا لبعض، وقيل: نتبع بعضهم بعضا في دخول النار، وقيل: نسلط بعضهم على بعض.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ﴾ تقرير للجن والإنس، فقيل: إن الجن بعث فيهم رسل منهم لظاهر الآية، وقيل: إنما الرسل من الإنس خاصة، وإنما قال رسل منكم؛ لأنه جمع الثقلين في الخطاب. ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ لا تنافي بينه وبين قولهم: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ لما تقدم هناك، فإن قيل: لم كرر شهادتهم على أنفسهم؟ فالجواب: أن قولهم ﴿شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ قول قالوه هم وقوله: ﴿شَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ ذم لهم، وتقبيح لحالهم.

﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر ابتداء مضمر، تقديره: الأمر ذلك، أو مفعول بفعل مضمر تقديره: فعلنا ذلك، والإشارة إلى بعث الرسل. ﴿أَن لَّمْ يَكُن﴾ تعليل لبعث الرسل وهو في موضع مفعول من أجله، أو بدل من ذلك. ﴿بِظُلْمٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الله لم يكن ليهلك القرى دون بعث الرسل إليهم فيكون إهلاكهم ظلما إذ لم ينذرهم فهو كقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾.

والآخر: أن الله لا يهلك القرى بظلم إذا ظلموا دون أن ينذرهم، ففاعل الظلم على هذا أهل القرى وغفلتهم عدم إنذارهم

حكى الوجهين ابن عطية والزمخشري، والوجه الأول صحيح على مذهب المعتزلة، ولا يصح على مذهب أهل السنة؛ لأن الله لو أهلك عباده بغير ذنب لم يكن ظالما عندهم.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ﴾ أي منازل في الجزاء على أعمالهم من الثواب والعقاب.

﴿مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ﴾ أي من ذرية أهل سفينة نوح، أو من كان قبلهم إلى آدم.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ • وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾

﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ الأمر هنا للتهديد والمكانة التمكن. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد. ﴿مَن تَكُونُ لَهُۥ﴾ يحتمل أن تكون من موصولة في موضع نصب على المفعولية، أو استفهامية في موضع رفع بالابتداء. ﴿عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ أي الآخرة أو الدنيا، والأول أرجح؛ لقوله: ﴿عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾.

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ الضمير في جعلوا لكفار العرب، قال السهيلي: هم حي من خولان يقال لهم الأديم، كانوا يجعلون من زروعهم وثمارهم ومن أنعامهم نصيبا لله ونصيبا لأصنامهم، ومعنى ذرأ: خلق وأنشأ، ففي ذلك رد عليهم لأن الله الذي خلقها وذرأها هو مالكها لا رب غيره. ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ أي بدعواهم وقولهم من غير دليل ولا شرع، وأكثر ما يقال الزعم في الكذب، وقرئ[1] بفتح الزاي وضمها وهما لغتان. ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الآية، كانوا إذا هبت الريح فحملت شيئا من الذي لله إلى الذي للأصنام أقروه، وإن حملت شيئا من الذي للأصنام إلى الذي لله ردوه، وإذا أصابتهم سنة أكلوا نصيب الله، وتحاموا نصيب شركائهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ كانوا يقتلون أولادهم بالوأد ويذبحونهم قربانا إلى الأصنام، و﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ هنا هم

(١) قال ابن الجزري: واختلفوا في ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ في الموضعين، فقرأ الكسائي بضم الزاي منهما، وقرأ الباقون بفتحها. النشر: ٢/٢٩٧، وانظر التيسير، ص: ٧٩.

الشياطين، أو القائمون على الأصنام، وقرأ الجمهور بفتح الزاي من زين على البناء للفاعل، ونصب قتل على أنه مفعول وخفض أولادهم بالإضافة ورفع شركاؤهم على أنه فاعل بـ ﴿زَيَّنَ﴾، والشركاء على هذه القراءة هم الذين زينوا القتل، وقرأ ابن عباس[1]: بضم الزاي على البناء للمفعول، ورفع قتل على أنه مفعول لم يسم

---

(١) وهذه هي قراءة ابن عامر، قال الإمام الداني في التيسير: ابن عامر: و﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ﴾ بضم الزاي وكسر الياء ﴿لكثير من المشركين قتل﴾ برفع اللام ﴿أولادهم﴾ بنصب الدال ﴿شُرَكَآيِهِمْ﴾ بخفض الهمزة. والباقون بفتح الزاي ونصب اللام وخفض الدال ورفع الهمزة. التيسير، ص: ٧٩، والنشر: ٢٩٧/٢ قال: واختلفوا في ﴿زين لكثير قتل أولادهم شركاؤهم﴾ فقرأ ابن عامر بضم الزاي وكسر الياء من ﴿زين﴾ ورفع لام ﴿قتل﴾ ونصب دال ﴿أولادهم﴾ وخفض همزة ﴿شُرَكَآيِهِمْ﴾ بإضافة ﴿قتل﴾ إليه، وهو فاعل في المعنى، وقد فصل بين المضاف وهو ﴿قتل﴾ وبين ﴿شُرَكَآيِهِمْ﴾ وهو المضاف إليه بالمفعول وهو ﴿أولادهم﴾ وجمهور نحاة البصريين على أن هذا لا يجوز إلا في ضرورة الشعر، وتكلم في هذه القراءة بسبب ذلك حتى قال الزمخشري: والذي حمله على ذلك أنه رأى في بعض المصاحف ﴿شُرَكَآيِهِمْ﴾ مكتوباً بالياء، ولو قرأ بجر (الأولاد والشركاء)؛ لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم لوجد في ذلك مندوحة.
(قلت): والحق في غير ما قاله الزمخشري، ونعوذ بالله من قراءة القرآن بالرأي والتشهي، وهل يحل لمسلم القراءة بما يجد في الكتابة من غير نقل؟ بل الصواب جواز مثل هذا الفصل وهو الفصل بين المصدر وفاعله المضاف إليه بالمفعول في الفصيح الشائع الذائع اختياراً، ولا يختص ذلك بضرورة الشعر، ويكفي في ذلك دليلاً هذه القراءة الصحيحة المشهورة التي بلغت التواتر، كيف وقارئها ابن عامر من كبار التابعين الذين أخذوا عن الصحابة كعثمان بن عفان وأبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهو مع ذلك عربي صريح من صميم العرب، فكلامه حجة وقوله دليل؛ لأنه كان قبل أن يوجد اللحن ويتكلم به، فكيف وقد قرأ بما تلقى وتلقن وروى وسمع ورأى؟؛ إذ كانت كذلك في المصحف العثماني المجمع على اتباعه، وأنا رأيتها فيه كذلك مع أن قارئها لم يكن خاملاً، ولا غير متبع ولا في طرف من الأطراف، ليس عنده من ينكر عليه إذا خرج عن الصواب، فقد كان في مثل دمشق التي هي إذ ذاك دار الخلافة وفيها الملك والمأتى إليها من أقطار الأرض في زمن خليفة هو أعدل الخلفاء وأفضلهم بعد الصحابة، الإمام عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أحد المجتهدين المتبعين المقتدى بهم من الخلفاء الراشدين، وهذا الإمام القارئ أعني ابن عامر مقلد في هذا الزمن الصالح قضاء دمشق ومشيختها وإمامة جامعها الأعظم=

....

= الجامع الأموي أحد عجائب الدنيا، والوفود به من أقطار الأرض لمحل الخلافة ودار الإمارة، هذا ودار الخلافة في الحقيقة حينئذ بعض هذا الجامع ليس بينهما سوى باب يخرج منه الخليفة، ولقد بلغنا عن هذا الإمام أنه كان في حلقته أربعمائة عريف يقومون عنه بالقراءة، ولم يبلغنا عن أحد من السلف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على اختلاف مذاهبهم وتباين لغاتهم وشدة ورعهم أنه أنكر على ابن عامر شيئاً من قراءته، ولا طعن فيها ولا أشار إليها بضعف، ولقد كان الناس بدمشق وسائر بلاد الشام حتى الجزيرة الفراتية وأعمالها لا يأخذون إلا بقراءة ابن عامر، ولازال الأمر كذلك إلى حدود الخمسمائة، وأول من نعلمه أنكر هذه القراءة وغيرها من القراءة الصحيحة وركب هذا المحذور ابن جرير الطبري، بعد الثلاثمائة، وقد عد ذلك من سقطات ابن جرير، حتى قال السخاوي: قال لي شيخنا أبو القاسم الشاطبي: إياك وطعن ابن جرير على ابن عامر، ولله در إمام النحاة أبي عبد الله بن مالك رَحِمَهُ اللهُ حيث قال في كافيته الشافية:

وحجتي قراءة ابن عامر ... فكم لها من عاضد وناصر

وهذا الفصل الذي ورد في هذه القراءة، فهو منقول من كلام العرب، من فصيح كلامهم جيد من جهة المعنى أيضاً، أما وروده في كلام العرب فقد ورد في أشعارهم كثيراً، أنشد من ذلك سيبويه والأخفش وأبو عبيدة وثعلب وغيرهم ما لا ينكر مما يخرج به كتابنا عن المقصود، وقد صح من كلام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «فهل أنتم تاركوا لي صاحبي» ففصل بالجار والمجرور بين اسم الفاعل ومفعوله مع ما فيه من الضمير المنوي، ففصل المصدر بخلوه من الضمير أولى بالجواز، وقرئ ﴿فَلَا تَحْسِبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥ﴾ وأما قوته من جهة المعنى فقد ذكر ابن مالك ذلك من ثلاثة أوجه:

(أحدها): كون الفاصل فضلة فإنه لذلك صالح لعدم الاعتداد به.

(الثاني): أنه غير أجنبي معنى لأنه معمول للمضاف هو والمصدر.

(الثالث): أن الفاصل مقدر التأخير لأن المضاف ليه مقدم التقديم لأنه فاعل في المعنى حتى أن العرب لو لم تستعمل مثل هذا الفصل لاقتضى القياس استعماله لأنهم قد فصلوا في الشعر بالأجنبي كثيراً فاستحق بغير أجنبي أن يكون له مزية فيحكم بجوازه مطلقاً وإذا كانوا قد فصلوا بين المضافين بالجملة في قول بضع العرب: هو غلام إن شاء الله أخيك، فالفصل بالمفرد أسهل.

ثم إن هذه القراءة قد كانوا يحافظون عليها ولا يرون غيرها، قال ابن ذكوان (شركائهم) بياء ثابتة في الكتاب والقراءة، قال: وأخبرني أيوب يعني ابن تميم شيخه، قال: قرأت على=

فاعله، ونصب ﴿أَوْلَٰدِهِمْ﴾ على أنه مفعول بـ﴿قَتْلَ﴾، وخفض ﴿شُرَكَآئِهِمْ﴾ على الإضافة إلى قتل إضافة المصدر إلى فاعله، وفصل بين المضاف والمضاف إليه بقوله: ﴿أَوْلَٰدِهِمْ﴾ وذلك ضعيف في العربية[1] وقد سمع في الشعر، والشركاء على هذه القراءة هم القاتلون للأولاد. ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ أي ليهلكوهم وهو من الردى بمعنى الهلاك.

وَقَالُوا هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ وَلَا تُسْرِفُوٓا إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾

ربع

﴿وَقَالُوا هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ أي حرام وهو فعل بمعنى مفعول نحو ذبح، فيستوي في الوصف به: المذكر، والمؤنث، والواحد، والجمع. ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾ أي لا يأكلها إلا من شاؤوا وهم القائمون على الأصنام، أو الرجال دون النساء. ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ أي لا تركب، وهي: السائبة وأخواتها ﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ قيل: معناه لا يحج عليها فلا يذكر اسم الله

= أبي عبد الملك قاضي الجند ﴿زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ قال أيوب فقلت له إن في مصحفي وكان قديماً ﴿شُرَكَآئِهِمْ﴾ فمحا أبو عبد الملك الياء وجعل مكان الياء واواً، وقال أيوب: ثم قرأت على يحيى بن الحارث ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ فرد على يحيى ﴿شُرَكَآئِهِمْ﴾ فقلت له إنه كان في مصحفي بالياء فحكت وجعلت واواً فقال يحيى: أنت رجل محوت الصواب وكتبت الخطأ، فرددتها في المصحف على الأمر الأول، وقرأ الباقون (زين) بفتح الزاي والياء (قتل) بنصب اللام (أولادهم) بخفض الدال (شركاؤهم) برفع الهمزة.

(١) لقد بالغ ابن الجزري في الرد على من يضعف هذه القراءة. كما مر قريبا. ونقلت هذا الكلام بطوله لأهميته.

بالتلبية، وقيل: لا يذكر عليها إذا ذبحت. ﴿افْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾ كانوا قد قسموا أنعامهم هذه الأقسام ونسبوا ذلك إلى الله افتراء وكذبا، ونصب على الحال، أو مفعول من أجله، أو مصدر مؤكد.

﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ﴾ الآية، كانوا يقولون في أجنة البحيرة والسائبة ما ولد منها حيا فهو للرجال خاصة ولا يأكل منه النساء، وما ولد منها ميتا اشترك فيه الرجال والنساء، وأنث ﴿خَالِصَةٌ﴾ للحمل على المعنى، وهي الأجنة وذكر ﴿وَمُحَرَّمٌ﴾ حملا على لفظ ما، ويجوز أن تكون التاء للمبالغة.

﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي البحيرة والسائبة وشبههما.

﴿جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ مرفوعات على دعائم وشبهها. ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ متروكات على وجه الأرض، وقيل: المعروشات ما غرسه الناس في العمران، وغير معروشات ما أنبته الله في الجبال والبراري. ﴿مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ في اللون والطعم والرائحة والحجم، وذلك دليل على أن الخالق مختار مريد. ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حِصَادِهِۦ﴾ قيل: حقه هنا الزكاة، وهو ضعيف لوجهين:

أحدهما: أن الآية مكية وإنما فرضت الزكاة بالمدينة.

والآخر: أن الزكاة لا تعطى يوم الحصاد وإنما تعطى يوم ضم الحبوب والثمار، وقيل: حقه ما يتصدق به على المساكين يوم الحصاد، وكان ذلك واجبا ثم نسخ بالعشر، وقيل: هو ما يسقط من السنبل، والأمر على هذا للندب.

﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ عطف على جنات، والحمولة الكبار والفرش الصغار، كالعجاجيل والفصلان، وقيل: الحمولة الإبل لأنها يحمل عليها، والفرش الغنم لأنها تفرش للذبح، ويفرش ما ينسج من صوفها.

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ بدل من حمولة وفرشا، وسماها أزواجا؛ لأن الذكر زوج

ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ • قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾

ثمن

للأنثى، والأنثى زوج الذكر. ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ يريد الذكر والأنثى وكذلك فيما بعده. ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ يعني الذكر من الضأن والذكر من المعز، ويعني بالأنثيين الأنثى من الضأن والأنثى من المعز، وكذلك فيما بعده من الإبل والبقر. والهمزة للإنكار. ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ﴾ تعجيز وتوبيخ.

﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ يعني في تحريم ما لم يحرم الله، وذلك إشارة إلى العرب في تحريمهم أشياء كالبحيرة وغيرها.

﴿قُل لَّآ أَجِدُ﴾ الآية تقتضي حصر المحرمات فيما ذكر، وقد جاء في السنة[1] تحريم أشياء لم تذكر هنا كلحوم الحمر، فذهب قوم إلى أن السنة نسخت هذا الحصر، وذهب آخرون إلى أن الآية وردت على سبب فلا تقتضي الحصر، وذهب آخرون إلى أن ما عدا ما ذكر إنما نهى عنه على وجه الكراهة لا على وجه التحريم. ﴿أَوْ فِسْقًا﴾ معطوف على المنصوبات قبله، وهو ما أهل به لغير الله سماه فسقا لتوغله في الفسق، وقد تقدم الكلام على هذه المحرمات في البقرة.

﴿كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ هو ماله أصبع من دابة وطائر قاله الزمخشري، وقال ابن

---

(١) وهو ثابت من حديث أنس وغيره «لما كان يوم خيبر أمر رسول الله ﷺ أبا طلحة فنادى إن الله ورسوله ينهاكم عن لحوم الحمر الأهلية فإنها رجس»، البخاري الحديث رقم: (٢٩٩١)، ومسلم الحديث رقم: (١٩٤٠)، وابن حبان في صحيحه: ٥٢٧٤/١٢.

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

ربع

عطية: يراد به الإبل والأوز والنعام ونحوه من الحيوان الذي هو غير منفرج الأصابع، أو له ظفر، وقال الماوردي مثله، وحكى النقاش عن ثعلب أن كل ما لا يصيد فهو ذو ظفر، وما يصيد فهو ذو مخلب، وهذا غير مطرد لأن الأسد ذو ظفر. ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ يعني ما في الظهور والجنوب من الشحم ﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾ هي المباعر، وقيل: المصارين والحشوة ونحوهما مما يتحوى في البطن، وواحد حوايا، حوية على وزن فعيلة فوزن حوايا على هذا فعائل كصحيفة وصحائف، وقيل: واحدها حاوية على وزن فاعلة فحوايا على هذا فواعل كضاربة وضوارب وهو معطوف على ما في قوله: إلا ما حملت ظهورهما فهو من المستثنى من التحريم، وقيل: عطف على الظهور، فالمعنى إلا ما حملت الظهور أو حملت الحوايا، وقيل: عطف على الشحوم فهو من المحرم. ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ يريد ما في جميع الجسد. ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ أي فيما أخبرنا به من التحريم، وفي ذلك تعريض بكذب من حرم ما لم يحرم الله.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ أي إن كذبوك فيما أخبرت به من التحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة إذ لا يعاجلكم بالعقوبة على شدة جرمكم، وهذا كما تقول عند رؤية معصية: ما أحلم الله! تريد لإمهاله عن مثل ذلك، ثم أعقب وصفه بالرحمة الواسعة بقوله: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي لا تغتروا بسعة رحمته فإنه لا يرد بأسه عن مثلكم، إما في الدنيا أو في الآخرة.

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ الآية معناها أنهم يقولون إن شركهم وتحريمهم لما حرموا كان بمشيئة الله، ولو شاء الله أن لا يفعلوا ذلك ما فعلوه، فاحتجوا على صحة ذلك بإرادة الله له وتلك نزعة جبرية، ولا حجة لهم في ذلك لأنهم مكلفون مأمورون ألا يشركوا بالله ولا يحللوا ما حرم الله ولا يحرموا ما حلل الله، والإرادة خلاف التكليف، ويحتمل عندي أن يكون قولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ قولا يقولونه في الآخرة على وجه التمني أن ذلك لم يكن، كقولك إذا ندمت على شيء: لو شاء الله ما كان هذا، أي تمنى أن ذلك لم يكن، ويؤيد هذا أنه حكى قوله بأداة الاستقبال وهي السين فذلك دليل على أنهم يقولونه في المستقبل، وهي الآخرة. ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾ توقيف لهم وتعجيز.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَالِغَةُ﴾ لما أبطل حجتهم أثبت حجة الله ليظهر الحق ويبطل الباطل.

﴿هَلُمَّ﴾ قيل هي بمعنى هات فهي متعدية، وقيل: بمعنى أقبل فهي غير متعدية، وهي عند بعض العرب فعل يتصل به ضمير الاثنين والجماعة والمؤنث، وعند بعضهم اسم فعل فيخاطب بها الواحد والاثنان والجماعة والمؤنث على حد سواء، ومقصود الآية تعجيزهم عن إقامة الشهداء. ﴿فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ أي إن كذبوا في شهادتهم وزوروا فلا تشهد بمثل شهادتهم.

﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ أمر الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يدعو جميع الخلق إلى سماع تلاوة ما حرم الله عليهم، وذكر في هذه الآيات المحرمات التي أجمعت عليها جميع الشرائع ولم تنسخ قط في ملة، وقال ابن عباس[1]: هي الكلمات العشر التي أنزل الله على موسى. ﴿أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ قيل: أن هنا حرف عبارة وتفسير فلا موضع لها من الإعراب، ولا ناهية

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز: ٢/٤٢٤ بدون ذكر سند.

جزمت الفعل، وقيل: أن مصدرية في موضع رفع تقديره: الأمر ألا تشركوا فلا على هذا نافية، وقيل: أن في موضع نصب بدلا من قوله: ﴿مَا حَرَّمَ﴾ ولا يصح ذلك إلا إن كانت لا زائدة، وإن لم تكن زائدة فسد المعنى؛ لأن الذي حرم على ذلك يكون ترك الإشراك، والأحسن عندي أن تكون أن مصدرية في موضع نصب على البدل، ولا نافية ولا يلزم ما ذكر من فساد المعنى، لأن قوله: ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ معناه: ما وصاكم به ربكم، بدليل قوله في آخر الآية: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾، فضمن التحريم معنى الوصية، والوصية في المعنى أعم من التحريم؛ لأن الوصية تكون بتحريم وبتحليل ووجوب وندب، ولا ينكر أن يريد بالتحريم الوصية؛ لأن العرب قد تذكر اللفظ الخاص وتريد به العموم، كما تذكر اللفظ العام وتريد به الخصوص، فإذا تقرر هذا فتقدير الكلام: قل تعالوا أتل ما حرم، وما صاكم به ربكم، ثم أبدل منه على وجه التفسير له والبيان فقال: أن لا تشركوا به شيئا، أي وصاكم ألا تشركوا به شيئا، ووصاكم بالإحسان بالوالدين، ووصاكم أن لا تقتلوا أولادكم، فجمعت الوصية: ترك الإشراك، وفعل الإحسان بالوالدين، وما بعد ذلك، ويؤيد هذا التأويل الذي تأولنا أن الآيات اشتملت على أوامر: كالإحسان بالوالدين، وقول العدل، والوفاء بالوزن، وعلى نواهي: كالإشراك، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، فلا بد أن يكون اللفظ المقدم في أولها لفظا يجمع الأوامر والنواهي؛ لأنها أجملت فيه ثم فسرت بعد ذلك، ويصلح لذلك لفظ الوصية لأنه جامع للأمر والنهي فلذلك جعلنا التحريم بمعنى الوصية، ويدل على ذلك ذكر لفظ الوصية بعد ذلك، وإن لم يتأول على ما ذكرناه: لزم في الآية إشكال، وهو عطف الأوامر على النواهي، وعطف النواهي على الأوامر، فإن الأوامر طلب فعلها، والنواهي طلب تركها، وواو العطف تقتضي الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه، ولا يصح ذلك إلا على الوجه الذي تأولناه من عموم الوصية للفعل والترك.

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ
وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا
وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ
اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢)
وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ (١٥٣) ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي
أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ
رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (١٥٤) وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ
وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥) أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ
عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ
(١٥٦) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ
فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ
يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ (١٥٧)

وتحتمل الآية عندي تأويلا آخر، وهو: أن يكون لفظ التحريم على ظاهره، ويعم فعل المحرمات وترك الواجبات؛ لأن ترك الواجبات حرام. ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾ الإملاق الفاقة، ومن هنا للتعليل تقديرها: من أجل إملاق، وإنما نهى عن قتل الأولاد لأجل الفاقة لأن العرب كانوا يفعلون ذلك، فخرج مخرج الغالب فلا يفهم منه إباحة قتلهم بغير ذلك الوجه. ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ قيل: ما ظهر الزنا، وما بطن اتخاذ الأخدان، والصحيح أن ذلك عموم في جميع الفواحش. ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ فسره قول رسول الله ﷺ: **«لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: زنى بعد إحصان، أو كفر بعد إيمان، أو قتل نفس بغير نفس»**[1].

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النهي عن القرب يعم وجوه التصرف، وفيه سد الذريعة؛ لأنه إذا نهى عن أن يقرب المال فالنهي عن أكله أولى وأحرى، والتي هي أحسن منفعة اليتيم وتثمير ماله. ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ هو البلوغ مع الرشد، وليس المقصود هنا السن وحده، وإنما المقصود معرفته بمصالحه. ﴿لَا

---

(١) روي هذا الحديث في الصحاح والسنن بألفاظ متقاربة البخاري الحديث رقم: (٦٤٨٤)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٦٧٦)، والترمذي الحديث رقم: (١٤٠٢)، والنسائي الحديث رقم: (٤٠١٦)، وابن ماجه الحديث رقم: (٢٥٣٤).

نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ لما أمر بالقسط في الكيل والوزن وقد علم أن القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج ولا يتحقق الوصول إليه، أمر بما في الوسع من ذلك وعفا عما سواه ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ أي ولو كان المقول له أو عليه في شهادة أو غيرها من أهل قرابة القائل فلا ينبغي أن يزيد ولا ينقص بل يعدل.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً﴾ الإشارة بهذا إلى ما تقدم من الوصايا، أو إلى جميع الشريعة، وأن بفتح الهمزة والتشديد عطف على ما تقدم، أو مفعول من أجله، أي فاتبعوه؛ لأن هذا صراطي مستقيما، وقرئ[1] بالكسر على الاستئناف وبالفتح والتخفيف على العطف، وهي على هذا مخففة من الثقيلة. ﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ﴾ الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية، وغيرها من الأديان الباطلة، ويدخل فيه أيضا البدع والأهواء المضلة، وفي الحديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خط خطا ثم قال: «**هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه، وعن شماله، ثم قال: هذه كلها سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**»[2]. ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ أي تفرقكم عن سبيل الله، والفعل مستقبل حذفت منه تاء المضارعة، ولذلك شدده البزي[3].

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا﴾ معطوف على وصاكم به، **فإن قيل**: فإن إيتاء موسى الكتاب متقدم على هذه الوصية، فكيف عطفه عليها بثم؟ **فالجواب**: أن هذه الوصية قديمة

---

(١) ﴿وَأَنَّ هَٰذَا﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بفتحها، إلا أن يعقوب وابن عامر خففا النون، وقرأ الباقون بالتشديد. النشر: ٢/٣٠٠.

(٢) حديث صحيح، أخرجه النسائي الحديث رقم: (١٩٤)، وابن حبان في صحيحه الحديث رقم: (٦)، والمسند الحديث رقم: (٤١٤٢)، ومجمع الزوائد الحديث رقم: (١١٠٠٥)، والحاكم في المستدرك: ٢/٣١٨، والبغوي في شرح السنة (٩٧)، وابن كثير في تفسيره: ٣/٤٤٧، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨١٠٢) بسند صحيح.

(٣) التيسير، ص: ٦٦، والنشر: ٢/٢٦٥.

لكل أمة على لسان نبيها فصح الترتيب، وقيل: إنها هنا لترتيب الإخبار والقول، لا لترتيب الزمان. ﴿تَمَاماً عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ فيه ثلاث تأويلات:

أحدها: أن المعنى تماما للنعمة على الذي أحسن من قوم موسى ففاعل أحسن ضمير يعود على الذي، والذي أحسن يراد به جنس المحسنين

والآخر: أن المعنى تماما أي تفضلا أو جزاء على ما أحسن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من طاعة ربه وتبليغ رسالته، فالفاعل على هذا ضمير موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والذي صفة لعمل موسى.

والثالث: تماما أي إكمالا على ما أحسن الله به إلى عباده، فالعامل على هذا ضمير الله تعالى.

﴿أَن تَقُولُوٓاْ﴾ في موضع مفعول من أجله تقديره: كراهة أن تقولوا ﴿عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ﴾ أهل التوراة والإنجيل. ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ أي لم ندرس مثل دراستهم ولم نعرف ما درسوا من الكتب فلا حجة علينا، وأن هنا مخففة من الثقيلة.

﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ﴾ إقامة حجة عليهم. ﴿وَصَدَفَ﴾ أي أعرض.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ الآية تقدمت نظيرتها في البقرة. ﴿بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ أشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها، فحينئذ لا يقبل إيمان كافر ولا توبة عاص، فقوله لا ينفع نفسا إيمانها، يعني أن إيمان الكافر لا ينفعه حينئذ وقوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ يعني أن من كان مؤمنا ولم يكسب حسنات قبل ظهور تلك الآيات ثم تاب إذا ظهرت لم ينفعه؛ لأن باب التوبة يغلق حينئذ. ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ﴾ وعيد.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ هم اليهود والنصارى، وقيل: أهل الأهواء والبدع،

• هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل يا رسول الله، ومن تلك الواحدة؟ قال: من كان على ما أنا وأصحابي عليه»(١) وقرئ: فارقوا(٢) أي تركوا. ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ جمع شيعة أي متفرقين كل فرقة تتشيع لمذهبها. ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي أنت بريء منهم.

﴿عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ فضل عظيم على العموم في الحسنات، وفي العاملين وهو أقل التضعيف للحسنات، فقد ينتهي إلى سبعمائة وأزيد.

﴿دِينًا قِيَمًا﴾ بدل من موضع إلى صراط مستقيم لأن أصله هداني صراطا بدليل ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ﴾ والقيم فيعل من القيام، وهو أبلغ من قائم، وقرئ(٣) قيما بكسر القاف وتخفيف الياء وفتحها وهو على هذا مصدر وصف به. ﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ﴿فَرَّقُواْ﴾ هنا والروم، قرأهما حمزة والكسائي: ﴿فارقوا﴾ الألف مع تخفيف الراء، وقرأ الباقون بغير ألف مع التشديد فيهما. النشر: ٢/٣٠١.

(٣) ﴿قِيَمًا﴾ قرأ ابن عامر والكوفيون بكسر القاف وفتح الياء مخففة، وقرأ الباقون بفتح القاف وكسر الياء مشددة. النشر: ٢/٣٠١.

بدل من دينا أو عطف بيان.

﴿وَنُسُكِي﴾ أي عبادتي وقيل: ذبحي للبهائم وقيل: حجي، والأول أعم وأرجح. ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ أي أعمالي في حين حياتي وعند موتي. ﴿لِلَّهِ﴾ أي خالصا لوجهه وطلب رضاه ثم أكد ذلك بقوله لا شريك له أي لا أريد بأعمالي غير الله فيكون نفيا للشرك الأصغر وهو الرياء ويحتمل أن يريد لا أعبد غير الله فيكون نفيا للشرك الأكبر.

﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ الإشارة إلى الإخلاص الذي تقتضيه الآية قبل ذلك. ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ لأنه ﷺ سابق أمته.

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ تقرير وتوبيخ للكفار، وسببها: أنهم دعوه إلى عبادة آلهتهم. ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ برهان على التوحيد ونفي الربوبية عن غير الله. ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ رد على الكفار لأنهم قالوا له: اعبد آلهتنا ونحن نتكفل لك بكل تباعة تتوقعها في دنياك وأخراك، فنزلت هذه الآية[1] أي ليس كما قلتم وإنما كسب كل نفس عليها خاصة. ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي لا يحمل أحد ذنوب أحد وأصل الوزر الثقل ثم استعمل في الذنوب.

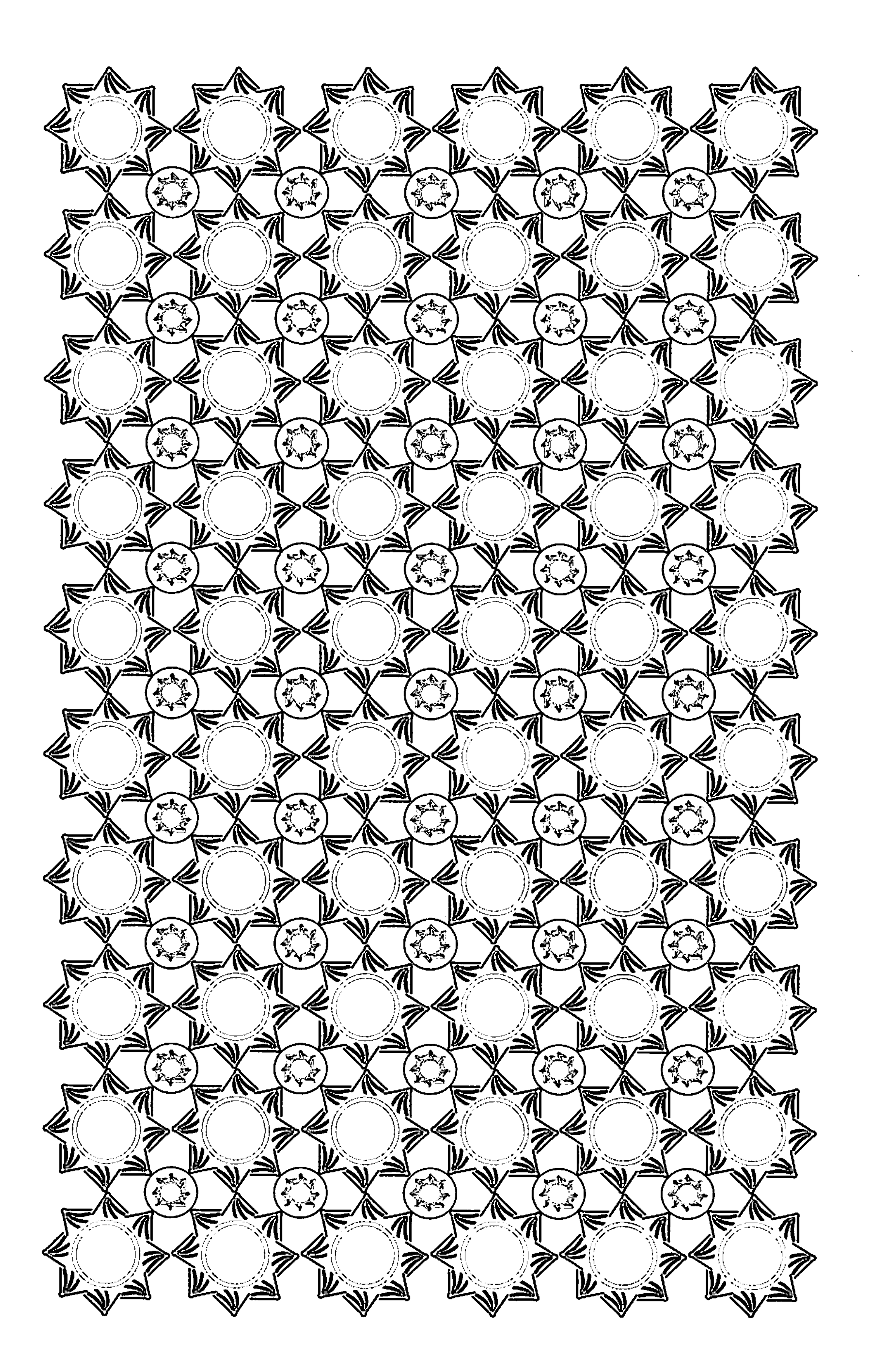
﴿خَلَائِفَ﴾ جمع خليفة أي يخلف بعضكم بعضا في السكنى في الأرض، أو خلائف عن الله في أرضه، والخطاب على هذا لجميع الناس، وقيل: لأمة محمد ﷺ لأنهم خلفوا الأمم المتقدمة. ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ﴾ عموم في المال والجاه والقوة والعلوم وغير ذلك، مما وقع فيه التفضيل بين العباد. ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ ليختبر شكركم على ما أعطاكم وأعمالكم فيما مكنكم فيه. ﴿إِنَّ رَبَّكَ

(١) قال ابن عطية في المحرر الوجيز: حكى النقاش أنه روي أن الكفار قالوا للنبي ﷺ: اعبد آلهتنا... فذكره بلفظه: ٧/١٦٢، وذكره الماوردي في النكت والعيون: ٢/١٩٦، وكذا القرطبي في الجامع للأحكام: ٧/١٥٣.

سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ جمع بين التخويف والترجية، وسرعة عقابه تعالى إما في الدنيا بمن عجل أخذه، أو في الآخرة؛ لأن كل آت قريب، ونسأل الله أن يغفر لنا، ويرحمنا بفضله ورحمته.

تم الجزء الأول

ويليه الجزء الثاني وأوله سورة الأعراف



فهرس الموضوعات

❊❊ ❊❊ ❊❊